

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

مآثر الإنافة في معالم الخلافة أحمد بن عبد الله القلقشندي

نبذة عن الكتاب

كتاب جديد نفيس تقدمه سلسلة التراث العربي إلى العلماء والمثقفين. ونفاضة الكتاب آية عن الموضوع الذي يدور عليه. ذلك لأن الخلافة في الإسلام كانت أعظم مؤسسة سياسية-دينية، حددت نظام الحكم ووضعت أسسه وطرقه. ولم يؤلف كتاب واحد يشتمل على ما يتعلق بالخلافة، وإنما هي شذرات نجدها متفرقة في التواريخ وكتب الحديث والفقه والإدارية، فجاء القلقشندي فجمع أخبارها، منذ نشأتها إلى أيامه، مفصلة مبوبة.

يضم الكتاب بأجزائه الثلاث مسألة الخلافة حيث كتب القلقشندي في معالمها بما اشتمل على دقائق حقائقها حيث رتب مؤلفه ضمن مقدمة وسبعة أبواب. حكى في المقدمة على معنى الخلافة ومن ينطلق عليه اسم الخليفة، ومن تكون عنه الخلافة، وكيفية النسب إلى الخليفة وما يقع عليه من الكنية والألقاب، ثم تولى في الباب الأول إلقاء الضوء على الإمامة في الشريعة الإسلامية، وتحدث في الباب الثاني عن الخلافة في صدر الإسلام حيث ذكر الخلفاء إلى زمانه بالتفصيل، وتناول في الباب الثالث ما يكتب عن الخلفاء من البيعات والعهود في قديم المؤلف وحديثه، ثم في الباب الرابع ما يكتب عن الخلفاء من ولايات ملوك الأقاليم وأمرائها، وولايات الوزارة والقضاة، وتحدث في الباب الخامس فيما يكتب عن الخلفاء في الاقطاعات وتحويل السنين وإلزام أهل الذمة الشروط اللازمة لهم، وفي الباب السادس يتحدث في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء وولاية العهد بالخلافة، ويذكر الباب السادس غرائب وملح وأعاجيب تتعلق بالخلفاء، وخصص الخاتمة في ذكر طرف من مناقب المعتضد بالله خليفة عصر المؤلف الذي وضع الكتاب خصيصاً له.

دار النشر / مطبعة حكومة الكويت - الكويت - 1985
الطبعة : الثانية
عدد الأجزاء / 3
تحقيق : عبد الستار أحمد فراج

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت ()
الحمد لله الذي جعل الخلافة الداوودية بامامها الأعظم ثابتة القواعد ومد رواقها المعتضدى على كافة الأمة فأروى بصوب عهاده المعاهد وصير بيتها المعمور كعبة للقصاد ومحرابها الامامي وجهة للمقاصد وجمع لها نعوت الفضل في قرن (1) فناصرها المنصور وطالعها الرشيد ومسترشدها المهتدى الى أرشد المراشد أحمد على أن رفع قدر الديار المصرية بنقل الخلافة المقدسة اليها وقدمها على سائر الممالك فأمست ومدارها في المهمات عليها وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يتجاوز فضلها الحد ويتوارثها الخلف

عن السلف

فيرويهما الابن عن الأب والأب عن الجد وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
أفضل نبي عمته دعوته أبقى الكون على بعد المسافة وبقيت معجزته على
مر الزمان حيث بشر عمه العباس أن بينه تختم الخلافة صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين قلدوا أمور الملة فحموا سرحها (1) وصانعوا وحملوا أعباء
الشريعة فما ضعفوا عن حملها وما استكانوا صلاة يدوم في الوجود حكمها ولا
ينقطع على تعاقب الأيام رسمها
وبعد فلما كانت الخلافة هي حظيرة الاسلام ومحيط دائرته ومريع رعاياه ومرتع
سائمته بها يحفظ الدين ويحمى وتصان بيضة الاسلام وتسكن الدهما وتقام
الحدود فتمنع المحارم عن الانتهاك وتحفظ الفروج فتصان الأنساب عن
الاختلاط والاشتباك وتحصن الثغور فلا تطرق ويذاد عن الحرم فلا تفرج جنة
جمها (2) ولا ترشق لا سيما الخلافة العباسية التي هي واسطة عقدها (2
ب) وخلاصة سبكها وخالص نقدها

وغاية طلبها وضالة نشدها وكانت قد فوضت الى الديار المصرية خيامها
فاستغنت بها عن السوى وحطت بفنائها الأنيق رحلها فألقت عصاها واستقر بها
النوى وتغيات ظلالها فجعلتها دار الامامة وقبة الاسلام (1) فكان لها بالبيت
الحاكمي احمر عقبى واستأثرت من بقاياها بخير أئمة فجرت أذيالها تيهها
وماست بأعطافها عجا ثم لم تنزل تحت مطيتها وتعمل رويتها الى أن أناخت
بفناء الامام الأعظم والخليفة الذي ان كان في الزمان متأخرا فهو في الحقيقة
مقدم والسيد الذي هو من أبائه الخلفاء الراشدين خير خلف فمن ولد
المستكفي الأكفاء ومن عقب الحاكم الأحكم الامام المعتضد بالله أبي الفتح
داود أمير المؤمنين بن الامام المتوكل (2) على الله أبي عبد الله محمد بن
الامام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر أيد الله تعالى به الدين وأعز بأعلامه
المنصورة عصابة المسلمين فأنست مآثره المعتضدية ما عرف
للمعتضد الأول من المآثر وأرابت على الأوائل مناقبه الجليلة حتى قيل كم ترك
الأول للآخر وأشعرت بالفتح كنيته الشريفة فخفقت بالنصر راياته السود وأذنت
بالفضل خلافته المعظمة ولا ينكر فضل الخلافة لداود
أحببت أن أخدم خزائنته العالية بتأليف في معالم الخلافة يشتمل على دقائق
حقائقها ويتكفل بذكر لوازمها المستظرفة ولواحقها محليا له من جواهر
المناقب المعتضدية بما يعلو به قدره وتغلو به قيمته ويرتفع به ذكره ليسير هذا
التأليف (3 أ) بانتسابه اليه في الآفاق سير المثل ويخلد بذكر مناقبه الشريفة
ذكره على مر الدهور وتعاقب الدول وسميته (مآثر الانافة في معالم الخلافة
()) إذ لم أكن من قبيل هذا الشأن ولا من فرسان هذا الميدان بل أمير
المؤمنين أمتع الله الوجود بوجوده بذلك أدري وبمعرفته أجدر وأحرى فكنت
في ذلك كناقل التمر الى

هجر (1) والمقابل ببلالة الرش زاهر البحر وهامع المطر وانما قصدت بذلك
التقرب الى خاطره الشريف والشكر لما أسلف من بره التالذ ونواله الطريف

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

والله تعالى يقرنه بالقبول ويبسط بالممادح المعتضدية لسان مؤلفه فيقول
ويطول

وقد رتبته على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة
المقدمة

في معنى الخلافة ومن ينطلق عليه اسم الخليفة ومن تكون عنه الخلافة
وكيفية النسبة الى الخليفة وما يقع عليه من الكنية والألقاب الباب الأول
في وجوب عقد الامامة لم يقوم بها وبيان شروط الامامة التي لا تصح بدونها
والطرق التي تنعقد بها وما يلزم الخليفة للرعية وما يلزم الرعية للخليفة وما
ينعزل به الخليفة ويخرج به عن الامامة (1) في

6 في ذكر من ولى الخلافة من صدر الاسلام وهلم جرا الى زماننا (3 ب)
وتفصيل حال كل خليفة منهم وولاية اقطار الاسلام شرقا وغربا في زمانه
والحوادث والماجريات الواقعة في أيامه وبيان مقرات الخلافة وما انطوت
عليه من الأقاليم وترتيب الخلافة على ما كانت عليه في الزمن القديم وذكر
المشاهير ممن ادعى الخلافة في بعض الأقاليم وبطلان شبهة دعاويهم الباب
الثالث

في ذكر ما يكتب للخلفاء من البيعات والعهود في القديم والحديث
الباب الرابع فيما كان يكتب عن الخلفاء من ولايات ملوك الأقاليم وأمرائها
وولايات الوزراء والقضاة والولاية على الصلوات ونقابة ذوي الأنساب وغير ذلك
من سائر الولايات الدينية والديوانية وما يكتب عنهم الآن
الباب الخامس

فيما كان يكتب عن الخلفاء في الاقطاعات وتحويل السنين والزام أهل الذمة
الشرائط الازمة لهمز الباب السادس
في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء وولاية العهد بالخلافة والكتب الصادرة عن
الملوك والوزراء ونحوهم اليهم الباب السابع في ذكر اوائل منسوبة الى
الخلفاء وغرائب وملح وأعاجيب تتعلق بهم
الخاتمة (14) في ذكر طرف من مناقب الامام الأعظم المعتضد بالله خليفة
العصر الموضوع له هذا الكتاب

وهذا بسط هذه الترجمة وتفصيلها وهذا بسط هذه الترجمة وتفصيلها
مقدمة

في معنى الخلافة ومن ينطلق عليه اسم الخليفة ومن تكون عنه الخلافة
وكيفية النسبة إلى الخليفة وما يقع عليه من الكنية والألقاب وفيه فصلان
**الفصل الأول في معنى الخلافة ومن ينطلق عليه اسم الخليفة ومن كون عنه
الخلافة وكيفية النسبة إلى الخليفة**

أما الخلافة فهي في الأصل مصدر خلف يقال خلفه في قومه يخلفه خلافة فهو
خليفة ومنه قوله تعالى (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي) ثم
أطلق في العرف العام على الزعامة العظمى وهي الولاية العامة على كافة
الأمة والقيام بأمورها والنهوض

بأعبائها والخلفي بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة لغة في الخلافة حكاها
الجوهري وغيره قال ابن الأثير في نهايته في غريب الحديث وهو من المصادر
الدالة على معنى الكثرة ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عنه لو أطبق الأذان مع الخلفي لأذنت يريد أنه مشتغل عن الأذان بكثرة
اجتهاده في ضبط أمور الخلافة وتصريف أعبائها وقد (4 ب) اختلف في لفظ
الخليفة

ف قيل هو فعيل بمعنى مفعول كجريح بمعنى مجروح وقتيل بمعنى مقتول
ويكون المعنى أنه يخلفه من بعده وعليه حمل قوله تعالى في حق آدم عليه
السلام (إني جاعل في الأرض خليفة) على قول من قال إن آدم أول من عمر
الأرض وخلفه فيها بنوه بعده

وقيل هو فعيل بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم وقدير بمعنى قادر ويكون
المعنى فيه أنه يخلف من بعده وعليه حمل الآية السابقة وهي قوله تعالى (
إني جاعل في الأرض خليفة) من قال إنه كان قبل آدم في الأرض الجن أو
الملائكة وإنه خلفهم فيها واختاره أبو جعفر النحاس في كتابه صناعة الكتاب
وعليه اقتصر الماوردي في الأحكام السلطانية قال النحاس وعليه خوطب أبو
بكر رضي الله عنه بخليفة رسول الله وعلى ذلك ينطبق كلام البغوي في شرح
السنة حيث سمي خليفة لأنه خلف الماضي قبله ثم قال النحاس وإطلاق
الخليفة على أمير المؤمنين يحتمل الوجهين جميعا
واختلف في الهاء في آخره فقيل أدخلت فيه للمبالغة كما أدخلت في رجل
داهية للكثير الدهاء

ورواية للكثير الرواية وعلامة للكثير العلم وهو قول الفراء واستحسنه النحاس
ناقلا له عن أكثر النحويين ونقل عن علي بن سليمان تخطئه احتجاجا بأنه لو
كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقيا وليس كذلك وقيل الهاء فيه لتأنيث الصيغة
قال النحاس وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوا فقالوا فلان خليف فلان يعنون
خليفه

ثم الأصل فيه التذكير نظرا للمعنى لأن المراد بالخليفة رجل وهو يذكر فتقول
أمر الخليفة بكذا على التذكير وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على اللفظ (15)
فيقال أمرت الخليفة بكذا وأنشد الفراء

أبوك خليفة ولدته أخرى
وأنت خليفة ذاك الكمال

ومنع البصريون ذلك محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز قالت طلحة في رجل اسمه
طلحة وهو ممتنع قال النحاس فإن ظهر اسم الخليفة تعين
التذكير باتفاق فتقول قال الرازي الخليفة ونحو ذلك

ويجمع الخليفة على خلفاء على معنى التذكير دون اللفظ كما في جمع كريم
على كرماء وظيف على ظرفاء وعليه ورد قوله تعالى (واذكروا إذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح) ويجمع أيضا على خلائف حملا على تأنيث اللفظ كما
تجمع صحيفة على صحائف وعليه جاء قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف
الأرض) قال النحاس ويجوز أن يجمع على خلاف ككريم وكرام لأن الهاء زائدة
وأما من ينطلق عليه اسم الخليفة فقد ذهب جماعة من أئمة السلف منهم
أحمد بن حنبل رحمه الله إلى كراهة إطلاق اسم الخليفة على من بعد الحسن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بن علي رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره محتجين بما رواه أبو داود والترمذي من حديث سفينة أن رسول الله صلى الله عنه وسلم قال الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك قال سعيد بن جهمان ثم قال لي سفينة أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ثم قال أمسك خلافة علي وخلافة الحسن فوجدناها ثلاثين سنة قال سعيد فقلت له إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم قال كذب بنو الزرقاء هم ملوك من شر الملوك والذي عليه العرف المشاع من صدر الإسلام وهلم جرا إطلاق اسم الخليفة على كل (5 ب) من قام بأمر المسلمين القيام العام على ما تقدم إما بيعه من أهل الحل والعقد وإما بعهد ممن قبله على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى إلا أن بعض السلف قد خصص ذلك بما إذا كان الإمام جاريا على منهاج العدل وطريق الحق فقد روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان عن الفرق بين الخليفة والملك فقال طلحة والزبير لا ندري فقال سلمان الخليفة الذي يعدل في الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ويقضى بينهم بكتاب الله تعالى فقال كعب ما كنت

أحسب أن في هذا المجلس من يفرق بين الخليفة الملك ولكن الله تعالى ألهم سلمان حكما وعلما وعلى ذلك يحمل ما روى أن أعرابيا قال لأبي بكر رضي الله عنه أنت خليفة رسول الله صلى الله عنه وسلم قال لا قال فما أنت قال أنا الخالفة بعده قال ابن الأثير قال ذلك تواضعا وهضما من نفسه حين قال له أنت خليفة رسول الله صلى الله عنه وسلم أي أن الخليفة هو الذي يقوم مقام الذاهب ويسد مسده والخالفة هو الذي يقوم مقام الذاهب ويسد مسده والخالفة هو الذي لا غناء عنده ولا خير فيه على أن البغوى قال في شرح السنة إنه يسمى خليفة وإن كان مخالفا لسيرة أهل العدل وأما من تكون عنه الخلافة فللعلماء فيه ثلاثة مذاهب المذهب الأول أن الخلافة تكون عن الله تعالى فيقال في الخليفة خليفة الله وهو ما حكاه الماوردي في الأحكام السلطانية عن بعضهم لقيامه بحقوقه تعالى في خلقه احتجاجا بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) ثم قال وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك زنسبوا قائله إلى التجوز محتجين بأنه إنما (16) يستخلف من يغيب أو يموت وذكر الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في كتابه الأذكار نحوه وقال ينبغي أن لا يقال للقائم بأمر المسلمين خليفة الله ويؤيد ذلك ما حكى أنه قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يا خليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عنه وسلم وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يا خليفة الله فقال وبلك لقد تناولت متناولا بعيدا إن أمي سميتني عمر فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ثم وليتموني أمورك فسميتموني أمير المؤمنين فلو دعوتني بذلك كفاك وأجاز البغوى ذلك في حق آدم وداود عليهما السلام دون غيرهما محتجا بقوله تعالى في حق آدم (إني جاعل في الأرض خليفة) وبقوله في حق داود (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) قال ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما وأجاز الزمخشري في تفسيره ذلك في سائر الأنبياء عليهم السلام

المذهب الثاني أن الخلافة تكون عن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فيقال فيه خليفة رسول الله { صلى الله عليه وسلم } لأنه خلفه في أمته وعليه ينطبق كلام الماوردي في الأحكام السلطانية والنحاس في صناعة الكتاب وعلى ذلك خوطب أبو بكر رضي الله عنه بخليفة رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وقد تقدم في المذهب الأول انه لما قيل له يا خليفة الله قال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وعلى ذلك ينطبق كلام البغوي في شرح السنة

حيث قال الخليفة وخليفة رسول الله وتبعه النووي على ذلك في الروضة المذهب الثالث أن الخلافة قد تكون عن الخليفة قبل ذلك الخليفة فيقال فلان خليفة فلان واحد بعد واحد حتى ينتهي إلى أبي بكر رضي الله عنه (6 ب) فيقال فيه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك خوطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول أمره بخليفة (خليفة) رسول الله

وأما كيفية النسبة إلى الخليفة فإنه يقال خلفي بفتح الخاء واللام كما ينسب إلى حنيفة حنيفي وقول العامة درهم خليفتي ونحوه خطأ إذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب إليه الياء وتاء التأنيث على ما هو مقرر في كتب النحو

الفصل الثاني فيما يقع على الخليفة من الكنية والألقاب
أما ما يقع على الخليفة من الكنية فلم تزل الكنى

جارية على الخلفاء من بدء الخلافة وهلم جرا جريا في ذلك على عادة العرب في الاهتمام بشأن الكنية والاعتناء بأمرها والتعظيم بوصفها فكانت كنية الصديق رضي الله عنه أبا بكر وكنية عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا حفص وكنية عثمان رضي الله عنه أبا عمرو وكنية علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الحسن واستمر الأمر فيهم على ذلك إلى زماننا بل ربما لزم الكنية أحدهم حتى لم تكذ تفارقه كأبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور وغيرهما وقد قال النووي في الأذكار والأدب أن يخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكنية وكذلك إن كتب إلى أحد منهم رسالة أو روى عنه رواية وقد كان الأول أكثر ما يعظم بعضهم بعضا في المخاطبات والمكاتبات ونحوها بالكنى ويرون ذلك في غاية الرفعة ونهاية التعظيم ومما يجب التنبيه عليه هنا أنه إذا كان (17) للرجل ولد واحد كنى به بلا نزاع فإن كان له ولدان فأكثر كنى بأكبرهم فقد كان النبي { صلى الله عليه وسلم } يكنى أبا القاسم وكان القاسم أكبر بنيه وفي سنن أبي داود والنسائي عن شريح الحارثي عن أبيه أنه وفد على رسول الله { صلى الله عليه وسلم } مع قومه فسمعهم رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فقال إن الله هو الحكم فلم تكني أبا الحكم فقال إن قومي اختلفوا في شيء فأتوني فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين فقال رسول الله { صلى الله عليه وسلم } ما احسن هذا فما لك من الولد قال شريح ومسلم وعبد الله قال فمن أكبرهم قال شريح قال أنت أبو شريح

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

قال النووي فلو تكنى بغير أولاده فلا بأس فلو لم يكن له ولد أصلاً بأن لم يولد له فإنه يجوز تكنيته حتى الصغير قال وقد كان تكنى جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم قبل أن يولد لهم كأبي هريرة وخلائق لا يحصون من التابعين قال ولا كراهية فيه بل هو محبوب بشرطه ثم قد يكون للرجل كنيستان فأكثر فقد كان لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلاث كنى أبو عمر وأبو عبد الله وأبو ليلى وأما ما يقع على الخليفة من الألقاب فأربعة ألقاب

اللقب الأول عبد الله وأول من تلقب بذلك من الخلفاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يكتب في كتبه الصادرة عنه من عبد الله عمر أمير المؤمنين وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ولزموه حتى أن المأمون كان اسمه عبد الله فكان يكرر في كتبه وعهوده لفظ عبد الله مرتين الأولى منهما اللقب والثانية الاسم الخاص فكان يكتب في كتبه من عبد الله عبد الله بن هارون وفي العهود هذا ما عهد (7 ب) عبد الله عبد الله بن هارون قلت ثم أحدث الخلفاء الفاطميون بالديار المصرية أيام قيامهم بها بعد ذلك ووليه فكان يكتب في كتب خلفائهم من عبد الله ووليه فلان أمير المؤمنين حتى كان

العاقد آخر خلفائهم بها وكان اسمه عبدالله فكان يكتب عنه من عبدالله ووليه عبدالله إلى آخره ثم تبعهم على ذلك خلفاء بني العباس بالديار المصرية أيضاً بعد تحول الخلافة من بغداد إلى مصر والأمر باق على ذلك إلى الآن اللقب الثاني الإمام وهو من الألقاب المستجدة للخليفة في أثناء الدولة العباسية بالعراق والأصل في ذلك أن الشيعة كانوا يعبرون عمن يقوم بأمرهم بالإمام من حيث إن الإمام في اللغة هو الذي يقتدي به وهو بأئمتهم مقتدون وعند أقوالهم وأفعالهم واقفون لاعتقادهم فيهم العصمة وكان إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس قد تلقب حين أخذت له البيعة بالخلافة بالإمام نسجا على هذا المنوال وبقي في خلفاء بني العباس إلى الآن اللقب الثالث لقب الخلافة الخاص بها كالمصور والهادي والرشيدي والمأمون والمعتصم بالله والمتوكل على الله ونحو ذلك على ما سيأتي ذكره في تراجمهم

إن شاء الله تعالى وقد كان الخلفاء الراشدون من الصحابة رضي الله عنهم بمعزل عن هذه الألقاب واختلف في بني أمية هل كان لهم ألقاب نحو ذلك فذكر القضاة في عيون المعارف في أخبار الخلفاء أن خلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم بالألقاب الخلافة وإنما ابتدئ ذلك في الدولة العباسية وحكى ابن حزم في بعض مصنفاته أن خلفاء بني أمية تلقب منهم جماعة بالألقاب الخ لافة وأن أول من تلقب منهم بالألقاب الخلافة معاوية بن أبي سفيان (18) وأن لقبه كان الناصر لحق الله ثم تبعه باقي خلفاء بني أمية على التلقب على ما سيأتي في تراجمهم إن شاء الله تعالى قال ابن حزم وليس بصحيح أما خلفاء بني العباس فلا نزاع في جريان ألقاب الخلافة عليهم من بدء أمرهم

وإلى آخر وقت وقد اختلف في لقب أبي العباس السفاح أول خلفائهم فقيل القائم وقيل المهدي المرتضى ثم تلقب أخوه أبو جعفر بعده بالمنصور واستمرت الألقاب جارية علي خلفائهم كذلك إلى أن ولى الخلافة أبو إسحاق محمد ابن الرشيد بعد أخيه المأمون فتلقب المعتصم بالله فكان أول من أضيف في لقبه اسم الله تعالى وجرى الأمر على ذلك فيمن بعده من الخلفاء كالواثق بالله والمتوكل على الله والطائع لله والقائم بأمر الله والناصر لدين الله وما أشبه ذلك قلت وكان من عادتهم أنه لا يتلقب خليفة بلقب خليفة قبله بل يقتضب لكل خليفة لقب يخصه إلى أن صارت الخلافة إلى الديار المصرية بعد انقراضها من بغداد بقتل التتر المستعصم على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى فترادفوا على الألقاب السابقة متواردين على الألقاب من سلف من الخلفاء فتلقب أبو القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله أول خلفائهم بها بالمستنصر بالله وهو لقب أخيه المستنصر بالله بن الظاهر من خلفاء العراق وتلقب بعده أبو العباس أحمد بن حسين ثاني خلفائهم بالحاكم بأمر الله وهو لقب أبي علي المنصور بن العزيز

ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ثم لم يزلوا على اقتفاء آثار الخلفاء قبلهم إلى الإمام الأعظم المعتضد بالله أبي الفتح داود خليفة العصر فتوارد لقبه مع لقب خليفته قبله وهما المعتضد بالله أبو العباس أحمد ابن الموفق طلحة بن المتوكل على الله (8 ب) جعفر السابع عشر من خلفائهم بالعراق والمعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان من خلفائهم بمصر وهو جد الإمام المعتضد بالله لأبيه ولم يتوارد أحد من الخلفاء قبله مع غيره من الخلفاء العباسيين على لقب ثلاث مرات سواه واعلم أن كثير ممن ادعى الخلافة في بعض الأقاليم كالخلفاء الفاطميين بالمغرب وبالديار المصرية وخلفاء بنى أمية بالأندلس قد مشوا على نهج خلفاء بنى العباس في الألقاب فتلقب أبو محمد عبید الله أول خلفاء الفاطميين بالمغرب المهدي ثم تلقب بنوه من بعده بالمغرب والديار المصرية بالألقاب الخلافة المضاف فيها اسم الله كالقائم بأمر الله والمنصور بالله إلى أن كان آخرهم العاضد لدين الله

وجرى خلفاء بنى أمية بالأندلس في أول أمرهم على قاعدة خلافتهم الأولى من عدم التلقب من لدن أولهم عبد الرحمن الداخل إلى أن ولى منهم عبد الرحمن بن محمد المعروف بالمقتول وهو الثالث عشر من خلفائهم بالأندلس فتلقب بالناصر بعد أن مضى في خلافته تسع وعشرون سنة وتبعه من بعده منهم على ذلك إلى أن ولى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر عبد الرحمن المقدم ذكره فتلقب بالمرتضى بالله وهو أول من أضيف في لقبه منهم اسم الله تعالى مضاهاة لخلفاء بنى العباس في ذلك وجرى من بعده من خلفائهم على مثل ذلك إلى أن كان آخرهم هشام بن محمد فتلقب بالمعتد بالله وبزواله في سنة ثمان وعشرين وأربع مائة انقرضت خلافتهم من الأندلس

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ثم تبعهم على ذلك ملوك الطوائف من بنى هود وغيرهم فتلقبوا بألقاب الخلفاء وكذلك الموحدون ببلاد المغرب فتلقب إمامهم محمد بن تومرت بالمهدي وتبعه أتباعه على ذلك (9 أ) فتلقبوا بألقاب الخلفاء إلى أن كان الأمير منهم في عقب أبي حفص أحد العشرة أصحاب ابن تومرت المذكور فنسجوا على منوالهم في ذلك إلى أن كان منهم أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى فتلقب بالمنتصر بالله فكان أول من أضيف في لقبه اسم الله منهم وتبعه من بعده على ذلك إلى زماننا قلت وهؤلاء جميعهم على منوال بني العباس ناسجون وعلى آثارهم مقتفون وأين الثريا من يد المتناول

اللقب الرابع أمير المؤمنين وأول من لقب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أثناء خلافته وكانوا قبل ذلك يدعون أبا بكر رضي الله عنه في خلافته بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعوا عمر بعده في أول خلافته بخليفة خليفة رسول الله واختلف في أصل تلقيبه بذلك فروى أبو جعفر النحاس في كتابه صناعة الكتاب بسنده إلى أبي

وبرة أن أبا بكر رضي الله عنه كان يجلد في الشراب أربعين فجئت عمر رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين إن خالدا بعثني إليك قال فيم قلت إن الناس قد تخافوا العقوبة وانهمكوا في الخمر فما ترى في ذلك فقال عمر لمن حوله ما ترون فقال على نرى يا أمير المؤمنين ثمانين جلدة فقبل ذلك عمر فكان أبو وبرة ثم على بن أبي طالب أول من لقبه بذلك وذكر أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل أن أصل ذلك أن عمر رضي الله عنه بعث إلى عاملة بالعراق أن يبعث إليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فلما وصلا المدينة دخلا المسجد فوجدوا عمرو بن العاص فقالا له استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال لهما عمرو أنتما والله أصبتما اسمه ثم دخل (9 ب) على عمر فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدا لك يابن العاص لتخرجن من هذا القول فقص عليه القصة فأقره على ذلك فكان أول تلقيبه بأمرير المؤمنين

قلت ولزم هذا اللقب من ولي الخلافة بعده إلى الآن خلا خلفاء بني أمية بالأندلس فإنهم كانوا يخاطبون بالإمارة فقط إلى أن ولي منهم عبد الرحمن بن محمد المعروف بالمقتول المقدم ذكره فتلقب بأمرير المؤمنين واستمر ذلك فيهم إلى حين انقراضهم وملوك الحفصيين من بقايا الموحدين بإفريقية يخاطبون في بلادهم بأمرير المؤمنين إلى الآن وترد كتبهم على ملوك الديار المصرية متضمنة لذلك

أما ملوك الغرب الأقصى الآن من بني مرين فإنهم يخاطبون بأمرير المسلمين جريا على ما استقر عليه أمر تلك البلاد من التلقب بذلك من حين أحدث هذا اللقب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في دولة الملتهمين من لمتونة من البربر

الباب الأول بعد المقدمة في وجوب الإمامة لمن يقوم بها وبيان شروط الإمامة التي لا تصح دونها والطرق التي تنعقد بها وما يلزم الخليفة للرعية وما يلزم الرعية للخليفة وما ينعزل به الخليفة ويخرج به عن الإمامة وفيه ستة فصول

الفصل الأول وفي وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها

قال المادوري وعقدها لمن يقوم واجب بالإجماع وإن شذ عنه الأصم يعني حيث لم يقل (10 أ) بوجوب ذلك مشيرا بذلك إلى أنه لو ندر المخالف مع كثرة المجمعين لم تنقطع حجية الإجماع كما هو الراجح في كتب أصول الفقه وقد اختلف في أصل وجوبها فذهب قوم إلى أن وجوبها ثابت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم عند التنازع ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين وقد قال الأفوه

الأودي وهو شاعر جاهلي

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وذهب آخرون إلى أنها إنما وجبت بالشرع ولا أثر للعقل في ذلك لأن الإمام يقوم بأمور شرعية كان يجوز في العقل لا يرد التعبد بها فلم يكن العقل موجبا لها واحتج لذلك بأنه لا بد للأمة من إمام يقيم الدين وينصر السنة وينصف المظلومين من الظالمين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها قال المادوري ولا خلاف بين أهل العلم أنها فرض كفاية كالجهاد ونحوه إذا قام بها من هو أهل لها سقط فرضها عن كافة الناس وإن لم يقم بها أحد أثم من الناس فريقان أحدهما أهل الحل والعقد حتى يختاروا للأمة إماما يقوم بأمورهم والثاني أهل الإمامة حتى ينتصب للإمامة أحدهم قال ولا إثم ولا حرج على من عدا هذين الفريقين من من سائر

الأمة في تأخير إقامة الإمام قال النووي في روضته فإن لم يكن من يصلح إلا واحد تعينت عليه ولزمه طلبها إن لم يبتدوه

الفصل الثاني

في شروط الإمامة وقد أعتبر أصحابنا الشافعية رضي الله عنهم (10 ب) لصحة عقدها أربعة عشر شرطا في الإمام

الأول الذكورة فلا تنعقد إمامة المرأة واحتج له بما رواه البخاري من حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أيام الجمل بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم قال لما بلغ رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أن أهل فارس ملكوا بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة زاد الترمذي والنسائي فلما قدمت عائشة البصرة ذكرت قول رسول الله { صلى الله عليه وسلم } {

فعضمني الله تعالى به

والمعنى في ذلك أن الإمام لا يستغني عن الإختلاط بالرجال والمشاورة معهم في الأمور والمرأة ممنوعة من ذلك ولأن المرأة ناقصة في أمر نفسها حتى لا تملك النكاح فلا تجعل إليها الولاية علي غيرها

الثاني البلوغ فلا تنعقد إمامة الصبي لأنه مولى عليه والنظر في أموره إلى غيره فكيف يجوز أن يكون ناظرا في أمور الأمة على أنه ربما أخل بالأمور قصدا لعلمه بعدم التكليف

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الثالث العقل فلا تنعقد إمامة ذاهب العقل بجنون أو غيره لأن العقل آلة التدبير فإذا فات العقل فات التدبير وقد قسم الماوردي زوال العقل إلى ما لا يرجى زواله وما يرجى زواله فاما ما لا يرجى زواله كالجنون والخبل فيمنع من عقد الإمامة سواء كان مطبقا لا يتخلله إفاقة أو تخلله إفاقة وسواء كان زمن الجنون أكثر من زمن الإفاقة أو زمن الإفاقة أكثر من زمن الجنون وأما ما يرجى زواله كالإغماء فلا يمنع من انعقاد الإمامة لأنه مرض قليل اللبث سريع الزوال الرابع البصر فلا تنعقد إمامة الأعمى لأنه إذا منع عقد ولاية القضاء (11 ب) وجواز الشهادة فمنعه صحة الإمامة أولى أما عشاء العين وهو أن لا يبصر معه ليلا فإنه لا يمنع صحة عقدها لأنه مرض في زمان الدعة يرجى زواله وأما ضعف البصر فقد قال الماوردي إنه إن كان يمنع معه معرفة الأشخاص إذا رآها فإنه يمنع من الإنعقاد وإن كان لا يمنع معرفة الأشخاص عند رؤيتها لم يمنع من الإنعقاد

الخامس السمع فلا تنعقد إمامة الأصم وهو الذي لا يسمع البتة لأنه يتعذر عليه بذلك سماع مصالح المسلمين ولأن ذلك يمنع ولاية القضاء فلأن يمنع ولاية الإمامة أولى أما ثقل السمع وهو الذي يدرك معه الصوت العالي فقد قيل إنه يمنع الإمامة وقيل لا يمنع السادس النطق فلا تنعقد إمامة الأخرس لما في ذلك من فوات مصالح الأمة بعدم القدرة على النطق عند الخطاب واختلف في تمتة اللسان ونحوها فقيل يمنع انعقاد الإمامة وقيل لا يمنع السابع سلامة الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فلا تنعقد إمامة من ذهبت يده أو رجلاه لعجز عما يلحقه من حقوق الأمة أما ما يمنع بعض العمل أو فقد به بعض النهوض كذهاب بعض اليدين أو إحدى الرجلين فالذي ذهب إليه الماوردي وصححه الرافعي من أئمة أصحابنا الشافعية أنه لا تنعقد معه الإمامة وخالف أبو سعد المتولي من أصحابنا الشافعية في ذلك فذهب إلى انعقادها ولا أثر لما لا يؤثر فقده من الأعضاء في رأي ولا عمل ولا نهوض كقطع الذكر والأنثيين ونحو ذلك قلت وقد رأيت في مناهج الفكر ومباهج العبر أن الخصي إن خصي قبل التسع حفظت عليه صفات الطفولية حتى إذا غضب بكى كالطفل إذا غضب وإن خصي لما بعد ثماني عشرة سنة حفظت عليه صفات الرجولية (11 ب) وإن خصي لما بين ذلك فأى الأمرين كان إليه أقرب فهو إلى طبعه أميل فإن صح ذلك فينبغي أن يراعى مثله في قطع الذكر والأنثيين الثامن الحرية فلا تنعقد إمامة من فيه رقي في الجملة سواء القن والمبعض والمكاتب والمدبر والمعلق عتقه بصفة لأن الرقيق محجور للسيد فأمره تصدر عن رأي غيره فكيف يسصلح لولاية أمور الأمة التاسع الإسلام فلا تنعقد إمامة الكافر على أى أنواع الكفر أصليا كان أو مرتدا

لأن المقصود من الإمام
مراعاة أمور المسلمين والقيام بنصرة الدين ومن لا يكون مسلماً لا يراعى
مصلحة الإسلام والمسلمين

العاشر العدالة فلا تنعقد إمامة الفاسق وهو المتابع لشهوته المؤثر لهواه من ارتكاب المحظورات والإقدام على المنكرات لأن المراد من الإمام مراعاة النظر للمسلمين والفاسق لم ينظر في أمر دينه فكيف ينظر في مصلحة غيره أما ما يتعلق بالاعتقاد لعروض شبهة ففي انعقاد إمامته معه خلاف وظاهر كلام الماوردي أنه لا يمنع كما لا يمنع من ولاية القضاء وقبول الشهادة الحادي عشر الشجاعة والنجدة فلا تنعقد إمامة الجبان لأنه محتاج إلى الشجاعة ليتوصل بذلك إلى حماية البيضة وجهاد العدو اللذين هما جل المطلوب من نصيب الإمام لأنه يحتاج إلى تجهيز الجيوش وفتح البلاد والحصون وقتل الأعداء فإذا لم يكن شجاعاً لم يستطع ذلك الثاني عشر العلم المؤدى إلى الإجتهد في النوازل والأحكام فلا تنعقد إمامة غير العالم بذلك لأنه محتاج لأن يصرف الأمور على النهج القويم ويجريها على الصراط المستقيم ولأن يعلم الحدود ويستوفى الحقوق ويفصل (12 أ) الخصومات بين الناس وإذا لم يكن عالماً مجتهداً لم يقدر على ذلك الثالث عشر صحة الرأي والتدين فلا تنعقد إمامة ضعيف الرأي لأن الحوادث التي تكون في دار الإسلام ترفع إليه ولا يتبين له طريق المصلحة إلا إذا كان ذا رأي صحيح وتدبير سائب وناهيك أن أبا الطيب التتبي قد رجح الرأي على الشجاعة في شعره فقال
الرأي قبل الشجاعة الشجعان
هو أول وهى المحل الثاني
الرابع عشر النسب فلا تنعقد الأمامة بدونه والمراد أن يكون من قريش وهم بنو النضر بن كنانة

ففي الصحيحين من رواية ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى منهم اثنان وقد احتج الصديق رضى الله عنه على الأنصار يوم السقيفة حين اجتمعوا على سعد بن عبادة وقالوا منا أمير ومنكم أمير يقول النبي { صلى الله عليه وسلم } الأئمة من قريش فرجعوا إليه في ذلك وأذعنوا لقوله وقد ادعى الماوردي الإجماع على اعتبار هذا الشرط مع ورود النص به ثم قال ولا عبرة بضرار حين شد فجوؤها في جميع الناس قال الرافعي من أئمة أصحابنا الشافعية فإن لم يوجد قرشى مستجمع للشروط فكنانى فإن لم يوجد كنانى فرجل من ولد إسماعيل عليه السلام فإن لم يكن فيهم رجل مستجمع للشرائط ففي تهذيب البغوى أنه يولى رجل من العجم وفى التتمة للمتولى أنه يولى جرهمي قلت وجرهم أصل العرب المسعربة الذين هم ولد إسماعيل عليه السلام وهم الذين نزلوا على إسماعيل وأمه بمكة حين أنزلهما بها الخليل عليه السلام فنشأ إسماعيل بينهم وتعلم لغتهم وتزوج منهم وهم بنو

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وقد (12 ب) أوضحت الكلام على ذلك مبسوطا في كتابي نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب
قال الرافعي ولا يشترط في الإمام كونه هاشميا لأن أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ليسوا من بنى هاشم وهم أصول الخلافة وأئمة الإسلام
الفصل الثالث في بيان الطرق التي تتعقد بها الخلافة
ولها ثلاث طرق تترتب على كل طريق منها جملة من الأحكام الطريق الأول البيعة وهى أن يجتمع أهل الحل والعقد الآتي ذكرهم ويعقدون الأمامة لمن يستجمع شرائطها ويأتي ذلك في موضوعين أحدهما أن يموت الخليفة الذي كان منتصبا عن غير عهد إلى أحد بعده والثاني أن يخلع الخليفة نفسه من الخلافة أو يخلعه أهل الحل والعقد لموجب اقتضى خلعه نفسه أو خلع أهل الحل والعقد لذلك حالتان

الحالة الأولى أن يتعدد من اجتمع فيه شروط الإمامة فيختار أهل الحل والعقد واحدا منهم يقوم بأمر الإمامة وينهض بأعبائها وعلى ذلك كانت خلافة الصديق رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وذلك أنه لما توفي النبي { صلى الله عليه وسلم } اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وقالوا منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ابن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول والله ما أردت إلا أنى هيات كلاما أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال (13 أ)
حباب بن المنذر لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر بل نبايعك أنت فانت سيدنا وخيرنا وأحبنا إى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس أخرجه البخاري والنسائي
وأعلم أن لصحة عقد البيعة خمسة شروط
الأول أن يجتمع في المأخوذ له البيعة شروط الإمامة المتقدمة الذكر فلا تتعقد مع فوات واحد منها إلا مع الشوكة والقهر على ما سيأتي فلو جمع شروط الإمامة اثنان فأكثر قال الماوردي استحب لأهل الحل والعقد أن يعقدوها لأسنهما فإن عقودها للآخر جاز فإن كان أحدهما أعلم والآخر أشجع روعي في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت فإن دعت الحاجة إلى رعاية الشجاعة كظهور البغاة وأهل الفساد كان الأشجع أحق وإن دعت إلى زيادة العلم كسكون الفتن وظهور البدع كان الأعم أحق ولو
تنازع اثنان مستجمعان للأهلية في الإمامة فقد ذهب بعض العلماء إلى العلماء إلى أن ذلك يقدر فيهما جميعا حتى يعدل عنهما إلى غيرهما والذي عليه الجمهور أن ذلك لا يقدر لأن طلب الخلافة ليس مكروها وهل يقدر بينهما عند التساوي أو يقدم أهل الحل والعقد من شاءوا منهما فيه خلاف

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الثاني أن يكون المتولى لعقد البيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء
وسائر وجوه الناس وفيمن تنعقد به البيعة منهم سبعة مذاهب
أحدهما أنها لا تنعقد إلا بأهل الحل والعقد من كل بلد ليكون الرضى عاما
والتسليم لإمامته إجماعا قال الماوردي وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر
رضي الله عنه باختيار من حضرها (13 ب) من غير انتظار قدوم غائب عنها
والثاني أن أقل من تنعقد به أربعون لا دونهم لأن عقد الإمامة فوق عقد الجمعة
ولا تنعقد بأقل من أربعين
والثالث أقل من تنعقد به خمسة يجتمعون على عقدها او يعقدها أحدهم برضى
الأربعة لأن بيعة أبي بكر رضي الله عنه انعقدت بخمسة وهم عمر بن الخطاب
وأبو عبيدة بن الجراح وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وسالم مولى أبي حذيفة
ثم تابعهم الناس على ذلك وقد جعلها عمر رضي الله عنه شورى في ستة نفر
تنعقد لأحدهم برضى الخمسة قال الماوردي وهذا قول أكثر الفقهاء
والمتكلمين من أهل البصرة
والرابع تنعقد بأربعة لأن الشهادة في الزنا تقوم بأربعة فكذلك الامامة
والخامس تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهما برضى الاثنين الآخرين ليكونا حاكما
وشاهدين كما يصح عقد بولي وشاهدين
والسادس تنعقد باثنين لأن رتبة الخلافة لا تنقص عن رتبة الحكومات والحاكم لا
يلزم أحد الخصمين 44
حق صاحبه الا بشهادة عدلين لذلك لا يلزم الناس الانقياد قول الامام الا
بعدين
والسابع تنعقد بواحد لما روى أن العباس رضي الله عنه قال لعلي كرم الله
وجهه امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله { صلى الله عليه وسلم }
بايع ابن اخيه فلا يختلف فيه اثنان وقد قيل ان بيعة الصديق رضي الله عنه
انعقدت ببيعة عمر وحده ولانه حكم وحكم الواح نافذ

و الثامن وهو الأصح عند أصحابنا الشافعية رضي الله عنهم أنها تنعقد بمن
تيسر حضوره وقت المبايعة في ذلك الموضوع من العلماء والرؤساء وسائر
وجوه الناس المتصفين بصفات (14 أ) الشهود حتى لو تعلق الحل والعقد
بواحد مطاع كفى لأن الأمر اذا لم يكن صادرا عن رأي من له تقدم في الوضع
وقول مقبول لم تؤمن اثاره فتنة ولا التفات الى أهل البلاد النائية بل اذا بلغهم
خبر البيعة وجب عليهم الموافقة والمتابعة وقد شرط في
الأحكام السلطانية في أهل الحل والعقد أن يجتمع فيهم ثلاث صفات وهي
العدالة والعلم والرأي ووافقه على ذلك النووي في روضته وقال الرافعي لا بد
فيهم مجتهد فان عقدت بواحد اعتبر فيه الاجتهاد وان عقدت بأكثر من واحد
اعتبر ان يكون فيهم مجتهد
الثالث أن يجيب المبايع الى البيعة حتى لو امتنع لم تنعقد امامته ولم يجبر عليها
قال النووي في الروضة لا ان يكون من لا يصلح للامامة الا واحد فيجبر بلا
خلاف
الرابع الاشهاد على المبايعة فيما اذا كان العاقد واحدا اما اذا كان العاقد للبيعة
جمعا فانه لا يشترط الاشهاد
الخامس أن يتحد المعقود له بأن لا تعقد البيعة لاكثر من واحد احتج له بما رواه

مسلم في

صحيحه من حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال اذا بوع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما وفي رواية له من حديث عرفجة بن شريح قال سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه

فلو عقدت البيعة لاثنين معا لم تنعقد لواحد منهما فلوا كانا في اقليمين متباعدين ففيه وجهان لاصحابنا الشافعية أصحهما ما عليه الجمهور بطلان بيعتهما والثاني ما ذهب اليه 14 ب الاستاذ ابو اسحاق الاسفراييني واختاره امام الحرمين صحة بيعتهما جميعا لانه قد تدعو الحاجة الى ذلك وعلى ذلك كانت الخلافة الاموية بالاندلس والخلافة الفاطمية ببلاد المغرب والديار المصرية مع قيام الخلافة العباسية بالعراق وانسحابها على سائر الاقطار والبلدان ونسبه الماوردي في الاحكام 47

7 السلطانية الى الشذوذ وان وقع العقد لهما على الترتيب فالاولى صحيحة والثانية باطلة ولو سبق احدهما وتعين ثم اشتبه وقف الامر حتى يظهر فان طالبت المدة ولم يمكن الانتظار فقد قال الماوردي انه تبطل البيعتان وتستانف لاحدهما بيعة جديدة وفي جواز العدول الى غيرهما خلاف قال النوو الأصح انه لا يجوز

الحالة الثانية ان يتحد من اجتمع فيه شروط الامامة وقد اختلف العلماء فيها اذا انفرد واحد بشروط الامامة هل تثبت امامته بمجرد تفره بها من غير عقد بيعه على مذهبين

احدهما انعقاد امامته بذلك وان لم يعقدها له اهل الحل والعقد لان المقصود من الاختيار تمييز من يستحق الولاية وقد تيمز هذا بصفته وهو ما نقله الماوردي عن بعض علماء العراق

والثاني انها لا تنعقد الا بعقد اهل الحل والعقد لان الامامة عقد فلا يصح الا بعقاد كما لو انفرد واحد باستجماع شرائط القضاء فإنه لا يصير قاضيا حتى يولى وهو ما عليه جمهور الفقهاء وعليه اقتصر الرافي والنووي المعتمد على ترجيحهما

الطريق الثاني من الطرق التي تنعقد بها الامامة العهد وهو ان يعهد الخليفة المستقر الي غيره ممن استجمع شرائط الخلافة بالخلافة بعده فاذا مات العاهد 15 أ انتقلت الخلافة بعد موته الى المعهود اليه ولا يحتاج مع ذلك الى تجديد بيعة من اهل الحل والعقد ولذلك حالتان

الحالة الاولى ان يتحد المعهود اليه بأن يعهد بالخلافة بعهدته الى واحد فقط فيجب الاقتصار عليه والأصل في ذلك ما روي انه لما مرض ابو بكر الصديق رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه دعا عثمان بن عفان وهو يومئذ كاتبه فقال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب هذا ما عهد ابو بكر خليفة رسول الله اخر عهده بالدنيا واول عهده بالآخرة اني استخلفت عليكم ثم رهقته عينه فنام

فكتب عمر بن الخطاب ثم استيقظ
ابو بكر فقال هل كتب شيئاً قلت نعم كتبت عمر بن الخطاب فقال اما انك لو
كتبت نفسك لكنت لها اهلا ولكن اكتب استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان
بر وعدل فذلك ظني به وان بدل او غير فلا علم لي بالغيب والخير اردت بكم
ولكل امرى ء ما اكتسب من الاثم) وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون
(ثم دخل عليه عمر فعرفه ذلك فأبى ان يقبل فتهدهه ابو بكر رضي الله عنه
وقال هاتوا سيفي فقبل ثم خرج عمر من عنده فدخل عليه طلحة فبكى ولامه
على توليته عمر فانتهره ابو بكر وقال والله ان عمر لخير لكم وانتم شر له
اتيتني وقد وكفت عينك تريد ان تصدني عن ديني وتردني عن رأيي قم لا أقام
الله رجلك

واعلم انه لا بد لصحة الامامة بالعهد والحالة هذه من شرطين
أحدهما ان يكون المعهود اليه مستجمعا لشرائط الامامة
من وقت العهد حتى لو كان المعهود اليه صغيرا او فاسقا عند العهد بالغاً عدلاً
عند موت العاهد لم يصر بذلك العهد 15 ب اماما بل لا بد من مبايعة اهل الحل
والعقد له بالخلافة كما صرح به النووي في الروضة وصوب الجزم به وان
توقف فيه الرافعي
الثاني ان يقبل المعهود اليه العهد قال المتولي من اصحابنا فلو امتنع المعهود
اليه من القبول ببيع غيره وكأنه لا عهد

واختلف في وقت قبوله فقبل بعد موت العاهد كما يقبل الوصي الوصية بعد
موت الموصي والأصح ان وقته ما بين عهد الخليفة وموته لتنتقل الامامة عن
العاهد الى المعهود اليه مستقرة بالقبول فلو اراد ولي العهد ان يعهد بالخلافة
الى احد قبل موت الخليفة العاهد لم يجز لان الخلافة لا تستقر الا بعد موت
المستخلف وفي معنى ذلك ما لو قال جعلته ولي عهدي اذا افضت الخلافة الي
لانه في الحال ليس بخليفة فلم يصح عهده فلو عهد لاثنين فان كان العهد قد
وقع لهما معا فهو باطل وان وقع الترتيب فالحق
للأسبق كما تقدم في البيعة

قلت ولو قيل باعتبار الاشهاد على العهد لكان له وجه وقد اشهد المأمون على
عهده لعلي الرضى على ما ستقف عليه في نسخة عهده في الكلام على عهود
الخلفاء فيما بعد ان شاء الله تعالى
ثم اعلم ان المعهود اليهم على ثلاثة اضرب
الضرب الاول ان يكون المعهود اليه ولدا او والدا وقد اختلف العلماء في جواز
انفراده بالعهد لولده او والده على ثلاثة مذاهب
احدها انه ليس له الانفراد بذلك لواحد منهما بل لا بد ان يوافق اهل الحل
والعقد على صلاحية المعهود اليه لذلك لان ذلك منه بمثابة التزكية ليجري
مجرى الشهادة وتقليده على الامة مجرى الحكم وهو لا يجوز ان يحكم لوالد ولا
ولد

والثاني له الانفراد 16 أ بذلك لكل واحد منهما لانه امير الامة نافذ الامر لهم
وعليهم فغلب حكم 52

المنصب على حكم النسب ولم يجعل للتهمة عليه في ذلك طريقا
والثالث ان له الانفراد بذلك للوالد دون الولد لان الطبع الى الولد اميل منه الى

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الوالد ولذلك كان ما يقتنيه في الاغلب مذخورا لولده دون والده
الضرب الثاني ان يكون المعهود اليه ليس بولد ولا والد بان يكون اخا او بن اخ
او عما او ابن عم او اجنيا فيجوز العهد بالخلافة اليه من غير استشارة احد من
اهل الحل والعقد في ذلك واختلف في انه هل يشترط في لزوم ذلك للأمة
ظهور الرضى منهم بذلك ام لا على مذهبين

احدهما الاشتراط لان الامامة حق يتعلق بالامة فلم تلزمهم الا برضى اهل
الحل والعقد منهم
والثاني وهو الاصح عدم الاشتراط لان الامام احق بها فكان اختياره فيها امضى
وانفذ ولذلك لم يتوقف عهد الصديق لعمر رضى الله عنهما على رضى بقية
الصحابة
الضرب الثالث ان يكون المعهود اليه غائبا ويختلف الحال فيه فان كان مجهول
الحياة لم يصح العهد اليه وان كان معلوم الحياة صح وكان موقوفا على قدومه
فان مات العاهد وولي العهد على غيبته استقدمه اهل الحل والعقد فان طالت
غيبته وتأخر المسلمون بتأخير النظر في امورهم استتاب اهل الحل والعقد عنه
نائبا يبايعونه بالنيابة دون الخلافة ويمضي امره فيما يمضي فيه امر الخليفة ان
لو كان حاضرا فاذا قدم الخليفة الغائب انعزل المستخلف وكان نظره بعد
قدومه مردودا
الحالة الثانية ان يتعدد 16 ب المعهود اليه بأن يكون اثنين فأكثر من اهل
الامامة وهو على ضربين
الضرب الاول ان يجعلها الخليفة شورى بينهم لم يقدم فيها احدا منهم على
الآخر فيختار اهل الحل والعقد بعد موت العاهد واحدا من المعهود اليهم او
يخرج الجميع انفسهم من العهد ويقى واحد منهم والاصل في ذلك ما رواه
البخاري في صحيحه من رواية عمرو بن ميمون

الأودى أنه لما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل له
أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء
الرهط الذين توفى رسول الله صلى اله عليه وسلم وهو عنهم راض فعد عليا
وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وأنه لما قبض وفرغ من دفنه
اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم
فقال الزبير قد جعلت أمرى إلى على وقال طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان
وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن فقال عبد الرحمن بن عوف أيكما
تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه
فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن أفتجعلونه إلى والله على أن لا ألو عن
أفضلكم قالوا نعم فأخذ بيد أحدهما وقال لك من قرابة رسول الله {صلى الله
عليه وسلم} والقدم في الإسلام ما قد علمت والله عليك لئن أمرتك لتعدلن
ولئن أمرت عثمان لتسمعن وتطيعين ثم
خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه
وبايع له على وولج أهل الدار فبايعوه

واعلم أنه إذا عهد لاثنين فأكثر لم يجز لأهل الحل والعقد (17 أ) أن يختاروا واحدا منهم في حياته إلا بإذنه لأنه بالإمامة أحق فامتنعت مشاركته فيها ما دام رأيه صحيحا ولو مات لم يجز لأهل الحل والعقد أن يختاروا واحدا غيرهم بل لو نص على أهل الاختيار لم يصح الاختيار من غير من نص عليه لأن ذلك من حقوق خلافته وإذا تعينت الخلافة بالاختيار في أحد المعهود إليهم جاز له أن يعهد بها إلى غيره

الضرب الثاني أن يعهد إلى اثنين فأكثر ويرتب الخلافة فيهم بأن يقول الخليفة بعدى فلان فإذا مات فالخليفة بعده فلان فتنقل الخلافة بعده على الترتيب الذي رتبته احتج لذلك بما ثبت في صحيح البخاري من رواية ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } أمر على جيش مؤتة زيد بن حارثة وقال إن قتل فجعفر بن

أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة وفي رواية فإن قتل فليترض المسلمون رجلا فتقدم زيد فقتل فأخذ الراية جعفر وتقدم فقتل فأخذ الراية الله بن رواحة وتقدم فقتل فاختر المسلمون بعده خالد بن الوليد قال الماوردي وإذا فعل النبي { صلى الله عليه وسلم } ذلك في الإمارة جاز مثله في الخلافة قال وقد عمل بذلك في الدولتين من لم ينكر عليه أحد من علماء العصر وقد عهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز بعده ثم إلى يزيد بن عبد الملك قال وفعل سليمان وإن لم يكن حجة لإقرار من عاصره من الناس ومن لا يأخذه في الله لومة لائم هو الحجة وكذلك رتبها الرشيد في ثلاثة من بنيه في الأمين ثم المامون ثم المؤمن على كثرة من عاصره من فضلاء العلماء

إذا علمت ذلك فلا نزاع في أن الخليفة العاهد باق على خلافته ما دام حيا (17 ب) أما بعد موته فله ثلاثة أحوال

الحال الأول أن يموت الأول من المعهود إليهم في حياة العاهد فتكون الخلافة بعده للثاني منهم

الحال الثاني أن يموت الأول والثاني من المعهود إليهم في حياة العاهد فتكون الخلافة بعدهما للثالث

الحال الثالث أن يموت العاهد والثلاثة المعهود إليهم أحياء فالخلافة بعد موته للأول منهم فلو أراد الأول الذي أفصت الخلافة إليه أن يعهد بها إلى غير الاثنين الباقيين من المعهود إليهم ممن يختاره لها ففيه مذهبان للعلماء أحدهما أنه لا يجوز له ذلك إلا أن يستنزل عنها مستحقها من المعهود إليهم طوعا حملا على حكم الترتيب السابق فقد عهد السفاح إلى أخيه المنصور وجعل العهد بعده لعيسى بن موسى فأراد المنصور تقديم ابنه المهدي على عيسى فاستنزله عن العهد لحقه فيه وفقهاء العصر حينئذ على توفير وكثرة لم يروا له فسحة في صرفه عن ولاية العهد قهرا

قال الماوردي وظاهر الشافعي وعليه جمهور الفقهاء أنه يجوز أن يعهد بها إلى من يشاء ويصرفها عن من كان معه مرتبا في العهد لأنه قد صار بإفصائها إليه

عام الولاية نافذ الأمر فكان حقه فيها أقوى وإنما استطاب المنصور نفس عيسى تألفا لأهله لأنه كان في صدر الدولة فعل ذلك سياسة وإن كان الحكم في نفس الأمر سائغا

الطريق الثالث من الطرق التي تنعقد بها الإمامة القهر والاستيلاء فإذا مات الخليفة فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير عهد إليه من الخليفة المتقدم ولا بيعة من أهل الحل والعقد انعقدت إمامته لينتظم شمل الأمة وتتفق (18 أ) كلمتهم وإن لم يكن جامعا لشرائط الخلافة بأن كان فاسقا أو جاهلا فوجهان لأصحابنا الشافعية أصحابهما انعقاد إمامته أيضا لأننا لو قلنا لا تنعقد إمامته لم تنعقد أحكامه ويلزم من ذلك الإضرار بالناس من حيث إن من يلي بعده يحتاج أن يقيم الحدود ثانيا ويستوفى الزكاة ثانيا ويأخذ الجزية ثانيا والثاني لا تنعقد إمامته لأنه لا تنعقد له الإمامة بالبيعة إلا باستكمال الشروط فكذا بالقهر

الفصل الرابع فيما يلزم الخليفة للرعية

وقد ذكر الماوردي أنه يلزمه لهم عشرة أشياء

أحدها حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة فإن ظهر مبتدع أو زاع ذو شبهة أوضح له الحجة وبين له الصواب وكفه عن ذلك بما يستحقه من الزجر ليكون الدين محروسا وحال الأمة فيه مضبوطا

الثاني حماية بيضة الإسلام والذب عن الحرم ليتصرف الناس في معاشهم وينتسروا في أسفارهم آمنين على أنفسهم وأموالهم

الثالث تحصين الثغور بالعدد ووفور العدد حتى لا يظفر العدو بغرة فينتهك فيها محرما أو يسفك فيها دم مسلم أو معاهد

الرابع جهاد الكفرة المعاندين للإسلام حتى يسلموا أو يدخلوا في ذمة المسلمين قياما بحق الله تعالى في ظهور دينه على الدين كله

الخامس تنفيذ الأحكام وقطع الخصومات حتى لا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم

السادس إقامة الحدود (18 ب) لتتوقى المحارم وتصان الأنفس والأموال السابع اختيار الأمناء والأكفاء وتقليد الولايات للثقات النصحاء لتنضبط الأعمال بالكفاة وتحفظ الأموال بالأمناء

الثامن جباية أموال الفىء والصدقات والخراج على ما أوجبه الشرع نسا أو اجتهدا من غير حيف ولا عسف

التاسع تقدير العطاء وما يستحقه كل واحد في بيت المال من غير سرف ولا تقدير ودفعه إليهم في وقت معلوم لا تأخير فيه ولا تقديم

العاشر مشاركة الأمور العامة بنفسه غير معتمد على ولاته وعماله فقد يخون الأمين ويغش الناصح وقد قال تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وفي الصحيحين من رواية ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله { صلى الله عليه وسلم } يقول

كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع ومسئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيته والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته قال فسمعت هذا من

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأحسبه قال والرجل في مال أبيه راع
ومستول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مستول عن رعيته
وأخرج الترمذي من حديث عمرو بن مرة الجهني قال لمعاوية سمعت النبي
{صلى الله عليه وسلم} يقول
ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجات والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء
دون خلته وحاجته ومسكنته
فجعل

معاوية رجلا على مصالح الناس ولله محمد بن يزيد وزير المأمون حيث يقول
مخاطبا له

من كان حارس دنيا إنه قمن

أن لا ينام وكل الناس نوام

19 أ) وكيف ترقد عينا من تضيفه

همان من أمره نقض وإبرام

الفصل الخامس فيما يلزم الرعية للخليفة وهو أمران

الأول الطاعة قال الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم
(فأمر بطاعة أولى الأمر وهم ولاة الأمور على ما ذهب إليه كثير من
المفسرين والأمام هو أعظم ولاة الأمور لعموم ولايته فهو أحق بالطاعة وأجدر
بالانقياد لأوامره ونواهيته مالم يخالف

أمر الشرع سواء كان عادلا أو جائرا ففي الصحيحين من رواية ابن عمر رضى
الله عنهما أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال
على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا
سمع ولا طاعة

وفي صحيح مسلم من رواية وائل بن حجر قال سأل سلمة بن يزيد الجعفي
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا
أمراء يسألونا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله فأعرض
عنه ثم سأله الثانية أو في الثالثة فجدبه الأشعث بن قيس وقال اسمعوا
وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم

الثاني المعاضدة والمناصرة في أمور الدين وجهاد العدو قال تعالى (وتعاونوا
على البر والتقوى) ولا أعلى من معاونة الأمام على إقامة الدين ونصرته وفي
صحيح

مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال

من خرج من الطاعة أو فارق الجماعة مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية
عمية يغضب بعصبية أو ينصر بعصبية فقتل (19 ب) فقتلة جاهلية
فدم الخارج تحت راية عمية والداعى إلى العصبية وهو مستلزم لنصرة الدين
دون النصرة عليه

الفصل السادس فيما ينعزل به الخليفة من الخلافة أو ولى العهد من ولاية

عده وفيه مهيعان

المهيع الأول فيما ينعزل به الخليفة وهو على خمسة أضرب

الضرب الأول الخلع وله حالتان

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الحالة الأولى أن يخلع الخليفة نفسه من الخلافة لعجز من القيام بأمر الناس من هرم أو مرض ونحوهما فإذا خلع نفسه لذلك انخلع لأن العزل إذا تحقق وجب زواله ولايته لفوات المقصود منهما
أما إذا عزل نفسه لغير عجز ولا ضعف بل أثر الترك طلباً للتخفيف حتى لا تكثر أشغاله في الدنيا ويتسع حسابه في الآخرة ففيه لأصحابنا الشافعية وجهان في التتمة
أحدهما الانعزال لأنه كما لم تلزم الإجابة إلى المبايعة لا يلزمه الثبات

والثاني لا ينعزل لأن الصديق رضى الله عنه قال أقبلونى ولو كان عزل نفسه مؤثراً لما طلب الإقالة ولو عهد الخليفة العاجز عن القيام بأمر الخلافة لمرض أو هرم إلى غيره قبل عزل نفسه صح عهده إليه وانعقدت ولاية المعهود إليه ولو مضى على ما هو عليه من العجز فلم يعزل نفسه ولم يعهد إلى غيره باع أهل الحل والعقد غيره ليقوم بأمر المسلمين
ولو عزل نفسه من غير عذر من عجز أو طلب تخفيف ففيه ثلاثة أوجه أصحها أنه لا ينعزل لأن الحق في ذلك للمسلمين لاله
والثاني ينعزل لأن إلزامه الاستمرار قد يضربه في آخرته ودينه
والثالث (20 أ) إن لم يول غيره أو ولى من هو دونه لم ينعزل وإن ولى مثله أو أفضل منه ففي الانعزال وجهان
الحالة الثانية أن يخلعه أهل الحل والعقد
قال المتولى إن كان قد حدث في حاله خلل فلهم عزله وإن كان مستقيم الحال فليس لهم ذلك لأننا لو جوزنا ذلك لأدى إلى الفساد لأن الآدمي ذو بدرات فلا بد من تغير الأحوال في كل وقت فيعزلون واحدا ويولون آخر وفي كثرة العزل والتولية زوال الهيئة وفوات الغرض من انتظام الأمر
الضرب الثاني زوال العقل فيعزل بالجنون المطبق وهو الدائم الذي لا ينفك لأن الجنون يمتد في العادة فلو لم ينصبوا إماماً آخر لأدى ذلك إلى اختلال الأمور ولأن المجنون يجب ثبوت الولاية عليه فكيف يكون ولياً لكافة الأمة
قال النووي فلو جن فبايعوا غيره ثم أفاق لم تعد ولايته بل يبقى الثاني على ولايته لأن مبايعته صحيحة فلا يجوز أن يبطل بأمر يحدث في غيره ولو استخلف خليفة ثم جن بعد استخلافه انتقلت الخلافة إلى خليفته لأنه إذا استخلف ثم مات انتقلت من الميت ففي الجنون أولى ولو أفاق بعد ذلك لم ينعزل خليفة ولم يعد هو إلى الخلافة لأنه لو جن ثم أفاق لم تعد الإمامة إليه إلا بمبايعة ثانية
الضرب الثالث ذهاب الحواس المؤثرة في الرأي أو العمل ويتعلق الأمر من ذلك بثلاث نقائص

الأولى العمى فإذا طرأ على الإمام أبطل إمامته كما تبطل به ولاية القضاء وترد به الشهادة أما ضعف البصر
فقال الماوردي إن كان يعرف معه الأشخاص التي يراها لم تبطل إمامته وإن لم يعرف معه الأشخاص بطلت إمامته واعلم أنه قد تقدم عن الماوردي (20

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ب) أن العشا وهو عدم الإبصار ليلا لا يقدر في ولاية الإمارة ابتداء فلأن لا يقدر في استدامتها أولى
الثاني الصمم وفي إنزاله بطروئه عليه ثلاثة مذاهب حكاه الماوردي أصحابها
وعليه اقتصر الرافعي والنووي أنه ينزل بذلك كما ينزل بالعمى لتأثيره في
التدبير والعمل
والثاني لا ينزل لقيام الإشارة مقام السمع والخروج من الإمامة لا يكون إلا
بنقص كامل
الثالث إن كان يحسن الكتابة لم ينزل وإن كان لا يحسنها انزل لأن الكتابة
مفهومة والإشارة موهومة
أما ثقل السمع وهو الذي يدرك معه الصوت العالي ودون
غيره فإنه لا ينزل به
الثالث الخرس حكمه حكم الصمم المتقدم الذكر في إجراء الخلاف فيه وكون
الأصح الأنزال
أما ما لا يؤثر ذهابه في الرأي والعمل كالخشم في الأنف الذي يمنع إدراك
الروائح وفقد الذوق الذي يعرف به الطعوم فإنهما لا يوجبان العزل بلا خلاف
كذلك لا ينزل بتمتة اللسان ونحوها
الضرب الرابع فقد الأعضاء المخل فقدها بالعمل أو النهوض كذهاب اليدين أو
الرجلين فإذا طرأ عليه شئ من ذلك انزل من الإمامة لعجزه عن كمال
القيام بحقوق الأمة
أما ما يؤثر في بعض العمل أو النهوض دون بعض كذهاب إحدى اليدين أو إحدى
الرجلين ففيه وجهان
أصحهما أنه لا يؤثر وإن كان ذلك يمنع عقد الإمامة ابتداء لأن المعتبر في عقدها
كمال السلامة فيعتبر في الخروج منها كمال النقص
والثاني يؤثر لنقص الحركة فلو كان ذلك لا يؤثر فقده في عمل ولا نهوض
كقطع الذكر والأنثيين وجدع الأنف وسمل إحدى العينين فإنه لا يؤثر

الضرب الخامس بطلان تصرف الإمام للاستيلاء عليه وحجره ويدخل تحت ذلك
صور إحداها أن يأسر الكفار الإمام ويقع اليأس بذلك من خلاصه من أيديهم
فيخرج عن الإمامة ويستأنف أهل الحل والعقد ببيعة غيره فلو عهد بها في
الحال الأسر إلى غيره كان عهده باطلا لأنه عهد بها بعد خروجه من الإمامة
الثانية أن يأسره أهل البغي حيث كانوا قد أقاموا لهم إماما ووقع اليأس من
خلاصه منهم فيخرج بذلك من الإمامة لأنهم قد انحازوا بدار انفرد حكمها
وخرجوا بها عن الطاعة فلم يبق لأهل العدل بهم نصرة أما لو كان مرجو
الخلاص من أيدي الكفار أو أيدي أهل
البغي فإنه يكون باقيا على إمامته وعلى كافة الأمة استنقاذه من أيديهم الثالثة
أن تكون الإمامة قد ثبتت له بالقهر والإستيلاء فيجئ آخر ويقهره وستولى على
الأمر فينزل الأول ويصير الإمام هو الثاني حفظا لنظام الشريعة وتنفيذا
لأحكامها كما صرح به الرافعي والنووي وغيرهما من أئمة اصحابنا الشافعية
قلت وبمقتضى ذلك وقع الفقهاء في زماننا هذا مع الملوك في الأمر الخطر
حيث لم يفهموا عنهم مقاصد الشريعة وذلك أنهم إذا أثبتوا ولاية الأول
بالاستيلاء بالقهر دعاهم ذلك إلى ان يقولوا إن الخارج عليه باغ واجب القتال

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

فإذا غلب الثاني حكموا ببطلان ولاية الأول وصحة ولاية الثاني ودعاهم ذلك إلى عكس القضية الأولى فقالوا إن الخارج عليه باع وأجب القتال فيظن أولئك أن حكمهم بذلك إنما هو محاباة لصاحب الوقت القائم بالأمر من غير فهم المقصد الذي ألجأهم لذلك

تنبيه لو حجر الإمام بغيره بأن يستولي عليه من أعوانه من يستبد بالتصرف في الأمور من غير تظاهر بمعصية ولا خروج (21 ب) عن طاعة فقد ذكر الماوردي أن ذلك لا يمنع إمامته ولا يقدر في صحة ولايته وتكون الأحكام الشرعية نافذة من المستبد بالأمر كما لو استولى على نفس الإمامة بالقهر جمعا لشمول المسلمين وتنفيذا لأحكامهم

الضرب السادس الفسق وقد اختلف أصحابنا الشافعية في انعزال الإمام به على وجهين

أصحهما عند الرافعي والنووي أنه لا ينعزل به لما في عزله من إثارة الفتنة بخلاف غيره من سائر الولاة فإنهم ينعزلون به

والثاني وبه جزم الماوردي في الأحكام السلطانية أنه ينعزل به كما لا يصح عقد إمامته مع الفسق ابتداء حتى لو عادت عدالته لم يعد إلى الإمامة إلا بعد جديد قال الماوردي وذهب بعض المتكلمين إلى جواز إمامته وعود عدالته للخوف والمشقة في استئناف بيعته مع عموم ولايته

المهيح الثاني فيما ينعزل به ولي العهد من ولاية عهده وهو على ضربين

الضرب الأول العزل الصادر من جهة العاهد وقد اختلف في أنه هل يجوز للإمام عزل ولي عهده على وجهين

أحدهما ما ذهب إليه المتولى من أصحابنا الجواز

والثاني ما ذهب إليه الماوردي وصححه النووي أنه لا يجوز له عزله ما دام متصفا بصفات الإمامة وإن جاز له عزل سائر نوابه في غير ذلك من الأمور لأنه مستخلف لولى العهد في حق المسلمين فلا يكون له عزله كما ليس لأهل الحل والعقد وعزل من بايعوه بخلاف غيره من سائر نوابه فإنه يستخلفه لهم في حق نفسه فجاز له عزله فلو عزل العاهد ولي العهد وعهد الولى لم يصح عهد الثاني ويبقى الأول على عهده ولو خلع الولى نفسه بعد العهد إلى الثاني فلا بد من استئناف العهد إليه (122)

الضرب الثاني العزل الصادر من جهة لى العهد وقد صرح أصحابنا الشافعية بأنه لا يجوز لولى العهد ان يستبد بعزل نفسه فلو استعفى من عهده لم يبطل عهده بمجرد الاستعفاء فلو أعفاه الإمام نظر فإن وجد غيره ممن يقوم مقامه صح إعفاؤه حينئذ وإن لم يوجد غيره لم يصح إعفاؤه

الفصل السابع في ذكر الوظائف التي كانت تصدر عن الخليفة في الزمن المتقدم وما يصدر عنه الآن من تفويض السلطنة إلى السلطان ويرجع المقصود من ذلك إلى عشر وظائف

الوظيفة الأولى الوزارة وهي على ضربين

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلاميه

الضرب الأول وزارة التفويض وهي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضائه على اجتهاده وهي أجل الولايات بعد الخلافة قال الماوردي فهو ينظر في كل ما ينظر فيه الخليفة

الضرب الثاني وزارة التنفيذ والنظر فيها مقصور على رأي الإمام وتدييره والوزير فيها واسطة بينه وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما أمر وينفذ ما ذكر ويمضى ما حكم ويجيز تقليد الولاة وتجهيز الجيوش ونحو ذلك وربما عبر عن هذا الوزير بالوساطة وقد أجاز الماوردي في هذا الوزير أن يكون ذميا وأنكره عليها إمام الحرمين إنكارا شديدا

الوظيفة الثانية الإمارة وهي أيضا على ضربين على اختيار من الإمام وتشتمل على عمل محدود وتنظر معهود بأن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم ويوليه (22 ب) على جميع أهله ويجعل إليه النظر في المعهود من أعماله

الضرب الثاني إمارة الأستيلاء وهي التي تنعقد على اضطرار بأن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه تدبيرها فيكون باستيلائه مستبدا بالتدبير والسياسة والخليفة بإذنه في الأمور منفذا لأحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة

الوظيفة الثالثة الإمارة على القتال وهي على أربعة أضرب

الضرب الأول الإمارة على قتال المشركين وهي تارة تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب وتارة يفوض إليه جميع أحكامه من تدبير الجيش وسياسة الحرب وقسمة الغنائم وعقد الصلح وغير ذلك حتى لا يخرج عنه شيء من أمرها

الضرب الثاني الإمارة على قتال أهل الردة بأن يرتد قوم حكم بإسلامهم إما بولادتهم على الإسلام وإما بإسلامهم عن كفر فيجهز إليهم الإمام من يقاتلهم كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين ارتدت العرب

بعد وفاة النبي { صلى الله عليه وسلم }

الضرب الثالث الإمارة على قتال أهل البغي وهي أن تبغى طائفة من المسلمين ويخالفوا رأي الجماعة ويخرجوا عن طاعة الإمام بتأويل باطل فيجهز إليهم الإمام من يقاتلهم

الضرب الرابع الإمارة على قتال المحاربين وهم قطاع الطريق بأن يجتمع طائفة من أهل الفساد على شهر السلاح وقطع الطرق وأخذ الأموال وقتل الأنفس ومنع السائل فيجهز الإمام من يقاتلهم حتى يرجعوا عن ذلك

الوظيفة الرابعة القضاء وهي القيام بالأحكام الشرعية وتنفيذها على أوامر الشرع وقطع المنازعات وقد كان (23 أ) القضاء في الزمن المتقدم قاصرا على قاض واحد من أي مذهب كان ببغداد التي هي قاعدة الخلافة حينئذ وينصب هو من يختاره من أهل مذهبه أو غيرهم وربما جعل بالجانب الشرقي متن بغداد قاضيا وبالجانب الغربي منهنات قاضيا وربما ولى القاضي بالبلاد والنواحي من تحت يده وربما كان للناحية الواحدة قاض مستقل

قلت وعلى هذا النهج في انفراد قاض كانت الديار المصرية في الدولة الفاطمية حتى رأيت عهدا مكتوبا لابن النعمان في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي قد كتب له بالديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب مضافا إلى ذلك النظر في الصلاة ودور الضرب ولم يزل الأمر جاريا بالديار المصرية على

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

قاض واحد من لدن ذلك وإلى الدولة الظاهرية ببيرس البندقداري في سلطنته والقاضي بها يومئذ القاضي تاج الدين بن الأعز الشافعي فحدث في أيامه أوجب نصب السلطان أربعة قضات من كل مذهب من المذاهب الأربعة قاض والأمر على ذلك بالديار المصرية إلى الآن
الوظيفة الخامسة ولاية المظالم وهي قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهبة وهي ولاية دائرة بين سطوة الولاة وثبتت القضاة وهي في معنى حكم نائب السلطنة الآن بين الخصوم بأحكام السياسة
الوظيفة السادسة النقابة على ذوى الأنساب كنقابة الطالبين ومن في معناهم على معنى نقابة الأشراف في زماننا
الوظيفة السابعة النظر على إقامة الصلوات الخمس والجمعة والصلوات المندوبة كالتراويح ونحوها وقد كانت هذه الوظيفة في الزمن المتقدم وظيفة جلية لا يليلها إلا جليل القدر من أهل الديانة

الوظيفة الثامنة الإمارة على الحج من تسيير الحجيج وتدير أمرهم وإقامة الحج والقيام بمناسكه (23 ب) وأحكامه
الوظيفة التاسعة جباية الصدقات وهي الزكوات الواجبة في المواشي والنقود والزروع وتحصيلها من أربابها وحملها إلى بيت المال
الوظيفة العاشرة النظر في الحسبة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما في معنى ذلك مما ينخرط في هذا السلك
قلت وقد كان في الزمن المتقدم يكتب بكل ولاية من هذه الولايات عهد عن الخليفة بما يقع به لتولية وتشملها علامة الخليفة على عادة الولايات في ذلك ولم يزل ذلك مستمرا إلى حين انقراض الخلافة من بغداد أما بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية فقد صارت علامة الخليفة مقصورة على عهد السلطان بتفويض الأمور العامة إليه وتفاصيل الأمور يشملها خط السلطان بحكم تفويض الخليفة ذلك إليه

الباب الثاني في ذكر من ولي الخلافة من أول الإسلام وهلم جرا إلى زماننا وتفصيل حال كل خليفة وترتيب أمور الخلافة على ما كانت عليه في الزمن القديم وذكر المشاهير ممن ادعى الخلافة في بعض الأقاليم وبطلان شبهة دعاويهم وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول فيمن ولي الخلافة من صدر الإسلام وهلم جرا إلى زماننا وهم على أربع طبقات

الطبقة الأولى الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وهم خمسة خلفاء الأول

منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد النبي { صلى الله عليه وسلم } وهو أبو بكر بن أبي قحافة (24 أ) عثمان بن

عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة جد النبي { صلى الله عليه وسلم } وهو النبي { صلى الله عليه وسلم } في عدد الآباء إلى مرة سواء بين كل منهما

وبينه ستة آباء ويقال إنه كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله { صلى الله عليه وسلم } عبد الله ولقبه عتيق واختلف في سبب تلقيبه بذلك

فقيل لأن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال له أنت عتيق من النار وقد

جاء ذلك مصرحاً به في جامع الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها وقيل تلقب بذلك لجمال وجهه ولقب بالصديق لتصديقه خبر الأسراء حين انكره المشركون

وأمه سلمى وتكنى أم الخير بنت صخر وهي بنت عم أبيه وكان رضي الله عنه آدم اللون طويلاً خفيف العارضين غائر العينين ناتئ الجبهة أجناً عاري الأشجاع يخضب بالجناء والكتم بوع له بالخلافة بالمدينة في اليوم الذي توفي فيه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وكان في كفه خاتم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقد ثبت أنه كان نقشه محمد رسول الله محمد سطر ورسول سطر والله سطر وبقي حتى توفي في ليلة الثلاثاء وقيل يوم الجمعة لتسع ليل بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة واختلف في سبب موته فقيل سمته اليهود فمات بعد سنة وقيل اغتسل في يوم بارد فحم ومات بعد خمسة عشر يوماً وقيل مات بالسل وعمره يومئذ ثلاث وستون سنة وغسلته زوجته أسماء بنت عميس وحمل على سرير رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو سرير عائشه وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفن في حجرة عائشه عند النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه قبالة كتفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} 24 ب وكان له من الولد ثلاثة ذكور وهم عبد الله من قتيلة توفي في حياته وعبد الرحمن من أم رومان ومحمد من أسماء بنت عميس وبتان وهما عائشة

زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} وهي شقيقة عبد الرحمن وأسماء وهي شقيقة عبد الله

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بوع له بالخلافة كان أسامة بن زيد مبرزاً في جيش أمره عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من جملتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان أول أمر نفذه في خلافته أن خرج لتشييع أسامة ماشياً فهم أسامة بالنزول فمنعه أبو بكر رضي الله عنه واستأذنه في إقامة عمر رضي الله عنه ليعينه في أمور المسلمين فأذن له في ذلك وكانت قبائل العرب خلا قريش وثقيف قد ارتدت عن الإسلام بعد وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} فجهز إليهم الجيوش وقتلهم حتى عادوا إلى الإسلام

قال الطبري وفي أول خلافته أتى الخبر بقتل الأسود العنسي الذي كان قد تنبأ بصنعاء وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} قد اتاه الوحي بقتله قبل وفاته وأخبر النبي {صلى الله عليه وسلم} بذلك أصحابه وقيل إنما قتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه

وفي أيامه قتل مسيلمة الكذاب وكان قد تنبأ باليمامة وتبعه خلق كثير فقتله وحشي قاتل حمزة عم النبي {صلى الله عليه وسلم} وفي أيامه سار خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد قتل مسيلمة إلى العراق

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

فصالحه أهل الحيرة على جزية حملها الى المدينة فكانت اول جزية حملت اليها

وفي ايامه فتح خالد بن الوليد الانبار وعين التمر من العراق وبعث السبي الى المدينة وتوجه الى دومة الجندل فقتل ملكها اكيدر الجندل وسبى ابنته وفي ايامه فتحت بصرى م الشام وهي اول مدينة فتحت بالشام وحج بالناس في السنة الثانية من خلافته وهو اول (25 أ) من جمع القرآن بين دفتي المصحق حين اصيب المسلمون باليمامة في وقعة مسيلمة والقرآن حينئذ في صدور الرجال وفي الرقاع والعسب فجمعه

وسماه مصحفا فكان عنده الى أن توفى فبقى عند حفصة أم المؤمنين زوج النبي { صلى الله عليه وسلم } ومنه كتبت المصاحف في خلافة عثمان رضى الله عنه وسيرت إلى الأمصار على مل سياأتي ذكره في خلافة عثمان رضى الله عنه

وكان رضى الله عنه يأخذ من بيت المال في كل يوم ثلاثة دراهم أجره فلما حضرته الوفاة قال لعائشة رضى الله عنها انظروا ما زاد في مال أبي بكر مذولى الخلافة فربه على المسلمين فنظرت فإذا بكر ومحسة وقطيقة لا تساوى خمسة دراهم فلما جاء ذلك عمر قال رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعباً

ولايات الأمصار في خلافته كان في زمن النبي { صلى الله عليه وسلم } على مكة عتاب ابن أسيد فأقر أبو بكر وعلى صنعاء اليمن قيس بن عبد يغوث المرادى وواه النبي { صلى الله عليه وسلم } عليها فولى أبو بكر رضى الله عنه مكانه فيروز الديلمي ثم ولى المهاجر بن أبي أمية وعكرمة بن أبي جهل على قتال أهل الردة ثم استقر اليمن في ولاية يعلى بن منية الثاني من الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن عبد العزى بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب جد النبي { صلى الله عليه وسلم } وبينه وبين كعب ثمانية آباء ولقب بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل حين أعلن بالإسلام واختلف في أول من لقبه بذلك فقبل رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وقيل أهل الكتاب وقد جاء أن اليهود قالوا له إنا نجد في كتبنا أنك قرن قال قرن مه قالوا قرن من حديد وأمه خيثمة بنت هشام المخزومي كان رضى الله عنه أبيض أمهق طوالاً كأنه راكب (25 ب) جمل أصلع الرأس ولى الخلافة بعهد من أبي بكر رضى الله عنه على ما تقدم ذكره في الباب الأول في الكلام على عهود الخلفاء ويوبع له بها بالمدينة يوم مات أبو بكر رضى الله عنه لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة قال ابن حزم في نطق العروس وكان سنه حين ولي الخلافة دون الستين سنة وكان في كفه خاتم رسول { صلى الله عليه وسلم } تلقاه عن أبي بكر رضى الله عنه بعد وفاته وقد تقدم ذكر نقشه وبقي حتى توفي لأربع بقين من ذي الحجة وقيل لليلتين بقيتا منه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة طعنه أبو لؤلؤة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الفارسي غلام المغيرة بن شعبة وكان مجوسيا وقيل نصرانيا ثلاث طعنات
إحداهن تحت سرته فبقي ثلاثا ثم مات وصلى عليه صهيب الرومي ودفن
بحجرة
عائشة رضي الله عنها عند صاحبيه النبي {صلى الله عليه وسلم} وأبي بكر
رضي الله عنه ووجه قبالة كتفي أبي بكر وعمره خمس وخمسون سنة ومدة
خلافته عشر سنين
وكان له خمسة أولاد ذكور وهم عبدالله من زوجته زينب وعبيدالله من زوجته
مليكة وزيد من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وعبد الرحمن وكنيته أبو
شحمة وبنان وهما حفصة زوج النبي {صلى الله عليه وسلم} وهي شقيقة
عبدالله وفاطمة وهي شقيقة زيد
الحوادث والماجريات في خلافته
لما ولي الخلافة استكتب زيد بن ثابت وعبدالله بن خلف الخزاعي وجعل على
بيت المال زيد بن أرقم واستقضى شريح بن الحارث قال الدولاني وبقي في

القضاء بعد ذلك ستين سنة حتى مات سنة سبع وثمانين في خلافة الوليد بن
عبد الملك عن مائة وعشرين سنة وقيل إنما بقى خمسا وسبعين سنة تعطل
منها ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير
وفي أيامه كانت فتوح الأمصار
افتح من بلاد الشام دمشق صلحا على يد أبي عبيدة ابن الجراح وخالد بن
الوليد وفتحت بيسان وطبرية وقيسارية وفلسطين وعسقلان وسار بنفسه
افتح بيت المقدس صلحا ثم فتح بعد لك بعلبك وحمص وحلب وقنسرين
وأنطاكية والرقّة وحران والموصل والجزيرة وتصيبين وأمد والرها
وفتح من العراق القادسية والمدائن على يد سعد بن وقاص وأنهزم ملك
الفرس إلى فرغانة وبلاد الترك
وفتحت كور دجلة والأبلة على يد عتبة بن غزوان
وفتحت كور الأهواز على يد أبي موسى الأشعري
وفتحت نهاوند أصطخر وأصبهان وتستر والسوس
وأذربيجان بعض أعمال خراسان
في أيامه سدت فرج الشام ورتبت دروبها
في أيامه غزا معاوية الروم حتى بلغ عمورية
في خلافته بنيت البصرة والكوفة
في خلافته في ثمان عشرة كان عام الرمادة بالحجاز وهو الغلاء الشديد
فاستسقى عمر رضي الله عنه بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فسقوا
وكتب عمر إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر يمتد يشك قحط الحجاز ما
المسلمون فيه من الشدة فكتب إليه عمر لأمدنك بعير طعام أوله عندي آخره
عندك ثم أخذ في حفر خليج القاهرة الذي فمه عند موردة الخلفاء بمصر
فوصل به إلى بلبس ثم إلى السويس ساحل بحر القلزم في ثمانية أشهر
وجرى فيه ماء النيل حملت الغلال فيه إلى السويس ثم من السويس إلى
الحجاز في عامة
وفي أيامه سنة ثمان عشرة كان طاعون عمواس وهي بلدة بالشام نسب
الطاعن إليها مات فيه خمسة وعشرون

ألفا منهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل
وقد تقدم في القاب الخلفاء أنه أول من لقب بأمر المؤمنين

وهو أول من أرخ بالهجرة وأول من ختم الكتب بعد (26 ب) النبي { صلى الله عليه وسلم } وأول من جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح في رمضان وأول من اتخذ الدرّة ليعزر بها الجنّة فكان لها عندهم من الهيبة ما لا فوقه حتى قال الشعبي إن درة عمر لأهيب من سيف الحجاج على ما سيأتي بيانه في الباب السابع إن شاء الله تعالى ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر حين فتحها في أيامه عمرو بن العاص رضي الله عنه بتولية منه وهو أول من وليها في الإسلام وهو الذي اختط مدينة الفسطاط على القرب من قصر الشمع الذي كانت الفرس قد بنته حال ملكهم الديار المصرية وبنى الجامع العتيق ويقال إنه وقف على إقامة محرابه ثمانون رجلا من الصحابة رضي الله عنهم

وكان على الشام أبو عبيدة بن الجراح بولاية منه أيضا حين الفتح ثم صرفه عنه وولى مكانه معاوية بن أبي سفيان

الثالث من الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أبو عبد الله وقيل أبو عمر وقيل أب ليلى عثمان ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف جد النبي { صلى الله عليه وسلم } وكنيته ذو النورين لأنه تزوج ابنتي رسول الله { صلى الله عليه وسلم } رقية وأم كلثوم

وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف كان رضي الله عنه أسمر اللون معتدل القامة وقيل طوالا حسن الوجه بوجه أثر جدرى عظيم اللحية

أصلع يصفر لحيته وقيل إنه كان يشبك أسنانه بالذهب

بويع بالخلافة بعد موت عمر رضي الله عنه غرة المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة وقد تقدم أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه تركها شورى في الستة المذكورين في الباب الأول وهم عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وطلحة قال (27 أ) الأمر منهم إلى عثمان على ما تقدم ذكره هناك

قال في نطق العروس واختلف في سنة حين وليها فقول إنه ولي وله ما بين ثمان وخمسين إلى إحدى وخمسين سنة وقيل أقل من ذلك قال والحق الذي لا شك فيه أنه لم يكن بلغ ستين سنة وكان في كفه خاتم رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وقد تقدم ذكر نقشه فبقى في يده نحو من ست سنين من خلافته حتى سقط منه في بئر أريس من بئر المدينة فما قدر عليه فاتخذ عثمان رضي الله عنه مكانه خاتما من فضة ونقش عليه وفيما يقال آمنت بالله الذي خلق فسوى وقيل نقش عليه لتصبرن أو لتندمن وبقى حتى قتل بداره يوم السبت وقيل يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين

من الهجرة وقيل يوم الأضحى من السنة المذكورة وسنة يومئذ اثنتان وثمانون سنة وقيل تسع وثمانون وقيل تسعون ودفن يوم السبت وقيل الظهر وقيل دفن ليلا وقبره بالبقيع خارج المدينة بأرض يقال لها حش كوكب كان عثمان اشتراها وزادها فيه والحش النبات وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما وقيل إلا ثمانية أيام وكان له من الأولاد الذكور عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر كلاهما من رقية بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ماتا طفلين وعمرو وعمر وأبان خالد وسعيد والمغيرة ومن الإناث أم سعيد أم أبان وعائشة وأم عمرو وغير هؤلاء الحوادث والماجريات في خلافته في أيامه فتحت كرمان وسجستان ونيسابور وفارس وطبرستان وهراة وباقي خراسان وفتحت أيضا أرمينية وفتحت إفريقية وقبرص وقتل يزدجرد ملك الفرس بعد أن كان هرب إلى فرغانة وبلاد الترك وغزا معاوية القسطنطينية سنة (27 ب) ثلاثين وفي أيامه توفى العباس عم النبي {صلى الله عليه وسلم} عن ثمان وثمانين سنة وكان من شأنه أنه إذا مر به عمر وعثمان في خلافتها وهما راكبا ترجلا له إجلالا وتعظيما وتوفى أيضا عبد الرحمن بن عوف عن خمس وسبعين سنة وكان من أكثر الصحابة ثروة وأوصى لكل رجل من أهل بدر بأربع مائة دينار وهم حينئذ مائة رجل وقسمت تركته على ستة عشر سهما كما سهم مائة ألف دينار

وفي أيامه وقع الاختلاف في القراءات وقدم حذيفة من غزوة أرمينية فقال لعثمان أدرك الناس لئلا يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في كتابيهم قال ولم ذاك قال حضرت غزوة أرمينية فحضر أهل العراق وأهل الشام فكان كل فرقة منهم تكفر الأخرى في قراءتها فأمر زيدا فكتب مصحفا وعارضه بالمصحف الذي كان عند حفصة وهو الذي أجمع عليه في زمن أبي بكر رضى الله عنه وأمر بكتب مصاحف على ذلك وأنفذها إلى الأمصار وحرقت ما عداها من المصاحف وذلك بمحض من الصحابة رضى الله عنهم ولايات الأمصار في خلافته كان على مصر عمرو بن العاص فولاه عثمان أخاه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح ثم حضر إلى عثمان في آخر سنة خمس وثلاثين واستخلف عليها عقبة بن عامر الجهني فوثب عليه محمد بن أبي حذيفة في شوال منها فأخرجه منها وخلع طاعة عثمان تأمر على مصر ثم عاد إليها ابن أبي سرح فلم يمكنه من الدخول إليها فرجع إلى عسقلان ومات بها ولم يزل ابن أبي حذيفة متأمرا عليها حتى قتل عثمان ولم يزل على ذلك حتى قدم معاوية مصر ويقال إن عثمان ولى عليها أبا يحيى العامري وكان على الشام معاوية بن أبي سفيان فأمره عليها وكان على اليمن يعلى بن (28 أ) منية وكان على إفريقية وما معها من بلاد المغرب عبد الله بن أبي سرح من حين فتحها على يده على ما سيأتي ذكره

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الرابع من الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف ابن عبد المطلب جد النبي {صلى الله عليه وسلم} وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أسلمت وهاجرت ولقبه حيدرة وهو أول أبواه هاشميان كان رضى الله عنه شديد الأدمة حسن الوجه عظيم العينين بطينا أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر مائلا إلى القصر كثير التيسم بوبع له بالخلافة بالمدينة بعد قتل عثمان لثمان بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وتأخر قوم عن مبايعته

قال في نطق العروس وكان عمره يومئذ دون الستين وكان نقش خاتمه الملك لله الواحد القهار وبقي حتى ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة فمات بعد ثلاث وعمره ستون سنة وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون وصلى عليه ابنه الحسن ودفن بالكوفة عند مسجد الجماعة في قصر الأمانة وغيب قبره وقال الواقدي دفن ليلا ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر وكان له من الولد أربعة عشر ذكرا منهم الحسن والحسين ومحسن من فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان من أم البنين الكلابية وعبد الله وأبو بكر ومحمد الأصغر ويحيى من أسماء بنت عميس وعمر من الصهباء بنت ربيعة ومحمد الأوسط من أمامة بنت أبي العاص من زينب بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومحمد بن الحنفية من خولة بنت جعفر من بنى حنيفة وثمانى عشرة امرأة النسل منهم في خمسة وهم الحسن والحسين من فاطمة بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس والشرف (28 أ) منهم للحسن والحسين لانتسابهما إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} من حيث إن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه أولاد بناته بخلاف غيره من الأمة وكان نقش خاتمه الملك لله الواحد القهار الحوادث والماجريات في خلافته لما بوبع بالخلافة أقام بالمدينة أربعة أشهر إلى أن اجتمع على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها طلحة والزبير وغيرهما وحملوها على جمل يقال له عسكر وساروا بها إلى البصرة من العراق لطلب ثار عثمان فخرج علي في طلبهم في سنة ست وثلاثين وانضم إليه أهل الكوفة فكان بينهم وقعة الجمل المشهورة قتل فيها من أصحاب عائشة ثمانية آلاف فيهم طلحة وفر الزبير بوادي السباع

قال القضاعى ويقال إنه قتل منهم سبعة عشر ألفا ويقال إنه قطع على ختام جمل عائشة ممن يقوده إلى الحرب سبعون يدا كلهم من بنى ضبة كلما قطعت يد رجل تقدم آخر مكانه وقتل من أصحاب علي نحو ألف ثم في سنة

سبع وثلاثين دعا معاوية بن أبي سفيان بالأمر لنفسه بالشام وسار من الشام إلى علي بالعراق وسار إليه علي فالتقيا بصفين على الفرات وكان علي في تسعين ألفا ومعاوية في مائة ألف فقتل من أهل العراق خمسة وعشرين ألفا منهم خمسة وعشرون بدريا وكان في جملة من قتل منهم عمار بن اسر الذي قال له النبي { صلى الله عليه وسلم } تقتلك الفئة الباغية وقتل من عسكر معاوية خمسة وأربعون ألفا ثم تداعيا إلى الحكومة فحكم علي وأهل الكوفة أبا موسى الأشعري وحكم معاوية وأهل الشام عمرو بن العاص واجتمع الحكمان بدومة الجندل واتفقا على أن يخلعا عليا ومعاوية ويختارا للمسلمين خليفة يرضونه لمكيدة كادها عمرو (29 أ) ثم تقدما إلى الناس فبدأ أبو موسى فخلع عليا فقال عمرو وأنا قد أثبت معاوية على الخلافة فرضى أهل الشام وامتنع أهل العراق وخرجوا على علي فسموا الخوارج ثم عاد علي لقتالهم في سنة تسع وثلاثين ثم لم يزل معهم في حرب إلى أن قتله ابن ملجم على ما تقدم ذكره ولم يحج علي رضى الله عنه فس شيء من خلافته لاشتغاله بالحرب ولايات الأمصار في خلافته

كان علي مصر أبو يحيى العامري فتوفى سنة ست وثلاثين فولى مكانه قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي ثم عزله وولى مالك بن الحارث الأشتر وكتب له بذلك عهدا فسار حتى بلغ القلزم فسم فس غسل شربه فمات فولاه من بعده محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه فولى عليها سهل بن حنيف وكان معاوية مستوليا على الشام ولم أقف على من كان بمكة والمدينة وولى على اليمن عبيد الله بن عباس ثم أخاه عبد الله وولى على البصرة عثمان بن حنيف وولى على الكوفة دار إقامته عمار بن حسان وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الله بن أبي سرح

الخامس من الخلفاء الراشدين الحسن بن علي رضى الله عنهما وهو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب المقدم ذكره وأمه فاطمة بنت رسول الله { صلى الله عليه وسلم } كان رضى الله عنه أشبه الناس برسول الله { صلى الله عليه وسلم } من راسه إلى سترته والحسين رضى الله عنه أشبه به من سترته إلى قدمه وهو أكبر من الحسين بسنة واحدة وكان رضى الله عن مطلقا تزوج كثيرا من النساء فصعد علي كرم الله وجهه (29 ب) المنبر وقال أيها الناس ألا لا يزوجن أحد منكم الحسن بن علي فإنه مطلق فنهض رجل من همدان قبيلة من اليمن وقال والله لنزوجنه إن أمهر أمهر كثيفا وإن أولد أولد شريفا فقال علي رضى الله عنه عند ذلك ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام بوع بالخلافة يوم موت أبيه علي رضى الله عنه لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة وأول من بايعه سعد بن عبادة الأنصاري وكانت يده شلاء فقيل لا يتم هذا الأمر قال في نقط العروس وكان عمره حينئذ ما بين ثلاثين سنة إلى الأربعين

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان نقش خاتمه لا إله إلا الله الحق المبين
وبقى إلى خلع نفسه من الولاية وسلم الأمر لمعاوية ابن أبي سفيان كفا للفتنة
بين المسلمين في ربيع الأول وقيل في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين
فكانت خلافته على القول الأول خمسة أشهر ونحو نصف شهر وعلى الثاني
خمسة أشهر وكسرا وعلى الثالث سبعة أشهر وكسرا
وتوفى بعد خلعها بالمدينة في ربيع الأول سنة تسع وأربعين من الهجرة وقيل
توفي لثمان خلون من المحرم سنة خمسين وصلى عليه سعيد بن العاص
ويقال إن معاوية لما بلغه موته سجد شكرا
وقد قيل إن زوجته جعدة بنت الأشعث سمتها فمات من
حيث إن يزيد بن معاوية وعددها أن يتزوجها إن سمتها ففعلت ولم يوف لها
ودفن بالقيع على القرب من قبر العباس بن عبد المطلب وقد بني عليهما قبة
عظيمة ترى من خارج المدينة على بعد
وكان له من الولد حسن الأصغر وزيد (30 أ) وعمرو والحسين الأثرم
والقاسم وأبو بكر وطلحة وعبدالله وعبد الرحمن

والعقب منهم لحسن وزيد دون سواهما والقاسم وأبو بكر قتلا مع عمهما
الحسين وعبدالله قتل بالطف
وكان له بنات أيضا
الحوادث والماجريات في خلافته
لما بويع بالخلافة أقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وقتل
عبد الرحمن بن ملجم قاتل أبيه يقال إنه ضربه بالسيف فاتقاه بيده فندرت
ثم قتله بعد ذلك وكان علي رضي الله عنه قد جهز قبل موته أربعين ألفا لحرب
معاوية فتجهز الحسن بعد مبايعته للخروج بذلك الجيش وسار من الكوفة للقاء
معاوية واشترط عليه شروطا وقال إن أنت أجبت إليها فإنا سامع مطيع وكان
مشروطة عليه أن لا يسب عليا وأن يعطيه ما يبيت مال الكوفة فأجاب معاوية
إلى ذلك وسلم الأمر إليه على ذلك ورجع إلى المدينة فبقى بها إلى أن توفي
على ما تقدم ذكره وكان في خلع نفسه وتسليم الأمر لمعاوية ظهور معجزتين
للنبي { صلى الله عليه وسلم }
إحدهما أن النبي { صلى الله عليه وسلم } قال في حقه ابني هذا سيد وسيصلح
الله بهيين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان الأمر كذلك
والثانية أنه حسب يوم تسليمه فكان تمام ثلاثين سنة وقد تقدم أنه { صلى الله
عليه وسلم } قال الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا
ولايات الأمصار في خلافته
كانت عماله على الأمصار عمال أبيه المقدم ذكرهم إذ لم يمض له من الزمن
ما يسع فيه تغيير العمال مع اشتغاله بحرب معاوية
فكان على مصر سهل بن حنيف
والشام بيد معاوية وعلى اليمن عبد الله بن (30 ب) عباس وعلى البصرة
عثمان بن حنيف وعلى الكوفة عمار بن حسان وعلى إفريقية عبد الله بن أبي
سرح
الطبقة الثانية من الخلفاء خلفاء بني أمية
وهم أربعة عشر خليفة وكانت مقرتهم بالشام ومدة خلافتهم نيف وتسعون سنة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الأول منهم معاوية بن أبي سفيان وهو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان واسمه صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف جد النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد قيل إنه كان لخلفاء بني أمية هؤلاء ألقاب تخصهم كالألقاب بنى العباس وإن لقب معاوية كان الناصر لحق الله وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس

أسلم هو وأبوه يوم الفتح وذهبت إحدى عينى أبيه يوم الطائف وذهبت الأخرى يوم اليرموك

وكان أبيض طويلاً إذا ضحك انقلبت شفته العليا وكان يخضب بالحناء والكتم ببيع بالخلافة البيعة العامة حين سلم إليه الحسن الأمر بالكوفة في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الهجرة وقال الدولابي في ذى الحجة بيت المقدس سنة أربعين وكان قد بوع قبل ذلك يوم اجتماع الحكيمين بصفين

قال في نبط العروس وكان سنه يومئذ دون الستين سنة وكان نقش خاتمة لكل عمل ثواب وقيل كان نقشه لا قوة إلا بالله وهو أول من رتب الخلافة وأقام أبتها وأجراها على قاعدة الملك وهو أول من عمل المقصورة في الجامع من الخلفاء ليصلى فيها يوم الجمعة وأول من رتب البريد في الإسلام على ما سياتى ذكره في الباب السابع إن شاء الله تعالى وبقي حتى توفى بدمشق في مستهل شهر رجب سنة ستين من الهجرة وقيل في النصف من (21 أ) رجب وعمره ثمان وسبعون سنة وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وسبعون وقيل سبعون

واختلف فيمن صلى عليه فقيل ابنه يزيد وقيل إن يزيد كان غائباً وإن الذى صلى عليه الضحاك بن قيس ودفن بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير ومدة خلافته منذ اجتمع له الأمر بتسلم الحسن إليه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرون يوماً وقيل وخمسة أيام قال الدولابي وأقام على الشام أربعين سنة واليا عليها في خلافة عمر أربع سنين وفي خلافة عثمان اثنتا عشرة سنة كذلك وخمس سنين يقاتل عليها ومنذ خلاص له الأمر إلى أن مات تسع عشرة سنة ولما مرض دخل عليه أصحابه ليعودوا فأنشد

وتجلدى للشامتين أريهم
أنى لريب الدهر لا اتضعض
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع
وكان له ثلاثة أولاد ذكور وهم عبد الرحمن ويزيد وعبد الملك وأربع إناث هن هند ورملة وصفية وعائشة
الحوادث والمآثر في خلافة

استلحق زياد وادعى أخوته في سنة أربع وأربعين فكان عوناً له في خلافته لحذقه ودهائه والناس لا يثبتون نسبه من أبي سفيان فتارة يقولون زياد بن أبيه

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلاميه

وتارة يقولون زياد بن أمه وفي أيامه في سنة ثمان وأربعين غزا ابنه يزيد القسطنطينية في جمع من الصحابة رضى الله عنهم منهم أبو أيوب الأنصارى فتوفى أبو أيوب في هذه الغزاة في سنة اثنتين وخمسين ودفن في أصل سور القسطنطينية فلما دفن قالت الروم لقد مات (31 ب) منكم عظيم فقال يزيد قولوا هذا رجل من أصحاب محمد { صلى الله عليه وسلم } من أقدمهم إسلاما وقد قبرناه حيث رأيتم والله لئن نبش لا يضرب ناقوس بارض العرب ما كانت لنا مملكة فكانوا إذا أملحوا كشفوا عن قبره فسقوا وبنى الروم على قبره بناء وعلقوا عليه أربعة قناديل سرجا

وفي سنة أربع وخمسين عبر سعيد بن عثمان بن عفان نهر جيحون إلى سمرقند والصغد وهزم الكفار وقتل في هذه الغزاة قثم بن العباس ودفن بسمرقند ومات بقية إخوته بأقطار متباعدة فمات أخوه عبد الله بالطائف وأخوه الفضل بالشام وأخوه سعيد بإفريقية فيقال إنه لم ير قبور إخوة أكثر تباعدا منهم وفي خلافته توفى سعيد بن يزيد أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة من أصحاب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } في سنة إحدى وخمسين وتوفى زياد بن أبيه في سنة اثنتين وخمسين وتوفيت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في سنة سبع وخمسين ولايات الأمصار في خلافته كان على مصر سهل بن حنيف فولى عليها عمرو بن العاص وهى ولايته الثانية وبقي حتى توفى ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين ثم وليها عنه أخوه عتبة بن أبي سفيان إلى أن مات ثم وليها بعده عقبة بن عامر الجهني فبقي حتى صرفه وولى عليها مسلمة بن مخلد بضم الميم وتشديد اللام الخزرجي سنة سبع وأربعين فمكث بها خمس عشرة سنة وولى على مكة خالد بن العاص بن هشام

وعلى المدينة مروان بن الحكم ثم عزله سنة أربع وخمسين وولى مكانه سعيد بن العاص (32 أ) وجمع له بين مكة والمدينة ثم ولاهما مروان بن الحكم ثم عزله سنة تسع وخمسين وولى مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وولى على صنعاء اليمن فيروز الديلمي فبقي حتى مات سنة ثلاث وخمسين وولى على إفريقية وما يليها من بلاد المغرب معاوية بن حديج بالحاء المهملة المضمومة السكوني سنة أربع وثلاثين ثم ولى عليها عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري سنة خمس وأربعين فبقي عقبة بالقيروان وجعلها منزلا للجند وهى أول مدينة بنيت بإفريقية في الإسلام ثم استعمل على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد فعزل مسلمة عقبة عن إفريقية وولى عليها مولاها أبا المهاجر دينار سنة خمس وخمسين فغزا الغرب وبلغ تلمسان وهى الضرب الأوسط وكان الغرب الأقصى والأندلس بعد لم يفتحها

الثاني من خلفاء بني أمية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ويقال إنه كان تلقب المستنصر على على أهل الزيب و أمه ميسون بنت بحدل الكلبيه وكان آدم اللون طويلا جعد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الشعر أحور العينين بوجهه آثار جدري حسن اللحية خفيفها وكان قد أقام مع
أمه ميسون في قومها بنى كلب بالبادية فتعلم منهم الفصاحة وقال الشعر
وكان السبب في ذلك أن معاوية يوما سمع أمه وهى تنشد أبياتا ظهر له بها
رغبتها عنه آخرها
وخرق من بنى عمى فقير
أحب إلي من علق علوف
فقال ما كفاك حتى جعلتني علجا علوفا الحقى بأهلك فمضت إليهم ويزيد معها
فكان من أمره ما تقدم
ولى الخلافة بعهد من أبيه معاوية وبويع له بها بعد موت أبيه في مستهل صفر
سنة ستين وقيل في النصف منه وامتنع عن مبايعته عبد الله بن (32) الزبير
والحسين ابن علي رضى الله عنهما وقال ابن عمر رضى الله عنه إن أجمع
الناس على بيعته بايعته ومقتضى كلام ابن حزم في نطق العروس أنه ولى
وعمره ما بين العشرين

والثلاثين سنة وكان نقش خاتمه ربنا الله وبقي حتى توفى بحوارين من عمل
حمص لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان
وثلاثين سنة وقيل تسع وثلاثين وحمل إلى دمشق ودفن في مقبرة الباب
الصغير وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة
أشهر وقيل وستة أشهر وكان له من الأولاد الذكور معاوية وخالد وأبو سفيان
وعبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعمر وعبد الرحمن وعتبة الأعور ويزيد
ومحمد وأبو بكر وحرب والربيع وعبد الله الملقب أصغر الأصاغر وبنات
الحوادث والماجريات في خلافته
لما بويع بالخلافة سار الحسين بن علي رضى الله عنهما بعد ذلك بقليل إلى
الكوفة ونزل بمكان يقال له كربلاء ووقع الحرب بها بينه وبين جيش يزيد
فوقعت الكسرة على الحسين رضى الله عنه فقتل في يوم عاشوراء
سنة إحدى وستين وعمره تسع وخمسون سنة وقيل خمس وخمسون وقيل
ست وخمسون وقتل معه من إخوته العباس وجعفر وعبد الله وعثمان وعبيد
الله وأبو بكر وقتل معه أيضا القاسم وأبو بكر ولدا أخيه الحسن وعدة من أولاد
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأولاد عقيل بن أبي طالب واحتزت رأس
الحسين رضى الله عنه وحملت إلى عبيد الله بن زياد فجعل يقرع فم الحسين
بقضيب فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (33 أ) { صلى الله
عليه وسلم } على هاتين الشفتين
ثم حملت الرأس إلى يزيد بن معاوية فجهزها إلى المدينة النبوية مع نسائهم
وأطفالهم فتلقاها نساء بنى هاشم حاسرات وابنة عقيل بن أبي طالب تنشد
ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد معتقدي
منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تخلفوني بسوء في ذوى رحمتي
وقد حكى صاحب درر السمط في خبر السبط أنه وجد على حجر مكتوب

تاريخه قبل البعث بألف سنة هذا البيت أترجوا أمة قتلت حسينا
شفاة جده يوم الحساب

وقد اختلف في الموضع الذي دفنت فيه هذه الرأس فقيل بالمدينة عند أمه
فاطمة بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقيل دفنت بباب الفراديس
بدمشق وقيل دفنت بعسقلان
وقد حكى القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في
خطط القاهرة أن الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز الفاطمي بنى جامع
خارج بابي زويلة لتتنقل إليه هذه الرأس فيدونها به ويجعله مشهدا لها فبلغ ذلك
الفائز أحد خلفاء الفاطميين فقال الأحق أن تكون هذه الرأس عندنا داخل
القصر فأخلى لها قاعة من قاعات القصر ودفنها فيها وجعلها مشهدا وهو
المشهد المعروف لأن بمشهد الحسين ومما يؤيد صحة ذلك ما حكاه القاضي
محي الدين بن عبد الظاهر أيضا أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين
استولى على قصر الفاطميين أمسك خادما من خدام القصر وعذبه بأن حلق
رأسه وأكفأ عليها طاسا وجعل فيه خنابس (33 ب) فأقام ثلاثة أيام لم يتأثر
بذلك فدعاه السلطان وسأله عن شأنه وهل معه طلسم وقاه ذلك فقال لا
أعلم شيئا غير أني حملت رأس الحسين على رأسي حين أتى إلى المشهد
فخلى سبيله وأحسن إليه
ولم يحج في يزيد مدة خلافته
ولايات الأمصار في خلافته
كان على مصر مسلمة بن مخلد فولى عليها مكانه سعيد بن يزيد الأزدي في
سنة اثنين وستين ثم وليها عبد الرحمن الفهري فبقي بها إلى ما بعد خلافة يزيد
وكان على مكة والمدينة بن عتبة فولى مكانه عمرو بن سعيد الأشدق ثم عزله
سنة احدى وستين وأعاد الوليد بن عتبة ورجع عقبه بن نافع إلى إفريقية وما
معها من بلاد المغرب فاستولى على ذلك بعد أبي المهاجر دينار
الثالث من خلفاء بني أمية
معاوية بن يزيد
وهو أبو ليلي معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب ويقال انه كان
يلقب الراجع إلى الله وامه أم هاشم ويقال أم خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بن
ربيعة
ابن عبد شمس كان شابا دينا ولم اقف على شيء من حليته

بوع بالخلافة في رابع عشر ربيع الاول سنة اربع وستين حين وفاة ابيه وقيل
في النصف من ربيع الاخر منها ومقتضى كلام ابن حزم انه ولي الخلافة وسنه
ما بين العشرين والثلاثين سنة وكان نقش خاتمة الدنيا غرورة وبقي حتى توفي
بعد ثلاثة اشهر من خلافته وقيل بعد اربعين يوما وقيل بعد عشرين يوما وعمره
احدى وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة وقيل سبع عشرة سنة وصلى
عليه اخوه خالد وقيل 34 أ صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فكبر عليه
تكبيرتين ومات قبل ان يقضى صلاته فصلى عليه مروان بن الحكم ودفن بجانب

قبر معاوية بن يزيد المذكور ولم اقف له على عقب غير انه كان يكنى ابا ليلى
فيحتمل انه كان له بنت اسمها ليلى كنى بها ويحتمل انه كنى بذلك من غير
ولادة

الحوادث والماجريات في خلافته
في خلال خلافته بوبع لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بالخلافة بمكة في
رجب سنة اربع وستين واستولى على مكة والمدينة ودان له اهل الحجاز
واليمن والعراق وبوبع له ايضا بحمص وقنسرين من الشام وكاد ان يتم له الامر
بجملته

قال ابن حزم وسنه حين بوبع ما يزيد على ستين سنة وبايعه اهل العراق ايضا
وهدم الكعبة وأدخل فيها الحجر وجعل لها بايين مع الارض يدخل من احدهما
ويخرج من الاخر معتمدا في ذلك على حديث بلغه عن النبي { صلى الله عليه
وسلم } وخلق الكعبة داخلها وخارجها وهو اول من خلقها وكساها القباطي
وهي ثياب بيض من عمل مصر ولم يزل يقيم الحج للناس من سنة اربع وستين
الى سنة اثنين وسبعين

4

ولايات الامصار في خلافته
كان على مصر عبد الرحمن الفهري فأقره عليها فمكث فيها اثنتين وعشرين
سنة ويقال ان ابن الزبير ولى عليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم

وكانت مكة بيد عبد الله بن الزبير وكان على المدينة من جهة عبد الله بن
الزبير اخوه مصعب بن الزبير وواه عليها سنة خمس وستين ثم نقله الى
البصرة وولى مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزهري ثم ولى مكانه على
المدينة طلحة 34 ب بن عبد الله بن عوف وولى عبد الله بن مطيع الكوفة
وكان على افريقية وما معها من المغرب عقبة بن نافع فأقره عليها
الرابع من خلفاء بني امية
مروان بن الحكم

وهو بو الحكم وقيل ابو عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن
عبد شمس ويقال انه كان يلقب المؤتمن بالله واهه امية بنت علقمة بن
صفوان كان قصيرا دقيقا او قص بوبع له بالخلافة بالجابية من الشام في رجب
سنة اربع وستين ثم جدت له البيعة في ذي القعدة من هذه السنة
قال ابن حزم في نقط العروس وكان سنة يوم ولي الخلافة إحدى وستين سنة
وكا نقش خاتمة الله ثقتي ورجائي وبقي حتى توفي بالطاعون لثلاث خلون من
رمضان سنة خمس وستين وعمره ثلاث وستون سنة ويقال ان زوجته ام خالد
بن يزيد بن معاوية خنقته ثم صاحت وقالت مات فجأة ودفن بمقبة دمشق
وكانت مدة خلافته سبعة اشهر وثمانية عشر يوما وكان له من الاولاد عبد
الملك ومعاوية وعبيد الله وعبد الله وابان وداود وعبد العزيز وعبد الرحمن
وبشر ومحمد وبنات

الحوادث والماجريات في خلافته
كان سلطانه بالشام خاصة وباقي الامصار في طاعة
عبد الله بن الزبير والضحاك بن قيس بالشام في جماعة يحاربون لمبايعة ابن
الزبير ثم كانت الوقعة بن الفريقين بمرج راهط بغوطة دمشق فقتل الضحاك

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وانهزم من معه ثم سار مروان الى مصر في سنة خمس وستين فبايعه اهله
ولايات الامصار في خلافته
35 كان على مصر من جهة ابن الزبير عبد الرحمن ابن جحدم فطرده مروان
عنها وولى مكانه ابنه عبد العزيز
وكان على المدينة واليمن والعراق عمال ابن الزبير على ما تقدم ذكره في
ترجمة معاوية بن يزيد
الخامس من خلفاء بني امية عبد الملك بن مروان

وهو ابو الحكم وقيل ابو مروان ابن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد
شمس وهو اول من سمي عبد الملك في الاسلام ويقال انه كان يلقب الموثق
لامر الله وامه عائشه بنت معاوية بن المغيرة بن ابي العاص
كان افوه مفتوح الفم مشبك الاسنان بالذهب حازما في امره لا يكل امره الى
غيره ويقال انه كان فقيها عالما فلما ولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك
ومما يحكى انه لما اتته الخلافة كان قاعدا يقرأ في المصحق فأطبقه وقال هذا
آخر العهد بك وكان في غاية من الشح حتى كان يقال له رشح الحجر لبلخه لان
الحجر لا يرشح الماء الا نادرا
يقال ان بعض اخصائه سمعه يقول اجع كلبك يتبعك فقال له يا أمير المؤمنين
اما تخشى ان تلوح له غيرك بكسرة فيتركك ويتبعه
وكان مع شحه ابخر ظاهر البحر وكان اذا مر الذباب على فمه سقط لشدة
بخره ومن اجل ذلك كان يلقب ابا ذباب
بوع بالخلافة بعد موت ابيه مروان في ثالث رمضان سنة خمس وستين
واستقر له الامر بمصر والشام خاصة والعراق والحجاز واليمن مع ابن الزبير
قال ابن حزم وكان عمره حين ولى الخلافة ما بين الثلاثين سنة والاربعين سنة
وكان نقش خاتمة أمنت بالله مخلصا وبقي حتى توفي في النصف من شوال
سنة 35 ب ست وثمانين وعمره ستون سنة ودفن بدمشق وكانت خلافته
احدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوما منها سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة
عشر يوما قبل قتل ابن الزبير وباقيها بعد قتله
وكان له من الاولاد الوليد وسليمان ومروان الاكبر ويزيد ومروان الاصغر
ومعاوية وهشام وبكار والحكم وعبد الله ومسلمة والمندر وعنسية ومحمد
وسعيد والحجاج ويقال ان عبد الملك رأى في منامه كأنه بال في المحراب اربع
مرات فغمه ذلك فوجه الى سعيد بن المسيب من سألته عن ذلك فقال يملك
من ولده لصلبه اربعة فكان كذلك فولى منهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام
الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولى الخلافة منع الناس من الحج من حيث ان ابن الزبير كان يأخذ البيعة
لنفسه على الناس في الموسم فضج الناس من منع الحج فبني عبد الملك قبة
الصخرة ببيت المقدس وكان الناس يحضرونها يوم عرفة ويقفون عندها فيقال
ان ذلك سبب التعريف ببيت المقدس ومساجد الامصار
وذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن ان اول من سن التعريف في مساجد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الامصار عبد الله بن عباس وانكر العلماء عليه هذا النقل وذكر ابو عمر الكندي ان عبد العزيز بن مروان اول من سن التعريف بالمسجد الجامع بمصر بعد العصر

قال ابو هلال العسكري في كتابه الاوائل وعبد الملك اول من ضرب الدراهم في الاسلام وفي سنة تسع وستين سار عبد الملك بنفسه الى العراق فلقبه مصعب ابن الزبير في جيش فقتل مصعب فدخل عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب فبايعه 36 أ الناس وفي

سنة ثلاث وسبعين ولى الحجاج بن يوسف الثقفي على مكة فسار الحجاج الى مكة وحارب ابن الزبير وقبض عليه بعد حصار طويل وقتله وصلبه لثلاث عشر ليلة بقيت من جمادي الاولى سنة ثلاث وسبعين وقيل في جمادي الاخرة سنة اثنتين وسبعين وفي سنة اربع وسبعين هدم الحجاج الكعبة من جانتب الحجر واخرج الحجر منها وجعله على الهيئة التي كان عليه في زمن النبي { صلى الله عليه وسلم } ورفع داخلها عن الارض وسد الباب الغربي وجعل الباب الشرقي يصعد اليه على درج والامر على ذلك الى الان ولايات الامصار في خلافته

كان على مصر اخوه عبد العزيز بن مروان فأقره عليها فبنى بالفسطاط الدار المذهبة المعروفة بالمدينة ونزلها وهي دار عظيمة تجاوز الوصف ثم صارت بعده منزلا لمن يلي اماره مصر ثم صارت مساكن للعامة بعد ذلك قال القضاعي في خططه كان يسكب فيها في كل يوم مائة راوية ماء وفيها عدة مساجد وعد افران للخبز واقام على مصر عشرين سنة وعشرة اشهر واياما وهو

الذي بنى القنطرة التي على خليج القاهرة عن السد الذي يكسر عند وفاء النيل

ويقال انه ولى عليها عبد الله بن عبد الملك فمكث فيها خمس سنين ثم ولى عليها بعده قرة بن شريك في سنة تسعين فبقى عليها الى ان مات عبد الملك وهو اول من وضع اللوح الاخضر على الاسطوانة الوسطى بالجامع العتيق بالفسطاط

واستولى الحجاج بن يوسف على مكة بعد قتل ابن الزبير وولى عبد الملك على المدينة طارق بن عمر فانتزعها منه صالح بن عبد الله ثم ولى عبد الملك على مكة والمدينة وسائر اعمال الحجاز 36 ب واليمن الحجاج بن يوسف وعزل طارقا عن المدينة وجعله من جملة جند الحجاج ثم ولى على مكة والمدينة سنة سبع وسبعين ابان بن عثمان بن عفان ثم عزله في سنة اثنتين وثمانين وولى مكانه هشام بن إسماعيل المخزومي

وولى على العراقيين وخراسان الحجاج بن يوسف ففتك بأهله وأبادهم وقتل جمعا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم على ما سيأتي ذكره عند وفاة الحجاج فيما بعد إن شاء الله تعالى وكان على إفريقية وما معها من المغرب عقبة بن نافع فقتل فولى عبد الملك بن مكانه حسان بن النعمان الغساني فسار حتى دخل القيروان وافتتح قرطاجنة قاعدة إفريقية قبل الإسلام وكان الغرب الأقصى والأندلس لم نفتحها بعد

السادس من خلفاء بني أمية

الوليد بن عبد الملك

وهو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان المقدم ذكره ويقال أنه كان يلقب المنتقم لله وأمه ولادة بنت العباس كان أسم أسمر جميلاً أقنى الأنف ويقال سائل الأنف جدا بوجهه أثر جدري له سطوة شديدة

لاتتوقف إذا غضب وكان كثير النكاح والطلاق يقال أنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة وكان ضعيف البصر بالعربية بحيث يغلب عليه اللحن دخل عليه أعرابي يشكو صهرا له فقال الوليد ما شأنك بفتح النون وهو يريد أن يسأله عن شأنه فقال له الأعرابي أعوذ بالله من الشين فقال أخوه سليمان أمير المؤمنين يقول لك ما شأنك وضم النون فقال الأعرابي ختني ظلمني يعني صهره فقال الوليد من ختنك بالفتح فقال الأعرابي إنما ختني الحجام ولست أريد ذا (37 أ) فقال سليمان أمير المؤمنين يقول لك من ختنك فقال هذا وأشار إلى خصمه ولى الخلافة بعهد من أبيه عبد الملك ثم بويع له بها بعد وفاته يوم الخميس منتصف شوال سنة ست وثمانين

قال ابن حزم وكان سنه حين ولى ما بين الثلاثين والأربعين سنه وكان نقش خاتمه يا وليد إنك ميت ومحاسب وبقي في الخلافة حتى توفي بدير مروان من الشام يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وعمره ثمان وأربعون سنة وأشهر وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبة أشهر وقيل وثمانية أشهر وكان له من الأولاد عشر ذكرًا وقيل أربعة عشر ذكرًا منهم يزيد وإبراهيم ولى كل منهما الخلافة والعباس وكان فارس بني مروان وعمر فحل بني مروان كان يركب في ستين صلبه وعمر وعبد الكريم وبشر وغيرهم وبنات الحوادث والماجريات في خلافته

في خلافته غزا أخوة مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم وعاد في خلافته فتحت طليطلة دار ملك الأندلس على يد طارق مولى موسى بن نصير متولى إفريقية وحمل إليه منها مائة سليمان بن داود عليه السلام وكانت خليطين ذهب وفضة عليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وكان من غريب الأمر في فتحها أنه كان بدار الملك بها بيت مغلق عليه أقفال من حديد كلما وليها ملك جديد زادها قفلا إلى أن كان آخرهم ملك أسمه لذريق أراد فتح

ذلك البيت والأطلاع على ما فيه فنهاه كهنتهم عن فتحه فأبى الإ ذلك ففتحه فوجد داخله صندوقا مقفلا ففتح ذلك الصندوق فإذا فيه سفظ من حرير فيه صور العرب راكبين الجمال وفيه مكتوب (177 ب) إذا فتح هذا البيت وأخرج هذا السفظ وفتح ملك أصحاب هذه الصور هذه البلاد فكان الأمر كذلك وفي خلافته فتحت عدة من بلاد الهند وما وراء النهر وتغلغل الحجاج في بلاد الترك وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسبى وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلادا من بلاد الهند وكان الوليد مع كثرة اعتناؤه بالغزو وفتح البلاد مغرما بالبناء وهو الذي بنى

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المسجد الجامع بدمشق ومن ثم نسب إلى بني أمية وأدخل فيه كنيسة
النصارى وأتى فيه من حسن الصنعة وزينة الزخرفة بما يدهش النظر وبحار
في وصفه الفكر إلا أنه قد تغيرت معالمه بما طرا عليه من الحريق مرة بعد
أخرى لا سيما ما عراه من

تمرلنك حين استيلائه على دمشق وزاد في مسجد النبي {صلى الله عليه
وسلم} وزخرفة ونمقه ورصعه بالفسيفساء وهي الفص المذهب وأدخل فيه
حجر أزواج النبي {صلى الله عليه وسلم} وسائر المنازل التي حوله وكان
القائم بذلك له عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ أمير له على المدينة
وهو أول من اتخذ البيمارستان للمرضى وأول من اتخذ دار الضيافة وأول من
بنى الأميال في الطرقات على ما سيأتي ذكره في الباب السابع إن شاء الله
تعالى

وأنفذ إلى خالد بن عبدالله القسري عامله بمكة ثلاثين ألف دينار صفح بها باب
الكعبة والميزا والأساطين وجدد بناء المسجد الأقصى وزخرفه وفي أيامه كان
الطاعون الجارف بالبصرة يقال أنه مات فيه في ثلاثة أيام ثلاثمائة ألف إنسان
وفي أيامه مات حبر الأمة عبدالله بن عباس رضى الله عنهما في سنة ثمان
وستين وهو جد الخلفاء العباسيين وفي سنة خمس وتسعين أخرج الوليد علي
بن عبدالله بن عباس من دمشق وأنزله الحميمة
من أرض الشام فولد له بها نيف وعشرون ولدا ذكرا (38 أ) ولم يزل إلى أن
بطلت دولة بني أمية

وفي أيامه كانت زلازل عظيمة أقامت أربعين يوما
وفي أيامه قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير التابعي الإمام الكبير فاختلط
عقل الحجاج لوقته وبقي قليلا ثم مات في رمضان سنة خمس وتسعين عن
ثلاث وخمسين سنة وقيل عن أربع وخمسين وكان مدة ولايته العراق عشرين
سنة وكان عدة من قتله فيها صبرا مائة ألف وعشرين ألفا ومات وما ربك
بغافل عما يفعل الظالمون
ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر قررة بن شريك فأقره عليها فمكث سبع سنين
وولى على مكة عمر بن عبد العزيز ثم ولى عليها بعده خالد بن عبدالله
القسري
وولى على خراسان بعد الحجاج بن يوسف المهلب بن ابي صفرة
وكان على المدينة هشام بن اسماعيل المخزومي فعزله وولى عليها عثمان بن
حيان

وولى على افريقية وما معها من بلاد المغرب موسى بن نصير بضم النون
فقدم القيروان وبها صالح بن حسان فعزله عنها ثم رجع موسى بن نصير الى
المشرق واستخلف على افريقية ابنه عبد لله بن موسى بن نصير واستقر
طارق بن زياد مولى موسى بن نصير على الاندلس من حين فتحها ثم قدم
موسى بن نصير الى الاندلس ونزل طليطلة وقام بها سنتين واستخلف عليها
ابنه عبد العزيز بن موسى ثم توجه الى الوليد بن عبد لملك بما معه من الغنيمة
والسبي

السابع من خلفاء بني امية سليمان بن عبد الملك

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وهو ابو ايوب سليمان بن عبد الملك بن مروان المقدم ذكره 38 ب ويقال انه كان تلقب المهدي بالله الداعي الى الله وامه ولادة ام اخيه الوليد وكان ابيض اللون جميلا طويل القامة فصيحاً لسنا ادبياً معجباً بنفسه متوقفاً على سفك الدماء ويقال انه كان كثير النكاح شرها في الاكل يأكل في كل يوم نحواً من مائة رطل
ولى الخلافة بعهد من ابيه عبد الملك بن مروان وذلك ان عبد الملك رتب خلافته في العهد على خلافة اخيه الوليد المقدم ذكره فقال الخليفة بعدى الوليد ثم بعد الوليد سليمان وبويع له بها بعد موت اخيه الوليد يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين

قال ابن حزم وكان عمره حين ولى ما بين الثلاثين والاربعين وكان سليمان حين موت اخيه بالرملة من عمل لد فبلغه الخبر بعد سبعة ايام فسار الى دمشق ودخلها
وكا نقش خاتمة آمنت بالله مخلصاً وبقي حتى توفي بدابق من ارض قنسرين لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وعمره خمس واربعون سنة بعد ان عهد
بالخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز ثم من بعد عمر ليزيد ابن عبد الملك وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر الا خمسة ايام وكان له اربعة عشر ولداً ذكراً
الحوادث والماجريات في خلافته
في سنة تسع وتسعين خرج بنفسه لغزو القسطنطينية حتى نزل بدابق وبعث اخاه مسلمة الى القسطنطينية فنزل عليها وحاصرها وفتح مدينة الصقالبة وبعث المهلب ابن ابي صفرة الى خراسان ففتح جرجان وطبرستان وقد ذكر في مسالك الابصار انه هو الذي بنى مدينة الرملة ولعل ذلك قبل خلافته 39 أ ولايات الامصار في خلافته
كان على مصر قرة بن شريك فولى مكانه عبد الملك ابن رفاعة في سنة سبع وتسعين فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا
وكان على مكة خالد بن عبد الله القسرى فأقره عليها
وكان على المدينة عثمان بن حيان فولى مكانه ابا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان على افريقيه عبد الله بن موسى بن نصير خليفة بها عن ابيه موسى المذكور فبقى عليها وكان على الاندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير المذكور فاستقر بها
الثامن من خلفاء بني امية عمر بن عبد العزيز
وهو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ويقال انه كان يلقب المعصوم بالله وامه ام عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اسمر نحيفاً حسن الوجه في وجهه شجة من رمح دابة وهو غلام ولذلك يعرف بأشج بني امية وقد روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول ان من ولدي رجلا بوجهه شين يملأ الارض عدلاً
ولى الخلافة بالعهد من سليمان بن عبد الملك وبويع له بها بعد وفاة سليمان بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين

قال ابن حزم وكان سنه حين ولى الخلافة ما بين الثلاثين سنة والاربعين وكان نقش خاتمة عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله وبقي في الخلافة حتى توفي في يوم الجمعة لخمسة و قيل لست بقين من رجب سنة احدى ومائة وعمره تسع وثلاثون سنة ودفن بارض دير سمعان من عمل حمص وقيل توفي بدير سمعان ودفن به قال 39 ب صاحب حماة الظاهر ان دير سمعان هو المعروف الان بدير البقرة من عمل معرة النعمان قال وكان موته بالسسم من بني امية علما منهم انه ان امتدت ايامه اخرج الامر عنهم وانه لا يعهد بعده الا لمن يصلح للأمر فعاجلوه

قلت وفيما قاله نظر فان عهد سليمان بن عبد الملك كان متضمنا العهد بعد عمر بن عبد العزيز ليزيد بن عبد الملك فلم يكن لعمر ان يعهد لغيره وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة اشهر واربعة عشر يوما وقيل خمسة اشهر فقط وقد قال العلماء في قوله {صلى الله عليه وسلم} ان الله يبعث لامتي على رأس كل مائة من يجدد لها دينها انه كان على رأس المائة الاولى عمر بن عبد العزيز

وكان له من الاولاد اربعة عشر ذكرا منهم عبد الملك وكان ناسكا ومات في حياته عن تسع عشرة سنة ونصف وعبد الله وكان شجاعا الحوادث والمماجريات في خلافته

بنى مسجد الجحفة ميقات الاحرام لحجاج مصر واشترى ملطية من الروم بمائة الف اسير وبنائها وكان قبله خلفاء بني امية يسبون امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه على المنابر من حين خلع الحسن نفسه في سنة احدى واربعين الى ان ولى عمر بن عبد العزيز فأبطل ذلك وكتب الى نوابه بابطاله وجعل بدله قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية فاستمر الخطباء على ذلك الى الان ومدحه كثير الشاعر بقوله

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف

بريا ولم تتبع سجية مجرم

وقلت فصدقت الذي قلت بالدى

فعلت فاضحى راضيا كل مسلم

40 ولايات الامصار فى خلافة

ولى على مصر بعد عبد الملك بن رفاعة ايوب بن شرحبيل الاصبهى اخر سنة

وتسعين فمكث فيها سنتين وستة اشهر

وكان على مكة عبد العزيز بن خالد بن اسيد عن سليمان

ابن عبد الملك فاقره عليها

وولى على المدينة عبد العزيز بن أرطاة فأقام الى أيام يزيد بن عبد الملك

وولى على افريقية بعد محمد بن يزيد اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر

فأسلم على يديه جميع البربر وأقام الى أيام يزيد بن عبد الملك

وكان على الاندلس الحسن بن عبد الرحمن ثم السمع ابن مالك الخولاني

فأقام بها سنتين وتسعة اشهر

التاسع من خلفاء بني امية يزيد بن عبد الملك

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وهو ابو خالد يزيد بن عبد الملك بن مروان وامه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ويقال انه كان يلقب القادر بصنع الله كان ابيض جسيما مدور الوجه شديد الكبر عاجزا وكان صاحب لهو ولذة وهو صاحب حباة وسلامة وهما جاريتان كان مشغوفا

بهما وماتت حباة فمات بعدها بيسير قيل بسبعة عشر يوما أسفا عليها وكان قد تركها اياما لم يدفنها لعدم استطاعته فراقها فعوتب على ذلك فدفنها ويقال انه نبثها بعد الدفن حتى شاهدها

قلت وأين مقام هذا من مقام الذي كان يهوى سلامة جاريتة الثانية وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار وذلك انه مر يوما بمنزل سيدها فسمع غناءها فهويها ثم هويته 40 ب هي ايضا واجتمعا بعد ذلك فقالت له سلامة انني احبك فقال وأنا ايضا احبك فقالت وأنا اشتهي اقبلك فقال وأنا ايضا قالت فما يمنعك قال تقوى الله ثم قام وانصرف وتركها وكان عبد الرحمن هذا يعرف بالقس لعبادته ولذلك عرفت سلامة هذه بسلامة القس

ولى الخلافة بعهد من اخيه سليمان بن عبد الملك له بها بعد عمر بن عبد العزيز على ما سيأتي ذكره في الكلام على عهود الخلفاء للخلفاء ان شاء الله تعالى وقيل ان أباه عبد الملك كان أدخله مع اخوته في العهد اليهم فسلم لعمر بن عبد العزيز وبويع له بالخلافة بعد موت عمر بن عبد العزيز في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رجب سنة احدى ومائة

قال ابن حزم وكان عمره يومئذ ما بين الثلاثين والاربعين وكان نقش خاتمه قني السيئات يا عزيز وبقي حتى توفي بحوران من الشام لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وعمره تسع وعشرون سنة فيما ذكره القضاعي في عيون المعارف

وقال المؤيد صاحب حماة في تاريخه كان عمره أربعين سنة وعليه ينطبق كلام ابن حزم حيث جعل ولايته في ما بين الثلاثين والابعين وكان له من الاولاد ثمانية ذكور منهم عبد الله بن يزيد ولده سبعة خلفاء على ما سيأتي ذكره في الباب السابع ان شاء الله تعالى ومنهم الوليد بن يزيد الاتي ذكره في جملة الخلفاء

الحوادث والماجريات في خلافته في أيامه خرج يزيد بن المهلب بن ابي صفرة فبعث اليه أخاه 41 أ فقاتله فقتل يزيد بن المهلب وجميع آل المهلب وكانوا قوما كراما وفيهم يقول الشاعر نزلت على آل المهلب شاتيا

غريبا عن الاوطان في زمن المحل
فما زال بي احسانهم وافتقادهم

وبرهم حتى حسبتهم أهلي
ولايات الامصار في خلافته

كان على مصر من قبله بشر بن صفوان وقيل صفوان نفسه ثم وليها عنه حنظلة اخو صفوان

وعزل عن مكة عبد العزيز بن خالد بن أسيد في سنة ثلاث ومائة وأضافها مع المدينة الى عبد الرحمن بن

الضحاك ثم عزله عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولى مكانه عبد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الواحد البصري فبقي عليهما الى أيام هشام بن عبد الملك ولم أفق على
عامله باليمن
وولى على العراقيين عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وولى على افريقيه بعد
اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المقدم ذكره يزيد بن أبي مسلم مولى
الحجاج فقدمها سنة احدى ومائة فقتله البربر وأقاموا محمد بن يزيد الذي كان
عليهم أولا وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك بذلك فأقره عليهم ثم ولى عليها بعده
بشر بن صفوان الكلبي فقدمها سنة ثلاث ومائة ومات بها سنة تسع ومائة
وكان على الاندلس عقبة الكلبي فأقام بها الى أيام مروان بن محمد الاتي
ذكره
العاشر من خلفاء بني امية
هشام بن عبد الملك

وهو ابو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان وقيل انه 41 ب يلقب المنصور
بالله وامه ام هشام فاطمة بنت هشام المخزومي كان ابيض ربة جميلا سمينا
منقلبا له سياسة حسنة وتيقظ في امره مع مباشرته الامور بنفسه
ولى الخلافة بعهد من اخيه يزيد المقدم ذكره وبويع له بالخلافة لخمس بقين
من شعبان سنة خمس ومائة وعمره يومئذ اربع وثلاثون سنة وأشهر وكان حين
مات اخوه يزيد بن عبد الملك مقيما بالرصافة من بلاد الشام في دار له صغيرة
فجاءته الخلافة على البريد فركب من الرصافة الى دمشق فكانت بيعته ولما
ولى الخلافة اختار الرصافة منزلا لطيب هوائها وبعدها من الوباء وابتنى بها
قصرين ونزلهما ومن هنالك نسبت اليه فقيل
رصافة هشام وكان له من الستور والكسوة والطرز ما لم يكن لمن قبله من
الخلفاء وكان نقش خاتمة الحكم للحكم الحكيم
قال ابن حزم وكان عمره حين ولى الخلافة ما بين الخمسين والستين وبقي
في الخلافة حتى توفي بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الاخر سنة خمس
وعشرين ومائة وعمره ثلاث وخمسون سنة وقيل اربع وخمسون وشهور
وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر واحد عشر يوما وقيل وتسعة
أشهر

الحوادث والماجريات في خلافته
في ايامه في سنة ثمان عشرة ومائة غزا أسد بن عبد الله القسري بلاد الترك
وقتل خاقان ملكهم في جماعة كثيرة من قومه وغنم المسلمون منهم غنيمة
عظيمة وفي سنة احدى وعشرين 42 أ ومائة غزا مروان بن محمد وهو على
الجزيرة وأرمينية بلاد صاحب السرير فأجاب
الى الجزية في كل سنة سبعين الف رأس يؤديها وغزا مسلمة بن عبد الملك
بلاد الروم فافتتح حصونا وغنم وغزا نصر بن سيار بلاد ما وراء النهر وقتل ملك
الترك ثم مضى الى فرغانة من بلاد الترك فسبى سبيا كثيرا

وفي خلافته خرج زيد بن علي بالكوفة ودعا الى نفسه وبايعه جمع كثير فقتله
يوسف بن عمر الثقفي وصلبه وبعث برأسه الى هشام بن عبد الملك فنصبها

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بدمشق ولم تزل منصوبة حتى مات هشام ويقال ان هذه الرأس حملت بعد ذلك الى مصر ودفنت بين مصر والقاهرة في المشهد الذي بين الكيمان الان المعروف بمشهد الرأس والى زيد هذا تنسب طائفة الزيدية وهم فرقة من الشيعة

وفي خلافته توفي الحسن البصري ومحمد بن سيرين وتوفي محمد الباقر بن زين العابدين في سنة احدى عشرة وتوفي نافع مولى عمر بن الخطاب في سنة سبع عشرة ومائة وتوفي الزهري في سنة اثنتين وعشرين ومائة ولايات الامصار في خلافته

في ايامه كان على مصر حنظلة اخو صفوان فولى عليها عوضه اخاه محمد بن عبد الملك في سنة خمس ومائة فمكث فيها اشهرا ثم استعفى فولاهها حفص بن الوليد الحضرمي ثم صرفه وولاهها عبد الملك بن رفاعه فبقي بها حتى توفي قلت وقد حكى القضاعي في خطط مصر في الكلام على دار الامام الليث بن سعد انه كان لليث دار ببلدتنا قلقشندة فهدمها 42 ب عبد الملك بن رفاعه هذا عنادا له فعمرها الليث فهدمها عبد الملك فعمرها فهدمها فلما كان في الثالثة بينما الليث نائم اذا بهاتف يهتف به قم يا ليث) ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (فأصبح ابن رفاعه وقد اصابه فالج فاوصى الى الليث وبقي ثلاثا ثم مات ويؤيد ذلك ما حكاه ابن يونس مؤرخ مصر في تاريخه ان الليث ولد بقلقشندة وانه لا عبرة بما يقال انه منسوب الى فارس

ثم تولاهها بعد عبد الملك بن رفاعه اخوه الوليد بن رفاعه ثم توفي فتولاهها عبد الرحمن بن خالد ثم صرفه وولاهها حنظلة بن صفوان ثم صيره الى افريقية وولاهها حفص بن الوليد وقيل وليها بعد محمد بن عبد الملك عبد الله بن يوسف الثقفي ثم عبد الملك بن رفاعه ثم اخوه الوليد ثم عبد الرحمن الفهري ثم حنظلة في سنة عشرين ومائة فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا الى زمن الوليد بن يزيد بعده

وكان على مكة والمدينة عبد الواحد البصري فعزله وولى عليهما ابراهيم بن هشام بن اسماعيل ثم عزله سنة اربع عشرة ومائة وولى مكانة على مكة والطائف دون المدينة محمد بن هشام المخزومي واما المدينة فولى عليها بعد ابراهيم بن هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة وولى مكاته محمد بن هشام بن اسماعيل ولم اقف على عماله على اليمن وكان على افريقية بشر بن صفوان فعزله وولى عليها عبيدة بن عبد الرحمن السلمي فقدمها سنة عشر ومائة ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن الحثحات فقدمها سنة اربع عشر ومائة وبنى جامع تونس واتخذ بها دارا لعمل المراكب البحرية ثم عزله وولى مكانه كلثوم بن عياض فقدمها سنة ثلاث وعشرين ومائة ثم خرج عليه عبد الرحمن بن حبيب سنة ست وعشرين ومائة فطرده عنها واستقل بامارتها وأقام الى ايام الوليد بن يزيد الاتي ذكره وكان على الاندلس عقبة الكلبي فأقام عليها اربع سنين وخمسة اشهر ثم وليها يحيى بن مسلمة سنتين وستة اشهر ثم وليها حذيفة بن الاحوص القيسي سنة

واحدة ثم وليها عثمان بن سعد الخثعمي خمسة اشهر ثم وليها الهيثم بن عبيد
خمسة اشهر ثم وليها

عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي سنتين وثمانية اشهر ثم وليها عبد الملك بن
قطار اربع سنين ثم وليها عقبة بن الحجاج خمس سنين ثم وليها بلخ بن بشر
القيسي ثم وليها حسام بن ضرار الكلبي فأقام بها الى ايام الوليد بن يزيد

الحادي عشر من خلفاء بني امية الوليد بن يزيد
وهو ابو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ويقال انه كان يلقب
المكتفى بالله وامه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف اخي الحجاج بن يوسف
وكان ابيض اللون بعة القد قد وخطه الشيب شاعرا فصيحاً وكان مصروف
الهمة الى اللهو والاكل والشرب وسماع الغناء وكان من ظرفاء بني امية بويج
له بالخلافة يوم الاربعاء لثلاث خلون من ربيع الاول سنة خمس وعشرين ومائة
ولم يل الخلافة من بني عبد الملك اسن منه لانه وليها بعد مجاوزة الاربعين
وكان نقش خاتمة يا وليد احذر الموت وبقي في الخلافة حتى توفي قتيلا في
يوم

الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الاخرة سنة ست وعشرين ومائة عند قصر
النعمان بن بشير وذلك ان بن عمه يزيد ابن الوليد بن عبد الملك احس منه
كثرة تجرؤ ولهو بعد ان رمي بالكفر وغشيان 43 ب امهات اولاد ابيه فسار اليه
وقتله هناك وعمره يومئذ اثنتان واربعون سنة وقيل غير ذلك وكانت مدة
خلافته سنة واحدة وثلاثة اشهر وكان له من الاولاد ثلاثة عشر ذكرا وعدة بنات
وكان قد عهد بالخلافة لولديه عثمان والحكم فلما قتله يزيد حبسهما فبقيا في
الحبس حتى ولى مروان بن محمد الخلافة فقتلها

الحوادث والماجريات في خلافته
كان في خلافة هشام مقيما بالبرية في نفر من قومه في اسوأ حال فلما ولى
الخلافة اقبل على لذاته من شرب الخمر وسماع الغناء ومعاشرة النساء وزاد
في العطايا حتى خرج في العطاء عن الحد وفي ايامه تحرك امر الدولة
العباسية ووصل الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس هدايا من
خراسان وقدم عليه ابو مسلم الخراساني داعي بن العباس ثم مات محمد بن
علي في آخر سنة خمس وعشرين ومائة بعد ان اوصى ان الامر في ولده
لابراهيم الامام فان قتل فابن الحارثية يعني السفاح
ولايات الامصار في خلافته
كان على مصر حنظلة بن صفوان وقال القضاعي كان عليها حفص ثم صرفه
عن الخراج

وكان على مكة خالد بن عبد الملك وعلى المدينة محمد ابن هشام فولى عليها
وعلى سائر اعمال الحجاز خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي في سنة
اربع وعشرين ومائة فأقام الى زمن مروان بن محمد آخر خلفائهم ولم أقف
على عامله على اليمن
وكان على الاندلس حسام بن ضرار فأقره عليها

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

44 أ الثاني عشر من خلفاء بني امية يزيد بن الوليد وهو ابو خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وامه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهران يقال انه كان يلقب الشاكر لانعم الله كان اسمر نحيف البدن مربوعا وقيل طويلا صغير الرأس جميل الوجه خفيف العارضين شديد العجب بنفسه بويع له بالخلافة لليلتين بقيتا من جمادي الاخرة سنة ست وعشرين ومائة بعد قتل الوليد بن يزيد ومقتضى كلام ابن حزم ان عمره حين ولى الخلافة فيما بين العشرين والثلاثين وكان نقش خاتمه يا يزيد قم بالحق وبقي في الخلافة حتى توفي بدمشق لعشرين بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة وعمره يومئذ اربعون سنة وقيل ست واربعون وقيل ثلاثون وكانت مدة خلافته خمسة اشهر واثنين وعشرين يوما

قال القضاعي وكان له عقب كثير ولم يذكر اسم احد منهم الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولى الخلافة اظهر حسن السيرة الا انه نقص ما كان زاده الوليد في العطايا وردها الى ما كانت عليه في زمن هشام بن عبد الملك فلقبوه لذلك الناقص وكان قد امتنع عن بيعته والدخول في طاعته اهل حمص واهل فلسطين فقاتلهم حتى ادعوا ودخلوا تحت الطاعة

ولايات الامصار في خلافته

كان على مصر حنظلة بن صفوان فأقره عليها وكان على مكة 44 ب والمدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي فأقره عليها ولم اقف على عماله على اليمن وكان على افريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب فأقره عليها وكان على الاندلس حسام بن ضرار فأقره عليها فوليا بعده ثوابة الجذامي فأقام فيها سنة واحدة

الثالث عشر من خلفاء بني امية ابراهيم بن الوليد

وهو ابو اسحاق ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ويقال انه كان يلقب المقتدر بالله وامه ام ولد اسمها نعمة وقيل حشف كان خفيف العارضين له صفيرتان من شعر ويقال انه كان عاجزا ضعيف الرأي بويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة

قال ابن حزم وسنه يومئذ ما بين الثلاثين والاربعين ولم يتم له الامر لعجزه حتى كان اتباعه تارة يسلمون عليه بالخلافة وتارة بالامارة وتارة بغير ذلك وكان نقش خاتمه توكلت على الحي القيوم وبقي في الخلافة حتى خلع نفسه وسلم الامر الى مروان بن محمد الاتي ذكره في صفر سنة سبع وعشرين ومائة وبقي حتى قتله ابو عون يوم الزاب وقيل غرق وقيل قتله مروان وصلبه ولم يقع لي ذكر اولاده

الحوادث والماجريات في خلافته

كان بينه وبين مروان بن محمد قتال كثير كان اخر الامر فيه انهزام ابراهيم المذكور وخلع نفسه كما تقدم

ولايات الامصار في خلافته

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

45 أ كان على مصر حنظلة بن صفوان فأقره عليها
وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي
فأقره على ذلك ولم أقف على عماله على اليمين
وكان على افريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب فأقره عليها
وكان على الاندلس ثوبة الجذامي فأقره عليها
الرابع عشر من خلفاء بني امية مروان بن محمد
وهو ابو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ويقال انه كان يلقب
القائم بحق الله وامه لبابة جارية ابراهيم بن الاشر وكانت كردية ويعرف
بالجعدي لانه اخذ عن الجعد بن درهم مذهبه في الكلام في القول بخل القرآن
والقدر ويعرف ايضا بحمار
الجزيرة لانه كان واليا بها من جهة الوليد بن يزيد وهو آخر خلفائهم وكان ابيض
اشهل ضخم القامة كث اللحية ابيضها شجاعا حازما صابرا على التعب وكان
يغرى بين القبائل وكان مع ذلك بليغا له رسائل

ومقتضى كلام ابن حزم انه كان سنه ما بين الثلاثين والعشرين وكان نقش
خاتمه اذكر الله يا غافل وبقي في الخلافة حتى توفي قتيلًا بالديار المصرية
بقرية يقال لها بوضير لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة
وعمره اثنتان وثلاثون سنة وكان له من الاولاد ذكران وهما عبد الله وعبيد الله
فهربا بعد قتله
فأما عبيد الله فهرب الى الحبشة فقتل بها وأما عبد الله فيقال انه قبض عليه
وحبس الى ايام الرشيد فأخرج ضريرا ومات ببغداد
الحوادث والماجريات في خلافته
45 ب لما بوع له بالخلافة قصد يزيد بن الوليد لطلب
دم الوليد بن يزيد وخلص الحكم وعثمان ولدي الوليد بن يزيد اللذين كان قد
جعلهما ابوهما المذكور وليي عهده من السجن فوجد يزيد بن الوليد قد مات
وأخاه ابراهيمي قد قتل والحكم وعثمان ولدي الوليد في السجن فحضر اليه ابو
محمد السفيناني وكان معهما في السجن فسلم عليه بالخلافة فقال له ما هذا
فقال انهما قد جعلها لك يا أمير المؤمنين وانشده بيتا كان قد قاله الحكم في
السجن وهو
فان اقتل انا وولى عهدي
فمروان امير المؤمنين
ولما صارت اليه الخلافة عصى عليه اهل حمص واهل غوطة دمشق واهل
فلسطين فبعث من قاتلهم حتى انقادوا ودخلوا في طاعته ولم يحج في شيء
من خلافته ولم يزل امره مضطربا حتى ظهر ابو مسلم الخراساني داعية بني
العباس بخراسان فأخذ امره في الاضمحلال وجهز له ابو العباس السفاح عبد
الله بن علي بن عبد الله بن عباس في جيش وخرج مروان لملاقاته فالتقيا في
زاب الموصل فانهزم مروان وعبد الله في
أثره الى نهر ابي فطرس من فلسطين فالتقيا فقتل خلق كثير من بني امية
ممن كان مع مروان وهرب مروان حينئذ الى مصر وقد تلاشى حاله وتبعه
صالح بن علي بن عبد الله بن عباس حتى ادركه ببوضير من صعيد مصر وقد
اختبأ في كنيسة هناك فاحتر رأسه وجهزها الى السفاح فلما انتهت اليه خر

كان على مصر حنظلة بن صفوان فعزله وولى عليها عتابه التجيبي سنة سبع وعشرين ومائة فمكث فيها خمس سنين او دونهما ثم وليها 46 أ عنه حفص ابن الوليد سنة ثمان وعشرين ومائة فمكث فيها ثلاث سنين وستة اشهر ثم وليها عنه الفزاري سنة احدى وثلاثين ومائة فمكث فيها سنة واحدة ثم وليها عنه

عبد الملك بن مروان مولى لخم سنة احدى وثلاثين ومائة فمكث فيها 2 سنة واحدة وهو آخر عمالهم عليها وقال في عيون المعارف وليها بعد حفص حسان بن عتاهية ثم حفص بن الوليد ثم حوثره بن سهيل العجلاني ثم المغير بن عبيد الله ثم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير الى آخر أيام مروان وكان على مكة والمدينة والحجاز يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي فولى مكانه على ذلك عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولى مكانه عبد الواحد وهو آخر عمالهم بالحجاز وكان على افريقية وبلاد المغرب عبد الرحمن بن حبيب فأقره عليها وكتب اليه بولايتها وهو آخر عمالهم عليها وكان على الاندلس ثوابه الجذامي فولى عليها يوسف بن عبد الرحمن الفهري فاستقر الى ان زالت دولتهم

تذنيب

كانت مدة خلفاء بني امية منذ خلص الامر لمعاوية والى ان قتل مروان احدى وتسعين سنة وتسعة اشهر وخمسة ايام وهي الف شهر تقريبا قيل انه لما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له يا مسود وجوه المؤمنين فقال لا تعذلني فان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} رأى في منامه ان بني امية ينزون على منبره واحدا فواحدا فساءه ذلك فانزل الله تعال عليه (إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) يعني الف شهر يملكها بنو امية

ولما قتل مروان بن محمد آخر خلفائهم قتل السفاح سليمان بن هشام بن عبد الملك وقتل عمه 46 ب علي ابن عبد الله بن علي نحو تسعين لاجلا من بني امية كانوا قد اجتمعوا اليه امر بضربهم بالعمد حتى القوا الى الارض وكان ذلك وقت حضور الطعام فأمر ان تبسط عليهم الانطاع ويمد عليهم الخوان وأكل الناس وهم

يسمعون انينهم حتى ماتوا جميعا وأمر عبد الله بنيش قبور بني امية بدمشق فبنش قبر معاوية بن ابي سفيان وقبر يزيد ابنه وقبر عبد الملك بن مروان وقبر هشام بن عبد الملك فوجد صحيحا فأمر به فضرب مائة وعشرين سوطا وصلب ثم احرقه بالنار وذراه في الهواء وتتبع بني امية من اولاد الخلفاء فقتلهم وكذلك قتل سليمان ابن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة جماعة من بني

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

امية والقا هم على الطريق فأكلتهم الكلاب وتشتت من بقي من بني امية هربا
في البلاد وهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى الاندلس
فبايعه اهلها على ما سيأتي في الكلام على المدعين للخلافة فيما بعد ان شاء
الله تعالى

الطبقة الثالثة من الخلفاء خلفاء بني العباس بالعراق
اعلم ان الخلافة في بني العباس بالنص فقد روى ان العباس رضي الله عنه
حين امتدح النبي { صلى الله عليه وسلم } بقوله

من قبلها طبت في الضلال وفي

مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر

انت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد

الجم نسرا واهله الغرق

تنقل من صالب الى رحم

اذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من

خندق عليها تحثها النطق

وانت لما ولدت اشرفت ال

أرض وضاءت بنورك الافق

47 أ فنحن في ذلك الضياء وفي النو

ر وسيل الرشاد نخترق

اسر اليه النبي { صلى الله عليه وسلم } ان قال الا ابشرك يا عم بي ختمت
النبوه وبولدك تختم الخلافة وقد رأينا ذلك عيانا وهو أنه مذ آل الامر اليهم من
بعد بني امية وهو مستمر فيهم الى يومنا هذا ولم يبرح عنهم ولم يتحول وهي
معجزة من معجزاته التي اخبر فيها بما سيكون وليست بأول معجزاته

وجملة من كان بخلفائهم بالعراق سبعة وثلاثون خليفة

الاول من خلفاء بني العباس بالعراق

السفاح

وهو ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد

المطلب

واختلف في لقبه المتعلق بالخلافة ف قيل القائم وقيل المهدي وقيل المرتضى

وعلب عليه السفاح لكثرة ما سفح من دماء بني امية يعني أسأل

وامه ربيعة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الممدان

الحارثي كان ابيض اللون طويلا اقنى الانف حسن الوجه واللحية له وفرة شعر

سديد الرأي كريم الاخلاق وافر الجود حتى يقال انه وصل عبد الله بن الحسن

بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه بألفي الف درهم وهو اول

خليفة وصل بهذه الجملة

كان قد بوع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول

سنة اثنتين وثلاثين ومائة قبل قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية بثمانية

اشهر

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

قال ابن حزم كان سنه حين ولى ما بين الثلاثين والاربعين وفيه نظر لانه سيأتي انه توفي سنة ست وثلاثين ومائة وان خلافته أربع سنين وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن 47 ب وبقي في الخلافة حتى توفي بالجدري وقال ابن ازهر سموه بالمدينة الهاشمية التي بناها بالعراق يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة ونصف فيما ذكره القضاعي وقال صاحب حماة ثلاث وثلاثون سنة وصلى عليه عمه عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ودفن بالأنبار العتيقة وكانت مدة خلافته أربع سنين وقد تقدم أنه كان قد بوع له قبل قتل مروان بثمانية أشهر فتكون جميع مدته أربع سنين وثمانية أشهر وكان له ولد يسمى محمدا مات صغيرا وابنة اسمها ربيعة تزوجها المهدي الحوادث والماجريات في خلافته

سار بعد مبايعته بالخلافة من الكوفة إلى الحيرة من العراق فأقام بها ثم سار منها إلى الأنبار من العراق أيضا سنة أربع وثلاثين ومائة وبنى بها مدينة سماها الهاشمية ونزلها واسوزر أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو أول من لقب بالوزارة في الإسلام وكانوا قبل ذلك يقولون كاتباً ثم قتله واسوزر خالد بن برمك وهو جد البرامكة المعروفين بالجود واستقضى في أول خلافته ابن أبي ليلى ثم استقضى غيره ولما بوع خلع طاعته أبو الورد بن الكوثر بقنسرين فسار إليه عبد الله ابن علي بن عبد الله بن عباس في جيش فهزموه وقتل أبا الورد ثم عاد إلى دمشق وقد خرج أهلها عن الطاعة فهربوا منه ثم آمنهم فدخلوا في الطاعة

ولايات الأمصار في خلافته

(48 أ) كان على مصر أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية عبد الملك بن مروان اللخمي فعزله عنها وولى عليها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة فمكث فيها أشهر قلائل ثم سار عنها فوليا عنه أبو عون عبد الملك مولى بنى أسد آخر سنة ثلاث وثلاثين ومائة فمكث فيها ثلاث سنين ثم وليها عنه صالح بن علي ثانيا في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة فأقام فيها إلى أيام أبي جعفر المنصور الآتي ذكره

وولى على الشام عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فبقى إلى أيام المنصور

وولى على خراسان والجبال أبو مسلم الخرساني

وكان على مكة وامدينة وسائر الحجاز يوسف بن محمد ابن يوسف الثقفي فعزله وولى على ذلك عمه داود بن علي وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولى مكانه في جميع ذلك زياد بن عبد الله بن عبد الدار الحارثي ثم

ولى على مكة السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس فبقى فيها إلى أيام أبي جعفر المنصور

وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري ثم عزله وولى مكانه رباح بن عثمان المري ثم قتل فولى مكانه عبد الله بن الربيع الحارثي فبقى فيها إلى أيام أبي جعفر المنصور

وولى على اليمن عمه داود ثم توفى في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولى مكانه عمر بن زيد بن عبد الله بن عبد الممدان فتوفى في سنة أربع وثلاثين ومائة فولى مكانه علي بن الربيع بن عبيد الله وكان على إفريقية وبلاد المغرب يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فبعث إلى السفاح بطاعته فأقره عليها ثم قتل سنة سبع وثلاثين ومائة ثم غلب عليها عبد الملك بن أبي الجعد وأساء السيرة ثم غلب عليها عبد الأعلى بن السمح وكان على الأندلس (48 ب) يوسف بن عبد الرحمن الفهرى من زمن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية فأقام بها أيامه وأول أيام أبي جعفر المنصور بعده حتى استولى عليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان في خلافة أبي جعفر المذكور واستمرت بعده بيد بنى أمية بالأندلس إلى حين انقراض دولتهم الثاني من خلفاء بنى العباس بالعراق المنصور وهو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أخوه السفاح المقدم ذكره وأمه سلامه بنت بشير ولد بالحميمة من أرض الشراة وكان أسمر نحيفا خفيف العارضين يخضب بالسواد قال في عيون المعارف يقال إنه كان يغبر شبيهه بألف مثقال مسك في كل شهر وكان حازم الرأي قد عركته الأيام على غاية من الحزم وصواب التدبير وكان أخوه أبو العباس السفاح قد عهد إليه بالخلافة ثم من بعده إلى ابن أخيه عيسى ابن موسى وجعل العهد في ثوب وختم عليه ودفعه إلى عيسى ابن موسى فاستنزل عيسى عن عهده وعهد بها لابنه المهدي وبوع له بها بعد موت أخيه السفاح في اليوم الذي مات فيه لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وهو يومئذ بمكة وقام عمه عيسى ابن علي ببيعته وأتته الخلافة تزهو بطريق مكة بالصفية فقال صفا أمرنا إلى شاء الله تعالى وكان نقش خاتمه

قال ابن حزم وكان سنه حين ولى ما بين الأربعين والخمسين وبقي في الخلافة حتى توفى وهو محرم بالحج ببئر ميمون على أميال من مكة في السادس من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (49 أ) وعمره ثلاث وستون سنة وقيل أربع وستون وصلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عباس ودفن بالحجون وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثنتين وعشرين سنة إلا سبعة أيام ويقال إنه ولد في ذى الحجة وكان يتوقع أن يومت في ذى الحجة فكان كذلك وكان له من الأولاد تسعة ذكور وهم محمد المهدي الآتي ذكره وجعفر وبه كان يكنى وصالح وسليمان وعيسى ويعقوب والقاسم وعبد العزيز وعباس وبنت واحدة اسمها العالية وهو أول من مشى بين يديه بالسيوف المصلتة والقسى والنشاب وهو أول من لعب بالصولجان في الإسلام على ما سيأتى ذكره في الباب السابع الحوادث والماجريات في خلافته في أيامه فتحت الملتان والقندهار من أرض السند وهدم البد وبني موضعه مسجد وف سنة سبع وثلاثين قتل أبا مسلم الخرساني صاحب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

دعوتهم لأمر اتهمه فيها وكان أبو مسلم قد قتل في دولته ستمائة ألف صبيرا
وفي أيامه خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلاد الإسلام وأخذ ملطية عنوة
وهدم سورها فبعث المنصور عبد الوهاب ابن أخيه إبراهيم الإمام في سبعين
ألف مقاتل لعمارها فعمرها في ستة أشهر
وفي سنة تسع وثلاثين ومائة أمر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام من
جهة باب الندوة وبنى مسجد الخيف
وفي سنة إحدى وأربعين ومائة خرجت عليه الراوندية وهم قوم من أهل
خارسان يقولون بالتناسخ ويزعمون أن
روح آدم حلت في عثمان بن نهيك وأن أبا جعفر المنصور هو ربهم الذي
يطعمهم ويسقيهم فظفر بهم وقتلهم عن آخرهم

وفي سنة خمس وأربعين ومائة خرج عليه محمد بن عبد الله (49 ب) بن
الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب واستولى على المدينة وجرى بينه
وبين المنصور مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها فجهز إليه المنصور جيشا
فقتله هو وجماعته فخرج عليه أخوه إبراهيم عقب ذلك فجهز إليه من قتله في
سنته

وفي سنة خمس وأربعين ومائة بنى مدينة بغداد وانتقل إليها من مدينة
الهاشمية التي بناها أخوه أبو العباس السفاح وبنى الرصافة في الجانب الغربي
من بغداد لابنه المهدي

وفي سنة ثمان وأربعين ومائة توفى الإمام جعفر الصادق ابن زين العابدين
وفي سنة خمسين ومائة توفى الإمام أبو حنيفة رحمه الله وفيها توفى الإمام
الشافعي رضى الله عنه وفيها توفى مقاتل بن سليمان المفسر
وفي سنة ثلاث وخمسين ومائة توفى أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة
وفي سنة خمس وخمسين ومائة فتح يزيد بن حاتم بن المهلب إفريقية من بلاد
المغرب

وفي سنة ست وخمسين توفى حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة أيضا
وفي سنة خمس وخمسين توفى الأوزاعي إمام أهل الشام في الفقه وغيره
ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر في أيام السفاح صالح بن علي بن عبد الله
ابن عباس فولى عليها بعده عبد الملك مولى بنى أسد ثم وليها صالح بن علي
ثانيا ثم عبد الملك سنة تسع وثلاثين ومائة فمكث فيها ثلاث سنين ثم وليها عنه
النقيب التميمي سنة إحدى وأربعين ومائة فمكث فيها سنتين ثم وليها عنه
حميد الطائي سنة ثلاث وأربعين ومائة فمكث فيها سنة واحدة ثم وليها عنه يزيد
المهلبى سنة أربع وأربعين ومائة فمكث فيها تسع سنين ثم وليها اثنين
وخمسين ومائة فمكث فيها سنتين وستة أشهر ثم وليها عنه محمد بن عبد
الرحمن (50 أ) بن معاوية سنة أربع وخمسين ومائة فمكث فيها سنة واحدة
ثم وليها عنه موسى بن علي اللخمي في سنة خمس وخمسين ومائة فمكث
فيها وستة أشهر

وكان على الشام عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس

فصرفه وولى أبا مسلم الخارسانى الشام فس سنة سبع وثلاثين ومائة ثم قتله المنصور في السنة المذكورة
وكان على مكة والمدينة وسائر الحجاز السري بن عبد الله ابن الحارث بن العباس فعزله في سنة ست وأربعين ومائة وولى على مكة محمد بن إبراهيم الإمام ثم عزله وولى مكانه إبراهيم ابن أخيه ثم ولى مكانه جعفر بن سليمان وكان على المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي فعزله سنة أربعين ومائة وولى مكانه جعفر بن سليمان ثم عزله وولى بعده عمه عبد الصمد بن علي وكان على إفريقية وبلاد المغرب عبد الأعلى بن السمح فولى مكانه محمد بن الأشعث الخزاعي فقدمها سنة خمس وأربعين ومائة ودخل القيروان وبني عليها سورا ثم ثاروا عليه وأخرجوه منها وولوا عليهم عيسى بن موسى الخارسانى ثم ولى عليها أبو جعفر المنصور الأغلب بن سالم بن عقال التميمي فسار إليها ودخل القيروان فخرجوا عليه فقتلوه في سنة خمسين ومائة فولى عليها

عمر بن حفص بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة العتكي فقدمها سنة إحدى وخمسين ومائة فنارعه البربر وضعف أمره عنهم فولى عليها يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب فقدمها منتصف سنة خمس وخمسين ومائة فأقام فيها إلى أن مات في خلافة الرشيد في سنة سبعين ومائة
وكان على الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري المقدم ذكره فسار إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان واستولى عليها في سنة تسع وثلاثين ومائة وبقي بها حتى (50 ب) توفى سنة إحدى وسبعين ومائة وكان قاعدة ملكهم مدينة قرطبة
الثالث من خلفاء بنى العباس بالعراق المهدي وهو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور المقدم ذكره وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله الحميري وكان أسمر طويلا حسن الوجه بعينه اليمنى بياض جوادا حازما وصولا لرحمه يباشر الأمور بنفسه ولى الخلافة

بعهد من أبيه المنصور بعد استئزال ابن أخيه عيسى بن موسى عن عهد السفاح بها إليه بعد المنصور ولما خرج أبوه المنصور إلى الحج في السنة التي مات فيها خرج معه ابنه المهدي فقال له إن في نفسي تحدثني بالموت في هذه السنة وذلك هو الذى دعاني إلى الحج فاتق الله تعالى فيما عهدت به إليك من أمور المسلمين ثم بوع له بعد موت أبيه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ووصل الخبر إلى بغداد بموت أبيه والبيعة له في منتصف ذى الحجة وكان نقش خاتمة حسبي الله
قال ابن حزم وكان سنة حين ولى ما بين الثلاثين والأربعين ثم بقى حتى توفى بماسبذان لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وستين ومائة وعمره اثنتان وأربعون سنة ونصف وصلى عليه ابنه الرشيد ودفن بقرية يقال لها السرف ومدة خلافته عشر سنين وشهر وقيل وشهر ونصف وكان له من الأولاد هارون الرشيد وموسى وعلى وعبد الله ومنصور ويعقوب وإسحاق وإبراهيم ومن الإناث البانوقة وعليه وعباسة وسليمة
الحوادث والماجريات في خلافته

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

كان عادلا في خلافته حتى يقال إنه كان في بنى العباس كعمر بن عبد العزيز في بني أمية وكان إذا جلس للمظالم يقول أدخلوا على القضاة فلولم يكن ردي المظالم إلا للحياء منهم (51 أ)
ولما ولى الخلافة رد كثيرا مما أخذه أبوه من الأموال وأطلق من كان في السجون وزاد في المسجد الحرام وبنى العلمين اللذين يسعى بينهما ورد نسب زياد بن أبيه الذي كان قد استلحقه معاوية ابن أبي سفيان إلى عبيد الرومي وأخرجه من قريش
وحج بالناس في سنة تسع وخمسين ومائة وفرق في الناس أمولا عظيمة ووسع مسجد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}
وفي سنة إحدى وستين ومائة أمر باتخاذ المصانع بطريق مكة وتحديد الأميال وتقصير المناير وجعلها بمقدار منبر النبي {صلى الله عليه وسلم}
وفي سنة ثلاث وستين ومائة غزا هارون الرشيد بلاد الروم فتغلغل فيها وبلغ القسطنطينية وفتح فتوحا كثيرة

واستوزر في خلافته عدة وزراء منهم أبو أيوب المورياتي ثم خالد بن برمك مدة يسيرة
وفي خلافته توفي سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم الزاهد في سنة إحدى وستين ومائة وفي أيامه قتل المقنع الخراساني وهو رجل ساحر خيل للناس صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين وكان مشوه الصورة أعور قصيرا فاتخذ وجهها من ذهب وتقنع به فسمي المقنع وادعى مع ذلك الربوبية وأطاعه خلق كثير وكان له قلعة فحصره بها حتى قتلوه
وفي أيامه هرب إدريس بن عبدالله بن إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى الغرب الأقصى ودعا هناك لنفسه
ولايات الأمصار في خلافته
كان على مصر في أيامه أبيه المنصور موسى بن علي اللخمي فصرفه عنها وولاه عيسى الجمحي سنة إحدى وستين ومائة فمكث فيها سنة واحدة ثم وليها عنه واضح مولى المنصور وقيل منصور بن يزيد (51 ب) الرعيني في سنة اثنتين وستين مائة ثم وليها عنه زيد بن منصور الحميري في وسط السنة المذكورة ثم وليها عنه يحيى أبو صالح في ذي الحجة منها ثم وليها عنه سالم بن سوادة التميمي سنة أربع وستين ومائة ثم وليها عنه إبراهيم بن صالح بن علي العباسي في سنة خمس وستين ومائة ثم وليها عنه موسى بن مصعب في سنة
ست وستين ومائة ثم قتل فقام عنه خليفة أسامة بن عمرو العامري في سنة ثمان وستين ومائة
وولى على الشام عبد الصمد بن علي
وكان على مكة جعفر بن سليمان ولم أقف على من بعده
وكان على المدينة عبد الصمد بن علي فعزله في سنة تسع وخمسين ومائة وولى عليها محمد بن عبد الله الكبير ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان ثم عزله وولى مكانه زفر بن عاصم

وكان على اليمن يزيد بن منصور فعزله وولى مكانه رجاء بن روح ثم ولى بعده على بن سليمان ثم عزله سنة اثنتين وستين ومائة وولى مكانه عبد الله بن سليمان ثم عزله سنة ثلاث وستين ومائة وولى مكانه منصور بن يزيد ثانيا ثم عزله في سنة ست وستين ومائة وولى مكانه عبد الله بن سليمان الربيعي ثم ولى سليمان بن يزيد ثانيا فأقام بها إلى أيام الهادي

وكان على إفريقية والغرب يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبى فأقام بها إلى أيام الهادي

وكان المستولى على الأندلس عبد الرحمن الداخل الأموي فأقام بها إلى أيام الهادي وبعده

الرابع من خلفاء بنى العباس بالعراق الهادي

(152) وهو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور المقدم ذكره

وأمه الخيزران مولدة وهى بنت عطاء مولاة أبيه وهى أم الخلفاء كان طويلا جسيما أفوه بشفته العليا تقلص شجاعا بطلا أدبيا جوادا صعب المرام بويح له بالخلافة ببغداد

يوم موت أبيه لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وستين وقيل تسع وستين ومائة وهو يومئذ غائب بجرجان يحارب أهل طبرستان وقام ببيعته أخوه الرشيد وكتب إلى الآفاق بموت المهدي وأخذ البيعة للهادي ولما بلغ الخبر الهادي نادى بالرحيل وسار على اليريد مجدا حتى دخل بغداد في عشرين يوما

وقضية كلام ابن حزم أن سنه حين ولى كانت ما بين العشرين والثلاثين وكان نقش خاتمه الله ربي وبقى في الخلافة حتى توفى ببغداد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وعمره أربع وعشرون سنة وقيل خمس وعشرون وقيل ست وعشرون ويقال إن أمه الخيزران قتلتها بأن أمرت الجوارى فغمين وجهه وهو مريض فمات وصلى عليه أخوه هارون الرشيد ومدة خلافته سنة واحدة وشهر واحد وأربعة عشر يوما وكان له من الأولاد ستة ذكور وهم عيسى وإسحاق وجعفر وإسحاق الثاني وموسى وكان موسى أعمى

وكان له عدة بنات منهن أم عيسى التى تزوجها المأمون الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه خرج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة ودعا لنفسه وجرى بينه وبين عامل الهادي حرب قتل فيها الحسين وانهزمت جماعته وهرب إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى بلاد المغرب الأقصى وبقى إلى خلافة الرشيد ومن عقبه الأدارسة القائمون ببلاد المغرب على ما يأتي ذكره

وفي أيامه توفى نافع أحد القراء السبعة إمام أهل المدينة في القراءة ولم يحج في شيء من خلافته

وليات الأمصار في خلافته
كان على مصر أسامة بن عمرو العامري فولى
مكانه الفضل بن صالح العباسي في سنة تسع وستين ومائة ثم وليها عنه علي
بن سليمان العباسي في آخر السنة المذكورة
وكان على مكة والمدينة واليمن جعفر بن سليمان
وكان على إفريقية وبلاد المغرب يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبى فأقره عليها
وبقى إلى أيام الرشيد كما تقدم
وكان المستولى على الأندلس عبد الرحمن الداخل الأموي فاقام بها إلى آخر
أيام الهادي
الخامس من الخلفاء بني العباس بالعراق
الرشيد
وهو أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور
وأمه الخيزران ام أخيه الهادي المتقدمة الذكر
كان أبيض اللون جميل الوجه طويلا سمينا قد وخطه الشيب سما شجاعا كثير
الحج والغزو والصدقة
والصلاة حتى يقال إنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة وكان محبا للعلماء
مقربا لهم بويع له بالخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه الهادي في منتصف
ربيع الأول سنة سبعين ومائة

ومقتضى كلام ابن حزم أنه ولى وعمره ما بين العشرين إلى الثلاثين وكان
نقش خاتمه العظمة والقدرة لله وقيل كن مع الله على حذر وبقي في الخلافة
(53 أ) حتى توفي ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث
وسبعين ومائة وعمره خمس وأربعون سنة وخمسة أشهر وقيل أربع وأربعون
وأربعة أشهر وقيل ثمان وأربعون وكانت وفاته بطوس من بلاد المشرق وصى
عليه ابنه صالح ودفن بطوس ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وتسعة
عشر يوما ولما حضرته الوفاة غشى عليه ثم أفاق فرأى الفضل بن الربيع
فقال يا فضل
أحين دنا ما كنت أخشى دنوه
رمتني عيون الناس من كل جانب
وأصبحت مرحوما وكنت محمدا
فصبرا على مكروه مر العواقب
سأبكي على الوصل الذي بيننا
وأندب أيام السرور الذواهب
ثم مات بعد ذلك
الحوادث والماجريات في خلافته
كانت خلافته في غاية العظمة والفخامة حتى يحكى أنه كان يستلقي على قفاه
وينظر الى السحابة الحاملة للمطر ويقول إذهبي إلى حيث شئت يأتيني
خراجك
واستوزر يحيى بن خالد بن برمك وابنيه جعفرا والفضل فكان لدولته بكرمهم
وحسن تدبيرهم أكمل المفاجر
وفي أيامه ظهر يحيى بن عبدالله بن حسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بالدليم ودعا إلى نفسه فبعث إليه
الرشيد الفضل بن يحيى في جيش عظيم في سنة ست وستين ومائة فطلب
الأمان فكتب له به وكتب الرشيد خطه عليه فحضر إلى بغداد فأكرمه الرشيد
وأعطاه مالا جزيلا ثم قبض عليه بعد ذلك وسجنه حتى مات في السجن
وفي سنة إحدى وثمانين (53 ب) ومائة غزا أرض الروم وفتح حصن
الصفصاف وكان من أعظم حصونهم

وفي سنة تسعين ومائة كان على الروم ملكة فخلعوها وملكوا عليهم ملكا
اسمه نقفور فكتب إلى الرشيد كتابا فيه من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك
العرب أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها
مقام البيدق فحملت إليك من مالها ما كنت حقيقا أن تحمل أضعافه إليها ولكن
ذلك من ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي هذا اردد إلى ما وصل إليك
منها وإلا السيف بيننا وبينك
فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب وكتب في جوابه
من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم
أما بعد فقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما ترى لا ما تسمع) وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار (وفي سنة تسعين ومائة سار بنفسه في مائة ألف
وخمسة وثلاثين ألفا من المرتزقة سوى من لم يرد الديوان من الأتباع
والمتطوعة حتى نزل هرقله من بلاد الروم وحصرها ثلاثين يوما ثم فتحها وبث
ملك الروم بالجزية عن رعيته إليه
ونقض أهل قبرص العهد فأغزاهم من سواحل مصر والشام فسبى وغنم وغزا
في خلافته ثمانى غزوات وحج ثمان حجات
وعهد بالخلافة إلى ابنه الأمين وجعل لابنه المأمون خراسان وجعله ولى عهده
بعد الأمين وكتب بينهما بذلك شرطا وحلفهما عليه وحج بهما في سنة ست
وثمانين ومائة وعلق الكتاب في الكعبة
ثم في سنة تسعين ومائة عزل الرشيد الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين
وجعلها حيزا واحدا وسماها العواصم وأمر ببنائة طرسوس فبنيت
وفي أيامه توفى الإمام مالك بن أنس بمدينة النبي صلى الله عليه (54 أ)
وسلم في سنة ثمان وسبعين ومائة
وتوفيت أمه الخيزران سنة ثلاث وسبعين ومائة فمشى في جنازتها
وأخباره كلها مشكورة
ولايات الأمصار في خلافته
كان على مصر علي بن سليمان العباسي فولياها عنه بعده موسى بن عيسى
العباسي في سنة اثنتين وسبعين

ومائة ثم وليها عنه محمد بن زهير الأزدي سنة ثلاث وسبعين ومائة ثم وليها عنه
داود بن يزيد المهلبى سنة أربع وسبعين ومائة ثم وليها عنه موسى بن عيسى
العباسي سنة خمس وسبعين ومائة فمات بها ثم وليها عنه عبد الله الضبى في
أول سنة سبع وسبعين ومائة ثم وليها عنه هرثمة بن أعين سنة ثمان وسبعين

ومائة ثم وليها عنه عبيد الله بن المهدي العباسي في سنة تسع وسبعين ومائة
ثم وليها عنه موسى بن عبيد الله ابن المهدي ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة ثم
وليها عنه إسماعيل بن صالح في آخر السنة المذكورة ثم وليها عنه سمية بن
عيسى بن إسماعيل سنة اثنتين وثمانين ومائة ثم وليها عنه الليث البيوردي في
آخر السنة المذكورة ثم وليها عنه أحمد بن إسماعيل في آخر سنة تسع
وثمانين ومائة ثم وليها عنه عبد الله بن محمد
العباسي المعروف بابن زينب في سنة تسعين ومائة ثم وليها عنه مالك بن
دلهم الكلبي سنة اثنتين وتسعين ومائة ثم وليها عنه الحسين بن الحجاج سنة
ثلاث وتسعين ومائة فأقام بها إلى أيام ابنه الأمين
وذكر في عيون المعارف ما يخالف ذلك
وكان علي (54 ب) الشام عبد الصمد بن علي فعزله وولى مكانه إبراهيم بن
صالح بن علي ثم توالى عليها عماله ولم أقف على أسمائهم
وكان على مكة جعفر بن سليمان فولى عليها وعلى اليمن حماد اليزيدي سنة
أربع وثمانين ومائة فبقى إلى
أيام

الأمين ولم أقف على عامله بالمدينة وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة ولى
الرشيد على السند داود بن يزيد المهلبى وعلى الجبل يحيى الجرشي وعلى
طبرستان مهدوية الرازي وكان على الموصل وأعمالها يزيد بن مزيد البشيباني
وهو ابن أخي معن بن زائدة
وكان على إفريقية وبلاد المغرب يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبى فتوفى وقام
بأمره بعده ابنه داود ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد ولى على إفريقية روح بن حاتم
أخا يزيد المذكور فقدمها منتصف سنة إحدى وسبعين ومائة

ومات في رمضان سنة أربع وسبعين ومائة وكان الرشيد قد بعث بعهدده سرا
الى قرابتهم نصر بن بيب المهلبى فقام بأمرها بعد روح وسار ابنه الفضل الى
الرشيد فولاه مكان أبيه وعاد الى إفريقية ونزل القيروان في المحرم سنة سبع
وسبعين ومائة ثم قتله ابن الجارود في منتصف سنة ثمان وسبعين ومائة فولى
الرشيد مكانه هرثمة بن عيين فساد إليها ودخل القيروان سنة تسع وسبعين
ومائة ثم استعفى فأعفاه الرشيد لسنتين ونصف من ولايته وولى مكانه محمد
بن مقاتل العكي فقدم القيروان في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة وكان
سبيء السيرة فولى الرشيد مكانه إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي
المقدم ذكره فقدم إفريقية في منتصف سنة أربع وثمانين ومائة وابتنى مدينة
العباسية بالقرب من القيروان وانتقل إليها وبقي الى خلافة الأمين 55 ألاتي
ذكره

وكان ادريس الأكبر بن حسن المثلث بن حسن المثني ابن الحسن السبط بن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المغرب الأقصى وفتح أكثر البلاد
وبايعوه بها في خلافة الهادي على ما تقدم ذكره في الحوادث والمآثر

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

في خلافته وكانت تلمسان بيد محمد بن خزر بن صولات امير زناتة فدخل في طاعى ادريس الاكبر هذا وحمل اهل تلمسان على طاعته وامكنه من تلمسان فملكها في سنة اربع وسبعين ومائة واختط مسجدها الجامع ثم رجع الى المغرب ثم ولى عليها اخاه سليمان بن عبد الله فبقى بها الى ان مات ادريس الاكبر وقام ابنه ادريس الاصغر بملكه بعده فقدم تلمسان سنة تسع وتسعين ومائة فجدد جامعها واصلاح منبرها واقام بها ثلاث سنين وولاه لابن عمه محمد بن سليمان فبقى الى ما بعد خلافة الرشيد ولم يزل حتى مات بمدينة ولى سنة خمس وسبعين ومائة وترك حليلة له حاملا فوضعت ذكرا اسمه ادريس على اسم ابيه وكفلوه حتى شب بايعوه بمدينة ولى سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشرة سنة وافتتح جميع بلاد المغرب وضاق به ولى فابتنى مدينة فاس سنة اثنتين وتسعين ومائة وانتقل اليها رقطع عوة بني العباس هناك وبقى الى خلافة الامين

وكان المستولى على الاندلس عبد الرحمن الداخل الاموي المقدم ذكره فتوفى في شهر ربيع الاخر سنة احدى وسبعين ومائة واستولى بعده على الاندلس ابنه هشام بن عبد الرحمن الى سنة ثمان وسبعين ومائة وتوفى فاستولى بعده ابنه الحكم وبقي الى ايام الامين وفي ايامه ارتجع الفرنج مدينة برشلونة من الاندلس

السادس من خلفاء بني العباس بالعراق الامين
55 ب وهو ابو عبد الله وقيل ابو موسى وقيل ابو العباس محمد بن هارون الرشيد وقد تقدم نسبه

وامه امة الواحد وقيل امة العزيز ولقبها زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور المتقدم ذكره ولم يل الخلافة بعد على عليه السلام والى يومئذ من امه هاشمية غيره

وكان ابيض اللون سمينا طويلا جميل الوجه سبطا
انزع شديدا في بدنه سمحا بالمال قبيح السيرة ضعيف الرأي سفاكا للدماء منهمكا في اللذات واللهو

ولى الخلافة بعهد من ابيه رتبته فيه قبل اخيه المأمون وبوع له بالخلافة في عسكر ابيه لسبع خلون من جمادي الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وقيل صبيحة موت ابيه وكان غائبا ثم جددت له البيعة ببغداد بعد قدومه وكا ابوه الرشيد لما علق الكتاب الذي كتبه بينه وبين اخيه المأمون بالكعبة سقط من يد ابراهيم الحجبي فتفاهل ابراهيم بذلك بسرعة انتقاضه فكان كذلك وكان نفش خاتمه محمد واثق بالله وبقي حتى قتل على ما يأتي ذكره في الحوادث لخمس وقيل لست بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وعمره تسع وعشرون سنة وقيل كان عمره ثمانيا وعشرين فقط فكانت خلافته اربع سنين وثمانية ايام وكسرا وقيل وستة اشهر وثمانية عشر يوما وكان له من الاولاد موسى وعبد الله و ابراهيم لم يل احد منهم الخلافة

الحوادث والماجريات في خلافته
لما ولى الخلافة انهمك في اللهو واشتدت عنايته به حتى طلب الملاهي من جميع البلاد وضمهم اليه واجري عليهم الارزاق واحتجب عن اهل بيته

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وقسم الاموال والجواهر في حوصه وفي الخصيان ولنساء وعمل خمس حراقات في دجلة واحدة على صورة 56 أ الاسد وواحدة على صورة الفيل واخرى على صورة العقاب واخرى على صورة الحية واخرى على صورة الفرس وانفق في عملها اموالا جمة فتغيرت الدولة منه ونقموا ذلك عليه واستوزر الفضل بن الربيع وزير ابيه الرشيد واستقضى حماد بن ابي حنيفة واقام في دعة والمأمون بخراسان سنتين واشهرا ثم اغرى الفضل بن الربيع

بينهما فنصب الامين ابنه موسى لولاية العهد بعده واخذ له البيعة ولقبه الناطق بالحق وابطل اسم المأمون من الخطبة وجمع العهود التي كان الرشيد كتبها بينه وبين اخيه المأمون فحرقها وذلك في سنة اربع وتسعين ومائة وجعل ولده في حجر ابن ماهان ووجه على بن عيسى الى خراسان لقتال المأمون ووجه المأمون طاهر بن الحسين من مرو وعلى مقدمته هرثمة لملاقاة علي بن عيسى فبقي الحرب بين الامين والمأمون سنتين واشهرا ونزل طاهر بالانبار وهرثمة بالنهروان وسار طاهر الى بغداد ولجا الامين الى مدينة ابي جعفر المنصور ببغداد فحصره طاهر بن الحسين فيها فخرج الامين بعد العشاء الاخرة وعليه ثياب بيض وطيلسان اسود وجاء راكبا الى شط الدجلة فوجد حراقة فركبها فطلبه حجاب طاهر فسقط في الماء فأخذ وحمل الى طاهر فقتله ولايات الامصار في خلافته

كان على مصر الحسين بن الحجاج فولى عليها حاتم بن هرثمة بن اعين سنة خمس وتسعين ومائة ثم وليها عنه عبد ابو نصر مولى كندة سنة ست وتسعين ومائة

وذكر القضاعي انه وليها بعده جابر بن الاشعث والمعروف ما تقدم وكان على الشام ابراهيم بن صالح بن علي ولم اقف على من بعده في ايامه وكان على حمص اسحاق بن سليمان فعزله 56 ب الامين واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي

وكان على مكة واليمن حماد اليزيدي فولى على مكة داود بن عيسى ولم اقف على من ولي باليمن ثم ولي على مكة محمد بن عيسى بعده ولم اقف على عامله بالمدينة الا ان محمد بن عيسى المذكور كان بها في زمن الوثائق فلم ادر هل كان فيما قبل ذلك ام لا

وكان على افريقية ابراهيم بن الاغلب التميمي فمات في شوال سنة ست وتسعين ومائة بعد ان عهد بالامارة لابنه عبد الله وكان غائبا فقدم القيروان في صفر سنة سبع وتسعين ومائة فبقي بها الى ايام المأمون وكانت تلمسان بيد محمد بن سليمان من قبل ابن عمه

ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر فلما مات ادريس الاصغر استقرت تلمسان بيد عيسى بن ادريس بن محمد ابن سليمان ثم صارت بعد ذلك الى الحسن بن ابي العيس ابن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان وبقيت بأيديهم الى ان انقرضت دولة لادارسة من الغرب وكان المتسولى على الغرب الاقصى ادريس بن ادريس العلوي فأقام مستوليا

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عليه الى أيام المأمون
وكان المتسولي على الاندلس الحكم بن هشام فتوفي لاربع بقين من ذي
الحجة سنة ست ومائتين واستولى بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم فبقي الى
أيام المأمون ايضا
السابع من خلفاء بني العباس بالعراق
المأمون
وهو ابو العباس وقيل ابو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد المقدم ذكره
وامه ام ولد اسمها مراحل كان ابيض وقيل اسمر اجنا اعين اقنى طويل اللحية
دقيقها قد وخطه الشيب ضيق الجبين بخده خال اسود كامل الفضل مشاركا
في علوم كثيرة جوادا عظيم العفو حسن التدبير وكان قد احكم علم النجوم
واليه ينسب الزيج 157 أ المأموني وهو الذي نقل كتب الحكمة من اليونانية
الى العربية اعتناء بها وكان يحب العلويين ويقوم بنصرتهم
ولى الخلافة بعده من ابيه المرتب على عهد اخيه الامين كما تقدم وبويع له بها
وهو غائب بخراسان حيث ولايته يوم الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان
وتسعين ومائة وعهد بالخلافة حينئذ الى على الرضي بن موسى بن جعفر
العلوي في سنة احدى ومائتين وكتب له بذلك عهدا على ما سيأتي ذكره في
الكلام على العهود ان شاء الله تعالى

وكان نقش خاتمه سل الله يعطيك وبقي حتى توفي بأرض الروم غازيا لثمان
خلون من رجب سنة ثمانين عشرة ومائتين وسنة ثمان واربعون سنة ودفن
بطرسوس من مضافات حلب الان وكان سبب موته فيما حكاه سعيد بن
العلاف قال دعاني المأمون وهو جالس هو واخوه المعتصم على شط نهر
البيدون من بلاد الروم وقد وضعا ارجلهما في الماء فقال لي اي شيء يؤكل
ليشرب عليه الماء الذي هو في غاية الصفاء والعذوبة فقلت امير المؤمنين
اعرف فقال الرطب فينما هم كذلك اذ وصلت بغال البريد وعليها الطاف من
رطب فشكر الله تعالى على ذلك فتعجبنا جميعا واكل واكلنا من ذلك الرطب
وشربنا عليها من ذلك الماء فما قام من مكانه حتى حم ولما مرض اوصى
بالخلافة لاخته المعتصم ثم توفي بالبيدون المذكورة لثمان خلون من رجب
سنة ثمان عشرة ومائتين وسنة ثمان واربعون سنة وقيل تسع ودفن
بطرسوس فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة اشهر
وكان له من الاولاد محمد الاكبر وعبيد الله ومحمد الثاني والعباس وعلي
والحسن واسماعيل والفضل وموسى وابراهيم
ويعقوب والحسين وسليمان وجعفر واسحاق واحمد وهارون وعيسى وعشر
بنات

57 ب الحوادث والماجريات في خلافته
لما بويع استوزر ذا الرياسيتين الفضل بن سهل واقام بخراسان احد عشر
شهرا واياما وفي خلال ذلك بويع ببغداد ابراهيم بن المهدي فسار اليه وصحبته
على الرضي العلوي ولى عهده ووزيره الفضل بن سهل وكان كلما مر ببلد
اصلحه فلما وصل الى سرخس دخل الفضل ابن سهل الحمام فولج عليه
جماعة فقتلوه فقبض عليهم وحملوا الى المأمون فقال لهم من امركم بقتله
فقالوا انت فأمر بهم فضربت اعناقهم وأظهر الحزن عليه فلما وصل الى

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

مكتبة

طوس مات علي الرضى بها في سنة ثلاث ومائتين يقال انه سم في رمان اكله فحزن عليه المأمون حزنا شديدا ودخل الى بغداد في سنة اربع ومائتين وكان لباس المأمون لما دخل بغداد الخضرة شعار العلويين فكان الناس يدخلون

عليه في الثياب الخضرة ويحرقون كل ملبوس يروونه من السواد ودام ذلك ثمانية ايام فشق ذلك على العباسية فعاد الى السواد الذي هو شعار العباسيين وهرب ابراهيم بن المهدي واستتر ثم عثر عليه المأمون في سنة عشر ومائتين فعفا عنه واحسن اليه ثم تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل سنة عشر ومائتين فنشرت عليها جدتها ام الحسن بن سهل الف حبة لؤلؤ من انفس ما يكون واوقدت شمعة عنبر بها اربعون منا وكتب ابوها اسماء ضياع في رفاع ونثرها على القواد والامراء فمن وقعت عليها رقعة اخذ الضيعة التي هي فيها على ما سيأتي ذكره في الباب السابع ان شاء الله تعالى

وفي سنة احدى ومائتين امر ان يحصى عدد الموجودين من اولاد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين الفا ما بين ذكر وانثى وقيل غير ذلك وفي سنة عشر ومائتين احترقت مدينة الفسطاط وهو الحريق الاول 58 أ وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين اظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن ابي طالب على سائر الصحابي وانه افضل الناس بعد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ودعا الناس الى القول بذلك وكانت محنة عظيمة على العلماء

وفي سنة ست عشرة ومائتين توجه الى مصر فدخلها وفتح الهرم الاكبر من الاهرام التي على القرب من مدينة الجيزة بعد مشقة عظيمة ونفقة جزيلة ويقال انه وجد في داخل اعلاه مطهرة فيها ذهب وكان المأمون ذا عقل راجح فأمر بوزنها وحضر مقدار ما صرف على فتح الهرم فاذا هو مقدار الذهب الذي وجد في المطهرة فتعجب وكف عن التعرض لما وراء ذلك وكانت مقاصد المأمون كلها جميلة خلا ما نحا اليه من القول بخلق القرآن والتشيع وبث علوم الفلاسفة بين المسلمين ومن قضاة زمانه يحي بن أكثم ولايات الامصار في خلافته

كان على مصر ابو نصر عباد فولى عليها المطلب بن عبد الله الخزاعي سنة ثمان وتسعين ومائة ثم وليها العباس بن موسى سنة ثمان وتسعين ومائة ثم وليها المطلب بن عبد الله ثانيا في سنة تسع وتسعين ومائة ثم وليها عنه السري بن الحكم البلخي باجتماع من الجند عليه في سنة مائتين ثم وليها عنه سليمان بن ابي طالب في سنة احدى ومائتين ثم وليها السري بن الحكم ثانيا بعهد من المأمون ثم وليها عنه ابو نصر محمد بن السري بعد موته في سنة خمس ومائتين ثم وليها عنه اخوه عبيد الله بن لسري بمبايعة الجند في سنة ست ومائتين ثم وليها عنه عبد الله بن طاهر ابن الحسين في سنة عشر ومائتين وهو اول من جلب البطيخ العبدلي الى مصر من خراسان فنسب اليه ثم عاد عبد الله بن طاهر الى العراق واستخلف على مصر عيسى بن يزيد الجلودي في سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم وليها عنه ابو اسحاق

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المعتصم فأمر عليها عيسى الجلودى 58 ب ثم صرفه وولى عليها عمر بن الوليد التميمي في سنة اربع عشرة ومائتين ثم وليها عيسى الجلودى ثانيا في آخر السنة المذكورة ثم وليها عبدوية بن جبلة في سنة خمس عشرة ومائتين ثم وليها منصور مولى بن نصر وقيل عيسى بن منصور في سنة ست عشرة ومائتين
وولى المأمون اخاه المعتصم الشام وولى ابنه العباس الجزيرة والثغور وولى المأمون لابتهاء خلافته الفضل بن سهل على المشرق من جبال همذان الى بلاد التبت من بلاد الترك طولا ومن بحر فارس الى الديلم وجرجان عرضا ولقبه ذا الرياستين يعنى السيف والقلم
و 4 ولى اخاه الحسن بن سهل الحجاز وديوان الخراج والعراق والجبل وفارس والاهواز
واستولى طاهر بن حسين على واسط والمدائن وابو السرايا على البصرة وكان على مكة محمد بن عيسى فصرفه وعقد على جميع الحجاز للحسن بن سهل مع غيره من الاقالم

وكان على اليمن اسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس فقصده ابراهيم بن موسى ابن جعفر العلوي فهرب منه اسحاق واستولى على اليمن ابراهيم واضطرب امر اليمن حينئذ فولى المأمون عليه محمد بن ابراهيم بن عبيد الله بن زياد بن ابيه وهو اول دولة بني زياد باليمن وبنى محمد بن ابراهيم مدينة زييد احدى مدن اليمن العظام في سنة اربع ومائتين وولى مولاه جعفرا الجبال فعرفت بمخلاف جعفر الى الان وولى اليمن بعده ابنه ابراهيم بن محمد فبقي الى ايام المعتصم
وكانت خراسان بيد المأمون من عهد ابيه فولى عليها غسان بن عباد في سنة اثنتين ومائتين حين قدم العراق عند اخذ البيعة لابراهيم بن المهدي ثم استعمل المأمون طاهر بن الحسن بن مصعب في سنة خمس ومائتين على المشرق 59 ا من خراسان وما وراء النهر وغير ذلك فبقي الى ان توفي في جمادى الاولى سنة سبع ومائتين ثم ولى المأمون عبد الله ابن طاهر خراسان وما وراء النهر في سنة اربع عشرة ومائتين فبقي الى ايام الواثق كما سيأتي
وكان على افريقية عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب فتوفي في ذي الحجة سنة احدى ومائتين ووليها بعده اخوه زيادة الله بن ابراهيم وجاء التقليد من قبل المأمون
وكان المستولي على الغرب الاقصى ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر العلوي فمات سنة ثلاث عشية ومائتين وقام بالامر بعده ابنه محمد بن ادريس فبقي الى ما بعد خلافة المأمون
وكان المستولي على الاندلس عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموي فبقي الى ما بعد خلافة المأمون
الثامن من خلفاء بني العباس بالعراق المعتصم بالله
وهو ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد وقد تقدم نسبه وهو اول من اضيف في لقبه اسم الله تعالى من الخلفاء وامه ام ولد اسمها ماردة

وكان ابيض اللون مشربا بحمرة اصهب اللحية حسن الجسم مربوعا طويل اللحية شجاعا شديد البدن يحمل الف رطل بغدادى ويمشي بها خطوات فيما قيل وكان كريم الاخلاق انفرد عن اصحابه في يوم مطير فرأى شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد توحل الحمار في الطين ووقع الحمل عنه وهو ينتظر من يمر به ليعينه على رفعه على الحمار فنزل المعتصم عن فرسه وخلص الحمار من الطين ورفع الحمل عليه ثم لحقه اصحابه فأمر لصاحب الحمار بأربعة الاف درهم وقال ابن ابي دواد تصدق المعتصم ووهب على يدي مائة الف وكان مع ذلك اميا لا يحسن الكتابة ضعيف البصر بالعربية ويقال ان 59 ب سبب ذلك انه رأى جنازة بعض الخدم يوما فقال ليتني مثل هذا حتى اتخلص من الكتاب فقال له ابوه الرشيد والله لا عذبتك بشيء تختار عليه الموت ومنعه عن الكتب من يومئذ

وقد حكى الزجاجي وغيره انه ورد عليه كتاب من بلاد الجبل فيه مطرنا مطرا كثر عنه الكلا وكان يتقلد العرض وقراءة الكتب عليه كاتبه محمد بن عمار فقال له ما الكلا فقال

لا ادري فقال انا لله خليفة امي وكاتب عامي ثم قال من يقرب منا من كتاب الدار فعرف بمكان محمد بن عبد الملك الزيات وكان يقف على قهرمة الدار فأمر باشخاصه فأتى به فقال له ما الكلا فقال النبات كله رطبه ويابسها فاذا كان رطبا قيل له خلى فاذا كان يابسا قيل له حشيش ثم اخذ في ذكر النبات من ابتدائه الى اكلته الى هيجه فأعجب به المعتصم وقال ليتقلد هذا العرض علينا ثم خص به حتى استوزره

بوع له بها يوم مات اخوه المأمون بطرسوس لثمان خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بعد ان حاول بعض اهل الدولة مبايعة ابن اخيه العباس بن المأمون فلم يتم لهم ذلك وكان نقش خاتمه الله ثقة ابي اسحاق بن الرشيد وبه يؤمن

وبقي حتى توفي بمدينة سامرا يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهور ربيع الاول وقيل في منتصفه سنة سبع وعشرين ومائتين وسنة ثمان واربعون سنة ومدة

خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر ويومان وكان له من الاولاد ثمانية ذكور منهم هارون الواثق وجعفر المتوكل واحمد المستعين كل من الثلاثة ولي الخلافة

وكان له ايضا ثمان بنات

الحوادث والماجريات في خلافته

لما بوع بالخلافة وصار الى بغداد على مال تقدم بني مدينة سماها 60 أ سر من رأى ثم تساهل الناس فيها فقالوا سامرا ونزلها واستخلف ببغداد ابنه الواثق واستوزر الفضل بن مروان فغلب على امره حتى لم يبق للمعتصم معه بد ثم قبض عليه واستوزر احمد بن عمار ثم محمد بن عبد الملك الزيات وكان على رأى اخيه المأمون في القول بخلق القرآن فأحضر الامام احمد بن حنبل في سنة سبع عشرة ومائتين وامتحنه بالول بخلق القرآن فامتنع فضربه حتى تقطع جلده وقيده وحبس

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين فتح عمورية من بلاد الروم وكان السبب في ذلك أنه بلغه أن امرأة هاشمية مأسورة في يد ملك الروم صاحب عمورية صاحت وامعتصماه فقال لها ملك الروم لا يأتي المعتصم لخلصك إلا على أبلق فأعظمه ذلك ونهض لوقته ونادى في عسكره بركوب الخيل البلق وركب أبلق وخرج وفي مقدمة عسكره أربعة آلاف أبلق وقد تجهز جهازا لم يتجهزه أحد مثله من السلاح وغيره وسار حتى وصل عمورية وأقام عليها المنجنيقات حتى هدم فرجا من أسوارها وولج المسلمون البلد عنوة فقتلوا وسبوا ونهبوا أقام عليها خمسة وخمسين يوما حتى خلص تلك المرأة ثم سار حتى دخل سامرا

وفي سنة عشرين ومائتين خرج من بغداد لبناء سامرا واستخلف علي بغداد ابنه الواثق وقبض وزيره الفضل ابن مروان وكان قد استولى على الأمور حتى لم يبق للمعتصم معه أمر وولى مكانه محمد بن عبد الملك الزيات وكانت طائفة من أهل دولته قد حاولت مبايعة العباس بن المأمون فطر به في طريقه عليه ومنعه شرب الماء حتى مات وفي أيامه توفي إبراهيم بن المهدي الذي كان قد بويع بالخلافة في زمن المأمون ولايات الأمصار في خلافته

(60 ب) كان على مصر نصر بن عبد الله الصغدي المعروف بكندر ثم وليها عنه المسعودي في أول سنة تسع عشرة ومائتين ثم وليها عنه المظفر بن كندر في وسط السنة المذكورة أشهرها قلائل ثم وليها عنه أبو العباس موسى بن ثابت في آخر السنة ثم وليها عنها ابن كندر ثانيا في سنة أربع وعشرين ومائتين ثم وليها عنه علي بن يحيى الأرمني في سنة ست وعشرين ومائتين فبقى بها إلى أيام الواثق وكان هو على الشام في أيام أخيه المأمون ولم أقف على من ولاها هو في خلافته

وكان الحجاز مكة والمدينة وغيرهما في خلافة المأمون في ولاية الحسن بن سهل ولم ولم أقف على من وليه بعده في خلافة المعتصم وكان على اليمن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله ابن زياد بن أبيه فأقره وتوفى فولى ابنه محمد وبقى إلى أيام المتوكل وبعده وكانت خارسان وما وراء النهر بيد عبد الله بن طاهر فبقى إلى ما بعد خلافة المعتصم

وكان على إفريقية زيادة الله بن إبراهيم وتوفى في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتولى مكانه أخوه أبو عقاب الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب وتوفى في ربيع سنة ست وعشرين ومائتين وتولى بعده ابنه أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم فدانت له إفريقية وبنى مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية سنة

تسع وثلاثين ومائتين وبقى إلى أيام الواثق وكان تلمسان بيد الحسن بن أبي العيس بن عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان فلما ظهرت دعوة عبيد الله المهدي الفاطمي بالمغرب نهض قائده موسى بن أبي العاقبة إلى تلمسان وملكها من الحسن بن أبي العيس في سنة

تسع عشرة ومائتين وبقيت بيد عمال المهدي إلى سنة أربعين وثلاثمائة (61 أ) وكان المستولى على المغرب الأقصى محمد بن إدريس بن إدريس العلوي فتوفى سنة إحدى وعشرين ومائتين بعد أن استخلف في مرضه ولده عليا ابن محمد وهو ابن تسع سنين فأقام إلى أيام الواثق

وكان المستولى على الأندلس عبد الرحمن بن الحكم الأموي فبقى إلى أيام الواثق التاسع من خلفاء بني العباس بالعراق الواثق بالله وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن الرشيد وقد تقدم نسبه وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس كان أبيض مشربا بحمرة حسن الجسم في عينه اليسرى نكته بياض وكان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين حتى لم يبق بهما في أيامه سائل ولما بلغهم موته كان نساء المدينة يخرجن كل ليلة إلى البقيع ويبكينه بوع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه المعتصم لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول في منتصفه سنة سبع وعشرين ومائتين وكان نقش خاتمه الله ثقة الواثق وبقى حتى توفى بالاستسقاء بسامرا يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة وأشهر وقيل سبع وثلاثون ودفن بسامرا وصلى عليه أخوه المتوكل ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام ومن عجيب أمره أنه لما اشتد به المرض أحضر المنجمين فنظروا في مولده فقدروا له أن يعيش خمسين سنة مستأنفة بعد ذلك فلم يعيش بعد قولهم غير عشرة أيام فسبحان المستأثر بعلم الغيب وكان له من الأولاد محمد المهدي بالله ولي الخلافة وعبد الله وأحمد وإبراهيم ومحمد وعائشة

الحوادث والماجريات في خلافته (61 ب) لما بوع بالخلافة وزر له محمد بن عبد الملك الزيات وزير أبيه وجرى على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون في القول بخلق القرآن وامتحان الناس في الدين وكان يعاقب من امتنع من القول بخلق القرآن أو برؤية الله تعالى في الدار الآخرة وكان يبالي في إكرام العلويين على قاعدة المأمون وفي أوائل خلافته ثارت القيسية بدمشق وحصروا أميرهم فجهز إليهم الواثق جيشا حتى رجعوا وأذعنوا للطاعة وفي خلافته في سنة ثمان وعشرين ومائتين فتح المسلمون عدة أماكن من جزيرة صقلية وفي سنة ثلاثين ومائتين توفى عبد الله بن طاهر بخرسان وهو يومئذ أميرها

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين توفى أبو يعقوب البويطي أحد أصحاب الإمام الشافعي رضي الله عنه وكان ممن امتحن بالقول بخلق القرآن فلم يجب وتوفى أيضا ابن الأعرابي اللغوي

ولايات الأمصار في خلافته
كان على مصر في خلافته علي بن يحيى الأرمني فوليها عن الواثق عيسى بن منصور الجلودي ثالث مرة في سنة تسع وعشرين ومائتين قال القضاة ثم وليها أشناس ثم ردت إلى إيتاخ يعني حاجب الواثق فأقر بها عيسى بن منصور المقدم ذكره فبقى إلى أيام المتوكل الآتي ذكره ولم أدر من عمل له على الشام

وكان على مكة والمدينة في أيامه محمد بن عيسى
وكان على اليمن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن عبيدالله بن زياد بن أبيه فبقى إلى أيام المتوكل
وكان على إفريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم فبقى إلى أيام المتوكل وكانت تلمسان من الغرب الأسط بيد العبيديين الفاطميين
وكان المستولى على الغرب الأقصى عليشا بن محمد الإدريسي فبقى إلى أيام المتوكل وكان المستولى على الأندلس عبد الرحمن بن الحكم فبقى إلى أيام المتوكل أيضا

(62 أ) العاشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المتوكل على الله

وهو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد وقد تقدم نسبه
وامه أم ولد تركية اسمها شجاع كان أسمر اللون مربوعا خفيف العارضين بوع له بالخلافة لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد أن هم كبراء الدولة بعد موت الواثق بالبيعة لمحمد بن الواثق والبسوه قنيسوة ودراعة سوداء وهو غلام أمرد قصير

فنازعهم في ذلك بقية أهل الدولة ولم يروا مصلحة في ولايته فأضربوا عنه ثم تنازعوا فيمن يولونه وذكروا عدة من بني العباس ثم أحضروا المتوكل فقام أحمد ابن أبي داود قاضى القضاة في زمن أخيه الواثق وألبسه وعممه وقبل بين عينيه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فبايعه الناس وعمره يومئذ ست وعشرون سنة وكان نقش خاتمه على إلهى أنكل وبقى حتى توفى ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين قتيلا بمجلس شرايه ويقال إن سبب قتله أنه كان أخذ البيعة لأولاده الأربعة محمد المنتصر ثم الزبير ثم المعتز ثم إبراهيم المؤيد في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان يقدم المعتز على المنتصر والمنتصر أسن منه فدس عليه المنتصر من قتله غيلة فرمى وزيره الفتح بن خاقان نفسه عليه فقتل معه ودفنا في قبر واحد فيما يقال وكان عمره يوم مات إحدى وأربعين سنة وصلى عليه ابنه المنتصر ودفن في القصر الجعفرى ومدة خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام كان له من الأولاد محمد المنتصر والمعتز كلاهما ولى الخلافة وموسى وكان أحب وإبراهيم المؤيد وطلحة الموفق وإسماعيل والمعتد وغيرهم

(62 ب) الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولى الخلافة أبطل ما كان أحدثه المأمون ومن بعده من القول بخلق القرآن وحسم المادة في ذلك وحظى في زمانه أهل الأدب إلا أنه كان شديد البغض لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه ولأهل بيته على خلاف ما كان عليه المأمون

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه مخدة تحت ثيابه
ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص ويقول
قد أقبل الأصلع البطين
خليفة المسلمين
يعنى عليا رضى الله عنه والمتوكل يضحك ففعل ذلك يوما بحضرة ولده
المنتصر فقال له يا أمير المؤمنين إن عليا ابن عمك فكل أنت لحمه إذا شئت
ولا تدع مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه فقال المتوكل للمغنين غنوا
غار الفتى لابن عمه
رأس الفتى في حرامه

وبلغ من بغضه لعلى وأهل بيته أنه في سنة ست وثلاثين ومائتين أمر بهدم قبر
الحسين بن على وما حوله من المنازل ومنع الناس من زيارته
ومن غريب ما اتفق له في ذلك أنه طلب عليا الزكى ويقال علي الهادى وعلي
التقى أحد الأئمة الاثنى عشر وبعث إليه جماعة من الترك ليحضروه فهجموا
عليه بيته فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة شعر وهو مستقبل القبلة يترنم
بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل
والحصا فحمل إلى المتوكل والمتوكل في مجلس شرا به
والكأس في يده فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس
فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قط فأعفى فأعفاه وقال أنشدني
شعرا (63 أ) فقال إنى لقليل الرواية للشعر فقال لا بد من ذلك فأنشده
باتوا على قلل الأجل تحرسهم
غلب الرجال فما أغنتهم القلل
فاستنزلوا بعد عز من معاقلهم
وأودعوا حفرا يا بنس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
أبن الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة
من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
يا طال ما أكلوا دهرها وما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأمل قد أكلوا

5

فبكى المتوكل وأمر برفع الشراب وقال يا أبا الحسن عليك دين قال نعم أربعة
آلاف دينار فدفعها إليه ورده إلى بيته مكرما
وفي أيامه كانت زلازل عظيمة بقوميس وما يليها ومات من الناس ممن
سقطت عليه الدور خمسة وأربعون ألفا وستة وتسعون وكان قبل ذلك بفارس
وخارسان والشام واليمن وكان يسمع في الزواجر أصوات ومنكرة وتهدمت
الحصون والمنازل والقناطر وتدكدكت المدائن من العراق وبالس والرقه
وحران ورأس العين والرها وطرسوس والمصيصة واللاذقية وسواحل الشام
وسقط من أنطاكية ألف وخمسمائة دار ومن سورها نيف وتسعون برجا

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وتقطع جبلها الأقرع وسقط في البحر وهاج وطلع منه دخان أسود متنن وغار
فيها نهر لا يدرى أين ذهب

وفي سنة ست وأربعين سمع أهل تنيس من مصر ضجة عظيمة مات بها خلق
كثير
ولايات الأمصار في خلافته
كان على مصر عيسى بن منصور الجلودي فوليها عن المتوكل على يحيى ثانيا
في سنة أربع وثلاثين ومائتين وقيل وليها هرثمة بن نصر ثم ابنه حاتم ثم علي
بن يحيى المذكور ثم ردت إلى محمد (63 ب) المنتصر فاستخلف فيها
إسحاق بن يحيى بن معاذ في سنة خمس وثلاثين ومائتين ثم وليها عبد الواحد
بن يحيى في سنة ست وثلاثين ومائتين ثم وليها عنه عنيسة الضبي في سنة
ثمان وثلاثين ومائتين ثم وليها عنه يزيد بن عبد الله في سنة اثنتين وأربعين
ومائتين وفي أيامه كان القاضي بها الحارث بن مسكين ثم بكار بن قتيبة وبقى
بها إلى أيام المنتصر والمستعين بعده
ولم أدر من كان على الشام في أيامه
وكان على مكة والمدينة محمد بن يحيى فعزله وولى عليها ابنه المنتصر بن
المتوكل ثم وليها علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم عزله سنة سبع
وثلاثين ومائتين وولى مكانه عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى ثم عزله سنة
ثنتين وأربعين ومائتين وولى مكانه عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم
الإمام
وولى المتوكل في سنة ثلاث وثلاثين ابنه المنتصر على الحرمين واليمن
والطائف وكان قد ولى على اليمن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم من
بنى زياد بن أبيه
وكان على إفريقية محمد بن الأغلب بن إبراهيم فتوفى سنة اثنتين وأربعين
ومائتين وولى مكانه ابنه أبو إبراهيم أحمد بن أبي العباس محمد بن الأغلب
وكان مولعا بالعمارة فبنى بإفريقية فيما يقال نحو من عشرة آلاف حصن
بالحجارة والكلس وأبواب الحديد وبقى إلى أيام المنتصر الآتي ذكره
وكان المستولى على الغرب الأقصى عيشا بن محمد الإدريسي ومات سنة
أربع وثلاثين ومائتين واستولى بعده أخوه يحيى بن محمد بعهد منه له فتزايدت
عمارة فاس وغيرها في أيامه ثم مات فولى بعده ابنه يحيى بن يحيى
وكانت تلمسان بيد العبيديين

وكان على الأندلس عبد الرحمن بن الحكم بن هشام فتوفى في ربيع الآخر (64 أ)
سنة ثمان وثلاثين ومائتين واستولى بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن بن
الحكم فبقى إلى أيام المنتصر
الحادي عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المنتصر بالله

وهو أبو جعفر المتوكل المتقدم ذكره وأمه أم ولد رومية اسمها حبشية كان
أسمر مربوعا أعين أقنى قصيرا عظيم اللحية حسن الجسم ذا شهامة مهيبا

راجع العقل كثير الإنصاف بوبع له بالخلافة يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع وأربعين ومائتين وذلك أنه حضر الناس والقواد والعساكر واجتمعوا بباب الخلافة فخرج إليهم وزيره أحمد بن الخصيب ومعه كتاب من المنتصر يقول فيه إن الفتح ابن خاقان قتل المتوكل فقتله به فبايع الناس المنتصر حينئذ وكان نقش خاتمه يؤتى الحذر من مأمنه وقيل كان نقشه أنا من آل محمد الله وليى ومحمد

وبقى حتى توفى بمرض الذبحة بسامر يوم الأحد وقيل ليلة السبت لخمس خلون من ربيع الأول وقيل لثلاث خلون منه سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت مدة مرضه ثلاثة أيام ويقال إن الطيفوري الحجام سمه في محاجمه وكان عمره يوم توفى خمسا وعشرين سنة وأشهرها وقيل ستا وعشرين سنة ويقال إن مولده كان في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين ومائتين ومدة خلافته ستة أشهر وبومان وكان له من الأولاد أربعة أولاد ذكور ولم أقف على ذكر أسمائهم الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولي الخلافة أظهر حب علي بن أبي طالب رضى الله عنه وأهل بيته (64 ب) علي خلاف ما كان أبوه المتوكل وأمر الناس بزيارة قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما وأمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر أخويه المعتز والمؤيد من عهد أبيهما إليهما بالخلافة بعد خلافته علي الترتيب المتقدم وأخذ خطوطهما بإحلال الناس من بيعتهما بعد أن أخافهما وأهانهما ولم يطل زمن خلافته فتكثر حوادثها ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه يزيد بن عبد الله فأقره عليها أيام خلافته كلها ولم أدر من كان بالشام ولا مكة والمدينة وكان اليمن بيد بنى زياد بن أبيه وكان على ما وراء النهر إسماعيل بن أحمد الساماني وكان على خارسان طاهر بن عبد الله بن طاهر فبقى إلى ما بعد خلافته المنتصر

وكان على إفريقية أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب فبقى إلى آخر خلافته وكان المستولى على الغرب الأقصى يحيى بن يحيى بن محمد من الأدارسة المقدم ذكرهم فمات وقام بالمر بعده ابن عمه علي بن عمر بن إدريس الأصغر واستولى على جميع ممالك الغرب الأقصى وكان على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم فبقى إلى ما بعد خلافته الثاني عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق المستعين بالله وهو أبو العباس أحمد بن المعتصم محمد بن الرشيد وأمه أم ولد اسمها مخارق كان سميها صغير العينين كبير اللحية أسودها بوجنته خال فيه لين وانقياد لأتباعه مهملا لأمره شديد الخوف على نفسه وقال الدولابي كان رجلا صالحا (65 أ) بوبع له بالخلافة بعد وفاة المنتصر المتقدم ذكره باتفاق من حبراء الدولة مثل بعا الكبير وبعا الصغير وأحمد بن الخصيب وغيرهم يوم الاثنين لست خلون من ربيع الآخر وقيل لأربع خلون منه سنة ثمان وأربعين ومائتين كراهة أن يقيموا بعض بنى المتوكل لكونهم قتلوا أباهم وكان نقش خاتمه في الاعتبار غنى عن الاختبار وبقى حتى خلع في سنة إحدى

وخمسين ومائتين ووجه إلى واسط بعد خلعه فكتب المعتز إلى أحمد بن طولون بقتله فامتنع فتسلمه سعيد بن صالح الحاجب فضربه حتى مات وكفن ابن طولون جثته ودفنها وحمل رأسه إلى المعتز فأمر بدفنها وكان عمره يوم تولى الخلافة أربعاً وعشرين سنة وولى ثلاث سنين وثلاثة أشهر إلا أياماً وقيل أكثر من ذلك ويقال إن ولادته كانت في رجب سنة إحدى عشرة ومائتين الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولى الخلافة قبض على المعتز والمؤيد ابني المكتوكل وحبسهما بالجوسق بسامر وثبت أمره وفوض أمر بيت المال إلى أمه وإلى أتامش التركي وشاهك الخادم فأفسدوا ماله وأضاعوا وفي أيامه جرى بين المسلمين والروم وقعة عظيمة بمرج الأسقف هزم فيها المسلمون وقتل مقدم عسكرهم وفي أيامه ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة وكثر جمعه فجهز إليه محمد بن عبد الله بن طاهر جيشاً من خرسان قتلوه وحملوا رأسه إلى المستعين وفي سنة تسع وأربعين ومائتين تشعبت الجند الشاكرية والعامية ببغداد على الأتراك بسبب استيلائهم على أمور المسلمين يقتلون من شاءوا من الخلفاء ويستخلفون من أحبوا من غير نظر للمسلمين (65 ب) وثارت فتنة أيضاً بسامرا بين العامة والأتراك وفتحت العامة السجون وأطلقوا من فيها وفي سنة إحدى وخمسين ومائتين اتفق بغا الصغير ووصيف التركي وقتلا باغر التركي فتشعبت الأتراك وحصروا المستعين وبغا ووصيفا في القصر بسامرا وهرب المستعين وبغا ووصيف في حراقة إلى بغداد واستقروا بها واجتمع أهل الدولة بسامرا على المعتز بن المتوكل فبايعوه وجهز أخاه طلحة بن المتوكل وجهزه في خمسين ألفاً من الأتراك وسيرهم إلى بغداد فجرى بينهم حرب كبيرة واتفق كبراء الدولة ببغداد على خلع المستعين وألزموه ذلك فخلع نفسه في السنة المذكورة ثم نقل من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل بعياله وأهله وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ووجه به إلى واسط مع أحمد بن طولون

وليات الأمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه يزيد بن عبد الله فولى عليها بعده مزاحم بن خاقان في سنة ثلاث وخمسين ومائتين ثم وليها عنه أحمد بن مزاحم في سنة أربع وخمسين ومائتين فبقى بها إلى آخر أيامه ولم أقف على عماله بالشام ولا مكة والمدينة وكان اليمن بيد بني زياد

وكان على خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر فتوفى في رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين فعقد المستعين لوالده محمد بن طاهر علي خراسان وكان على إفريقية أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب فتوفى في آخر سنة تسع وأربعين ومائتين وولى بعده ابنه (66 أ) زيادة الله الأصغر بن أبي إبراهيم أحمد وتوفى في آخر سنة خمسين ومائتين وفي أيامه كانت أكثر فتوح

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

صقيلية وولى بعده أخوه محمد أبو الغرائيق بن أبي إبراهيم أحمد فبقى إلى آخر خلافته وبعد ذلك وكان المستولى على الغرب الأقصى على بن عمر بن إدريس الأصغر فبقى بها أيام خلافته وكان على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم فبقى إلى ما بعد خلافته الثالث عشر من خلفاء بني العباس بالعراق المعترز بالله وهو أبو عبد الله محمد وقيل الزبير بن جعفر المتوكل المقدم ذكره وأمه أم ولد اسمها قبيحة سميت بذلك لحسنها وهو من باب الأضداد كما يقال للغراب أعور لحدة بصره كان أبيض أكحل أسود الشعر لم ير فيهم مثله جمالا وكان مؤثرا للذاته ببيع له بسامرا عند هروب المستعين إلى بغداد في سنة إحدى وخمسين ومائتين ثم بوع له البيعة العامة ببغداد بعد خلع المستعين لأربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وكان نقش خاتمه الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء وبقى حتى خلع ثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ثم توفى يوم السبت لثلاث خلون من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين أخرج للناس ميتا من سجنه ويقال إنه منع الطعام والشراب أياما ثم أدخل الحالم وأغلق عليه بابه فأصبح ميتا وقيل أدخلوه سردابا وجصصوا عليه حتى مات وصلى عليه المهتدى ودفن بسامرا ويقال إن صالحا الحاجب قتله ورماه في دجلة والمشهور الأول وعمره يومئذ أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر إلا أياما (66 ب) وكان له من الأولاد عبد الله بن المعترز المشهور بالبلاغة وفن الأدب الحوادث والماجريات في خلافته

لما بوع بالخلافة أخرج أخاه المؤيد من الاعتقال وخلع عليه ثم بلغه عنه أنه يدبر عليه أمرا فضربه أربعين سوطا وحبسه حتى أشهد على نفسه بالخلع من العهد الذي كان عهد إليه به أبوه المتوكل بأن يكون له ولاية العهد بعد المعترز ثم بلغه أن جماعة من الأتراك اجتمعوا لإخراج المؤيد من محبسه فأخرجه في يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين ميتا وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر به زويقال إنه أدرج في لحاف سمور وشد عليه طرفاه حتى مات وكان حاجبه صالح بن وصيف غالبا على أمره ثم كان من أمره أنه أتاه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه جماعة فصاحوا على بابه وبعثوا إليه أن اخرج إلينا فاعتذر بأنه تناول دواء وأمر أن يدخل بعضهم عليه فدخلوا عليه فجروا برجله إلى باب الحجرة وأقيم في الشمس يرفع قدما ويضع أخرى وهم يلطمونه وهو يتقى بيده حتى أجاب إلى الخلع وأدخلوه حجرة وبعثوا إلى قاضي القضاة ابن أبي الشوارب وجماعة فحضروا فخلع نفسه بحضرتهم ووكل به في الحبس وكانت خلافته منذ بيعته العامة إلى أن خلع ثلاث سنين وسبعة أشهر إلا أربعة أيام ومن لدن مبايعته بسامرا إلى أن خلع أربع سنين وسبعة أشهر إلا سبعة أيام وفي أيامه في سنة أربع وخمسين ومائتين أحدث أحمد ابن المدبر صاحب خراج مصر ضمان النطرون بها وكان قبل ذلك مباحا لمن يأخذه (67 أ) ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر بن مزاحم فبقى إلى آخر أيام خلافته وقال في عيون المعارف كان عليها في أيامه يزيد بن عبد الله ثم مزاحم بن خاقان ثم ابنه أحمد ثم أرخوز التركي ثم أحمد بن طولون وفي أيام ابن طولون عظم شأن مصر وعلا قدرها وانتقلت من الإمارة إلى الملك وهو أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية وكان قبل ذلك أكثر عسكره من السودان سودان يقال إنه كان في عسكره اثنا عشر ألف أسود وكان القاضي بها بكار بن قتيبة ولم أف على عماله بالشام ومكة والمدينة

وكانت اليمن بيد زياد المقدم ذكرهم

وكان على خارسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر فبقى إلى ما بعد خلافة المعتز

وكان على إفريقية قبله محمد أبو الغرائيق من بنى الأغلب فأقره عليها ففتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين ومائتين وبقى إلى آخر خلافته وكان المستولى على المغرب الأقصى قبله علي بن عمر بن إدريس فبقى إلى آخر خلافته

وكان المستولى على الأندلس محمد بن عبد الرحمن بن الحكم فبقى إلى آخر خلافته

الرابع عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق المهتدى بالله

وهو أبو عبد الله وقيل أبو جعفر محمد بن الواثق ابن المعتصم وأمه أم ولد رومية اسمها قرب كان أسمر عظيم البدن مربوعا أجح طويل اللحية وكان ورعا

كثير العبادة يكاد أن يكون في بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بنى أمية هديا وفضلا بوع له بالخلافة لثلاث ليال بقين من رجب سنة خمس وخمسين (67 ب) ومائتين وكان نقش خاتمة من تعدى الحق ضاقت مذاهيه وبقى حتى توفي قتيلا لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين وقيل لأربع عشرة ليلة خلت منه وعمره يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقيل ست وخمسون سنة ويقال إن مولده كان في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين وسبب قتله أنه قصد قتل موسى بن بغا ففطن به موسى فقصد ففر المهتدي فقبض عليه موسى وداسوا خصيته فمات ودفن بتربة المنتصر ومدة خلافته أحد عشر شهرا أو نحو ذلك ولم أف على ذكر عقبه

الحوادث والماجريات في خلافته

في أيام خرج عليه علي بن محمد بن عبد الرحيم المعروف بصاحب الزنج ونسبه في عبد القيس فجمع عليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ من جهة البصرة وادعى أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وسار إلى البصرة وعظم أمره وبث أصحابه يمينا وشمالا ولم يزل أمره يتفاقم حتى ملك الأبله وعبادان والبصرة وبقى حتى قتل في أيام المعتمد الآتى ذكره سنة سبعين ومائتين

وفي خلال أيامه ظهرت قبيحة أم المعتز وكانت قد اختفت عند القبض على ابنها وكان لها أموال جمة ببغداد يقال إنه وجد لها مطمورة تحت الأرض فيها ألف دينار ووجد لها في سبط قدر مكوك زمرد وفي سبط آخر قدر مكوك لؤلؤ وفي سبط آخر قدر كيلجة ياقوت أحمر لا يوجد مثله فحمل ذلك جمعية إلى صالح بن وصيف المهدي القائم بتدبير (6 أ) دولته وسارت هي إلى مكة فكانت تدعو على صالح بصوت عال تقول هتك ستري وقتل ولدى وأخذ مالي وغربنى عن بلدى وركب الفاحشة منى فأجاب الله دعاءها فيه فخرج عليه موسى بن بغا فهرب صالح واختفى ثم ظفر به موسى وقتله ونودى عليه هذا جزاء من قتل مولاه

وفي سنة خمس وخمسين ومائتين توفى أبو عثمان الجاحظ المعتزلى إمام أهل الأدب

ولايات الأمصار في خلافته
في خلافته كان على مصر أحمد بن طولون واستضاف إليها الشام وهو أول من جمع له بين مصر والشام في الإسلام والقاضى بمصر يومئذ بكار بن قتيبة وكان مقطوعا أما جور ولم أقف على عماله بمكة والمدينة وكانت اليمن بيد بنى زياد

وكانت خارسان بيد محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وكان على افريقية قبله محمد ابو الغرائيق من بنى الاغلب فبقى الى ما بعد خلافته

وكان المتولى على الغرب الاقصى قبله علي بن عمر بن ادريس فبقى الى ما بعد خلافته

وكان المستولى على الاندلس قبله محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم فبقى الى ما بعد خلافته

الخامس عشر من خلفاء بني العباس بالعراق

المعتمد على الله

وهو ابو العباس وقيل ابو جعفر احمد بن المتوكل جعفر وامه ام ولد اسمها فتيان كان طويل اللحية حسن الجسم واسع العينين مقبلا على اللذات بويع له بالخلافة بعد خلع 68 ب المهدي لاربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكان

نقش خاتمه السعيد من وعظ بغيره وكان القاضي بمصر بكار بن قتيبة ثم غضب عليه ابن طولون في اواخر ايامه وحبسه وقيده وطلبه بجوائزه التي كان بعث بها اليه فوجدها في منزله بخواتيمه ستة عشر كيسا فيها ستة عشر ألف دينار واقام محمد بن شاذان الجوهرى كالنائب له وابن طولون في خلال ذلك يخرج بكارا كلما جلس للمظالم ويقيمه بين يديه الى ان مات ابن طولون ثم مات القاضي بكار بعده بأربعين يوما ودفن عند مصلى ابن مسكين وقبره مشهور هناك يزار معروف باجابة الدعاء عنده وبقيت مصر بعد ذلك سنتين بغير قاض

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولى الخلافة اقبل على لذاته ولهوه وجعل اخاه طلحة ولى عهده ولقبه الموفق وجعل اليه المشرق وجعل ابنه جعفرا ولى عهده ولقبه المفوض الى

الله

وجعل اليه المغرب فغلب الموف على الامر وقام به اسد قيام واحسنه ومال
الناس اليه واحتجز المعتمد وضيق عليه حتى انه احتاج في وقت الى ثلاثمائة
درهم فلم يجدها فأنشد
ليس من العجائب ان مثلي
يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شيء في يديه
وفي ايامه كان قد ابتدا ظهور القرامطة وهم طائفة ملعونة ظهرت من سواد
العراق ينسبون الى رجل اسمه الفرغ بن عثمان يلقب بقرمط ومعناه بالنبطية
احمر العين قيل ان الذي كان اتى به 69 أ الى السواد رجل احمر العين فشهر
بشهرته وكان اللعين قد قام في اهل البادية ممن لا معتقد له وادعى انه جاء
بكتاب اوله بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الفرغ بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة انه داعية المسيح وهو
عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو احمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وان
المسح تصور له في جسم انسان وقال له انك الداعية وانك الحجة وانك الناقة
وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا وانك روح القدس الى غير ذلك من سخيف
الالفاظ وكفريات الاقوال واتبعه على هذا الهذيان خلق كثير ممن لا عقل له ولا
مسكة دين من اهل القرى وقويت شوكته وعظمت دولته وكثرت اتباعه
وطالت ايامهم وتمادت وكان للاسلام بهم اعظم نكايه قال صاحب العبر وهؤلاء
القرامطة يعرفون في بلاد المشرق بالملاحدة لان مذهبهم كله الحاد ومنهم
الاسماعيلية بقلع الدعوة بأعمال طرابلس من بلاد الشام المعروفون
بالفداوية
وفي ايامه توفي الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الجامع
الصحيح سنة خمسين ومائتين
وفي سنة احدى وسبعين ومائتين كان بمصر زلزلة عظيمة انهدمت منها منارة
الاسكندرية ثم في سنة اثنتين وسبعين كان زلزلة عظيمة عمت البلدان ووقع
غلاء بيع القمح فيه نصف وبيدة بدينار
وفي سنة خمس وسبعين احترقت مدينة الفسطاط واحترق الجامع العتيق وهو
الحريق الثاني وعمره ابو الجيش ابن طولون
ولايات الامصار في خلافته
كان على مصر قبله احمد بن طولون فأقره عليها وبقي الى ما بعد 69 ب
خلافته والقاضي بها بكار بن قتيبة ايضا وفي ايامه استضاف احمد بن طولون
الشام بعد موت مقطعها اماجور الى مصر وصيرهما مملكة واحدة ي له في
سنة اربع وستين ومائتين وهو اول من جمع بينهما في الاسم وبقي عليهما حتى
توفي احمد بن طولون في سنة اثنتين وثمانين ومائتين وكانت منازل ومنازل
بنيه بعده حول جامع الموجود الان من كل جانب ويعرف بالقطائع فكان يقال
قطيعة

فلان وقطيعة فلان كل خط منها يسمى قطيعة وكان الامراء فيما قبله ينزلون بدار الامارة بالفسطاط وكان مبدأ بناء جامع في صفر سنة تسع وخمسين ومائتين وسبب بنائه جامع هذا انه كان يكثر التردد الى مدينة عين شمس الخراب وهي الكيمان التي على القرب من المطرية من غربها فاتفق انه بينا هو يسير في أرضها يوما اذ ساخت يد فرسه في الارض فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه كنزا من ذهب في ناووس حجر ومقابله ناووس اخر فيه ميت مصير في عسل نحل وعلى صدره لوح من ذهب مكتوب فأخذ الذهب واللوح وتطلب من يقرأ له ذلك اللوح ممن له معرفة بالخطوط القديمة فدل على راهب بالصعيد في بعض الديارات فأمر باشخاصه اليه فقبل له انه لا يستطيع المسير لكبر سنه فبعث اليه باللوح صحبة امير من جهته فلما نظر فيه قال انه يقول انا اكبر الملوك وذهبي اخلص الذهب فقال ابن طولون قاتل الله من يكون هذا اللعين اكبر منه او ذهبه اخلص من ذهبه ثم شدد في ذلك حتى كان يحضر التعليق بنفسه فكان

ذهب اخلص الذهب ثم أخذ في عمارة الجامع من المال الذي وجده في الكنز ومن غريب أمره انه لما فرغ من بنائه أمر من يتجسس بسماع (70 أ) قول الناس فيه فحضر إليه رجل فقال سمعت من يقول محرابه صغير وقال آخر سمعت من يقول ليس به ساربه وقال أخر سمعت من يقول ليس فيه ميصأة فقال أما صغر محرابه فإني رأيت النبي { صلى الله عليه وسلم } وقد خطه لي فأصبحت فوجدت النمل قد دار على ذلك المكان وأما عدم السارية فإن السوراي لا تكون إلا من مسجد خراب أو كنيسة وأنا بنيته فمن حلال من كنز وجدته فكرهت أن أدخل فيه شائبة وأما الميصأة فأردت تنزيهه عن النجاسة وسأبنيها على بعد فبناها عند الفيل وملكها بعده ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون فبقى بها إلى ما بعد خلافته ولم أقف على عماله بمكة والمدينة وكانت خراسان وما وراء النهر بيد بنى طاهر بن

الحسين ويعقوب بن الليث الصفار قد فتح الرخج وقتل ملكها واستسلم أهلها وكان ملكها يجلس على سرير من ذهب ويدعى الإلهية ثم مات يعقوب في سنة خمس وستين ومائتين بعد أن استولى على بلخ وكابل وغيرهما فقام بالأمر بعده أخوه عمرو بن الليث وكتب إلى المعتمد بطاعته فولاه الموفق أخو المعتمد القائم بتدبير دولته خراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان وسير إليه الخلع مع الولاية وفي أيامه استولى صاحب الزنج على الأبله وعبادان والأهواز ثم استولى على البصرة في سنة سبع وخمسين

وكان لأسد بن سامان أربعة بنين هم نوح وأحمد ويحيى وإلياس وكانوا في خراسان والمامون بها فآكرمهم وقدمهم ولما سار المأمون من خراسان إلى العراق استخلف على خراسان غسان بن عباد فولى غسان أحمد بن أسد فرغانة في سنة أربع ومائتين وولى يحيى بن أسد الشاش وأشروسنة وولى إلياس بن أسد هراة وولى (70 ب) نوح بن أسد سمرقند قاعدة ما وراء النهر فلما تولى طاهر بن الحسين خراسان وما وراء النهر أقرهم على هذه الأعمال ثم مات نوح بن أسد بسمرقند ومات بعده إلياس بهراة واستقر على عمله ابنه

محمد بن إلياس وكان لأحمد بن أسد سبعة بنين وهم نصر ويعقوب ويحيى وأسد وإسماعيل وإسحاق وحميد ثم مات أحمد بفرغانة واستخلف ابنه نصرًا على أعماله وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرًا فولاه نصر بخارى في سنة إحدى وستين ومائتين وكان إسماعيل رجلاً خيراً يحب أهل العلم ويكرمهم فمن دام ملكه وملك أولاده ووطالت مدتهم وكان اليمن بيد بني زياد وكان على إفريقية محمد أبو الغرائيق من بني الأغلب فتوفى في منتصف سنة إحدى وستين ومائتين بعد أن عهد لابنه أبي عقاب فحمل أهل القيروان إبراهيم بن أحمد أخى أبي الغرائيق على الولاية لحسن سيرته فامتنع ثم أجاب بالأمر أحسن قيام وقمع أهل الفساد وبنى الحصون والمحارس بساحل البحر حتى كانت النار توقد في ساحل سبته للإنداز بالعدو فيتصل بإيقادها بالإسكندرية

في ليلة واحدة ثم انتقل من القيروان إلى تونس فسكنها في سنة إحدى وثمانين ومائتين وهو أول من سكنها من ملوك إفريقية وفي أيامه ظهرت دعوة العبيديين بالمغرب وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين وولى بعده أبو العباس عبد الله بن إبراهيم أخى محمد أبي الغرائيق وكان حسن السيرة بصيراً بالحروب ونزل تونس مكان أبيه وغلب أبو عبد الله الشيعى داعية العبيديين على كتامة وجرى بينهما حروب وبقي إلى ما بعد خلافته المعتمد وكان على الغرب الأقصى علي بن عمر بن إدريس فبقي إلى ما بعد (71 أ)
خلافته

وكان على الأندلس قبله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم المقدم ذكره فتوفى سلخ صفر سنة اثنتين وستين ومائتين وقام بالأمر بعده ابنه المنذر بن محمد فبقي إلى ما بعد خلافة المعتمد أيضاً
2 السادس عشر من خفاء بنى العباس بالعراق
المعتضد بالله

وهو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل جعفر وأمه أم ولد اسمها ضرار ويقال إن اسمها خفير وكان نحيفاً ربة خفيف العارضين يخضب بالسواد سريع النهضة عند الحادثة ينفرد بالأمور بتجربة وحنكة وكان شهياً مهيباً عند أصحابه يتقول سطوته ويكفون عن المظالم خوفاً منه مع عفة ذيل

قال ابن إسحاق القاضى دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه فأطلت النظر إليهم فلما قمت أمرني بالجلوس فجلست فلما تفرق الناس قال يا قاضى والله ما حللت سراويلي على حرام قط
بوع له بالخلافة لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بعد وفاة المعتمد وكان نقش خاتمه الاضطراب يزيل الاختيار وبقي حتى توفى ببغداد ليلة الاثنين لسبع وقيل لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وعمره ست وأربعون سنة وصلى عليه أبو عمر القاضى ودفن ليلاً في دار محمد بن طاهر ويقال إن وزيره إسماعيل بن طاهر سمه ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام وقيل وثلاثة عشر يوماً ولما حضرته الوفاة
أنشد

ولا تأمن الدهر إنى أمنت

فلم يبق لي مالا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع
عدوا ولم أمهل على طغيه خلقا
وأخليت دار الملك من كان نازع
فشردتهم غربا وفرقتهم شرقا
71 ب) فلما بلغت النجم عزا ورفعة
وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رمانى الردى سهما فأحمد جمرتي
فها أناذا في حفرتي ميتا ألقى
وكان له من الأولاد المكتفى والمقتدر والقاهر كل منهم ولى الخلافة وهارون
وإحدى عشرة بنتا
الحوادث والماجريات في خلافته
كان من أحسن الناس سيرة ولما بويع أمر أمر بافتتاح الخراج في شهر
حزيران من شهور السريان عند كون الشمس في أواخر الجوزاء رفقا بالناس
حتى لا يؤخذ منهم الخراج قبل حصول غلالهم وسماه النيروز
المعتضدى وكان ذلك من حسن سيرته ومحاسن تدييره وسياسته
وفي سنة سبع وسبعين ومائتين غار نيل مصر ووقع الغلاء حتى بلغ الكر بها
خمس مائة دينار كما ذكر صاحب تاريخ النيل
وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر برد الفاضل من سها المواريث بعد أرباب
الفروض على ذوى الأرحام وأبطل ديوان المواريث الحشرية وأن يكتب بذلك
إلى سائر الأقطار
وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين خطب إلى خمارويه بن أحمد بن طولون ابنته
قطر النداء وجهز إليه مهرها ألف ألف درهم وهدايا كثيرة ووشاح وبدلة جوهر
فأجاب خمارويه إلى ذلك وهدى بالهدايا الجمة وجهزها بجهاز لم يسمع بمثله
يقال إنه كان فيه ألف
هاون من ذهب وخرجت عمته العباسة بنت أحمد بن طولون لتشييعها فنزلت
مكان القرية المعروفة اليوم بالعباسية من بلاد الشرقية من الديار المصرية
فعرفت بها
وفي سنة أربع وثمانين ومائتين أخبر النجمون أنه يغرق أكثر الأقاليم بسبب
كثرة الأمطار وزيادة الأنهار فتحفظ الناس واحترزوا عن ذلك فقلت الأمطار
وغارت المياه حتى استسقوا بيغداد مرات عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا
إلا من ارتضى من رسول
72 أ) وفيها في ربيع الآخر ظهرت ظلمة شديدة وريح وحمرة وخاف الناس
من ذلك ثم كشفه الله
ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر والشام في أيامه خمارويه بن أحمد بن طولون ثم قتل بدمشق
في سنة ثلاث وثمانين ومائتين ووليها بعده ابنه جيش بن خمارويه وقتله جنده
في السنة المذكورة ثم وليها هارون بن خمارويه بمبايعة الجند في آخر سنة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ثلاث وثمانين ومائتين فبقى بها إلى ما بعد خلافته وكان طغج بن جف نائبا عن خماروبه وابنه هارون بالشام وكان نائبهما على حلب حمدان ونائيهم على العواصم محمد بن عيسى وفي أيام هارون تغلبت القرامطة على دمشق وبقيت بأيديهم إلى أن انتزعها منهم المكتفى بالله الآتى ذكره ولم أقف على عماله بمكة والمدينة وكان اليمن بيد بنى زياد وكان ما وراء النهر بيد إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان ثم ملك مع ما وراء النهر خراسان في سنة سبع وثمانين ومائتين واقتلها من عمرو بن الليث الصفار بعد أن أسره ثم أرسل به بعد ذلك إلى المعتضد فحبسه في بغداد وبقى محبوبا بها حتى قتل في سنة تسع وثمانين ومائتين وكان على إفريقية أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أبي الغرائيق من بنى الأغلب فبقى إلى ما بعد خلافة وكان على الأندلس المنذر بن محمد الأموي فبقى إلى ما بعد خلافته أيضا السابع عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق المكتفى بالله وهو أبو محمد على بن المعتضد بالله المتقدم ذكره وأمه أم ولد تركية اسمها خاضع وقيل ججك زتلج جحيفة وكان مولده سنة (72 ب) أربع وستين ومائتين وكان جميلا رقيق السمرة أعين حسن الوجه والشعر وأفر اللحية بويج بالخلافة ببغداد وهو غائب بالرقعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع

وثمانين ومائتين ولما وصله الخبر أخذ البيعة لنفسه على من عنده وسار إلى بغداد فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة وكان نقش خاتمه بالله علي بن أحمد يثق وبقى حتى توفى لثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين بعد أن طال مرضه شهورا وعمره يومئذ إحدى وثلاثون سنة وأشهر ودفن في دار محمد بن طاهر ببغداد ومدة خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرون يوما وكان له من الأولاد المستكفى بالله الآتى ذكره

الحدوادر والماجر بات في خلافته كان كثير العسكر وافر الأموال قد وطأ له أبوه المعتضد الأمور وسار بسيرة أبيه وفي أيامه اشتدت شوكة القرامطة وحصروا طغج أمير دمشق عن بنى طولون ثم اجتمعت عليهم العساكر فقتل مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ وأقام أخوه الحسين مقامه وتسمى أحمد وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آتية وكثر جمعه فصالحه طغج على مال دفعه إليه وسار إلى حمص فحصرها حتى خطب له على منبرها وتلقب المهدي أمير المؤمنين وعهد إلى ابن عمه عبد الله ولقبه المدثر وزعم أنه المدثر المذكور في القرآن ثم سار إلى حماة والمعرة وسلمية فقتل حتى النساء والصبيان فخرج إليه المكتفى بنفسه وسار من بغداد حتى نزل الرقة وجهز إليه العساكر فهرب ومعه ابن عمه المدثر فوقع القبض عليهما بالبرية وأحضرا إلى المكتفى فسار بهما إلى بغداد فقتلها وطيف برأس الشامة (73 أ) وتفاقم أمر القرامطة في كل جهة ونهبوا طبرية وساروا إلى جهة الكوفة وقطعوا الطريق على الحجاج من طريق

العراق وفتكوا بهم عن آخرهم وأخذوا منهم أموالا جمة وبلغ عدة القتلى من الحجاج فيما يقال عشرين ألفا ثم جهز المكتفى جيشا مع محمد ابن سليمان الكاتب في سنة اثنتين وتسعين ومائتين فسار حتى استولى على دمشق وتوجه إلى مصر وبها يومئذ هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون فوقع الحرب بينه وبين محمد بن سليمان فقتل هارون في المعركة وقام عمه شيبان بن أحمد بن طولون مقامه ثم طلب

الأمان فأمنه محمد بن سليمان ثم هرب شيبان ليلا فلم يوجد واستولى محمد بن سليمان على مصر وأمسك بنى طولون وخرّب منازلهم حتى لم يبق منها إلا الجامع

ومن غريب ما وقع ما حكاه محي الدين بن عبد الظاهر في خطط القاهرة أن أحمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى تجلى على تلك الجهة خلا الجامع فقص ذلك على عابر ماهر فقال له إن جميع هذه الأماكن تخرب خلا الجامع فإن الله تعالى يقول (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) وكان الأمر كما عبر واستقر محمد بن سليمان بعد ذلك متأمرا على مصر كما سيأتي ذكره في الكلام على ولاية الأمصار

وفي سنة تسعين ومائتين انتهت زيادة النيل إلى يوم النيروز ثلاثة عشر ذراعا ثم توقف فلم يزد إلى العاشر من توت واستسقى الناس في هذا اليوم وعاودوا الاستسقاء مرات فزاد بعد ذلك أربع أصابع ونصفا ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر قبله هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ودمشق (73 ب) بيد القرامطة من حين اقتلعوها من نواب هارون إلى أن قتل في سنة ثلاث وتسعين ومائتين

فوليها عن المكتفى شيبان بن أحمد بن طولون في سنة اثنتين وتسعين ومائتين ثم بعث المكتفى محمد بن سليمان الواثقى الكاتب فاستولى على مصر وانتزعها من بنى طولون وخرّب منازلهم وأزال ملكهم عنها وكتب المكتفى كتابا بالفتح إلى سائر الأقطار قد ذكرته برمته على طولها في كتابي صح الأعرشى في كتابه الإنشا وبقيت بيد محمد بن سليمان الكاتب إلى أن ولى عليها المكتفى عيسى بن محمد النوشرى في سنة خمس وتسعين ومائتين ثم تغلب عليها محمد بن علي ثم عاد إليها النوشرى وكان قد تغلب على دمشق القرامطة على ما تقدم ذكره فانتزعها منهم في سنة إحدى وتسعين ومائتين وأقام عليها وعلى حلب أحمد بن كيغلق أميرا فبقى فيها إلى ما بعد خلافة المكتفى

وولى على ديار ربيعة وديار مصر من بلاد الجزيرة أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان ولم أقف على عماله بمكة والمدينة وكانت اليمن بيد بنى زياد

وكان ما وراء النهر وخرسان بيد إسماعيل بن أحمد ابن أسد بن سامان إلى ان مات وملكها بعده ابنه أبو نصر أحمد بن إسماعيل وأرسل المكتفى إليه التقليد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان على إفريقية قبله أبو العباس عبد الله بن إبراهيم ابن أبي الغرائيق فتوفى في شعبان سنة تسعين ومائتين وولى ابنه زيادة الله فأقبل على اللذات واللهو وقتل إخوته وعمومته وقوى أمر أبي عبد الله الشيعي داعي عبید الله المهدي بالمغرب فهرب زيادة الله إلى مصر وترك إفريقية وبخروجه عنها انقرضت دولة بني الأغلب من إفريقية وكان على الغرب الأقصى علي بن عمر بن إدريس الأصغر وملك جميع المغرب وخطب له على منابرہ فبقى إلى ما بعد خلافة المكتفي

وكان على الأندلس المنذر بن محمد الاموي فتولى لثلاث عشر ليلة بقيت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين وبويع أخوه عبد الله يوم موته فبقى الى ما بعد خلافة المكتفي

الثامن عشر من خلفاء بني العباس بالعراق
المقتدر بالله
هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المقدم ذكره
وأمه أم ولد اسمها شغب وكان ربع القامة
درى اللون أحور أصهب وكان ثقیل الجثة بويع له بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وسنة يومئذ ثلاث عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة وشهران الإياما وكان نقش خاتمه الحمد لله الذي ليس كمثلہ شیء وهو خالق كل شیء وبقي حتى توفي قتيلا يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة وسنة ثمان وثلاثون سنة وكان سبب قتله أن مؤنسا الخادم خرج إلى الموصل وديار ربيعة مغاضبا له ثم عاد يريد بغداد فحسن بعض الناس للمقتدر الخروج لقتاله فخرج إلى باب الشماسية والتحم العسكر فقتله رجل من البربر وقلع ثيابه فمر به رجل فستر سواته بحشيش ثم حفر له ودفن وخفي أثره ومدة خلافته أربع وعشرون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما وكان له من الأولاد الراضي محمد والمتقي أبو إسحاق إبراهيم والمطيع

الفضل ولى كل منهم الخلافة وعبد الواحد وعباس وهارون وعلي وإسماعيل وعيسى وموسى وإسحاق وأبو العباس (74 ب) الحوادث والماجريات في زمانه
لما بويع بالخلافة كان صغيرا في سن الثلاث عشرة سنة على ما تقدم فاستقل الوزراء والكتاب بتدبير الأمور وغلب على أمره النساء والخدام حتى أن جارية لأمه تعرف بشمل القهرمانية كانت تجلس للمظالم ويحضرها القضاة والفقهاء فاختل الأمر بسبب ذلك ويقال إنه استوزر في مدة خلافته تسعة عشر وزيرا واجتمع القواد والقضاة على خلعه فخلعوه لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين
وبويع عبد الله بن المعتز ولقب الراضين بالله وقد تقدم نسب أبيه المعتز وأمه أم ولد اسمها خائن وكان فاضلا شاعرا إماما في البلاغة تشبيهاته لا تلحق أخذ العلم عن المبرد وصار في الأدب والشعر و أمه يضرب به المثل ولما ولى قال قد أن للحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح ثم لم يلبث في الخلافة غير يوم واحد وليلة حتى اضطرب أمره وتفرق أصحابه فأمسك وحبس ليلتين ثم قتل خنقا وأظهر أنه مات حتف أنفه وسنه يومئذ خمسون سنة ودفن في خربة بإزاء

داره ورثاه علي بن محمد بن بسام بقوله
لله درك من ملك بمضيعة
ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت فتنقصه
وإنما أدركته حرفة الأدب
ومن حيث قصر مدته لم يورده المؤرخون في عداد الخلفاء بل جعل كالجملة
المعتزلة ولما عاد المقتدر بقى الأمر على ما كان عليه من تصرف النساء
والخدام ورجوعه إلى قولهم ووقوفه عند رأيهم وفي خلال ذلك
قبض المقتدر علي ابن الجصاص الجوهرى وأخذ منه من أصناف الأموال ما
قيمته أربعة آلاف دينار فأكثر

وفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وثب أبو طاهر القرمطى في جمعه على
البصرة فقتل منها خلقا كثيرا ونهب أموالا جمعة ثم صار إلى الكوفة ففعل فيها
كذلك ونهب (75 أ) غالب البلاد الفراتية وقطع الطريق على الحجاج وأخذ
أموالهم ومات الكثير منهم جوعا وعطشا وعاد إلى هجر قاعدة البحرين
وانقطع الحج من العراق بسبب ذلك
قال في تاريخ النيل وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ظهر في السماء بمصر
كوكب عظيم له شعاع عظيم يتبعه شهاب هائل بالجو شديد الحمرة أخذ من
جهة الشمال إلى جهة المشرق تقدير طوله ثلاثون رمحا وعرضه قريب من
رمحين فمه مفتوح كالحية أقام ثلاث ساعات ثم انطفأ
وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة دخل أبو طاهر
القرمطى مكة يوم التروية وخطب لعبيد الله المهدي صاحب إفريقية وقتل
الحاج قتلا ذريعا ورمي القتلى في زمزم وأخذ الحجر الأسود وعرى الكعبة وقلع
بابها وذهب بالحجر الأسود إلى البحرين وبقي عنده اثنتين وعشرين سنة إلا
شهرًا حتى رده على ما سيأتي ذكره بعد أن بذل له بجكم التركي أحد أمراء
المقتدر خمسين ألف دينار فما فعل وقال أخذناه بأمر وما نرده إلا بالأمر
وتعطل الحج بعد ذلك من العراق إلى سنة عشرين وثلاثمائة والمقتدر متماد
على ما هو عليه من تحكيم النساء والخدام والرجوع إلي قولهم ورايهم
فاجتمعت العساكر إلى مؤنس الخادم وألزموا المقتدر أن يشهد على نفسه
بالخلع ففعل وبايعوا أخاه محمد ابن المعتضد ولقبوه القاهر بالله ونهبت دار
الخلافة واستخرج من قبر في تربة أم المقتدر ستمائة ألف دينار ثم أعيد الأمر
إلى المقتدر بعد يومين وحبس القاهر عند والدة المقتدر فأحسننت إليه
ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر قبله عيسى بن محمد النوشري فوليها عن المقتدر أبو منصور
تكين في سنة سبع وتسعين ومائتين ثم عزله وولى عليها أبا الحسن في سنة
ثلاث وثلاثمائة ثم عزله وولى عليها هلال بن يزيد سنة سبع وثلاثمائة وولى
عليها أحمد بن كيغلق في سنة (75 ب) إحدى عشرة وثلاثمائة وولى عليها أبو
منصور تكين ثالث مرة في السنة المذكورة وكان على دمشق وحلب أحمد بن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

كيغلق وبقى فيهما ألى آخر أيام المقتدر
وكان على مكة محمد بن سليمان الزيدى من عقب سليمان ابن داود بن
الحسن المثنى بن البسط قال البيهقى خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه
بالإمارة في سنة إحدى وثلاثمائة
وكانت اليمن بيد بنى زياد
وكان ما وراء النهر وخرسان بيد أحمد بن إسماعيل من بنى سامان فقتل في
سنة إحدى وثلاثمائة وولى بعده ابنه أبو الحسن نصر بن أحمد فبقى إلى ما بعد
أيام المقتدر
وكانت إفريقية قد استولى عليها دعاة عبيد الله المهدي فغوى أمرهم وبوع
لعبيد الله المذكور بها في ربيع سنة سبع وتسعين ومائتين وبعث العمال إلى
نواحيها وبنى مدينة المهديه بإفريقية شرقى تونس وجعلها دار ملكه
التاسع عشر من خلفاء بنى العباس بالعراق
القاهر بالله
وهو أبو منصور محمد بن المعتضد بالله المقدم ذكره وأمه أم ولد اسمها قتول
وقيل فتنة كان أبيض يعلوه حمرة مربوعا أعين وافر اللحية ألثغ شديد الإقدام
على سفك الدماء أهوج محبا لجمع المال قبيح السياسة بوع له بالخلافة يوم
الخميس لليلتين
بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة وكان مؤسس الخادم قد أشار بمبايعة أبي
العباس بن المقتدر فاعترضه إسحاق النوبختى بأن ابن المقتدر صبي لا يصلح
لتدبير الأمور

وكان نقش خاتمه محمد رسول الله وبقى حتى خلع من الخلافة لست خلون
من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ولما دخل عليه القضاة
والشهود ليشهدوا عليه بالخلع قال لهم لى في أعناقكم بيعة ولست أحلكم منها
فتركوه وانصرفوا فبقى إلى الليل فسمل في عينيه بحديدة محماة فكان أول
خليفة سمل فكانت مدة خلافته إلى أن سمل سنة واحدة وستة أشهر وثمانية
أيام ولم يزل باقيا في دار الخلافة مسمولا حتى أخرجه المستكفى في شهر
ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وردة إلى داره فأقام مدة ثم خرج إلى (76 أ)
جامع المنصور في يوم جمعة فقام فعرف الناس بنفسه وسألهم أن
يتصدقوا عليه فقام إليه ابن أبي موسى الهاشمى فأعطاه ألف درهم وردة إلى
داره

وبقى حتى توفى في خلافة المطيع ليلة الجمعة لثلاث خلون من جمادى الأولى
سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وعمره اثنتان وخمسون سنة ودفن في دار ابن
طاهر وكان له من الأولاد أبو الفضل وعبد الصمد وأبو القاسم وعبد العزيز وهو
ولى عهده

الحوادث والماجريات في خلافته
لما ولى الخلافة صادر جماعة من أمهات أولاد المقتدر وأولاده وضرب أم
المقتدر وعلقها برجل واحدة يقررها على المال وكانت مريضة بالاستسقاء
فماتت بعد عشرين يوما ثم قتل النوبختى الذى أشار بولايته وقتل مؤنسا ولما
قتلهم لقب نفسه القاهر بالله المنتقم من أعداء الله لدين الله وضرب ذلك
على الدنانير والدراهم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ولما ولى الخلافة سير ركب الحجيج من العراق إلى مكة بعد أن كان تعطل الحج في سنة عشرين وثلاثمائة فحج بالناس أميره في تلك السنة ثم انقطع الحج من العراق إلى أن صولحت القرامطة على مال يؤديه الحجيج إليهم في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة في أيام الراضى

وفي أيامه ابتدأ ظهور بنى بويه ملوك الديلم وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد بويه بن فناخسرو من عقب بهرام جور بن يزدجرد أحد ملوك الفرس وكان رأسهم عماد الدولة وهو أكبرهم فاستولى على أصفهان ثم استولى على أرجان ثم على كاذرون وغيرها من أعمال فارس وعظم أمره وقويت شوكته وفي أيامه في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة توفى ابن دريد صاحب المقصورة (76 ب) ولايات الأمصار في خلافته كان على مصر قبله أبو المنصور تكين فعزله وولى عليها أبا القاسم محمد بن طغج المعروف بالإخشيدي في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة فبقى إلى ما بعد خلافة القاهرة وقيا فيه غير ذلك وكان على دمشق أحمد بن كيغلق مع مصر فبقى إلى ما بعد خلافة القاهرة وكان على حلب أحمد بن كيغلق نيابة عن الإخشيدي وكان على مكة محمد بن سليمان السليمانى وكان اليمن بيد بنى زياد وكان ما وراء النهر وخراسان بيد أبي الحسن نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى فبقى إلى ما بعد خلافة القاهرة وكان المستولى على إفريقية وسائر بلاد المغرب عبيد الله المهدي جد الخلفاء الفاطميين ونائبه بالغرب الأقصى فبقى إلى ما بعد خلافة القاهرة وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموى ابن محمد المقتول فبقى إلى ما بعد خلافة القاهرة زمنا طويلا العشرون من خلفاء بنى العباس بالعراق الراضى بالله وهو أبو العباس محمد بن المقتدر بالله المقدم ذكره وأمه أم ولد اسمها ظلوم ولد اسمها ظلوم ولد سنة تسع وتسعين ومائتين وكان أسمر اللون أعنق مسنون الوجه خفيف العارضين وكان أدبيا حسن الشعر محبا للأدباء والفضلاء سخيا يبذل المال وهو آخر خليفة له شعر يدون ومن شعره
يصفر وجهى إذا تأمله
طرفى ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذى بوجنته
من دم قلبى إليه قد نقل

بويج له بالخلافة يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى (77 أ) سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكان محبوسا فأخرج وأجلس على سرير القاهرة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وسلموا عليه بالخلافة وأقيم القاهر بين يديه بعد أن سمت عيناه وسلم عليه بالخلافة وبقي حتى توفى بالاستسقاء ليلة السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة وأشهر ومدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وكان له من الأولاد أبو جعفر أحمد وأبو الفضل عبد الله

الحوادث والماجريات في خلافته

لما ولى الخلافة استوزر أبا علي بن مقله إمام الكتابة في صنعة الخط فكان من أمره أنه ضرب محمد بن شنبوذ المقرئ بالدرة لقراءات أنكرت عليه فدعا عليه بقطع اليد وتشيت الشمل ثم قبض الراضي على ابن مقله في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة واستوزر عبد الرحمن بن عيسى ثم قبض عليه واستوزر أبا جعفر الكرخي وكان ابن رائق على واسط والبصرة فقطع الحمل وقطع البريدي حمل الأهواز وأعمالها فضاقت الأمور على الوزير أبي جعفر فصرفه الراضي واستوزر سليمان بن الحسن والأمر على مضايقة على الوزير فبعث الراضي إلى ابن رائق يستقدمه من واسط ليقوم بالأمور فقدم فقلده إمارة الجيش وأمر أن يخطب له على المنابر مع الخليفة وهو أول من أشرك مع الخليفة في الخطبة وبطل نظر الوزير من يومئذ ولم يبق من

الوزارة الا اسمها بعد ان كانت امور الدولة قبضا وصرفا وتولية وعزلا راجعة الى الوزير وتغلب عمال الاطراف عليها ولم يبق للخليفة غير بغداد واعمالها والحكم فيها لابن رائق دونه والاطراف (77 ب) كالنهاب بأيدي اقوام متفرقة واستقدم ابن رائق ابا الفضل بن الفرات وكان على خراج مصر والشام فاستوزره له وللخليفة ثم استولى معز الدولة بن بويه على الاهواز بأمر اخيه عماد الدولة وكان بجكم التركي بخدمة ابن رائق فسعى ابن مقله عند الراضي في القبض على ابن رائق وامامة بجكم مقامه ففطن ابن رائق فقام عليه عند الراضي حتى قطع يده في نصف شوال سنة ست وعشرين وثلاثمائة واجيبت دعوة ابن شنبوذ المقرئ ء فيه

وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب ثم بلغ ابن رائق انه يسعى في الوزارة بعد ذلك وانه يدعو عليه وعلى الراضي فقطع لسانه وضيق عليه في الحبس ولحقه ذرب ولم يكن عنده من يخدمه فكان يستقي الماء في البئر بيده السليمة ويضبط الحبل بفيه ولم

يزل على ذلك حتى مات في الحبس في شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ودفن في دار الخليفة ثم نبش وسلم الى اهله فدفنوه في داره ثم نبش ونقل الى دار اخرى

ومن العجيب انه ولى الوزارة لثلاثة خلفاء المقتدر والقاهر والراضي ووزر ثلاث مرات وسافر ثلاث سفرات اثنتين الى شيراز وواحدة الى الموصل ودفن ثلاث مرات على ما تقدم

وفي سنة ست وعشرين سار بجكم التركي من واسط الى بغداد لقصد ابن رائق امير الجيوش بها فهرب ابن رائق واختفى ودخل بجكم الى بغداد فخلع عليه الراضي وعقد له لواء وجعله امير الامراء ثم ظهر ابن رائق بعد ذلك فقلده الراضي بموافقة بجكم حران والرها وقنسرين والعواصم فسار اليها واستولى عليها

وفي أيامه ظهر محمد بن علي الشلمغاني وادعى امورا مرجعها الى حلول (78 أ) الالهية والقول بالتناسخ والتشيع وان ذلك ادى به الى دعوى الالهية واتبعه

جماعة عون وابن عبدوس وقاله بالهيته فقبض عليه وعلى صاحبيه المذكورين واتي بهم الى الراضي فأمر صاحبيه بصفعه فامتنعا فأكرها على ذلك فصفعه ابن عبدوس ومد ابن عون يده ليصفعه فارتعدت يده فقبل لحيته ورأسه وقال الهي وسيدي وزارق فأمر الراضي بابن الشلمغاني وابن عون فصلبا حين واحرقا بالنار وفي أيامه فتحت جنوة وغيرها على يد القائم العلوي صاحب افريقية والمغرب الاقصى وفي أيامه لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة انقضت النجوم في هذه الليلة من اول الليل الى اخره انقضا لم يعهد مثله وفي سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وقع في مصر وباء عظيم واستمر الى سنة احدى وثلاثين ولايات الامصار في خلافته كانت مصر بيد ابي القاسم الاخشيد فبقي الى ما بعد خلافة الراضي وكان على دمشق احمد بن كيغلغ نيابة عن الاخشيد صاحب مصر فاستولى ابن رائق في سنة ثمان وعشرين عليها وعلى حمص وطرد نائب الاخشيد واستقرت مصر للاخشيد والشام لابن رائق واستخلف ابن رائق على الشام ابا الحسين احمد بن علي بن مقاتل في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة فبقي الى ما بعد خلافة المتقي وكان على حلب بدر الاخشيدي نيابة عن الاخشيد فبقي الى ما بعد خلافة المتقي وكان البصرة في يد ابن رائق مضافا الى نظره في بغداد واعمالها وخوزستان في يد البريدي وفارس في يد عماد الدولة بن بويه وكرمان في يد (78 ب) ابي علي بن الياس والرّي واصفهان والجل وهو عراق العجم في يد ركن الدولة بين بويه وشمكير بن زياد يتنازعانها والموصل وديار ربيعة وديار بكر في يد بني حمدان وكان اليمن بيد بني زياد وكان من وراء النهر وخراسان بيد ابي الحسن نصر بن احمد الساماني فبقي الى ما بعد خلافة الراضي وكانت طبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي

وكان افريقية والغرب الاقصى في يد عبيد الله المهدي الى ان توفي في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وولى بعده ابنه القائم بأمر الله ابو القاسم محمد المقدم ذكره فبقي الى ما بعد خلافة الراضي

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان على لا الاندلس عبد الرحمن الاموي فيقي الى ما بعد خلافة الراضي
الحادي والعشرون من خلفاء بن العباس
المتقي لله

وهو ابو اسحاق ابراهيم بن المقتدر المقدم ذكره وامه
ام ولد اسمها خلوب وقيل زهرة وكان ابيض اشهل العينين اشقر الشعر
بوع له بالخلافة يوم الاربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة تسع
وعشرين وثلاثمائة باتفاق ابي عبد الله الكوفي كاتب بجكم وابي القاسم
سليمان بن الحسن وزير الراضي وغيرهم وبجكم اذ ذاك غائب بواسطة
وعرضت عليه القاب من الاب الحلفاء فاختر منها المتقي لله فلقب به وكان
نقش خاتمه المتقي لله وبقي حتى قبض عليه وسملت عيناه يوم السبت لعشر
بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فكانت مدة خلافته ثلاث سنين
وخمسة اشهر وعشرين يوما ثم مات بعد ذلك في خلافة المطيع (79 أ) في
سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وعمره ستون سنة وكان له من الاولاد ابو منصور
ولى عهده

الحوادث والماجريات في خلافته
لما بوع بعث الى بجكم وهو بواسطة فحضر فيقاه على امرة الامراء واقر
سليمان بن الحسن وزير الراضي على الوزارة وليس له من الوزارة سوى
اسمها والامر في ذلك للكوفي كاتب بجكم ففي ذلك قيل

وزير رضي من باسه وانتقامه
بطىء رقاغ حشوها النظم والنشر
كما تسجع الورقاغ وهي حمامة
وليس لها نهى يطاع ولا امر
وبقي الامر على ذلك الى ان خرج بجكم لقتال البريدي فمر بأكراد فطمعت
نفسه في مالهم فقصدتهم ففروا من بين يديه فتبعهم وطعنه صبي من الاكراد
برمح في خاصرته طعنة مات منها فلما بلغ المتقي قتله استولى على داره
واخذ منها اموالا جمة وجد اكثرها مدفونا وكانت مدة اماره بجكم سنتين
وثمانية

اشهر واياما ولما قتل بجكم قدم البريدي بغداد واستولى على الامر اياما ثم
اخرجه العامة منها لسوء سيرته واستولى على الامر بعده كورتيكين مدة طويلة
وسار ابن رائق بعد استخلافه على دمشق حتى دخل بغداد فغلب كورتيكين على
الامر وحبسه وقلد المتقي ابن رائق امرة الامراء وطوق وسور ثم عاد البريدي
الى بغداد في سنة ثلاثين وثلاثمائة واستولى عليها ونهبها وهرب المتقي وابن
رائق الى جهة الموصل لناصر الدولة يستمدانه فأكرم نزلهما ونثر الدنانير على
رأس ابن المتقي ولما قاما للأنصراف امر ناصر الدولة اصحابه بقتل ابن رائق
فقتلوه وذلك لسبع بقين من رجب سنة ثلاثين وثلاثمائة وسار ناصر الدولة بن
حمدان الى المتقي صحبة ابنه (79 ب) فخلع المتقي عليه وجعله امير الامراء
وسار المتقي وناصر الدولة الى بغداد فهرب منها البريدي بعد ان اقام بها ثلاثة
اشهر وعشرين يوما ودخل المتقي وناصر الدولة الى بغداد في جيوش عظيمة
وامر ناصر

الدولة باصلاح الدنانير فاصلحت وكان كل دينار بعشرة دراهم فبيع بثلاثة عشر درهما وفي سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة سار ناصر الدولة من بغداد الى الموصل فثارت الديلم ونهبت دار ناصر الدولة وكان توزون قد خرج من محبسه فقصده بغداد وسار سيف الدولة بن حمدان اخو ناصر الدولة من واسط الى بغداد فدفعت اليه المتقي اربعمائة الف دينار فرقها في العساكر لمنع توزون والاتراك عن بغداد فلما وصل توزون بمن معه من الاتراك الى بغداد هرب سيف الدولة عنها ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة فخلع المتقي على توزون وجعله امير الامراء ثم خرج المتقي واهله من بغداد الى جهة الموصل خوفا من توزون واجتمع بناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان فأقاموا مدة ثم سار المتقي الى بغداد لملاقاته فلقبه بالسندية فقبل له الارض وقبل يده وركابه ثم قبض عليه بعد ذلك وسمل عينيه يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وسار به الى بغداد وهو اعمى

وفي سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ارسل ملك الروم يطلب من المتقي منديلا كان بكنيسة الرها تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام مسح به وجهه فصار صورة وجهه فيه على ان يطلق في نظير ارساله عددا من اسرى المسلمين فاستشار العلماء في ذلك فاختلف رأيهم فبعض قال استنقاذ (80 أ) الاسرى اولى من بقاءه وبعض قال في دفعه غض من الاسلام وقد مرت عليه دهور ولم يدفع اليهم ثم ترجع ارساله لاطلاق الاسرى فبعث به اليه وفي ايامه وقع غلاء شديد بالعراق حتى بلغ كر الحنطة مائتي دينار وعشرة دنانير وخرج الحرير من قصر الرصافة ينادين الجوع الجوع وفي خلافته في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة نقص النيل في زمن الاحتراق حتى لم يوجد في المقياس ما يقاس فقيس في الجزيرة فكان ذراعين وستة اصابع ولايات الامصار في خلافته كان على مصر قبله ابو القاسم الاخشيدي فبقي الى ما بعد خلافته المتقي

وكانت دمشق بيد ابي الحسين احمد بن علي بن مقاتل فانتزعا منه ابو القاسم الاخشيدي فبقي عليها حتى مات في سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة والتحقيق ان دخول الوهن على الخلافة من حين خلافة الراضي وتأمير ابن رائق على الجيوش واشتراكه مع الخليفة في الدعاء له على المنابر فبقي معه الى ما بعد خلافة المتقي

وكان اليمن بيد بني زياد

وكان ما وراء النهر بيد الخانية من ملوك الترك

وخراسان بيد ابي الحسن نصر الساماني فتوفي في سنة احدى وثلاثين

وثلاثمائة وملك بعده ابنه نوع بن نصر فبقي الى ما بعد خلافة المتقي

وكانت افريقية والغرب الاقصى بيد القائم بأمر الله ابن عبيد الله الفاطمي

فبقي الى ما بعد خلافة المتقي

وكان علي الاندلس الناصر عبدالرحمن الاموي فبقي الى ما بعد خلافة المتقي

الثاني والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق

المستكفي بالله

وهو ابو القاسم عبدالله بن المكتفي بالله المقدم ذكره وامه (80 ب) ام ولد اسمها غصن كان ابيض حسن الوجه قد وخطه الشيب بويع له بالخلافة بعد خلع المتقي وامته بين يديه وتسليمه عليه بالخلافة لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة على ما تقدم ولقب نفسه آخر السنة المذكورة امام الحق وضربه على الدنانير والدرهم وكان نقش خاتمه المستكفي بالله بتقي وبقي الى حين خلعته في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة فكانت خلافته الى ان خلع سنة واحدة واربعة اشهر واقام بعد ذلك في دار السلطان الى ان توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وعمره ست واربعون سنة واشهر الحوادث والماجريات في خلافته لما ولى الخلافة قام بتدبير دولته توزون امير الامراء

المقدم ذكره إلى أن توفي لثمان من المحرم سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وهو مسافر فكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وأياما واجتمع الجيش بعده على محمد بن يحيى كاتب توزون ووصل خبر موته إلى بغداد في جمادى الأولى الولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة فقلد المستكفي أبا الحسين أحمد بن بويه الإمارة مكان توزون ولقبه معز الدولة ولقب أخاه أبا علي الحسن عليا ركن الدولة وخلع عليهم وأمر أن تضرب أسماؤهم على الدنانير والدرهم مع اسم الخليفة وهم أول من ضرب اسمه من ملوك الإسلام على النقود مع اسم الخليفة ونزل معز الدولة دار مؤنس الخادم فنزل أصحابه بدور الناس بالقهر ولم يعهد ذلك فيما تقدم ورتب معز الدولة للمستكفي (81 أ) في كل يوم خمسة آلاف درهم للنفقات يتسلمها كاتبه وذلك أول ما رتب للخليفة معلوم له لا يتعداه ثم إن قهرمانه للمستكفي اسمها علم صنعت دعوة وأحضرت جماعة من الديلم فركب إلى دار

السلطان في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة بسبب وصول خراسان فأجلس الخليفة معز الدولة على كرسي ويقال إنه رجلان من الديلم فمدا إليه أيديهما فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها لهما فجذباها لهما فجذباها وجعلا عمامته في عنقه وسحباها بها وقام معز الدولة وقبض الديلم على القهرمانه وسبق المستكفي إلى دار معز الدولة ماشيا ونهت دار الخلافة ثم أحضر المطيع الآتي ذكره إلى معز الدولة وأقيم المستكفي بين يديه وسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع وسلمت عيناه ولم أقف له على ذكر أولاده ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر قبله أبو القاسم الإخشيد فتوفي في سنة أربع وثلاثين وملك بعده ابنه أنوجور بن الإخشيد وهو صغير وقام بتدبير دولته كافور الإخشيدي الخادم

وكانت دمشق بيد الإخشيد أيضا فملكها بعده ابنه أنوجور المذكور في تدبير كافور المقدم ذكره فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفي

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكانت حلب مع أنوجور المذكور ونائبه فيها بدر الإخشيدي فانتزعها منه سيف الدولة حمدان أيضا في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وبقي بها حتى توفي في سنة ست وخمسين وثلاثمائة وكان اليمن مع بني زياد وكان ما وراء النهر وخراسان بيد نوح بن (81 ب) نصر الساماني فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفي وكان على إفريقية والغرب الأقصى القائم بأمر الله العلوي فتوفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقد عهد إلى ابنه المنصور بالله إسماعيل فقام بالأمر بعده وبقى إلى ما بعد خلافة المستكفي وكان على الأندلس الناصر عبد الرحمن الأموي فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفي الثالث والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق المطيع لله وهو أبو العباس الفضل بن المقتدر المقدم ذكره وأمه أم ولد اسمها مشغلة ولد في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثمائة ولم أقف على ذكر صفته بوع له بالخلافة يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقيل لثمان بقين منه ولم أقف على نقش خاتمه هو ولا من بعده من الخلفاء وبقى حتى خلع نفسه في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة فكانت خلافته إلى أن خلع تسعا وعشرين وخمسة أشهر وقيل وأربعة وعشرة أيام وتوفي بعد ذلك في منتصف ذي الحجة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وكان له من الأولاد أبو بكر الطائع الآتي ذكره وعبد العزيز وجعفر الحوادث والماجريات في خلافته

ولى الخلافة وقد ازداد أمر الخلافة إديارا ولم يبق للخلفاء أمر نافذ وتسلم نواب معز الدولة العراق بأسره ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته وبقي الأمر على ذلك حتى مات معز الدولة بن بويه في سنة ست وخمسين وثلاثمائة وكان ابنه بختيار بالأمر بعده بعهد من أبيه ولقب عز الدولة واستقر في أمرة الأمراء فأساء السيرة واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمغنين ونفى كبار الدولة وأخذ إقطاعاتهم وبقى الأمر على ذلك إلى أن سار بختيار إلى الأهواز فاستخلف سبكتكين التركي عنه ببغداد وقتك (82 أ) بختيار بمن صحبه من الأتراك فنهض سبكتكين ونهب دار بختيار ببغداد واستولى على الأمر مكانه وقد عجز المطيع عن الحركة والدفع لمرض به وثقل لسانه فدعا سبكتكين إلى خلع نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لولده الطائع فأجاب إلى ذلك وخلع نفسه

وفي أيامه كثرت الزلازل فزلزلت الأرض في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ثلاث مرات ثم في سنة أربع وأربعين مرتين في شهر واحد ثم في سنة سبع وأربعين مرتين في شهر واحد وفي سنة ست وخمسين انتهت زيادة النيل إلى اثني عشر ذراعا وخمسة عشر فقط

أصبعا ولم يعهد مثل ذلك وفي سنة ثمان وخمسين وقع بمصر غلاء عظيم بيع القمح فيها ويبة بدينار ونصف والخبز رطل بدرهمين والبيضة بدرهم وثلاث وفي أيامه طمع الروم في بلاد المسلمين فقصدوا حلب في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة واستولوا عليها دون قلعها وأخذوا منها أموالا عظيمة لسيف الدولة وفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة فتح المصيصة وطرسوس وقتل وأسر وفي سنة خمس وخمسين وصل الروم إلى آمد ونصيبين وإنطاكية وطرسوس وعتوا فسادا 4

وفي سنة ثمان وخمسين ملكوا إنطاكية وحصروا حلب حتى صالحوهم عن حلب وما معها من البلاد وهي حماة وحمص وكفر طاب والمعرة وفاميه وشيرز وما بين ذلك في سنة إحدى وستين وصلت الروم إلى الجزيرة والرها ونصيبين وقتلوا وسبوا وذهب الناس إلى بغداد مستغيثين بختيار فطلب من الخليفة مالا يستعين به على الغزاة فباع قماشاً بأربع مائة ألف درهم (82 ب) وأوصلها إليه فصرفها في مصالح نفسه وترك أمر الغزاة ولايات الأمصار في خلافته

كانت مصر بيد الإخشيد فتوفي في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وتقلد ابنه أنوجور ومعناه محمود وغلب كافور الإخشيد الخادم على أمره وقام بتدبير دولته ثم مات أنوجور في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وقام أخوه على الأمر بعده ثم مات علي بن الإخشيد في المحرم سنة خمسين وثلاثمائة

فوليها بعده كافور الإخشيد المقدم ذكره وكان يدعى له على المنابر بمصر والشام والحجاز ثم جلب إليه الزكاة فقال اصرفوها من أيديكم فلم يجدوا من يقبلها فقال ابنو بها المساجد وأجروا لها الأرزاق ففعلوا وبقي إلى أن مات في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة فعقد الأمر لأبي الفوارس أحمد ابن علي بن عبيد الله بن طغج خليفته بها ثم دخل جوهر قائد المعز الفاطمي إلى مصر يوم الثلاثاء لست عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة واستولى عليها وأذن بحى على خير العمل وقطع الخطبة للعباسيين وخطب بالجامع العتيق بالفسطاط لمولاة المعز واختط القاهرة وبنى قصر الخلافة بوسطها حيث دار الضرب الآن وما حولها من المدرسة الصالحية ومشهد الحسين والبيمارستان العتيق وما جاور ذلك ثم وصل المعز إلى الديار المصرية ودخل القاهرة في سنة إحدى وستين وثلاثمائة واستخلف على بلاد إفريقية بلكين بن زيري

وكانت دمشق بيد الإخشيد (83 أ) أيضا فوليها بعد وفاته ابنه أنوجور وقام بتدبير دولته كافور الإخشيد على ما تقدم ذكره ثم إنتزعها منه سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب ثم إنتزعها منه كافور الإخشيد ثانيا وولى عليها بدرا الإخشيد الذي كان عليها أولا فأقام بها سنة ثم وليها أبو المظفر بن طغج ثم لما مات أنوجور ملكها مع مصر أخو علي ابن الإخشيد ثم كافور بعده ثم أحمد بن علي ابن الإخشيد وهو آخر من ملكها منهم ثم كانت الدولة الفاطمية

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عند دخول جوهر القائد إلى مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وأقام بها جعفر بن فلاح نائباً ثم غلبت القرامطة عليها في سنة ستين وثلاثمائة ثم ملكها المعز معد بن تميم العبيدي من القرامطة وولى عليها ريان الخادم وبقي المعز إلى ما بعد خلافة المستكفي

وكانت حلب بيد سيف الدولة بن حمدان فبقي بها حتى توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة وملكها بعده ابنه سعد الدولة أبو المعالي شريف ثم إنتزعا منه

قرعويه غلام أبيه في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فبقي إلى ما بعد خلافة المطيع

وخطب بمكة لمعز الدولة بن بويه مع الخليفة في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وكان الحج قد تعطل بسبب القرامطة على ما تقدم فبرز أمر المنصور بن القائم الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر القرمطي برد الحجر الأسود إلى مكانه فرده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وخطب لابن بويه واتصلت وفود الحج من يومئذ وفي سنة ثلاث

وخمسين خطب بمكة مع مطيع وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لختيار بن معز الدولة بعد موت أبيه ثم سنة ستين وثلاثمائة جهز المعز الفاطمي (83 ب) عسكرياً من إفريقية لإقامة الخطبة له بمكة فبادر الحسن بن جعفر بن الحسن ابن سليمان السليماني من المدينة وملك مكة وخطب له بها وكتب إليه المعز بالولاية وخرجت مكة عن العباسيين وكان اليمن بيد بني زياد

وكان ما وراء بيد الخانية ملوك الترك

وخراسان بيد نوح بن نصر الساماني فوليه بعده ابنه منصور وبقي إلى ما بعد خلافة المطيع

وكان على إفريقية وبلاد المغرب المنصور إسماعيل بن القائم الفاطمي فبقي حتى توفي في رمضان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وولى المر بعده ابنه المعز لدين الله معد وانتهت مملكته بالغرب إلى البحر المحيط وفتح قائده جوهر مصر على ما تقدم في منتصف شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة واختط القاهرة ثم قدم المعز إلى مصر ودخل القاهرة لخمسة من رمضان سنة ثنتين وستين وثلاثمائة واستخلف على إفريقية والغرب بلكين بن زيري وأنزله القيروان وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح واجتمع له ملك والشام وبلاد المغرب فبقي إلى ما بعد خلافة المطيع

وكانت تلمسان بيد يعلى بن محمد اليفرني ولاها له الناصر الأموي في سنة أربعين وثلاثمائة وتوفي فوليه

بعده محمد بن الخير بن محمد بن خزر داعية الحكم المستنصر الأموي في حدود سنة ستين وثلاثمائة وبقي حتى مات في حرب صنهاجة وغلبت صنهاجة على تلمسان فبقيت بأيديهم إلى ما بعد خلافة المطيع

وكان على الأندلس الناصر عبدالرحمن الأموي وتوفي في رمضان سنة خمسين وثلاثمائة وولى بعده ابنه الحكم وتلقب المستنصر فبقي إلى ما بعد خلافة المطيع

الرابع والعشرين من خلفاء بني العباس بالعراق

الطائع لله

(84 أ) وهو أبو بكر عبدالكريم بن المطيع المقدم ذكره وقد تقدم نسبه
وامه أم ولد اسمها هزار بوع له بالخلافة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وبقي حتى
خلع نفسه على ما سيأتى لعشر بقين من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة
فكان مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما وبقي بعد خلعه عند
القادر بالله الاتى ذكره حتى توفى في خلافة القادر ليلة الفطر سنة ثلاث
وتسعين وثلاثمائة وعمره ست وسبعون سنة
الحوادث والماجريات في خلافته

قال المؤيد صاحب حماه ولم يكن للطائع في ولايته من الحكم ما يستدل به
على حاله ولما بوع بالخلافة انحدر سبكتكين إلى واسط وتبعه الطائع والمطيع
وهو مخلوع فمات المطيع بدير العاقول ومرض سبكتكين ومات فحمل إلى
بغداد فدفن بها وقدم عسكر سبكتكين عليهم أفتكين أحد قوادهم وسار إلى
واسط وبها بختيار فجرى بينهم وبين بختيار قتال كبير وبعث بختيار إلى ابن عمه
عضد الدولة بن ركن الدولة صاحب فارس يستنجده فقدم عضد الدولة العراق
واستولى على بغداد بعد قتال وأعاد الخليفة إلى دار الخلافة ورأى عضد الدولة
عجز بختيار عن القيام بأمر الجند فأشار عليه بصرف نفسه عن الإمرة ففعل
ثم قبض عليه بعد ذلك وحبسه واستبد عضد الدولة بالأمر وأحسن إلى الخليفة
الطائع وعظمه وأتحفه بالأموال وبلغ الخبر ركن الدولة بن بويه بفارس فأنكر
على ابنه عضد الدولة وأرسل يتوعده ويهدده بسبب بختيار فرد عضد الدولة
الأمر إلى بختيار

وخلع عليه وأعادته إلى ما كان عليه وسار عنه إلى فارس موضع ملك أبيه ركن
الدولة وبقي الأمر (84 ب) على ذلك حتى مات ركن الدولة في سنة ست
وستين وثلاثمائة واستخلف على ملكه ابنه عضد الدولة بعد أن عقد لابنه فخر
الدولة على همذان وأعمال الجبل ولابنه مؤيد الدولة على أصفهان وأعمالها
وجعلهما تحت حكم أخيهما عضد الدولة في هذه البلاد وسار عضد الدولة بعد
وفاة أبيه إلى العراق فدخل بغداد وقد خرج عنها بختيار إلى جهة الشام ثم عاد
إلى بغداد لقتال عضد الدولة فقبض عضد الدولة عليه ثم قتله واستقر عضد
الدولة في تدبير أمور الخلافة ببغداد وبقي إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين
وثلاثمائة فكانت ولايته بالعراق خمس سنين وستة أشهر وهو الذى بنى سور
المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وولى الأمر بعده ابنه
صمصام الدولة أبو كالجار بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ثم سمل
وكان اخوه شرف الدولة بن عضد الدولة بكرمان فلما بلغه موت أبيه سار إلى
فارس وملكها وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة ولم
بك إلا ما كشفت عنا فقبض على عيسى النصرانى فصادره وعزل ميسا عن
الشام

وكان على دمشق ريان خادم المعز الفاطمى نيابة عنه ثم غلب عليها أفتكين
مولى معز الدولة بن بويه الديلمى وقطع الخطبة بها للمعز الفاطمى وخطب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

للطائع العباسي في سنة أربع وستين وثلاثمائة ثم انتزعها منه المعز الفاطمي بعد ذلك وقبض عليه بعد قتال جرى بينهما وأحضره معه إلى مصر وأنزله هو ومن معه من الديلم داخل بابى زويله على القرب من (85 ب) حارة الديلم فسميت بهم حارة الديلم إلى الان ثم بعد موت المعز وولاية ابنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه قسام وكان يخطب بها للعزيز الفاطمي ثم انتزعها العزيز من قسام وقرر فيها بكتكين في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ثم انتزعها منه بكجور مولى قرعوبه صاحب حلب بأمر العزيز الفاطمي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع

وكانت حلب بيد قرعوبه غلام سيف الدولة بن حمدان فغلب عليها بكجور غلام قرعوبه المذكور واقتلعها منه ثم انتزعها منه سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فبقى إلى ما بعد خلافة الطائع وكان على مكة الحسن بن جعفر السليماني فمات فولى عليها أخوه عيسى وبقى إلى ما بعد خلافة الطائع وكان على المدينة النبوية أبو الحسين طاهر من ولد مسلم بن طاهر بن الحسن الحسيني فبقى بها إلى ما بعد خلافة الطائع وكان اليمن بيد بني زياد وكان ما وراء النهر بيد الخانيه من ملوك الترك وخرسان بيد منصور بن نوح فمات في سنة ست وستين وثلاثمائة وولى بعده ابنه نوح بن منصور فبقى إلى ما بعد الطائع الحوادث والماجريات في خلافته لما استقر في الخلافة وسار من البطائح إلى بغداد وصله مهذب الدولة صاحب البطائح بأموال جمّة وقام بتدبير دولته بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى أن توفي بأرجان وقد ملك العراق في سنة ثلاث وأربعمائة وكان مدة ملكه أربع وعشرون سنة وولى بعده بغداد وما معها ابنه (86 ب) سلطان الدولة أبو شجاع إلى أن تشعب عليه الجند في سنة إحدى عشرة وأربعمائة فاستخلف على العراق أخاه مشرف الدولة وسار إلى الأهواز ثم بدا له في صرف أخيه مشرف الدولة فبعث جيشا لقتاله فكانت الكسرة على جيش سلطان الدولة فتضعفت نفسه وهرب إلى الأهواز في فل من الناس وبقى مشرف الدولة حتى توفي في ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة فكانت مدة ملكه خمس سنين وعشرين يوما وملت بغداد من سلطان فتسلط الأتراك على الناس بالمصادرات وطمع أوباش الناس في رؤسائهم ثم سار جلال الدولة بن بهاء الدولة من البصرة إلى بغداد باستدعاء القادر الخليفة والجند له فخرج القادر لملتيقاه وحلفه واستوثق منه ودخل بغداد ثالث رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة واستقر في بغداد خاصة وباقي الأعمال لأبي كاليجار بن سلطان الدولة

وفي أيامه في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ملك الروم مدينة حمص واستولوا عليها وفيها حدث بدمشق زلزلة عظيمة سقط منها زهاء ألف دار ومات تحت الردم خلق كثير وخسفت قرية من قرى بعلبك وخرج الناس من دورهم إلى الصحاري وفي سنة عشرة وأربعمائة سقط بالعراق برد كبار وزن البردة رطلان فأقل وأصغرها بقدر البيضة

وفي أيامه توفي صاحب أبو القاسم بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه بالري ونقل إلى أصفهان فدفن بها وهو أول من لقب صاحب من الوزراء وذلك أنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقبل له صاحب ابن العميد ثم أطلق عليه هذا اللقب

على قتله في الثالث من ذي القعدة إحدى عشرة وأربعمائة وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة وولى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم المقدم ذكره في يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة 0 (87 ب) وأربعمائة فبقى إلى ما بعد خلافة القادر

وكان على دمشق منير الخادم من جهة العزيز الفاطمي فولى عليها الحاكم بن العزيز أبا محمد الأسود في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة فيبقى إلى ما بعد خلافة القادر وأفرط في التشيع حتى أنه شهر رجلا مغربيا بها ونادى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر فلا أحسن الله جزاءه

وكان على حلب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ثم تقلدها أبو علي بن مروان من الفاطمي خليفة مصر في سنة ثمانين وثلاثمائة ولم يدخلها وبقيت بيد سعد الدولة

حتى توفي بالفالج في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة وولى بعده ابنه أبو الفضائل ثم انتزعها منه أبو نصر بن لؤلؤ وخطب بها للحاكم الفاطمي ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى نوابه فتسلموها منه واستقرت بأيديهم حتى وليها منهم رجل اسمه عزيز الملك فبقي بها بقية أيامه ثم صارت إلى الظاهر بن الحاكم فوليا عنه ابن سفيان فبقي إلى ما بعد خلافة القادر وكان على الموصل حسام الدولة المقلد بن المسيب العقيلي وهو أول من استولى منهم على الموصل ملكها في سنة ثمانين وثلاثمائة وبقي حتى قتل في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة بعد أن عظم شأنه وقام مقامه في ذلك ابنه قرواش بن المقلد وكان على مكة عيسى بن جعفر ثم ولى بعده

السليمان بن أمير مكة المدينة سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم الفاطمي وأزال إمرة بني الحسين منها وحاول الحاكم الفاطمي نقل الجسد الشريف النبوي إلى مصر ليلا فهاجت بهم ريح عظيمة أظلم منها الجو وكادت تغلق المباني من أصلها فردهم أبو الفتوح عن ذلك وعاد إلى مكة ورجع أراء المدينة إليها فوليا منهم هاني بن داود بن قاسم ثم مهنا أخوه

قال الشريف الحراني النسابة (88 ب) وكان بها في سنة ثمان وأربعمائة أبو عمارة حمزة ومقتضى كلامهم أنه بقي إلى ما بعد خلافة القادر وكان على اليمن من بني زياد أبو الجيش بن إبراهيم فبقي حتى توفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وخلف طفلا كعلته أخته هند بنت أبي الجيش مع عبد لأبيه اسمه رشد فبقى حتى مات فتولى مكانه حسين بن سلامة وصار وزيراً لهندا وأخيها حتى ماتا ثم ملكوا

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عليهم طفلا اسمه إبراهيم وقيل عبدالله بن زياد وقام بأمره عمته وعبد من عبيد حسين بن سلامة اسمه مرجان فقبض عبد لمرجان اسمه قيس على الطفل وعمته في سنة سبع وأربعمائة واستبد بالملك ثم قتل قيس بزبيد وملك بعده نجاح عبد مرجان وعظم شأنه وركب بالمظلة وضربت السكة باسمه وبقي إلى ما بعد خلافة القادر

وكان على خراسان وما وراء النهر نوح بن منصور الساماني فمات في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وقام بالأمر بعده أبو الحارث منصور بن نوح فبقي حتى قبض عليه بكتوزون في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وسمل عينيه وأقام في الملك أخاه عبد الملك وهو صبي صغير فكتب محمود بن سبكتكين صاحب غزنة إلى بكتوزون ينكر عليه ما كان من فعله مع منصور بن نوح ثم سار إلى خراسان فاستولى عليها وقطع خطبة السامانية منها وبذلك زالت دولتهم من خراسان وبقي ما وراء

النهر مع عبد الملك بن نوح وبكتوزون فسار إليهم أيليك خان ملك تركستان ودخل بخارى عاشر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وقبض على عبد الملك بن نوح وحبسه حتى مات في الحبس وزالت دولة السامانه مما وراء النهر أيضا وكانت قد انتشرت وطبقت أكثر الأرض وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلا وتوالت (89 أ) عليها أيدي ملوك التركستانية إلى أن غلب عليها ملكشاه السلجوقي على ما سيأتي ذكره

وكانت غزنة أولا مع بني سامان مع خراسان فلم تزل بأيديهم حتى غلب عليها سبكتكين أحد مماليك أبي إسحاق صاحب جيش غزنة للسامانية المقدم ذكره في سنة ست وستين وثلاثمائة بعد موت أبي إسحاق المذكور وذلك ابتداء ملك سبكتكين ثم مات وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل ثم غلب عليها أخوه محمود بن سبكتكين واستضاف إليها بعض خراسان في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وقطع خطبة السامانية وبقي حتى توفي سنة

إحدى وعشرين وأربعمائة بعد ان فتح الكثير من بلاد الهند وأحرق صنمهم الأعظم بسومناك وكسره وحمل بعضه إلى غزنة فجعله عتبة جامعها وملك بعده ابنه محمد بن محمود بعهد من أبيه إليه فبقي إلى ما بعد خلافة القادر

وكان على إفريقية المنصور بن بلكين من جهة العزيز بن المعز الفاطمي وبقي حتى توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وقام بالأمر بعده ابنه باديس بن المنصور وبقي حتى توفي سنة ست وأربعمائة فجأة وهو نائم بين أصحابه وقام بالأمر بعده ابنه المعز بن باديس وهو ابن ثمان سنين وبقي إلى ما بعد خلافة القادر فانتحل السنة ورفض التشيع

وكان بلكين بن زيري صاحب إفريقية قد غلب على الغرب الأوسط في سنة تسع وستين وثلاثمائة وأجلوا عنه مغراوة الذين كانوا به من تقادم السنين وبعث العزيز الفاطمي من مصر جيشا لاسترجاع ملكه بالغرب في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فلم يظفروا بقصد ثم استولى هشام بن الحكم الأموي بالاندلس على بلاد المغرب وكتب له بذلك

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عهدا وبقي على ذلك إلى ان مات في سنة سبع عشرة وأربعمائة وولى من بعده (89 ب) ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية فبقى إلى ما بعد خلافة القادر

وكانت تلمسان من الغرب الأوسط بيد صنهاجة إلى أن استقل زيري بن عطية بولاية المغرب وطرده المنصور بن أبي عامر من الغرب الأقصى فصار إلى تلمسان واستولى عليها ثم عقد المظفر الأموي صاحب الأندلس على بلاد المغرب للمعز بن زيري سنة ست وتسعين وثلاثمائة فاستعمل على تلمسان ابنه يعلى واستقرت ولايتها في بني زيري إلى حين انقراض دولتهم بلمتونة في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين

وكان على الأندلس المؤيد هشام فبقى إلى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ثم غلبه على ذلك محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره وتلقب بالمهدى في جمادى الآخرة من هذه السنة ثم غلب عليه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره في شوال منها ثم غلب عليه المهدي محمد بن هشام ثم عاد هشام بن الحكم المقدم ذكره في ذى الحجة من السنة المذكورة ثم عاد سليمان بن الحكم المقدم الذكر في منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة وتلقب بالمستعين ثم غلب عليه المهدي محمد بن هشام المتقدم الذكر في أخريات السنة المذكورة ثم غلب المستعين على قرطبة ثم قتل المهدي محمد بن هشام المذكور وعاد المؤيد هشام هذا والمستعين في ذلك كله محاصر قرطبة إلى أن فتحها في سنة ثلاث وأربعمائة وقتل المؤيد هشاماً ثم غلبه

علي بن محمود وأخوه قاسم من الأدارسة على قرطبة وملوكها وقتلوا المستعين وأزالوا ملك بني أمية من الأندلس في سنة سبع وأربعمائة واتصل ذلك في خلف الأدارسة سبع سنين ثم غلب على علي بن حمود عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ثم (90 أ) رجع الأمر إلى يحيى بن علي بن حمود سنة ست عشرة وأربعمائة ثم بوع المعتد بالله هشام بن محمد أخى المرتضى الأموي سنة ثمان عشرة وأربعمائة فبقى إلى ما بعد خلافة القادر السادس والعشرين من خلفاء بني العباس بالعراق القائم بأمر الله

وهو أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله المقدم ذكره وأمه أم ولد اسمها بدر الدجى وولادته سنة سبع وثمانين وثلاثمائة بوع له بالخلافة عقب موت أبيه القادر في ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

وأرسل أفضى القضاة أبا الحسن الماوردي الشافعي إلى الملك أبي كالجار المرزبان بن سلطان الدولة بفارس وما معها فأخذ له البيعة عليه وخطب له في بلاده وبقي حتى توفى ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وأيام وكان سبب موته فيما ذكر أنه أصابه ماشر فافتصد فانفجرت فصادته وهوائم فخرج منه دم كثير وهو لا يشعر فاستيقظ وقد سقطت قوته فأحضر وزيره ابن جهير والقضاة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وأشهدهم قوته فأحضر وزيره ابن جهير والقضاة وأشهدهم أنه جعل ابن ابنه عبد الله ابن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله ولي عهده ومات ومدة خلافته أربع وأربعون سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرون يوما ولم يكن له عقب غير ابن ابنه المذكور الحوادث والماجريات في خلافته لما ولي الخلافة قام بتدبير دولته جلال الدولة بن بهاء الدولة بن بويه الديلمي وتشغبت عليه الجند ببغداد في

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ونهبوا داره (90 ب) وأخرجوه من بغداد وكتبوا إلى الملك أبي كالجيار يستدعونه إلى بغداد ثم وقع الإتفاق بين جلال الدولة والجند وعاد جلال الدولة إلى بغداد وفي سنة ست وعشرين وأربعمائة انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون أموال الناس ليلا ونهارا ولا مانع لهم والسلطان جلال الدولة عاجز عن دفعهم وانتشرت العرب في النواحي فنهبوا البلاد وقطعوا الطرق ثم وقعت الوحشة بين جلال الدولة وبين القائم بأمر الله الخليفة في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة بسبب أن الجوالي كانت تجبى وتحمل إلى الخليفة لا يعارضه فيها الملوك فاستولى عليها جلال الدولة في هذه السنة ثم توفى جلال الدولة ببغداد في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة فكان ملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهرا ولما مات كان ابنه الملك العزيز بواسط فكاتبه الجند في أمر السلطنة فلم يجد من يعينه على ذلك ومات قبل انتظام أمره فكاتب الملك أبو كالجيار المرزبان بن سلطان الدولة بن

ركن الدولة بن بويه صاحب فارس وما معها عسكر بغداد في استقرار السلطنة ببغداد له فأجابوه إلى ذلك وخطب له ببغداد في صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة وخطب له أيضا أبو الشوك وديبس بن مزيد زنصر الدولة بن مروان ببلادهم ثم سار أبو كالجيار المذكور إلى بغداد فدخلها في رمضان من هذه السنة وزينب ببغداد لقدمه ثم توفى أبو كالجيار في ربيع جمادى الأولى سنة أربعين وأربعمائة بمدينة جناب من كرمان وعمره أربعون سنة فكان ملكه العراق أربع سنين وشهرين ولما وصل خبر وفاة أبي كالجيار إلى بغداد (91 أ) وبها ولده الملك الرحيم جمع الجند واستحلفهم واستولى على بغداد ثم أرسل الملك الرحيم عسكرا إلى شيراز قاعدة فارس فقبضوا على أخيه أبي المنصور القائم مقام أبيه بفارس في شوال من هذه السنة وخطب للملك الرحيم بشيراز ثم سار الملك الرحيم من بغداد إلى خوزستان فلقبه من بها الجند وأطاعوه ثم سار طغرل بك بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي نحو بغداد حتى وصل حلوان فعظم الإرجاف ببغداد وبعث قواد بغداد يبذلون له الطاعة وأن يخطبوا له فأجابهم طغرل بك إلى ذلك وتقدم القائم الخليفة بذلك فخطب له بجوامع بغداد لثمان بقين من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة ثم أرسل طغرل بك يستأذن الخليفة في دخول بغداد فتوجهت إليه رسل الخليفة وحلفوه للخليفة وللملك الرحيم المقدم ذكره فحلف لهما

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وسار طغرليك حتى دخل بغداد فنزلها واتفق أن بعض عسكر طغرليك وقع بينه وبين السوق ففتنة فثار أهل تلك المحلة على من فيها من عسكر طغرليك ونهبوهم وثارفت الفتنة بين العامة وعسكر طغرليك واتهم طغرليك الملك الرحيم في أنه السبب في تلك الفتنة فالتمس حضوره من الخليفة فخرج إليه هو وأعيان القواد فقبض طغرليك على الملك الرحيم وسائر القواد الذين معه فعظم ذلك على الخليفة وبعث إلى طغرليك في أمرهم فأفرج عن بعض القواد واستمر بالباقيين وبالملك الرحيم في الاعتقال

وبالقبض على الملك الرحيم زال ملك بنى بويه عن العراق واستقرت الدولة السلجوقية وسار طغرليك عن بغداد في عاشر ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة بعد أن أقام ببغداد ثلاثة عشر شهرا وأياما لم يلق فيها الخليفة (91 ب) واستولى طغرليك في خروجه تلك على الموصل وأعمالها ثم عاد إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وأربعمائة ودخل بغداد وقصد الاجتماع بالخليفة لقائم فجلس له الخليفة وعليه البردة على سرير عال عن الأرض نحو سبعة أذرع فقبل طغرليك الأرض بين يدي الخليفة وجلس على كرسى ثم قال له الخليفة على لسان رئيس الرؤساء إن الخليفة قد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاد ورد إليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك وخلع على طغرليك واعطى العهد فقبل الأرض ويد الخليفة ثانيا وانصرف ثم ارسل طغرليك الى الخليفة خمسين الف دينار وخمسين مملوكا من الاتراك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها ثم سار طغرليك من بغداد الى همدان في سنة خمسين واربع مائة وتبعه من كان ببغداد من الاتراك فقصد ارسلان البساسيري وهو مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ومعه قريش بن بدران الى بغداد فدخلها ثامن ذى القعدة من هذه السنة وخطب بجامع

المنصور للمستنصر العلوي خليفة مصر وامر بأن يؤذن فيها بحى على خير العمل ثم ركب البساسيري في جمع ونهب الحریم ودخل الباب النسوي فركب الخليفة القائم لابسا السواد وعلى كتفه البردة ويده سيف وعلى رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة وسرى النهب الى باب الفردوس من داره فلما رأى القائم ذلك رجع القهقري ودخل المنطرة فقال رئيس الرؤساء لقريش بن بدران امير المؤمنين القائم يستدم بدمامك ودمام رسول الله { صلى الله عليه وسلم } ودمام العربية على نفسه وماله وأهله وأصحابه (92 أ) فأعطاه قريش الذمام ونزل الخليفة الى قريش فتغير البساسيري لذلك وعتب على قريش ثم اتفق الأمر على ان يسلم رئيس الرؤساء الى البساسيري لأنه عدوه ويبقى الخليفة عند قريش وحمل قريش الخليفة الى معسكره بالبردة والقضيب واللواء ونهبت دار الخلافة وحریمها إياما ثم بعث بالخليفة مع بني عمه الى عانة فنزل بها وسار اصحاب الخليفة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الى طغرل وأقام البساسيري بعد خروج الخليفة القائم ببغداد يحسن الى
الناس ويحمل

على رأسه في ركوبه في المواكب الوية المستنصر خليفة مصر وأرسل الى
المستنصر يعرفه اقامة الخطبة له بالعراق ثم سار البساسيري عن بغداد الى
واسط والبصرة فملكهما ثم عاد الخليفة القائم الى بغداد في سنة احدى
وخمسين وأربعمئة وأرسل طغرل بك الخيام العظيمة والآلات للقائم الخليفة
وسار مع الخليفة حتى دخل داره ببغداد لخمس بقين من ذى القعدة سنة احدى
وخمسين ثم خرج طغرل بك في طلب البساسيري وجهز اليه عسكريا فأدركه
وجرى بينهم قتال قتل فيه البساسيري وحمل رأسه الى طغرل بك فبعث بها
طغرل بك الى دار الخلافة فعلمت مقابل الباب النسوي ثم تزوج طغرل بك بنت
الخليفة القائم وعقد عليها في شعبان سنة ثلاث وخمسين وأربع مائة بتبريز
بوكمال من الخليفة ثم قدم طغرل بك الى بغداد ودخل بابنة الخليفة في سنة
خمس وخمسين وأربع مائة وثارت الرعية من عسكره بسبب اخراجهم لهم
من بيوتهم وفسقهم بنسائهم اخذا باليد وبعد دخول طغرل بك بابنة الخليفة سار
من بغداد الى بلاد الجبل وهي عراق العجم فمرض وتوفي بالري في
ثامن رمضان سنة خمس وخمسين وأربع مائة ولم يكن لطغرل بك عقب (92
ب) فاستقرت السلطنة بعده لابن اخيه محمد ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل
بن سلجوق ثم قتل الب ارسلان المذكور غيلة وهو في مائتي الف فارس في
عاشر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمئة وكان قد اوصى بالسلطنة لابنه
مكشاه وهو معه فعاد بالعسكر الى خراسان وقام بتدبير دولته نظام الملك
وزير ابيه فأحسن التدبير وأرسل الى بغداد والأطراف فخطب له بها على
قاعدة ابيه الب ارسلان وبقي السلطان ملكشاه في السلطنة الى ما بعد
خلافة القائم

ومن عجيب ما وقع في خلافته ما حكاه الشيخ ابو علي ابن سينا في كتابه
الشفاء انه في سنة ثمان وعشرين وأربعمئة وقع بجرجان صاعقة فنشبت في
الأرض ثم نبت نبوة الكرة التي ترمى بها الحائط ثم عادت فنشبت في الأرض
وسمع الناس لذلك صوتا عظيما هائلا فتفقدوا امره فظفروا به في صورة حديد
ملتئم من اجزاء جاوشية مستديرة قد التصق بعضها ببعض يزن مائة وخمسين
منا فحمل الى جرجان فالتمس منه محمود بن سبكتكين
صاحب خراسان يومئذ انفاذه اليه ان امكن او قطعة منه فتعذر نقله لثقله
فحاولوا كسر قطعة منه فلم تعمل فيه الآلات فأعملت الحيلة في فصل جزء
منه فأنفذ اليه فرام ان يطبع منه سيفا فتعذر عليه
وفي سنة ستين وأربعمئة كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة طلع فيها الماء
من رؤوس الآبار وهلك تحت الردم عالم كثير وزال البحر عن الساحل مسيرة
يوم فنزل الناس الى ارض البحر يلتقطون فرجع الماء عليهم وأهلك خلقا كثيرا
واعلم انه لم يكن للقائم عقب سوى ابن ابنه عبد الله بن ذخيرة الدين محمد
بن القائم توفي ابوه في حياة جده القائم وأمه (93 أ) حامل به فلما وضعته

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

فرح به جده القائم وعظم سروره فلما بلغ جعله ولى عهده ولقبه ذخيرة الدين
ولايات الأمصار في خلافته
كانت الديار المصرية بيد الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله فبقي
حتى توفي في شعبان سنة سبع
وعشرين وأربعمائة وولى بعده ابنه المستنصر بالله ابو تميم معد عقب وفاته
فبقي الى ما بعد خلافة القائم
وكان على دمشق ابو محمد الأسود من جهة القادر بالله الخليفة قبله فانتزعتها
منه انوشتكين الدزيري بأمر المستنصر الفاطمي في سنة تسع وعشرين
وأربعمائة ثم امر بالخروج عن طاعته في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة فخرج
عنها وخرج امرها بذلك وبقي الأمر على ذلك الى ما بعد خلافة القائم

وكان على حلب من جهة الظاهر لإعزاز دين الله ابن شعبان ثم تغلب عليها
صالح بن مرداس امير بني كلاب في سنة اربع وعشرين وأربعمائة ثم قتل في
ايام الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي المقدم ذكره فملكها بعده شبل الدولة
نصر بن صالح ثم انتزعتها منه انوشتكين الدزيري بأمر المستنصر العلوي في
شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة وتوفي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة
وملكها بعده معز الدولة شمال بن صالح بن مرداس ثم ملك قلعها بعد لك في
سنة اربع وثلاثين وأربعمائة ثم
تسلمها منه مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم في سنة تسع وأربعين
وأربعمائة بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك ثم انتزعتها منه محمود بن
شبل الدولة بن صالح المقدم ذكره وملك قلعها في سنة اثنتين وخمسين
وأربعمائة وبقي حتى توفي في ذي القعدة (93 ب) سنة اربع وخمسين
وأربعمائة وملكها بعده اخوه عطية بن صالح ابن سري الدولة في رمضان سنة
اربع وخمسين وأربعمائة فبقي بها الى ما بعد خلافة القائم
وكانت طرابلس بيد القاضي ابي طالب عماد قاضيها وكان قد استولى عليها
واستبد بها وبقي بها حتى توفي سنة اربع وستين وأربعمائة وملكها بعده ابن
اخيه جلال الملك ابو الحسن بن عماد فضبطها احسن ضبط
وكان على مكة ابو الفتوح السليماني من قبل الظاهر بن الحاكم الفاطمي
صاحب مصر وتوفي ابو الفتوح سنة ثلاثين وأربعمائة لست وأربعين سنة من
امارته وولى بعده ابنه شكر ثم ملك معها المدينة الشريفة واستضافها اليها
وجمع بين الحرمين ثلاثا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة
وله شعر رائع منه
قوض خيامك عن ارض تضام بها
وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة
فالمندل الرطب في اوطانه حطب

قال ابن حزم وكانت وفاته عن غير ولد وانقرض بموته دولة السليمانيين بمكة
وانتقل ذلك الى الهواشم وهم بنو ابي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

موسى بن عبد الله ابي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب فاستولى عليها محمد بن جعفر بن ابي هاشم المقدم ذكره بعد موت شكر في سنة اربع وخمسين وأربعمائة وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر ثم خطب لبنى العباس في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة فقطعت ميرة مصر عن مكة فعذله اهله فأعاد الخطبة للمستنصر الفاطمي ثم استماله القائم خليفة بني العباس وبذل له الأموال (94 أ) فخطب له سنة ثنتين وستين وأربعمائة بالموسم فقط وكتب للمستنصر بمصر يعتذر له ثم بعث له السلطان الب أرسلان السلجوقي بأموال كثيرة في سنة ثلاث وستين وأربعمائة فخطب له بنفسه ثم جمع محمد بن جعفر امير مكة وزحف الى المدينة فأخرج منها بني الحسين وملكها وجمع بين الحرمين وبقي الى ما بعد خلافة القائم وكان على المدينة قبله ابو عمارة حمزة ثم وليها بعده ابنه عبيد الله وكان بالمدينة سنة اربع وأربعمائة ثم قتل بالبصرة وولى بعده اخوه الحسين ثم ولى بعده ابنه مهنا بن الحسين ثم وليها هاشم بن الحسن ابن داود سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من قبل المستنصر الفاطمي صاحب مصر ولم اعلم ما بعد ذلك الى حين زوال ولاية القائم وكان اليمن بيد نجاح عبد مرجان فبقي فيه حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وملك بعده ابنه سعيد الأحوال بن نجاح وبقي الى ما بعد خلافة القائم

وكان ما وراء النهر بيد ملوك تركستان مضافا لما بأيديهم من ذلك وكانت خراسان بيد محمد بن محمود بن سبكتكين ثم ارتضى الجند مسعود بن سبكتكين فأقاموه بخراسان مقام ابن اخيه محمد بن محمود في السنة المذكورة وبقي مسعود حتى غلبه على خراسان داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وذلك ابتداء الدولة السلجوقية وبقي حتى توفي سنة احدى وخمسين وأربعمائة وملك بعده ابنه محمد الب أرسلان فبقي حتى قتل في سنة خمس وستين وأربعمائة عن تسع سنين وستة اشهر وأيام من سلطنته وملك بعده ابنه ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن سلجوق وأرسل الى بغداد والأطراف (94 ب) فخطب له بها على عادة ابيه وبقي الى ما بعد خلافة القائم وكان على غزنة وما معها محمد بن محمود بن سبكتكين فقدم اهل المملكة عليهم مسعود بن سبكتكين عم محمد بن محمود فملكوه عليهم فبقي حتى قتل في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ثم ملك بعده اخوه محمد المقدم ذكره ثم قتل من عامه وملك بعده ابن اخيه مودود بن مسعود وتوفي سنة احدى وأربعين وأربعمائة وملك بعده عمه عبد الرشيد ثم قتل في سنة اربع وأربعين وأربعمائة وملك بعده اخوه فرخزاد بن محمود وتوفي سنة احدى وخمسين وأربعمائة وملك بعده اخوه الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود وصالح داود ابن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان وبقي الى ما بعد خلافة القائم وكانت افريقية والغرب الأوسط بيد المعز بن باديس وهو في طاعة المستنصر الفاطمي صاحب مصر ثم خلع طاعته وقطع الخطبة له بإفريقية سنة اربعين

وأربعمائه وخطب للقائم خليفة بني العباس ببغداد وبقي حتى مات سنة أربع وخمسين وأربعمائه وقام بالأمر بعده ابنه تميم بن المعز بن باديس وغلبه العرب على أفريقية فلم

يكن له منها الا ما ضمه السور وبقي الى ما بعد خلافة القائم ولما استولى امير المسلمين يوسف بن تاشفين على الغرب الأقصى في سنة أربع وخمسين وأربعمائه استولى على الغرب الأوسط وولي على تلمسان محمد بن سمغريم من بعده لأخيه تاشفين وكان على الغرب الأقصى وكان بالأندلس هشام من محمد فتوفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائه وبوفاته انقطعت دولة الأمويين من الأندلس

وكان علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس من بقايا ملوك الأدارسة بالغرب الأقصى فعبر البحر من طنجة من بر العدو الى مالقة من (95 أ) الأندلس وملكها ودخل قرطبة قاعدة الأندلس في سنة سبع وأربعمائه وتلقب بالناصر لدين الله وبقي حتى قتله غلمانه في سنة ثمان وأربعمائه وولي اخوه القاسم ابن حمود وتلقب بالمأمون ثم غلب عليه يحيى ابن اخيه علي وملك منه قرطبة فملكها سنة ثنتي عشرة وأربعمائه وتلقب بالمعتلي وعلت دولته وبقي حتى

قتل وولي اخوه ادريس بن علي مالقة وتلقب بالمتأيد بالله وبايعه اهل المرية ورنده وأعمالها ومات سنة احدى وثلاثين وأربعمائه وولي بعده حسن بن يحيى المعتلي وتلقب بالمستنصر وبايعته غرناطة ايضا ومات مسموما سنة ثمان وثلاثين وأربعمائه وبويع بعده ادريس بن يحيى المعتلي ويلقب بالعالى وأطاعته غرناطة وما معها ثم قتل محمدا وحسنا ابني عمه ادريس فثار السودان بدعوة اخيهما محمد بمالقة فأسلموه وبويع محمد بن ادريس المتأيد بمالقة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائه وتلقب بالمهدي وأطاعته غرناطة وجيان وأعمالها ثم مات سنة أربع وأربعين وأربعمائه وبويع ادريس بن يحيى بن ادريس المتأيد ولقب الموفق ولم يخطب له ثم غلب عليه ادريس المخلوع الملقب بالعالى بن يحيى المعتلي فبويع بمالقة وبقي بها الى ان مات سنة سبع وأربعين وأربعمائه وبويع محمد الأصغر بن ادريس المتأيد وتلقب بالمستعلي

وخطب له بمالقة والمرية ورنده ومات سنة ستين وأربعمائه وكان محمد بن قاسم بن حمود قد ملك الجزيرة الخضراء سنة أربع عشرة وأربعمائه ثم ملكها من بعده ابنه القاسم وتلقب بالواثق ومات سنة خمسين وأربعمائه واستولى على الجزيرة المعتضد بن عباد وانقرضت دولة بني حمود بالأندلس وانتهى الحال الى ان امر الخلافة بالأندلس من بني امية وبني حمود (95 ب) قد اضمحل وتلاشى وتفرق ملك الأندلس في طوائف من الوزراء والموالي وكبار العرب والبربر وقام كل منهم بأمر ناحية وأخذوا في تغلب بعضهم على بعض فضعف بذاك امرهم حتى اعطوا الإتاوة لملوك الفرنج من بني ادفونش فأما اشبيلية وغرب الأندلس فاستولى على ذلك بنو عباد من لخم وكان اولهم ابو القاسم محمد بن ذي الوزارتين ابي الوليد بن اسماعيل ثم مات فقام بالامر

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بعده ابنه عباد وتلقب بالمعتضد وطالت أيامه وتغلب على أكثر الممالك بغرب الأندلس وبقي حتى مات سنة إحدى وستين وأربعمائة وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد وتلقب بالمعتد وقوي أمره واستولى على دار الخلافة بقرطبة وانتزعها من يد ابن جهور وفرق أبناءه على قواعد الملك وبقي إلى ما بعد خلافة القائم وأما قرطبة فاستولى عليها جهور بن محمد بن جهور الكلبي سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة في أيام فتنة بني أمية بها إلى أن يوجد خليفة فبقي إلى أن مات في المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وولى مكانه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور وفوض تدبير الأمر إلى ابنه الوليد فأساء السيرة فخلعه أهل قرطبة سنة إحدى وستين وأربعمائة واعتقل إلى أن مات سنة اثنتين وستين وأربعمائة وولى ابن عباد صاحب أشبيلية على قرطبة ابنه سراج الدولة فبقي إلى آخر خلافة القائم

وأما بطليوس فكان بها عند انقراض بني أمية من الأندلس أبو محمد عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الأفضس فاستبد بها سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ثم مات فولى بعده ابنه الظفر أبو بكر محمد وعظم ملكه ومات سنة ستين وأربعمائة وولى بعده ابنه المتوكل أبو حفص عمر بن محمد فبقي إلى ما بعد خلافة القائم

وأما طليطلة وهي قاعدة (96 أ) الأندلس قبل الإسلام فاستولى عليها اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون الهواري أيام فتنة بني أمية سنة تسع وأربعمائة وتلقب بالظافر وبقي حتى هلك سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولى مكانه ابنه أبو الحسن يحيى وتلقب بالمأمون وقوى ملكه وعظم شأنه وغلب على بلنسية وقرطبة وبقي إلى آخر خلافة القائم وأما شاطبة وما معها من شرق الأندلس فاستولى عليها العامريون من عقب المنصور بن أبي عامر المتقدم ذكره وأول من وليها منهم المنصور عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن أبي عامر سنة إحدى عشرة وأربعمائة وبويع له بجيان والمرية بمعاوضة خيران العامري ثم خرج خيران عن طاعة المنصور وقدم أبا عامر محمد بن المظفر ولقبه المؤتمن ثم المعتصم ثم أخرجه منها ثم مات خيران سنة تسع عشرة وأربعمائة وقام بأمره عميد الدولة أبو القاسم زهير العامري ثم قتل في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ورجع الأمر إلى المنصور عبد العزيز المقدم ذكره وولى على المرية معن بن صمادح سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وولى على بلنسية ابنه عبد الملك ثم انتزعها منه المأمون بن ذي النون سنة سبع وخمسين وأربعمائة ومات المأمون وولى مكانه حافده القادر وولى على بلنسية أبو بكر بن عبد العزيز من بقايا وزراء ابن أبي عامر فبقي إلى ما بعد أيام القائم

وأما سرقسطة والثغر فاستولى عليهما منذر بن يحيى التجيبي أيام فتنة بني أمية وتلقب بالمنصور ثم مات سنة أربع عشرة وأربعمائة وولى مكانه ابنه يحيى وتلقب بالمظفر ثم غلب عليه سليمان بن محمد بن هود وقتله في سنة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

أحدى وثلاثين (86 ب) وأربعمئة وملك سرقسطة وتلقب بالمستعين وقوى ملكه حتى ملك بلنسية ودانية ولاردة ومات سنة ثمان وثلاثين وأربعمئة وولى بعده ابنه أحمد وتلقب بالمقتدر وبقي أحمد إلى ما بعد خلافة القائم وأما دانية وميورقة فاستولى عليهما مجاهد بن علي من موالي المنصور بن أبي عامر سنة ثلاث عشرة وأربعمئة ومات سنة ست وثلاثين وأربعمئة وولى بعده ابنه علي وتلقب إقبال الدولة وبقي إلى ما بعد خلافة القائم

السابع والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق المقتدي بأمر الله وهو أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله وأمه أم ولد أسماها أرجوان عمرت عمرا طويلا حتى أدركت خلافته و خلافة ابنه المستظهر وخلافة ابن ابنه المسترشد كان قوي النفس عظيم الهمة بويع له بالخلافة بحضور مؤيد الملك بن نظام الملك و الوزير ابن جهير والشيخ أبي إسحاق الشيرازي وابن الصباغ ونقيب النقباء ابن الزينبي والقاضي أبي عبد الله الدامغاني وغيرهم من الأعيان في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمئة وبقي حتى توفي فجأة يوم السبت خامس عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمئة وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر و أيام و يقال إن شمس النهار القهرمانه سمته ومدة خلافته سبع عشر سنة وثمانية أشهر الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة ثلاث وسبعين وأربعمئة أرسل المقتدي بأمر الله الشيخ أبا إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي وإلى وزيره نظام الملك يشكو من عميد العراق أبي الفتح بن أبي الليث فأكرم السلطان ملكشاه ونظام الملك الشيخ أبا إسحاق وجرى بينه وبين إمام الحرمين مناظرة بحضرة نظام الملك وعاد بالإجابة إلى ما أتمسه الخليفة و رفعت يد العميد عن جميع ما يتعلق بالخليفة ثم سار السلطان ملكشاه من أصفهان إلى حلب فدخلها في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وأربع مائة ثم سار عن حلب ودخل بغداد في ذي الحجة من هذه السنة المذكورة وهو أول قدومه إلى بغداد واجتمع بالمقتدي الخليفة ثم خرج إلى الصيد ثم عاد إلى بغداد واجتمع بالمقتدي وأقام بها إلى صفر سنة ثمانين وأربع مائة ثم عاد إلى أصفهان ثم عاد إلى بغداد في رمضان سنة أربع وثمانين وأربع مائة و وصل إليه أخوه تنش بن ألب أرسلان وعمل الميلاد ببغداد و احتفل له الناس احتفالا عظيما

وأكثر الشعراء من وصف تلك الليلة و أمر ببناء الجامع المعروف بجامع السلطان ببغداد وأبتدأ كبار أمرائه بعمل مساكن لهم ببغداد ينزلون فيها فلما قدموا ببغداد تفرق شملهم بالموت والقتل عن قريب ثم قتل السلطان ملكشاه وزيره نظام الملك وهو عائد إلى بغداد في سنة خمس وثمانين وأربع مائة ودخل السلطان ملكشاه ببغداد في الرابع والعشرين من رمضان سنة خمس وثمانين وأربع مائة ثم خرج من بغداد للصيد وعاد في ثالث شوال مريضا فتوفي ليلة الجمعة نصف شوال المذكورة وكان من أجمل الناس صورة و

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

معنى وخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ومن أقاصي بلاد الإسلام إلى آخر بلاد اليمن وحملت له ملوك الروم الجزية وكانت أيامه أيام عدل وإدراك أرزاق وكان مغرى في الصيد وكان يتصدق بعدد كل وحش يصيده بدينار حتى أنه صاد مرة عشرة آلاف صيد فتصدق بعشرة آلاف دينار ولما مات أخفت زوجته تركان موته وفرقت المال في العساكر وسارت إلى أصفهان فاستحلفتهم لولدها محمود ابن ملكشاه وهو ابن أربع سنين وأشهر وخطبت له

في بغداد وغيرها ثم تحرك تنش بن ألب أرسلان من دمشق بعد موت أخيه ملكشاه لطلب السلطنة ومعه أق سنقر صاحب حلب واستولى على الموصل وأرسل إلى بغداد يطلب أن يخطب له فتوقفوا في إجابته لذلك وأقبل بركيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان للقائه فعاد تنش إلى الشام وقدم بركيارق بغداد وخطب له بها في ربيع المحرم سنة سبع وثمانين وأربع مائة وبقي الأمر ببغداد وغيرها بيد بركيارق إلى ما بعد خلافة المقتدي وفي أيامه في سنة أربع وثمانين وأربع مائة استولت الفرنج على جزيرة سقليا وأنتزعتها من يد نواب المستنصر العلوي أولاده منهم المستظهر بالله الآتي ذكره ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه المستنصر بالله الفاطمي فبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي وكان القائم بتدبير دولته وزيره بدر الجمالي وكانت دمشق قد خرج عنها أنوشتكين الدزبيري

فتغلب عليها أتسز بن أرتق الخوارزمي أحد أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي في سنة ثمان وستين وأربع مائة وقطع الخطبة بها للمستنصر الفاطمي وخطب للمقتدي العباسي ومنع الأذان بحى على خير العمل ولم يخطب بعدها بالشام لأحد من الفاطميين وبقي بها إلى ما بعد خلافة المقتدي وكان على حلب محمود بن شبل الدولة فبقي بها حتى توفي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربع مائة وملكها بعده ابنه نصر بن محمود فبقي حتى قتله التركمان وملكها بعده أخوه سابق بن محمود ثم أنتزعتها منه شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل في صفر سنة سبع وسبعين وأربع مائة وملكها بعده إخوه إبراهيم بن قريش ثم أنتزعتها منه تنش بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب دمشق في السنة المذكورة ثم أنتزعتها منه السلطان ملكشاه السلجوقي وسلمها إلى قسيم الدولة أقسنقر ثم أستعادها تنش بن ألب أرسلان المقدم ذكره بعد موت ملكشاه وأستضافها إلى دمشق وأنبسط ملكه حتى ملك بعد ذلك أذربيجان وبقي إلى ما بعد خلافة المقتدي وكان على مكة محمد بن جعفر فانقطع ما كان يصل إلى أمير مكة من العراق بعد موت القائم فقطع الخطبة للعباسيين ولما ولى المقتدي أرسل إليه بمال فأعاد الخطبة للعباسيين وجهز منبرا إلى مكة وكتب اسمه عليه بالذهب فوعدت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة فكسر المنبر وأحرق واستمرت الخطبة للعباسيين بعد ذلك إلى أن مات السلطان ملكشاه السلجوقي في سنة ست وثمانين وأربع مائة فانقطعت الخطبة من مكة للعباسيين وبطل الحج من العراق وبقي محمد بن جعفر على إمارته بمكة إلى ما بعد خلافة المقتدي ولم ادر من كان على المدينة في خلافته

وكان على اليمن سعيد بن نجاح ثم غلب على الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي في سنة خمس

وسبعين وأربع مائة ثم عاد ابن نجاح وملك زييد في سنة تسع وسبعين وأربع مائة ثم عاد الملك المكرم وملكها وقتل سعيدا في سنة إحدى وثمانين وأربع مائة وملك بعده ابن عمه أبو حمير سبأ فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى وكان ما وراء النهر بيد ملوك تركستان وكانت خراسان بيد ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وفي سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة سار إلى ما وراء النهر وملك بخارى وسمرقند وانتزعها من يد أحمد خان أحد ملوك تركستان وانتهى ملكه إلى كاشغر ثم استقرت بيد أحمد خان المقدم ذكره وبقى حتى قتل بالزندقة في سنة ثمان وثمانين وأربع مائة واستقر ابن عمه مسعود مكانه وبقيت خراسان بيد ملكشاه بن ألب أرسلان حتى توفي سنة خمس وثمانين وأربع مائة وملكها بعده أخوه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان فبقى بها حتى قتله بعض غلمانه في المحرم من هذه السنة ولما قتل أرسلان أرغون سار بر كيارق بن ألب أرسلان إلى خراسان فملكها وأرسل إلى ما وراء النهر فخطب له هناك وسلم خراسان إلى أخيه سنجر بن ملكشاه وجعل وزيره أبا الفتح بن الحسين الطغرائي وكانت غزته وما معها بيد الملك المؤيد إبراهيم بن مسعود فتوفى في سنة إحدى وثمنا 4 نين وأربع مائة وملك بعده ابنه مسعود بن إبراهيم فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى وكان على إفريقية تميم بن المعز بن باديس فبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى وكان على الغرب الأقصى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين أول ملوك المرابطين من لمتونه من البربر واستولى على الغرب الأوسط وانتزعه من يد بني باديس واستضافه إلى الغرب الأقصى وبقى إلى ما بعد خلافة المقتدى وأما الأندلس فكانت بيد ملوك الطوائف على ما تقدم فكانت إشبيلية بيد المعتمد بن عباد فبقى حتى غلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الأندلس فقبض عليه سنة أربع وثمانين وأربع مائة واعتقله إلى مات سنة ثمان وثمانين وأربع مائة وبقيت بيده حتى مات

وكانت قرطبة بيد سراج الدولة بن عباد فبقى بها حتى قتل في سنة سبع وستين وأربع مائة قتله ابن عكاشة ودعا بها على المنابر ليحيى بن إسماعيل بن ذي النون وقتل بها مسموما ثم تملكها المعتمد بن عباد في سنة أربع وثمانين وأربع مائة وكانت بطليوس بيد المتوكل بن الأفتس فبقى حتى قتله أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سنة تسع وثمانين وأربع مائة فبقيت بيده حتى مات وكانت طليطلة بيد المأمون بن الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن ذي النون حتى مات مسموما سنة سبع وستين وأربع مائة وولى بعده طليطلة حافده القادر يحيى ابن إسماعيل بن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المأمون غلبه عليها الطاغية أدفونش ملك طليطة واقتلها منه في سنة ثمان وسبعين وأربع مائة وهي بيد الفرنج إلى الآن وكانت سرقسطة بيد المقتدر أحمد فبقي حتى مات سنة أربع وسبعين وأربع مائة وولى بعده ابنه المؤتمن يوسف وكان له اليد الطولى في العلوم الرياضية وله فيها التأليف الجليلة ومات سنة ثمان وسبعين وأربع مائة وولى بعده ابنه المستعين أحمد فبقي إلى ما بعد خلافة المقتدى وأما دانية وميورقة فكانتا بيد إقبال الدولة علي من عقب المنصور ابن أبي عامر فدام ملكه بها ثلاثا وثلاثين سنة ثم غلبه المقتدر بن هود على دانية ونقله إلى سرقسطة فمات بها سنة أربع وسبعين وأربع مائة واستخلف على ميورقة صهره سليمان بن مشكيان فمات بها بعد خمس سنين فولى مكانه ناصر الدولة مبشرا فأقام خمس سنين أيضا وتغلب عليه المقتدر بن هود فاستقل مبشر بميورقة فبقي بها إلى ما بعد خلافة المقتدى الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق المستظهر بالله

وهو أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله المقدم ذكره بوبع له بالخلافة بعد موت أبيه في منتصف المحرم سنة سبع وثمانين وأربع مائة وعمره يومئذ ست عشرة سنة وشهران وقام ببيعته السلطان بركيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وبقي حتى توفى في السادس عشر من ربيع الآخر سنة ثنتي عشرة وخمس مائة وعمره إحدى وأربعون سنة وستة أشهر وأيام ومدة خلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد وعشرون يوما وكان له من الأولاد المسترشد والمقتفى كلاهما ولى الخلافة وأبو طالب الحوادث والهاجريات في خلافته لما ولى الخلافة قام بتدبير دولته السلطان بركيارق بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم غلب تتش بن ألب أرسلان على حلب وحران والرها والبلاد الجزرية وديار بكر وخراسان وأذربيجان وهمدان وكمل عسكره خمسين ألف مقاتل وبعث يطلب أن يخطب له ببغداد عن المستظهر الخليفة فأجيب إلى ذلك وخطب له بها وسار بركيارق إلى أصفهان وبها أخوه محمود فمرض محمود فمات في سلخ شوال سنة سبع وثمانين وأربع مائة واستقر بركيارق في السلطنة مكانه ثم سار بركيارق إلى عمه تتش فالتقيا على القرب من الري وانهزم عسكر تتش وقتل في المعركة في صفر من هذه السنة واستقامت السلطنة لبركيارق ثم سار بركيارق في سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة ودخل بغداد وأعيدت له الخطبة في صفر من هذه السنة ثم خرج بركيارق من بغداد وسار لحرب أخيه محمد وقصد الري فنزلها ثم سار

بركيارق من الري إلى بغداد وضائق عليه الأمور فطلب من الخليفة مالا يستعين به فحمل إليه الخليفة خمسين ألف دينار ولم يكفه ذلك حتى مد يده إلى مال الرعية وسار محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان ومعه أخوه سنجر في طلب بركيارق حتى وصل إلى بغداد وبركيارق مريض قد اشتد به المرض

وأيس منه فتحول إلى الجانب الغربي محمولا ثم وجد خفة فسار عن بغداد إلى واسط ودخل محمد وسنجر إلى بغداد فشكى إليهما المستظهر سوء سيرة بركيارق وخطب لمحمد ببغداد في سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة وكان بين محمد وبركيارق حروب آخره ان حصل الصلح على بلاد لكل واحد منهما يخطب له فيها ولما وصل خبر الصلح إلى المستظهر خطب ببغداد لبركيارق وأقيم إيلغازي بن أرتق شحنة له ببغداد ثم توفى بركيارق في ثانی شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربع مائة على القرب من أصفهان فحمل إليها فدفن فيها بعد أن حلف العسكر لولده ملكشاه بن بركيارق على أن يكون سلطانا مكانه وعمره يومئذ أربع سنين وأربعة أشهر وجعل الأمير أياز أتاكه فكانت سلطنة بركيارق اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر قاسى فيها عدة حروب

ومن غريب شأنه أنه كان كلما خطب له ببغداد وقع فيها الغلاء ولما مات بركيارق سار أياز ومعه ملكشاه بن بركيارق ودخلوا بغداد في سابع عشر ربيع الآخر وخطب لملكشاه بن بركيارق بجوامع بغداد موت بركيارق ثم سار أخوه السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان إلى بغداد ونزل بالجانب الغربي وبقي أياز وملكشاه بالجانب الشرقي وجرى بينهما مراجعات كان آخرها أن حلف السلطان محمد لابن أخيه ملكشاه وأتابكه أياز وحضر أياز والأمراء عند محمد وأحضروا ملكشاه عند عمه محمد فأكرمه واستقرت السلطنة لمحمد وذلك لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وأربع مائة ثم عمل السلطان محمد الحيلة في قتل أياز فقتل في الدهاليز غيلة ثم خرج السلطان من بغداد بعد ذلك لأمواره ثم عاد إليها فمات بها في ذى الحجة سنة تسع وخمس مائة بعد أن لقي من الحروب والمشاق مالا مزيد عليه مع سيرته العادلة وأبطاله المكوس في جميع بلاده وعهد بالملك بعده إلى ولده محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق وعمره يومئذ أربع عشرة سنة وجلس محمود على تخت السلطنة يوم وفاة أبيه بالتاج والسوارين وخطب له بالسلطنة في الثامن والعشرين من ذى الحجة ومن غريب الاتفاق أنه لما توفى السلطان ألب أرسلان توفى بعده القائم بامر الله ولما توفى ملكشاه توفى بعده المقتدى ولما توفى محمد توفى بعده المستظهر وفي أيام المستظهر استولت الفرنج على أنطاكية ووضعوا السيف في المسلمين ونهبوا أموالهم ثم ساروا إلى المعرة فاستولوا عليها ووضعوا السيف في المسلمين ونهبوا أموالهم وساروا إلى حمص فصالحهم أهلها وفي سنة اثنتين وتسعين وأربع مائة استولى الفرنج على بيت المقدس وملكوه من أبدى الخلفاء الفاطميين وأقاموا يقتلون في المسلمين مدة أيام وقتل من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد على تسعين ألف نفس منهم جماعة

من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم ممن جاور هناك ثم في سنة سبع وتسعين استولوا على جبيل وعكا ثم استولوا في سنة اثنتين وخمسمائة على مدينة طرابلس من يد صاحبها ابن عمار كما تقدم بعد نهب وسبى ثم في سنة أربع وخمسة مائة ملكوا مدينة صيدا وقصدوا حلب وصالحهم صاحبها الملك رضوان على اثنين وثلاثين ألف دينار يحملها إليهم مع خيول وثياب ووقع الخوف في قلب أهل الشام فصالحهم أهل صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم صاحب شيز على أربعة آلاف دينار وصالحهم صاحب حماه على ألفي دينار وقصد بردويل أحد ملوك الفرنجة الديار المصرية فأنتهى إلى الفرما ودخلها وحرقها وحرق جامعها ومساجدها ودخلها وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله إلى العريش فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته في السبخة المعروفة الآن بسبخة بردويل من طريق الشام فهي ترجم إلى الآن ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر قبله المستنصر الفاطمي فتوفى في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربع مائة وفي أيام المستنصر هذا كان الغلاء العظيم بمصر دام سبع سنين قال صاحب سير النيل مكث النيل سنتين لم يطلع ثم طلع في السنة الثالثة فلم يجد من يزرع لخراب مصر ثم طلع في السنة الرابعة فأقام الرابعة والخامسة لم ينزل ثم نزل في السادسة فلم يطلع ولم يبق في مصر إلا صباه من الناس ولم يبق دابة تمشى على أربع سوى حمار يركبه الخليفة المستنصر فبينما المستنصر ذات يوم عند باب زويلة إذ استقبلته امرأة عليها آثار النعمة فسبته ولعنته فقال لها مالك يا أختاه وهو يبكي لما أصاب الناس في زمانه قالت كان معي خمسون دينارا اشتريت بها نصف أردب قمحا فاختطفها الناس مني وبقي معي هذه الحفنة فقال وما حيلتي قالت خذ هذه الصبابة

التي بقيت من الناس واستسقى بهم ففعل ثم طلب شمس الخلافة بن أبي الرداد امين النيل يومئذ فقال له زاد الله في النيل ست عشرة ذراعا فامتنع وقال يا أمير المؤمنين كيف والنيل يخاض من البر إلى البر الآخر فقال له إن لم تفعل وإلا قتلتك فخرج ينادى زاد أمير المؤمنين ال 4 مستنصر اليوم في النيل ست عشرة ذراعا فبلغ المستنصر ذلك فطلبه وأنكر عليه فقال يا أمير المؤمنين الكذب على مخلوق لا يجوز أفيجوز الكذب على الله فيكي المستنصر وتركه ونزل ابن أبي الرداد فبات ليلته تلك بالمقياس يتهدد ويصلى إلى الصباح فدخل المقياس فوجده قد زاد ست عشرة ذراعا فخرج ينادى زاد الله اليوم في النيل ست عشرة ذراعا

والمستنصر هو الذي بنى سور القاهرة اللين في سنة ثمانين وأربع مائة ولما مات المستنصر ولى بعده ابنه المستعلى بالله أبو القاسم أحمد يوم وفاة أبيه وبقي حتى مات لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربع مائة

وولى بعده الأمر بأحكام الله أبو عيسى المنصور فبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر وكان على دمشق قبله أئسز بن أرتق أحد أمراء السلاجقة ثم غلب عليها تتش ابن الب أرسلان السلجوقي وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربع مائة ثم توفى فملكها بعده ابنه دقاق ابن تتش وأشرك معه في الخطبة أخاه رضوان صاحب حلب مقدما لرضوان في الذكر على نفسه ثم توفى دقاق سنة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

تسع وتسعين وأربع مائة فخطب طغتكين أتابك دولته لابن دقاق وهو طفل ابن سنة واحدة ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلتاش بن تنش ثم قطع الخطبة لبلتاش وأعادها للطفل وهو آخر من خطب له بدمشق من بني سلجوق ثم استقر طغتكين المقدم ذكره في ملك دمشق بنفسه وبقي بها إلى ما بعد خلافة المستظهر واستضاف إليها حماه في سنة تسع وخمس مائة وكان على حلب تنش بن ألب أرسلان فبقي بها

حتى قتل في صفر سنة ثمان وثمانين وأربع مائة وملكها بعده ابنه رضوان بن تنش وبقي حتى توفي سنة سبع وخمس مائة وملكها بعده ابنه ألب أرسلان بن رضوان المعروف بالأخرس ثم قتله غلمانه في سنة ثمان وخمس مائة وملكها بعده ابنه سلطان شاه بن رضوان ثم انتزعها منه إيلغازي بن أرتق وسلمها لولده تمرتاش بن إيلغازي ثم غلب عليها سليمان بن إيلغازي بن أرتق فبقي بها إلى ما بعد خلافة المستظهر وكانت طرابلس بيد أبي علي بن عمار فبقيت بيده حتى ملكها منه الفرنج واستولوا عليها في حادي عشر ذي الحجة سنة ثلاث وخمس مائة وقتلوا ونهبوا وسبوا فبقيت بأيديهم مائة وأربعمائة وثمانين سنة على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى

وكانت حماة بيد طغتكين أتابك دولة رضوان بن تنش السلجوقي ملكها في سنة تسع وخمس مائة ثم انتزعها منه السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي في السنة المذكورة وسلمها للأمير فيرخان بن قراجا ثم ملكها توري بن طغتكين وقرر بها ابنه سونج فبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستظهر

وكان على مكة محمد بن جعفر من الهواشم فمات في سنة سبع وثمانين وأربع مائة لثلاث وثلاثين سنة من إمارته وولى بعده ابنه قاسم فاضطربت الأمور عليه وبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر ولم أدر من كان على المدينة في خلافته

وكان على اليمن أبو حمير سبأ فبقي حتى توفي سنة خمس وتسعين وأربع مائة وهو آخر ملوك الصليحيين وبقيت اليمن شاعرة عن ملك إلى ما بعد خلافة المستظهر هذا ما أورده صاحب حماة في تاريخه وقيل كان الملك المقدم في سنة إحدى وثمانين وأربع مائة جياش بن نجاح ومات سنة ثمان وتسعين وأربع مائة ثم ملك بعده منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح ثم ملك بعده ابنه فاتك بن منصور بن فاتك

وكان ما وراء النهر بيد أرسلان خان بن محمد بن سليمان ابن داود بن نجرخان من بني سيق خان الذي كان قد رأى في منامه أنه أسلم فأسلم يقظة فقبض عليه السلطان سنجر السلجوقي في سنة أربع وعشرين وخمس مائة وحبس فمات في الحبس وولى مكانه بسمرقند أبا المعالي طمغاج الحسن بن علي من أعيان بيت الخانية ولم تطل مدته فولى بعده محمود بن أرسلان خان في سنة ثنتين وعشرين وخمس مائة وبقي إلى ما بعد خلافة المستظهر

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي فبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر
وكان على غزنة مسعود بن إبراهيم بن مسعود من بني سبكتكين فبقى حتى توفي سنة ثمان وخمس مائة ومك بعده أرسلان شاه بن مسعود ثم ملكها منه بهرام شاه
أخوه بمعاضده السلطان سنجر السلجوقي صاحب خراسان وما معها وخطب بها لملوك بني سلجوق ثم لبهرام شاه ثم امسك أخاه أرسلان شاه وحنقه واستقل بالسلطنة سنة اثنتي عشرة وخمس مائة وبقى بهرام شاه إلى ما بعد خلافة المستظهر
وكان على إفريقية تميم بن المعز بن باديس فمات سنة إحدى وخمس مائة ومك بعده ابنه يحيى بن تميم فراجع طاعة الخلفاء الفاطميين بمصر ووصلته المخاطبات والهدايا والتحف منهم وأكثر غزو الفرنج حتى أعطى الجزية من وراء البحر وبقى حتى مات فجأة بقصره سنة تسع وخمس مائة ومك بعده ابنه على بن يحيى فدام على ما كان عليه أبوه من طاعة الخلفاء الفاطميين بمصر وبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر
وكان الغرب الأقصى وتلمسان والغرب الأوسط بأسره بيد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين

وكان الأندلس قد غلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين منه على إشبيلية وغيرها ثم استتبع الباقي منه بأيدي ملوك الطوائف حتى لم يبق منه إلا سرقسطة بيد المستعين ابن هود واستولى على العدوتين فملك الأندلس والغرب الأقصى والغرب الأوسط وخطب الخليفة ببغداد فقلده جميع ذلك وبقى حتى توفي سنة خمس مائة ومك بعده ابنه علي وتلقب بأمير المسلمين أيضا فبقى إلى ما بعد خلافة المستظهر
التاسع والعشرون من خلفاء بني العباس بالعراق المسترشد بالله
وهو أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله المقدم ذكره وأمه أم ولد كان فصيحاً شهما حسن الخط بوع له بالخلافة يوم موت أبيه في ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمس مائة وقام بعقد البيعة له القاضي أبو الحسن الدامغانى والسلطان يومئذ محمود بن محمد بن ملكشاه ابن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي وبقى حتى توفي قتيلاً في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمس مائة وعمره ثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر ومدة خلافته سبع عشرة سنة وستة عشر يوماً وكان له أولاد منهم الراشد الآتى ذكره الحوادث والماجريات في خلافته
في سنة ثلاث عشرة وخمس مائة سار السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي لحرب ابن أخيه السلطان محمود بن محمد والتقيا بالرى فانهمز محمود ونزل السلطان سنجر في خيامه ثم وقع الصلح بينهما على أن يخطب للسلطان سنجر أولاً ثم بعده للسلطان محمود واستولى سنجر على الرى واستضافها إلى ما بيده وقدم محمود إلى عمه سنجر بالرى فأكرمه وأحسن نزله وفي سنة أربع عشرة وخمس مائة كان لمسعود بن السلطان محمد الموصل واذربيجان

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

فخطب مسعود لنفسه بالسلطنة وجمع عسكره وسار إلى أخيه محمود والتقى
فانهزم مسعود واختفى ثم طلب من أخيه محمود الأمان فأمنه فقدم عليه
فأحسن تلقيه وكان

السلطان محمود قد عاد إلى بغداد فخرج عنها في هذه السنة ثم توفى
السلطان محمود في سنة خمس وعشرين وخمسائة بهمدان وأقيم ولده داود
في السلطنة مكانه ثم في سنة ست وعشرين وخمسائة كان بين الخليفة
المستترشد وبين عماد الدين زنكى بن آق سنقر محاربة وعدى فيها الخليفة من
الجانب الشرقى من بغداد إلى الجانب الغربى منها ثم التقيا بحصن البرامكة
فحمل زنكى على ميمنة الخليفة فهزمها ثم حمل الخليفة بنفسه مع بقية
العسكر فانهزم زنكى وفي سنة تسع وعشرين وخمسائة العسكر فانهزم
زنكى وفي سنة تسع وعشرين وخمسائة جرى بين الخليفة المستترشد وبين
السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه حرب كان منشؤها ان سار جماعة من
أصحاب السلطان إلى الخليفة وهونوا عليه أمر السلطان مسعود فخرج الخليفة
من بغداد وسار لقتال مسعود وسار مسعود لملاقاته واتقوا في عاشر رمضان
من السنة فصار غالب عسكر الخليفة إلى مسعود وانهزم الباقيون وأخذ
المستترشد أسيرا ونهب عسكره ثم سار مسعود من همدان إلى مراغة
والمستترشد معه مأسور في

خيمة منفردة بعد أن وقع الاتفاق بينهما على مال يحمله إليه الخليفة وأن لا
يعود يخرج من بغداد فوثبت الباطنية على المستترشد فقتلوه وجدعوا أنفه
وقطعوا أذنيه وأخذ السلطان مسعود البردة والقضيب فتركهما عنده
ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر في أيامه الأمر بأحكام الله الفاطمى فبقى حتى قتل بجزيرة
مصر في الثالث من ذى القعدة سنة خمس وعشرين وخمسائة وولى بعده
ابن عمه الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم
محمد فبقى إلى ما بعد خلافة المستترشد

وكان على دمشق طغتكين أتاك فبقى حتى توفى في سنة اثنتين وعشرين
وخمسائة وملك بعده ابنه تاج الملوك بورى بعهد من أبيه وتوفى في سنة
ست وعشرين

وخمسائة وملك بعده ابنه شمس الملوك إسماعيل بعهد من أبيه ثم ملك من
بعده أخوه شهاب الدين محمود بن بورى فبقى إلى ما بعد خلافة المستترشد

وكان على حلب سليمان بن إيلغازى بن أرتق وعصى على أبيه فانتزعها منه
أبوه وسلمها لابن أخيه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق في رمضان سنة ست
عشرة وخمسائة ثم انتزعها منه عمه سليك بن بهرام بن أرتق وقتل في سنة
سبع عشرة وخمسائة وملكها بعده عمه تمرتاش ابن إيلغازى في ربيع الأول
في السنة المذكورة ثم حاصرها الفرنج وهي في يده فخلصها منهم آق سنقر
البرسقى صاحب الموصل وملكها مع ماردين في السنة المذكورة وقتله
الباطنية في سنة عشرين وخمسائة وملكها بعده ابنه عز الدين مسعود بن آق

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

سنقر واستخلف عليها رجلا من امرائه اسمه قايماز ثم استخلف عليها رجلا اسمه قيفلغ ثم انتزعها منه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق المقدم ذكره ثم انتزعها منه
عماد الدين زنكى صاحب الموصل في المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسائة وملك معها حماة وحمص وبعلبك فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد
وكانت طرابلس بيد الفرنج
وكانت حماة بيد سونج بن توري بن طغتكين فبقى بها حتى انتزعها منه عماد الدين زنكى على ما تقدم ثم انتزعها منه بعد ذلك تاج الملوك إسماعيل بن بوري ابن طغتكين في سنة سبع وعشرين وخمسائة فبقيت في يده إلى ما بعد خلافة المسترشد
وكان على مكة قاسم بن محمد بن جعفر فبقى حتى توفى سنة ثمان عشرة وخمسائة وولى بعده ابنه فليته فافتتح إمارته بالخطبة للعباسيين وحسن الثناء عليه وبقى حتى مات سنة سبع وعشرين وخمسائة وولى بعده ابنه قاسم فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد
ولم يتحرر لى من كان على المدينة في زمانه
وكان على اليمن فاتك بن منصور فبقى بها إلى ما بعد خلافة المسترشد
وكان ما وراء النهر بيد محمود بن أرسلان خان فغلبه عليها كوخان ملك الصين فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد
وكان على خراسان وما وراء النهر السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقى فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد وكانت غزنة وما معها بيد بهرام شاه بن مسعود من بنى سبكتكين فبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد

وكان على افريقية على بن يحيى من بنى المعز بن باديس فبقى حتى مات سنة خمس عشرة وخمسائة وملك بعده ابنه الحسن بن على وهو ابن ثنتى عشرة سنة وقام بأمره مولاة صندل ثم مولاة موفق وغلبه الفرنج على المهديّة وبلاد الساحل كلها إلى أن استنقذها منهم عبد المؤمن شيخ الموحدين وبقى إلى ما بعد خلافة المسترشد
وكان على الغرب الأقصى على بن يوسف بن تاشفين وعلى رأس أربع عشرة سنة من ولايته كان ظهور المهدي بن تومرت ودام ملكه إلى ما بعد خلافة المسترشد
وكان الأندلس بيد علي بن يوسف بن تاشفين فيما كان بيد أبيه فاستمر على ذلك وفي أيامه استولى الأوفونش ملك الفرنج على سرقسطة من شرق الأندلس وعقد لولده تاشفين بن علي على غرب الأندلس سنة ست وعشرين وخمسائة وأنزله قرطبة وإشبيلية وعقد لأبى بكر بن إبراهيم على شرق الأندلس وأنزله بلنسية وعقد لابن غانية على الجزائر الشرقية وأنزله دانية وميورقة ومنورقة وبقى الأمر على ذلك إلى ما بعد خلافة المسترشد
الثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق
الراشد بالله
وهو ابو جعفر المنصور بن المسترشد المقدم ذكره ولى الخلافة بعهد من أبيه المسترشد ثم بويع له بها بعد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وفاته في اليوم الذي مات فيه وهو يوم الاثنين السابع والعشرون من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وقام بيعته السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وكتب بذلك إلى بغداد فبوع له بها وحضر بيعته أحد وعشرون رجلا من أولاد الخلفاء وبقي حتى توفى قتيلا بأصفهان في الحادي والعشرين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ومدة خلافته شهر وأحد عشر يوما وكان له أولاد منهم الحسن جد الخلفاء بالديار المصرية الحوادث والماجريات في خلافته كان الراشد قد اتفق مع عماد الدين زنكى وغيره من ملوك الأطراف على خلاف السلطان مسعود المقدم وذكره

وطاعة داود بن السلطان محمود فبلغ ذلك السلطان مسعود فسار إلى بغداد وحصرها ووقع بها النهب من العيارين والمفسدين وأقام محاصرا لها نيفا وخمسين يوما فارتحل عنها إلى النهروان ثم عاد إلى بغداد وقد اختلفت كلمة عساكرها فسار السلطان داود إلى بلاده بأذربيجان وسار الخليفة مع عماد الدين زنكى إلى جهة الموصل فسار السلطان مسعود إلى بغداد وإستقر بها في منتصف ذي القعدة من هذه السنة وجمع القضاة وكبار بغداد فأجمعوا على خلع الراشد بسبب انه عاهد السلطان مسعودا على أن لا يقاتله ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه ونسبت إليه أمور منكرة ارتكبتها فحكم بفسقه وكتب محضر بخلعه وجهز إلى عماد الدين زنكى بالموصل فأثبت على قاضى الموصل وفارق الراشد زنكى وسار من الموصل إلى مراغة واجتمع بالسلطان داود بن محمود وملوك تلك النواحي فاتفقوا على خلاف السلطان مسعود وقتاله وإعادة الراشد إلى الخلافة وأقام الراشد مهمذان فسار السلطان مسعود إلى السلطان داود وكانت بينهم حرب انهزم فيها داود فسار داود إلى فارس وهزمت تلك الجموع فسار الراشد إلى أصفهان للإقامة بها فوثب عليه بعض الخراسانيين الذين كانوا في خدمته عند القيلولة فقتله على ما تقدم ولايات الأمصار في خلافته كان على مصر الحافظ لدين الله الفاطمى فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد وكان على دمشق شهاب الدين محمود بن بورى فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد وكانت حماة بيد العادل نور الدين محمود بن زنكى وكانت طرابلس بيد الفرنج وكان على مكة قاسم بن فليته فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد والخطبة متصلة للعباسيين ولم أحقق من كان في أيامه على المدينة وكان على اليمن فاتك بن منصور فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد وكان ما وراء النهر بيد كوخان صاحب الصين فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد

وكان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي فبقى إلى ما بعد خلافة الراشد وكان على غزنة بهرام شاه بن مسعود بن سبكتكين فبقى إلى ما

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بعد خلافة الراشد
وكان على إفريقية الحسن بن علي من بني باديس فبقي إلى ما بعد خلافة
الراشد
وكان على الغرب الأقصى والأوسط علي بن يوسف بن تاشفين فبقي إلى ما
بعد خلافة الراشد
وكان الأندلس بيد علي بن يوسف بن تاشفين أيضا فبقي إلى ما بعد خلافة
الراشد
الحادي والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق المقتفى لأمر الله
وهو أبو عبد الله محمد بن المستظهر المقدم ذكره
وأمه أم ولد وهو عم الراشد كان حسن السيرة بويح له بالخلافة ببغداد في
شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وخمس مائة بعد أن وصل إليه السلطان مسعود
ابن محمد بن ملكشاه وتحالفا وخرج السلطان وأحضر الأمراء والقضاة
والفقهاء وأرباب المناصب فبايعوه وبقي حتى توفي في ثاني ربيع الأول سنة
خمس وخمسين وخمس مائة وعمره ست وسبعون سنة ومدة خلافته أربع
وعشرون سنة وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما وكان له من الأولاد المستنجد
ولى الخلافة وأبو جعفر وهو أكبر من المستنجد
الحوادث والماجريات في خلافته
في سنة خمس وثلاثين وخمس مائة وصل رسول السلطان سنجر ومعه البردة
والقضب اللذان كان أخذهما السلطان سنجر من المسترشد فأعيدا إلى
المقتفى واستقل
بالأمر دون سلطان معه وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار من
الجواسيس في جميع البلاد حتى لا يكون يفوته شيء من أخبارها
وفي سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة قتل السلطان داود ابن محمد السلجوقي
غيلة

وفي سنة ست وأربعين وخمس مائة اعتقل الخليفة المقتفى أخاه أبا طالب
وضيق عليه واحتاط على غيره من أقاربه ومات السلطان مسعود في أول
رجب سنة سبع وأربعين وخمس مائة ومات بموته سعادة البيت السلجوقي
فلم ترفع له بعد ذلك راية يعتد بها وكان موته بعد أن عهد بالملك إلى ابن أخيه
ملكشاه بن محمود ابن محمد بن ملكشاه ففقد في السلطنة بعده وخطب له
بها وتغلب على السلطنة في زمانه شخص اسمه خاص بك كان من أتباع
السلطان مسعود ثم قبض على السلطان ملكشاه بن محمود وحبسه وأرسل
إلى أخيه محمد بن محمود وهو بخوزستان فحضر وتولى السلطنة وجلس على
سرير الملك وكان قصد
خاص بك أن يقبض على السلطان محمد أيضا ويخطب لنفسه بالسلطنة فبدره
السلطان محمد في ثاني يوم وصوله فقتله ثم سار السلطان محمد بن محمود
في سنة إحدى وخمسين وخمس مائة بعساكر كثيرة إلى بغداد وحصرها
وحصن المقتفى الخليفة دار الخلافة واعتد للحصار واشتد الأمر على أهل بغداد
فبينما هم على ذلك إذ بلغ السلطان محمدا أن أخاه ملكشاه تحرك على بلاده
ووصل همذان فرحل السلطان محمد عن بغداد وسار نحو أخيه في الرابع
والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمس مائة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ومات السلطان سنجر صاحب خراسان بمدينة مرو من خراسان على ما تقدم
وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسة مائة اقتلع الخليفة المقتفي باب الكعبة
وعمل عوضه بابا مصفحا بالفضة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا
يدفن فيه وفي سنة أربع وخمسين وخمسة مائة توفي السلطان محمد بن
محمود الذي كان قد حاصر بغداد

بهمذان وطلب الأمراء عمه سليمان شاه بن محمد وكان معتقلا بالموصل
فحضر وولي موضع ابن أخيه محمد بن محمود وكان فيه خرق وتهور وضعف
في الدين حتى يقال إنه كان يشرب الخمر في رمضان نهارا فتسلط عليه الجند
حتى لم يبق له معهم أمر ثم قبض عليه وحبس وأقيم أرسلان شاه بن طغرل
بن محمد بن ملكشاه في السلطنة مقامه وخطب له بها وبعث إلى بغداد
ليخطب له فيها بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية فلم يجب إلى ذلك
وبقيت الخطبة في بغداد للخليفة وحده وبقي الأمر على ذلك إلى وفاة
المقتفي

ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر الحافظ لدين الله الفاطمي فتوفي سنة أربع وأربعين وخمسة
مائة وولي بعده ابنه الطاهر بأمر الله إسماعيل بن حافظ المقدم ذكره فبقي
حتى قتل في سنة تسع وأربعين وخمسة مائة وولي بعده ابنه الفائز بنصر الله
أبو القاسم عيسى بن الطاهر صبيحة وفاة أبيه فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي
وكان على دمشق شهاب الدين محمود بن بوري فقتل سنة ثلاث وثلاثين و
خمسمائة وملك بعده أخوه جمال الدين محمد بن بوري وتوفي سنة أربع
وثلاثين وخمسمائة وملك بعده ابنه مجير الدين أرتق بن محمد وفي أيامه
تغلبت الفرنج على ناحيه دمشق ثم أنتزعتها منهم الملك العادل نور الدين
محمود بن زنكي المعروف بنور الدين الشهيد فملكها في سنة تسع وأربعين
وخمسة مائة و اجتمع له ملك جميع الشام وهو الذي بنى أسوار مدن الشام
حين وقعت بالزلازل من دمشق وحماة وحمص وحلب وشيزر و بعلبك وغيرها
فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي

وكان على حلب عماد الدين الزنكي فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي وكانت
حماة بيده قبل ذلك وكانت طرابلس بيد الفرنج وكان على مكة قاسم بن فليته
والخطبة بمكة منسحبة لبني العباس وبقي قاسم المذكور إلى ما بعد خلافة
المقتفي

وكان على المدينة قاسم بن مهني فتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسة مائة وولي
بعده ابنه سالم بن قاسم فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي

قال المؤيد صاحب حماة في تاريخه وكان مع السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب في فتوحاته يتبرك به و يتيمن بصحبته ويرجع إلى قوله
وكان على اليمن فاتك بن منصور بن فاتك ثم ملك من بعده ابن عمه فاتك بن
محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح في سنة إحدى وثلاثين وخمسة مائة وقتل
في سنة ثلاث وخمسين وخمسة مائة وهو أحسن ملوك بني نجاح بها و أنتقلت

مملكة اليمن إلى بني مهدي فملك منهم بعد قتل فاتك علي بن مهدي و أستقر في الملك بزبيد في رابع عشر رجب سنة أربع و خمسين و خمس مائة ثم مات بعد شهرين و إحدى وعشرين يوما و كان مذهبه التكفير بالمعاصي و قتل من خالف ذلك و ملك بعده ابنه مهدي بن علي فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي و كان ما وراء النهر بيد كوخان ملك الصين فمات سنه سبع و ثلاثين و خمس مائة و ملكت بعده أبنته و ثم ماتت قريبا و ملك بعدها أمها زوجة كوخان و بقي ما وراء النهر بعد ذلك بيد الخطا إلى أن غلبهم عليه علاء الدين محمد بن خوارزم شاه سنة ثنتي عشرة و ستمائة فبقي في يده حتى انتزعه منه بنو جنكزخان ملوك التتر في سنة سبع عشرة و ثمان مائة و كان على خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي فمات في ربيع الأول سنة اثنتين و خمسين و خمسمائة و كان موطنه مرو من خراسان و خطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة و كان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة و لما حضرته الوفاة استخلف على خراسان ابن أخته الملك محمود بن محمد بن بغراخان فأقام على خوف من الغز حتى انتزعا منه خوارزم شاه أطرز بن محمد بن أنوشتكين فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي و كان على غزنة بهرام شاه بن مسعود من بني سبكتكين فتوفي و ملك بعده ابن ابنه ملكشاه بن خسروشاه فبقي إلى ما بعد خلافة المقتفي

وكان على إفريقية الحسن بن علي من بني المعز بن باديس فغلبه عليها الموحدون و انتزعا منها عبد المؤمن بن علي أحد أصحاب المهدي بن تومرت و لحق الحسن بالجزائر فنزل بها حتى فتح الموحدون الجزائر سنة سبع و أربعين و خمس مائة فخرج إلى عبد المؤمن فأحسن إليه و بقي معه حتى افتتح المهدية في سنة ثلاث و خمسين و خمس مائة فأنزله بها فأقام بها ثماني سنين ثم سار إلى مراکش فمات بها و كان على الغرب الأقصى والأوسط على بن يوسف بن تاشفين فمات سنة سبع و ثلاثين و خمس مائة و قد ضعفت كلمة المرابطين لظهور الموحدين و قام بالأمر بعده ولده تاشفين بن علي و أخذ بطاعته و بيعته أهل العدوتين و نزل تلمسان و قد استفحل أمر الموحدين فقصده الموحدون ففر منهم و فقد سنة إحدى و أربعين و خمس مائة و ملك بعده ابنه إبراهيم بن تاشفين بن علي فألفوه عازجا فخلوه و ولي مكانه عمه إسحاق بن علي بمراكش و قد ملك الموحدون جميع بلاد المغرب فقصده في مراکش فخرج إليهم في خاصته فقتلوه و فر أمراء المرابطين في كل وجه و كان ما بقي من الأندلس بيد علي بن يوسف بن تاشفين فانتقل ذلك بعده إلى ابنه تاشفين ثم إلى إبراهيم بن تاشفين ثم إلى إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين فقتل بمراكش على ما تقدم و عدي عبد المؤمن شيخ الموحدين إلى الأندلس فملكه في سنة إحدى و خمسين و خمس مائة و اجتمع له إفريقية و المغرب الأوسط و المغرب الأقصى و الأندلس و بقي إلى ما بعد خلافة المقتفي

الثاني والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق المستنجد بالله
وهو أبو المظفر يوسف بن المقتفي المقدم ذكره

و أمه أم ولد أسمها طاووس وكان أسمر تام القامة طويل اللحية حسن
السيرة شديدا على أهل العيث والفساد بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه في
رجب سنة خمس وخمسين وخمس مائة و اجتمع على بيعته أهل بيته و أقاربه
وعمه أبو طالب وأخوه أبو جعفر ثم بايعه الوزير عون الدين بن هبيرة قاضي
القضاة وغيرهم من وجوه الناس وبقي حتى توفي في تاسع ربيع الآخر سنة
ست وستين وخمس مائة وكان سبب موته فيما يقال أنه مرض فأشدد مرضه
فدبر عليه مع الطبيب أنه يدخل الحمام فدخله على ضعف فمات وعمره إحدى
وستون سنة و أشهر ومدة خلافته إحدى عشرة سنة وأشهر وكان له أولاد منهم
المستضى بالله الآتي ذكره

الحوادث والماجريات في خلافته
أطلق في أيامه أشياء كثيرة من المكوس وكان شديدا على أهل العيث
والفساد وفي سنة ثمان وخمسين وخمس مائة أمر المستنجد الخليفة بإجلاء
بني أسد أهل الحلة لفسادهم فقتل جماعة منهم وهرب الباقيون وسلمت
بطائعهم إلى رجل يقال له ابن معروف
ولآيات الأمصار في خلافته

كان على مصر الفائز بنصر الله فتوفي في سابع عشر رجب سنة خمس
وخمسين وخمس مائة وولي بعده العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن
يوسف يوم وفاة الفائز ووزر له أسد الدين شيركوه بن شادي ثم وزر له ابن
أخيه السلطان صلاح الدين وبقي العاضد إلى ما بعد خلافة المستنجد
وكانت دمشق وحماه وما معها من البلاد الشامية و بعض بلاد الجزيرة وغير
ذلك بيد العادل نور الدين محمود
وتوفي يوم الأربعاء الحادي عشر شوال سنة تسع و ستين وخمس مائة بقلعة
دمشق وكان قد أتسع ملكه وخطب له بالحرم واليمن ومصر وطبق ذكره
الأرض وملك بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنة
وحلف له العسكر بدمشق وأطاعه السلطان صلاح الدين بمصر وخطب له بها
وضربت السكة باسمه وملك غازي بن مودود بن زنكي البلاد الجزرية بعد نور
الدين وبقي الملك الصالح إلى ما بعد خلافة المستنجد

وكانت حلب بيد عماد الدين زنكي إلى ما بعد خلافة المستنجد وكانت طرابلس
بيد الفرنج وكان على مكة قاسم بن فليته فخطب للمستنجد كما كان يخطب
لأبيه المقتفي ثم قتل قاسم سنة ست وخمسين وخمس مائة وولي بعده ابنه
عيسى والذي ذكره صاحب حماة في تاريخه أن عيسى عم قاسم سير
الحاج سنة ست وخمسين وخمس مائة وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور ثم
عاد قاسم فملك مكة ثم هرب وعاد عمه عيسى فملكها وهرب قاسم إلى جبل
أبي قبيس فوقع عن فرسه فأمسكه عيسى و قتله وكان على المدينة سالم بن
قاسم فبقي إلى ما بعد خلافة المستنجد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان على اليمن مهدي بن علي بن مهدي ثم ملكه بعده أبنه عبد النبي بن مهدي ثم ملك بعده عمه عبد الله بن مهدي ثم عاد عبد النبي ثانياً وهو آخرهم و بقي إلى ما بعد خلافة المستنجد وكان ما وراء النهر بيد ملوك بني جنكز خان وكان على غزنة ملكشاه بن خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن محمود من بني سبكتكين وهو آخرهم ثم أنتقل الملك إلى الملوك الغوريه فملك بعد ملكشاه السبكتكيني علاء الدين الحسين بن الحسين و أستضاف غزنة إلى الغور في سنه خمس وخمسين وخمس مائة وتلقب بالملك المعظم وتوفي سنه ست وخمسين وخمس مائة وملك بعده غياث الدين محمد فبقي إلى ما بعد خلافة المستنجد وكان على إفريقية و الغرب الأقصى والغرب الأوسط و الأندلس عبد المؤمن بن علي أحد أصحاب المهدي بن تومرت صاحب دولة الموحدين فبقي حتى توفي بسلا من الغرب الأقصى في جمادى الآخرة سنه ثمان وخمسين وخمس مائة وولي بعده أبنه أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن فاستولى على جميع ما كان بيد أبيه من الأندلس وجميع بلاد المغرب و بقي إلى ما بعد خلافة المستنجد الثالث و الثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق المستنضئ بالله وهو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله المقدم ذكره و لم يل الخلافة من اسمه الحسن غيره وغير الحسن بن علي رضى الله عنه

وأمه أم ولد أرمنية كان عادلا حسن السيرة بوع له بالخلافة بعد موت أبيه في تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمس مائة وبقى حتى توفي في ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمس مائة وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمس مائة ومدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر وكان له اولاد منهم الإمام الناصر لدين الله الآتى ذكره

الحوادث والماجريات في خلافته

في سنة سبع وستين وخمس مائة قطع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الخطبة بمصر للعاضد العلوي وأقامها للمستنضئ المذكور وذلك لما تمكن أمر السلطان صلاح الدين بمصر وهو فيها كالنائب لنور الدين محمود صاحب الشام وكان العاضد قد مرض واشتد مرضه وبعث السلطان نور الدين للسلطان صلاح الدين يحتم عليه قطع الخطبة للعاضد والخطبة للمستنضئ ففعل ولم يعلم العاضد أحد من أهل بيته بذلك خشية عليه من تأثير ذلك فيه من ضعفه ولما وصل خبر الخطبة بمصر إلى بغداد ضربت لها البشائر عدة أيام وسيرت الخلع إلى السلطانين نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الأعلام السود وكان العاضد قد رأى في منامه ان عقربا قد خرجت من مسجد بمصر يعرفه فلذغته فاستيقظ فرعا واستدعى معبرا فعبّر له ذلك بوصول أذى إليه من شخص بذلك المسجد فطلب من بالمسجد فأحضر إليه شخص صوفى يقال له نجم الدين الخوبشاني فرآه العاضد أضعف من أن يناله منه أذى فوصله بمال

وصرفه فلما أراد السلطان صلاح الدين إزالة الدولة العلوية استفتى العلماء في ذلك فكان من جملة من أفتى في ذلك الخوبشاني المذكور وزاد فيما كتب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

به حتى سلب عنهم الإيمان فكان ذلك تاويل هذه الرؤيا وهذا الخويشاني هو المدفون على القرب من تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه

ثم في سنة سبع وستين وخمس مائة أيضا عزل الخليفة المستضيئ وزيره عضد الدين رئيس الرؤساء وحكم في دولته ظهير الدين أبو بكر بن العطار ثم وقع بين المستضيئ وبين أستاذار قطب الدين قايمارز مقدم عسكر بغداد فتنة نهبت فيها دار قايمارز وهرب إلى الحلة ثم إلى الموصل فلحقه عطش عظيم في الطريق هلك منه أكثر أصحابه ومات قبل أن يصل إلى الموصل ولما هرب قايمارز خلع المستضيئ على عضد الدين الوزير وأعادته إلى الوزارة وفي سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة بنى السلطان صلاح الدين السور الدائر على مصر والقاهرة وقلعة الجبل ودورة تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالذراع الهاشمي ومات السلطان صلاح الدين والعمارة فيه ولايات الأمصار في خلافته كان على مصر العاضد لدين الله الفاطمي والقائم بتدبير دولته وزيره السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وبقي حتى توفي العاضد في يوم عاشوراء من سنة سبع وستين وخمس مائة واستبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر وكانت البلاد الشامية بأسرها بيد الملك الصالح إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي والسلطان صلاح الدين في طاعته كما تقدم ثم سار السلطان صلاح الدين إلى دمشق وملكها في سلخ ربيع الأول سنة سبعين وخمس مائة وملك معها حمص وحماه وكانت حلب بيد عماد الدين زنكي فبقي إلى ما بعد خلافة المستضيئ وكانت طرابلس بيد الفرنج وكانت مكة بيد عيسى بن فليته وذلك في أيام العاضد آخر خلفاء الفاطميين بمصر ثم ولى بعده ابنه مكثر فأمر المستضيئ أمير الحاج العراقي بعزله فجرت بينهما فتنة انهزم في آخرها مكثر إلى البرية واستقر أخوه داود مكانه وبقي إلى ما بعد خلافة المستضيئ

وكان علي اليمن عبد النبي بن مهدي فبقيت اليمن بيده إلى أن استولت عليها الدولة الأيوبية ملوك مصر وأول من ملكها منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب انتزعها من عبد النبي المذكور وأسرته في سنة تسع وستين وخمس مائة واستولى عليها لأخيه السلطان صلاح الدين ثم استتاب عليها توران شاه خطار بن كامل الكناني وأقره بزبيد ورجع إلى الشام في سنة إحدى وسبعين وخمس مائة فأعطاه أخوه السلطان صلاح الدين الإسكندرية وأقره بها فكان يحمل إليه المال من زبيد قاعدة ملك اليمن وهو بالإسكندرية وبقيت بيد توران شاه إلى ما بعد خلافة المستضيئ وكان ما وراء النهر بيد ملوك الخطا

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان على خراسان وما معها خوارزم شاه أرسلان بن أطسر بن محمد بن أنوش تكين حتى توفى سنة ثمان وستين وخمس مائة وكان على غزنة غياث الدين محمد بن سام أحد ملوك الغورية ثم استولى عليها الغز وهم طائفة من الترك كانوا قد استولوا على خراسان وأسروا السلطان سنجر السلجوقي فبقيت بأيديهم إلى ما بعد خلافة المستضيئ وكان على إفريقية والغرب الأوسط والغرب الأقصى والأندلس المنصور أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن شيخ الموحدين وبقي إلى ما بعد خلافة المستضيئ

الرابع والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق
الناصر لدين الله

وهو الإمام أبو العباس أحمد بن المستضيئ بالله المقدم ذكره قال السلطان عماد الدين صاحب حماه في تاريخه كان قبيح السيرة في رعيته ظالما لهم خرب في أيامه العراق وتغرب أهله في البلاد وكان يتشيع وكان منصرف الهمة إلى رمي البندق والطيور المناسب وإلباس سراويلات الفتوة ومنع رمي البندق إلا أن ينسب إليه فأجابه الناس إلى ذلك إلا شخص واحد فإنه هرب من بغداد ولم يجب إلى ذلك وكان من أمره أنه عمي في آخر عمره ببيع له بالخلافة يوم مات أبوه المستضيئ وهو ثاني ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمس مائة وقام ببيعته ظهير الدين بن العطار مدبر دولة أبيه بعد وزيره عضد الدين وبقي حتى توفى

في اول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة ومدة خلافته نحو سبع وأربعين سنة وكان له اولاد منهم الظاهر بأمر الله الآتي ذكره
الحوادث والماجريات في خلافته

لما استقر في الخلافة حكم أستاذه مجد الدين أبو الفضل فقبض على مدبر دولته ظهير الدين بن العطار في سابع ذي القعدة بعد أيام قلائل من خلافته ثم أخرج ميتا على رأس حمال فثارت به العامة وألقوه عن رأس الجمال وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا يضعون في يده مغرفة كأنها قلمه وقد غمست تلك المغرفة في العذرة ويقولون وقع لنا يا مولانا مع حسن سيرته فيهم وكفه عن أموالهم ثم خلص منهم بعد ذلك ودفن
وفي سنة أربع وثمانين وخمس مائة أرسل قزل بن إلكر صاحب أذربيجان وهمذان وأصفهان والري

يستنجد بالخليفة الناصر على طغرل بك بن أرسلان بن طغرل بك السلجوقي ويحذره عاقبة أمره فأرسل الخليفة عسكرا إلى طغرل بك صحبة وزيره جلال الدين عبد الله فالتقوا في ثامن ربيع الأول على همذان فانهزم عسكر الخليفة وغنم طغرل بك وقبض عليه وحبسه ثم قتل قزل في سنة ست وثمانين وخمس مائة ثم توفي طغرل في سنة تسعين وخمس مائة وملك خوارزم شاه الري وتوفي سنة ست وتسعين وخمس مائة وفي سنة تسعين وخمس مائة استولى الخليفة الناصر على حديثة وعانة وكانت خارجة عن يده وفي هذه السنة أرسل الخليفة وزيره مؤيد الدين بن القصاب إلى خوزستان فملكوا مدينة تستر وما معها في سنة إحدى وتسعين وخمس مائة ثم سار بعد ذلك إلى همذان فملكها

وغيرها من بلاد العجم وأخذ يستولي على بلاد الخليفة فتوفي مؤيد الدين في أوائل شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة

وفي سنة أربع وستمائة سير الخليفة إلى الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الديار المصرية تشريفا بالسلطنة فلبسها ونثر الذهب على رأسه وكانت الخلعة جبة أطلس أسود بطراز مذهب وعمامة سوداء بطراز مذهب وطوق ذهب وسيفا جميع قرابه ملبس ذهبا يتقلده وحصانا أشهب بمركب ذهب ونثر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة وقرين ذلك تقليد بالبلاد التي تحت حكمه ولقب فيها العادل شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين وقرين ذلك خلع الملك الأشرف والملك المعظم ابني العادل بعمامة سوداء وثوب أسود واسع الكم وكذلك الوزير صفى الدين بن شكر وركب الملك العادل وولده الأشرف بالخلع حتى دخلا القلعة وأكرم رسول الخليفة وأعيد إلى بغداد

وفي سنة سبع وستمائة وردت رسل الخليفة الناصر إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وأن ينتسبوا إليها في رمى البندق ويجعلوه قدوتهم فيه فأجابوه إلى ذلك

وفي سنة أربع عشرة وستمائة عزم خوارزم شاه على السير إلى بغداد للاستيلاء عليها وقدم بعض العساكر وسار في أثرهم عن همذان فسقط عليهم بعد مسيرهم بثلاثة أيام ثلج لم يسمع بمثله فهلكت دوابهم وخاف خوارزم شاه التتر على بلاده التي استولى عليها في سفره ذلك فعاد إلى خراسان وقطع الخطبة للخليفة الناصر من بلاد خراسان في سنة خمس وستمائة وكذلك قطعت خطبة الخليفة في ما وراء النهر وبقيت خوارم وسمرقند وهراة على الخطبة للخليفة فإن أهل هذه البلاد كانوا يخطبون لمن يختارون ولا يعارضون في ذلك

وفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة استولى جلال الدين على خوزستان وكانت للخليفة الإمام الناصر ثم سار حتى قارب بغداد وخاف أهل بغداد منه واستعدوا للحصار ونهبت الخوارزمية البلاد وامتلأت أيديهم من الغنائم ولايات الأمصار في خلافة

كان على مصر في أيامه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فبقي حتى توفي بدمشق في سنة تسع وثمانين وخمس مائة وكانت مدة ملكه بالديار المصرية أربعاً وعشرين سنة ثم ملك بعده مصر ابنه الملك العزيز عثمان وتوفى ليلة السابع والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمس مائة وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد فأقام بها حتى ورد عليه الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام وأقام عنده قليلا كأنه مدبر لدولته ثم استقل العادل بالملك في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمس مائة وبقي إلى ما بعد خلافة الناصر وكانت دمشق مع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أيضا وقرر فيها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب وتوجه لاستقلال بقية البلاد فلما عاد إلى الديار

المصرية في سنة ست وسبعين وخمس مائة استخلف عليها ابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وصارت بيده هي وبعلبك ثم صرفه عنها و قرر فيها ابنه الملك الأفضل عليا فبقى فيها حتى توفى والده وبقى بها إلى أن قصده أخوه الملك العزيز عثمان صاحب مصر بعد وفاة أبيهما وصحبه عمه العادل أبو بكر بن أيوب فانتزعها منه وخطب فيها باسم العزيز في سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة وكان الخليفة الناصر يميل إلى التشيع فكتب إليه الأفضل على بن السلطان صلاح الدين يستجيشه على أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر بيتين من نظمه هما

مولاي إن أبا بكر وصاحبه
عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي
من الأواخر ما لاقى من الأول
فكتب إليه الناصر في جوابه غصبوا عليا حقه إذ لم يكن
بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فإن غدا عليك حسابهم
وابشر فناصرك الإمام الناصر
ثم لم يزل عنه شكواه ولم يدفع عنه لاواه

ولما ملك العزيز دمشق سلمها لعمه العادل أبي بكر بن أيوب وعاد إلى صصر محل ملكه فقرر فيها العادل ابنه الملك المعظم عيسى بن أبي بكر مضافا إلى ما بيده من الكرك والشوبك وغيرهما وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر وكانت حلب بيد عماد الدين زنكي فتسلمها منه السلطان صلاح الدين في سنة تسع وسبعين وخمس مائة وسلمها لابنه الملك الظاهر غازي فبقيت بيده حتى سلمها السلطان صلاح الدين لأخيه العادل أبي بكر في السنة المذكورة فبقى بها حتى جهزه أخوه السلطان صلاح الدين إلى مصر في سنة اثنتين وثمانين وخمس مائة وأعاد إليها ابنه الظاهر غازي فلم يزل بها حتى استقل العادل أبو بكر بسلطنته مصر والشام فصار ملوك بني أيوب بالشام كأنهم نوابه فخطب له الظاهر غازي بحلب وضرب السكة باسمه وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة الناصر وكانت حماة بيد السلطان صلاح الدين فقرر فيها خاله شهاب الدين الحارمي ثم قرر فيها ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب سنة أربع وسبعين وخمس مائة فبقيت بيده حتى توفى سنة سبع وثمانين وخمس مائة فوليها بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد فبقى بها حتى توفى سنة سبع عشرة وستمائة ووليها بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين قليج فبقى إلى ما بعد خلافة الناصر وكانت طرابلس بيد الفرنج وكانت حمص بيد السلطان صلاح الدين فقرر بها ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه فبقى بها حتى توفى سنة إحدى وثمانين وخمس مائة فاستقر بها بعده ابنه الملك الظاهر شيركوه فبقى بها إلى ما بعد خلافة الناصر وكانت بعلبك بيد السلطان صلاح الدين فقرر فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك ثم انتزعها منه في سنة أربع وسبعين وخمس مائة وأعطاه أخاه شمس الدولة توران شاه بن أيوب وبقيت بيده إلى أن مات سنة ثمان وسبعين

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وخمسة مائة فاستقر بها ابنه الملك الأمجد بهرام شاه وهو الذي بنى دار السعادة بدمشق فبقى إلى ما بعد خلافة الناصر

وكان الكرك بيد الفرنج فانتزعه منهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة أربع وثمانين وخمسة مائة وقرر فيها أخاه الملك العادل أبا بكر ابن أيوب فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين فقرر فيها ابنه الملك المعظم عيسى فبقيت بيده إلى ما بعد خلافة الناصر وكانت طرابلس وصيد بيد الفرنج وكانت مكة بيد داود بن فليته فبقى يتناوبها هو وأخوه شكر تارة وتارة حتى مات داود في سنة تسع وثمانين وخمسة مائة وانقرضت دولة الهواشم وصارت لبني قتادة بن أدريس بن مطاعن من عقب الحسن بن علي ابن أبي طالب وخطب فيها للخليفة الناصر وعظم شأنه حتى ملك مع مكة ينبع وأطراف اليمن وبعض أعمال المدينة وبلاد نجد ولم يقدم على أحد من الخلفاء ولا من الملوك واستدعاه الناصر الخليفة في بعض السنين فكتب إليه هذه الأبيات

بلادي وإن هانت عليك عزيزة
ولو أنني أعرى بها وأجوع
ولى كف ضرغام أدل ببطشها
وأشرى بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها
وفي بطنها للمجدين ربيع
أجعلها تحت الرحا ثم أبتغى
خلاصا لها إنى إذا لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة
يضوع وأما عندكم فيضيع
وبقى حتى توفى سنة سبع عشرة وستمائة وولى مكانه ابنه الحسن فبقى بها حتى قدم عليه الملك المسعود أقيس بن الملك الكامل محمد بن العادل أبا بكر بن أيوب صاحب اليمن سنة عشرين وستمائة ومملكتها وقتل جماعة من الأشراف وذهب حسن بن قتادة إلى بغداد جريحا فمات بها سنة ثنتين وعشرين وستمائة وبقى أقيس بمكة إلى ما بعد خلافة الناصر وكان على المدينة سالم بن قاسم فمات وولى بعده ابنه شيحة وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر

وكانت اليمن مفوضة إلى توران شاه بن أيوب وهو بالإسكندرية ونائبه خطار باليمن إلى سنة ست وسبعين وخمسة مائة فوجه إليها السلطان صلاح الدين أميرا استولى عليها وعزل خطارا نائب أخيه توران شاه ثم توفى ذلك الأمير فعاد خطار إلى ولايته ثم بعث السلطان صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين إلى اليمن فقبض على خطار واستقر في ملك اليمن وبقى حتى مات بزبيد سنة ثلاث وتسعين وخمسة مائة وملك بعده ابنه الملك المعز إسماعيل

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان فيه هوج فادعى أنه قرشى من بنى أمية وليس الخصرة وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة فقتله أمراؤه وأقاموا مكانه
أخا له صغيرا لقبوه الناصر وقام بتدبير مملكته مملوك أبيه سنقر ثم مات سنقر بعد أربع سنين فقام بتدبير زود أمه غازي بن جبريل وسم الناصر في كوز فقاغ دولته وتملك غازي اليم ثم قتله جماعة من العرب بسبب قتله الناصر وبقيت اليمن بغير سلطان فغلبت أم الناصر على زييد وأرسلت إلى مكة تتوقع حضور أحد من بنى أيوب في الموسم لتملكه اليمن وكان للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولد يسمى سليمان فخرج إلى الحجاز في صورة فقير يحمل الركوة على كتفه فأتيت به فملكته اليمن في سنة تسع وتسعين وخمس مائة بعد أن تزوجت به فملا اليمن ظلما وجورا وكتب إلى عم أبيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الديار المصرية كتابا في أوله (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) فبقي إلى سنة اثنتي عشرة وستمائة فبعث الملك الكامل محمد ابن العادل أبي بكر صاحب الديار المصرية ابنه الملك

المسعود يوسف أطسيس المعروف بأقسيس إلى اليمن فاستولى عليه وقبض على سليمان وبعث به معتقلا إلى مصر فبقي بها حتى قتل في نوبة المنصورة شهيدا وبقي الملك المسعود بها فكره المقام بها فاستخلف عليها ابن رسول أمير أخور وسار قاصدا الشام فتوفي بمكة في سنة ست وعشرين وستمائة وهو آخر ملوكها من بني أيوب وانتقلت الدولة بها إلى بني رسول واستقرت قدمهم فيها وبقي فيها على بن رسول إلى ما بعد خلافة الناصر وكان ما وراء النهر بيد بني جنكزخان وكان على خراسان خوارزم شاه محمد بن تكش بن أرسلان بن أطلسز بن محمد أنوشتكين فبقيت بيده حتى انتزعها منه جنكزخان ملك التتر واستولوا عليها في سنة تسع عشرة وستمائة بعد أن اتسع ملكه وملك مع خراسان من حد العراق إلى تركستان وبلاد غزنه وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وهي عراق العجم وكانت بيد الغز المتغلبين عليها ثم انتزعها منهم شهاب الدين بن سام في سنة تسع وسبعين وخمس مائة وبقي حتى قتل سنة اثنتين وستمائة وفي أيامه كان الإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير والمحصول في أصول الفقه وغيرهما من المصنفات وكان معظما عنده ثم ملك من بعده علاء الدين محمد بن سام ثم غلبه عليها يلدز مملوك غياث الدين بن سام ثم غلبه عليها علاء الدين محمد المقدم ذكره ثم غلب عليها يلدز أيضا ثم غلب عليها علاء الدين محمد بن تكش بن خوارزم شاه في سنة اثنتي عشرة وستمائة فبقيت بيده حتى غلب عليها جنكزخان ملك التتر في سنة سبع عشرة وستمائة وتوالت عليها ملوك بني جنكزخان في جملة ما ملكوه من الممالك إلى أن كان آخرهم بهذه المملكة القان أبو سعيد صاحب مملكة إيران

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكانت إفريقية بيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن فولى عليها أبا سعيد بن الشيخ أبي حفص عمر ثم غلب ابن غانية على أكثر بلاد إفريقية واستولى على تونس وخطب للخليفة العباسي ببغداد ثم جهز الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص من مراكش إلى إفريقية سنة ثنتين وستمئة فانتزعها من ابن غانية ثم وصل الناصر بن المنصور إلى إفريقية بعد ذلك ودخل تونس وأقام بها إلى منتصف سنة ثلاث وستمئة وعزم على الرحيل إلى مراكش واستخلف على إفريقية الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص فقعدها بمقعد الإمارة بقصبة تونس يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمئة فبقى بها حتى توفى في مفتح سنة ثمان عشرة وستمئة وبقى بها بنوه إلى الآن وولى بعده ابنه أبو زيد عبد الرحمن وورد كتاب المستنصر بن الناصر ابن عبد المؤمن بعزلة بعد ثلاثة أشهر من ولايته وأقام المستنصر مكانه أبا العلى إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن فوصل إلى تونس في ذى القعدة من السنة المذكورة فنزل بقصبتها ورتب الأمور وبقى حتى مات بتونس سنة عشرين وستمئة ومات المستنصر المقدم ذكره وصار الأمر بعده لعبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المؤمن فولى على إفريقية أبا زيد بن أبي العلى فبقى بها إلى ما بعد خلافة الناصر

وكان الغرب الأوسط والغرب الأقصى وما بقى مع المسلمين من الأندلس بيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أيضا فبقى بيده حتى مات سنة ثمانين وخمس مائة وملك بعده ابنه يعقوب بن يوسف عقب وفاته بإشبيلية من الأندلس وتلقب بالمنصور واستولى على ما كان بيد أبيه من الممالك ومات بالأندلس سنة خمس وتسعين وخمس مائة وولى بعده ابنه محمد وتلقب بالناصر لدين الله ورجع إلى بلاد المغرب وبقى حتى مات في مراكش في شعبان سنة تسع وستمئة وولى ابنه يوسف بن محمد سنة إحدى عشرة وستمئة ولقب المستنصر بالله وبقى إلى ما بعد خلافة الناصر

الخامس والثلاثون من خلفاء بنى العباس بالعراق الظاهر بأمر الله

وهو أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله المقدم ذكره كان عادلا حسن السيرة جوادا كثير الإحسان للعلماء ونحوهم بويع له بالخلافة يوم مات الناصر في أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمئة وبقى حتى توفى في رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمئة فكانت خلافته تسعة أشهر وأعمار الجياد قصار الحوادث والماجريات في خلافته
لما ولى الخلافة أظهر العدل وأزال المكوس وأخرج المسجونين من السجن ومشى على مذهب أهل السنة وترك ما كان عليه أبوه من التشيع وظهر للناس وكان الناصر ومن قبله لا يظهرون إلا نادرا قال المؤيد صاحب حماة ومما أزاله من المنكرات أنه كان بخزانة الخليفة صنجة زائدة زيادتها في كل دينار حبة يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس فأبطل تلك الصنجة الزائدة وبذل المال على المحبوسين على الدين وزاد في بر العلماء ومن في معانهم أولاده منهم المستنصر الآتى ذكره ولايات الأمصار في خلافته

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

كان على مصر العادل أبو بكر بن أيوب وبقى حتى توفي بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة وملك بعده ابنه الملك الكامل محمد وهو أول من سكن قلعة الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة وكان على دمشق المعظم عيسى بن العادل أبي بكر ولما مات أبوه العادل واستقر أخوه الكامل محمد بن العادل بمصر بعد أبيه خطب له بدمشق دون نفسه وبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر وكانت حلب بيد الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين وهو يخطب بها لعمه العادل أبي بكر صاحب مصر وبقى حتى توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة وعهد بملك حلب بعده لابنه الملك العزيز محمد فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر وكانت حماة بيد الملك الناصر صلاح الدين قليج بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر وكانت طرابلس وصفد للفرنج

وكانت الكرك بيد المعظم عيسى بن السلطان صلاح الدين فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر وكانت حمص بيد المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي بن أيوب فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر وكانت بعلبك بيد الملك الأمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب فبقى بها إلى ما بعد خلافة الظاهر وكانت مكة بيد أطسيس صاحب اليمن بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر وكان على اليمن علي بن رسول جد ملوكها الآن فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر وكان ما وراء النهر بيد بني جنكزخان وكان على إفريقية أبو زيد بن أبي العلاء وولى بعده أبو محمد عبد الله بن أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر وكان الغرب الأوسط والغرب الأقصى وما بقى مع المسلمين من الأندلس بيد المستنصر يوسف بن محمد فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر غير أن بني عبد الواد ومن والاهم من زناتة من البربر كانوا غلبوا على ضواحي تلمسان والرياسة فيهم يومئذ لبني القاسم بن عبد الواد وهم يقولون إن بني القاسم من الأدارسة العلويين وألت رياستهم إلى جابر بن يوسف بن محمد من عقب القاسم المذكور وكانت تلمسان بيد المأمون بن عبد المؤمن من الموحدين فولاهما لأخيه سعيد فبقى إلى ما بعد خلافة الظاهر السادس والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق المستنصر بالله وهو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله المتقدم ذكره كان على ما كان عليه أبوه من العدل وحسن السيرة وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه في رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة وبقى حتى توفي يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكانت خلافته سبع عشرة

سنة إلا شهرا وكان له من الأولاد المستعصم الآتى ذكره
الحوادث والماجريات في خلافته

في أيامه في سنة أربع وعشرين وخمس وعشرين خرج التتر على بلاد الإسلام
وفى سنة ثمان وعشرين وستمئة خرج التتر ثانيا على بلاد الإسلام وعاثوا
فسادا وضعف جلال الدين بن خوارزم شاه عن مقاومتهم
وفي سنة خمس وعشرين وستمئة تسلم الفرنج القدس بالصلح
وفي سنة تسع وعشرين فتح السلطان الملك الكامل أمد من بلاد الجزيرة
وفي سنة ثلاث وثلاثين وستمئة سار الناصر داود صاحب الكرك من الكرك إلى
بغداد ملتجئا إلى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف من عمه
الكامل وقدم للخليفة تحفا عظيمة وجواهر نفيسة فأكرمه الخليفة وخلع عليه
وعلى أصحابه وكان الناصر داود متطلعا إلى أن يحضره الخليفة في ملا من
الناس وطلب ذلك مرارا فلم يجبه الخليفة إلى ذلك مراعاة لخاطر عمه الكامل
صاحب مصر فكتب إليه أبياتا تتضمن الاستعطاف فجمع بين المصلحتين
واستحضره ليلا ثم عاد الناصر بعد ذلك إلى الكرك
ومن غرائب الاتفاق في أيامه انه وقع خلف بين ملوك بنى أيوب بالديار
المصرية والممالك الشامية فبعث الخليفة المستنصر محيى الدين بن الجوزى
ليصلح بينهم
فاتفق أنه مات في حضوره في سنة أربع وثلاثين وسنة خمس وثلاثين أربعة
سلاطين وهم الكامل صاحب مصر وأخوه الأشرف صاحب دمشق والعزير
صاحب حلب وكيقباد صاحب بلاد الروم فقال في ذلك المستخف الشاعر
يا إمام الهدى أبا جعفر المنصور
يا من له الفخار الأثيل
ما جرى من رسولك الآن محيى الدين
في هذه البلاد قليل
جاء والأرض بالسلاطين تزهى
وغدا والديار منهم طلول
أقفر الروم والشام ومصر
أفهذا مغسل أم رسول
وبنى المدرسة المستنصرية ببغداد في الجانب الشرقي منها على دجلة مما
يلى دار الخلافة وجعل لها أوقافا جليلة
ووقف أيضا أوقافا على جهات البر وفي أيامه سنة تسع وثلاثين وستمئة
كسفت الشمس كسوبا كاملا حتى ظهرت النجوم وأظلمت الدنيا وأوقدت
السرر في الدكاكين والحمامات ثم انجلت بعد ذلك
ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فبقى حتى توفى
بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمئة وملك بعده ابنه الملك العادل ابو بكر
وقبض عليه في العشر الأوسط من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمئة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وملك بعده أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب في أوائل سنة ثمان وثلاثين
وستمائة وبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر
وكان على دمشق المعظم عيسى بن العادل أبي بكر فتوفى سنة أربع
وعشرين وستمائة وملك بعده ابنه الملك الناصر صلاح الدين داود وهو صغير
وقام بتدبير
الدعوة لأمير المؤمنين وبين الدعوة لصمام الدولة وشمس الملة أمتع الله أمير
المؤمنين بكما وأحسن الدفاع له عنكما إلحاقا لك وله بعدك بأبيكما فيما كان
شرف به من هذه الحال التي لم ينلها غيره ولا أهل لها أحد قبله وأن يثبت
ذكرك باللقب والكنية فيما ينقش من سكك العين والورق في دور الضرب باديا
وذكر صمصام الدولة كلاكما الله تاليا وحباك أمير المؤمنين مع ذلك بخلع تامة
تفاض عليك وفرسين من جياذ خيلة يقادان إليك بمركبي ذهب من خاص
مراكبه وسيف ماض من خيار أسيافه يعز الله منكيبك بنجاده وبذل مناكب
أعدائك بغرارية وطوق وسوارين وأن تجرى في المكاتبة عنه إلى الغاية التي
أجرى أبوك رحمه الله إليها وهذا الكتاب ناطق بها ودال عليها وندب لإيصال
الجميع إليك على بن الحسين الهاشمي الزينبي واحمد بن نصر العباسي حاجبه
ودجى خادمه فتلق شرف الدولة وزين
الملك الكامل يريد ملك الديار المصرية عوضا من أبيه وأقام مكانه في دمشق
ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر نائبا عنه فوثب عليه صاحب بعلبك الملك
الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة سبع وثلاثين وستمائة
فقبض عليه وملكها وبقي بها إلى ما بعد خلافة المستنصر

وكانت حلب بيد الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي ابن السلطان صلاح
الدين فبقي بها حتى توفى في ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة وملكها
بعده ابنه الملك الناصر يوسف وعمره سبع سنين وقام بتدبير دولته امرأه
وجدته لأبيه ضيفة خاتون وكانت من المرجوع إليها في أمور المملكة وبقيت
بيده إلى ما بعد خلافة المستنصر
وكانت طرابلس وصفد بيد الفرنج
وكانت حماة بيد الناصر قليج بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن
شاهنشاه بن أيوب فبقيت بيده حتى انتزعها منه أخوه الملك المظفر محمود
في سنة ست وعشرين وستمائة فبقي بها إلى ما بعد خلافة المستنصر
وكانت الكرك بيد المعظم عيسى فبقيت بيده إلى أن استضاف إليها دمشق
على ما تقدم وتوفى سنة أربع وعشرين وستمائة وملكها بعده ابنه الملك
الناصر صلاح الدين داود ثم انتزع عمه الكامل محمد بن العادل دمشق منه في
سنة ست وعشرين وستمائة على ما تقدم وبقي معه الكرك وعملها فبقي إلى
ما بعد خلافة المستنصر بعد أن أخذت منه غالب بلاده
وكانت حمص بيد المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه فبقي بها حتى توفى
سنة سبع وثلاثين وستمائة وملكها بعده ابنه الملك المنصور إبراهيم فبقي إلى
ما بعد خلافة المستنصر
وكانت بعلبك بيد الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه فبقيت بيده حتى انتزعها منه
الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر في سنة سبع وعشرين
وستمائة وعوضه منها الزيداني وغيره وصارت مضافة إلى دمشق إلى أن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ملكها أخوه الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر في سنة خمس وثلاثين
ثم استقرت للصالح المذكور بمفردها عوضا عن دمشق في السنة المذكورة
لما
انتزع دمشق منه أخوه الملك الكامل محمد صاحب الديار المصرية ثم
استقرت بيده أولاده بعده فلما انتزع الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب
الديار المصرية دمشق من الصالح إسماعيل المذكور انتزعها منه وسلمها
لنائب حسام الدين بن أبي علي وبقيت بيده إلى ما بعد خلافة المستنصر

وكانت مكة بيد أطلسيس بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فبقي
بها حتى مات بها سنة ست وعشرين وستمائة وبقي على مكة قائده فخر الدين
بن الشيخ وقصد راجح بن قتادة مكة مع عساكر عمر بن علي بن رسول
صاحب اليمن فملكها من يد فخر الدين بن الشيخ سنة تسع وعشرين وستمائة
ثم أرسل صاحب مصر عسكريا إلى مكة في سنة ثنتين وثلاثين وستمائة مع
أمير اسمه جبريل فملكوها وهرب راجح إلى اليمن ثم عاد ومعه عمر بن علي
بن رسول بنفسه فهربت عساكر مصر وملك راجح مكة وخطب لعمر بن علي
بن رسول بعد الخليفة
أطال الله بقاءك و أدام عزك و تأييدك و سعادتك و نعمتك و أمتع أمير
المؤمنين بك بالموهبة فيك وعندك والسلام عليك ورحمة الله و بركاته
المذهب الثالث
أن يفتح العهد بلفظ إن أولى أو إن أحق و ما أشبه ذلك و هي طريقة غريبه
خارجه عن أصول الكتابة من حيث إن رتبة الملوك فيما يكتب لهم التعظيم و
مثل هذا الإفتتاح إنما يكتب لأصحاب الرتب السافلة التي لا تقارب رتبة الملك و
لا ما دونها
على أنه قد كتب بذلك عن ديوان الخلافة ببغداد للسلطان صلاح الدين يوسف
على جلاله قدره بتقليد الديار المصرية و البلاد الشامية واليمينية في بعض
الأحيان و كان ذلك إنما وقع حين كان الخليفة الناصر لدين الله متغيرا عليه
حين تلقب بالملك الناصر لما في ذلك من مضاهاة لقب الخليفة
وهذه نسخة العهد المكتوب به على هذه الطريقة
تلمسان بعد ذلك و بايعه أهل الأندلس وبقي إلى ما بعد خلافة المستنصر

وكان المغرب الأقصى بيد المستنصر يوسف بن محمد من بني عبد المؤمن
فتوفي في يوم الأضحى سنة ست وعشرين و ستمائة و ملك بعده أبو محمد
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالمخلوع وكان الوالي بمرسيه
من الأندلس أبو محمد عبد الله بن يعقوب بن المنصور بن يوسف بن عبد
المؤمن فدعا لنفسه وتلقب بالعدل ووصل خبر ذلك لمراكش فاضطرب
الموحدون و باينوا المخلوع و بعثوا بيعتهم إلى العادل بالأندلس فسار العادل
إلى مراكش فدخلها وبقي بها حتى قتل في أول شوال سنة سبع وعشرين
وست مائة وكان أخوه إدريس بإشبيلية من الأندلس فدعا لنفسه و بوع وبعث
الموحدون بيعتهم إليه ثم قصد مراكش فهلك في طريقه مفتح سنة ثلاثين

وست مائة

وتغلب إدريس بن هود على الأندلس و أنتزعه من الموحدين و أستقل به و بوع
بعده ابنه المأمون عبد الواحد
ابن ادريس وتلقب بالرشيد ودخل الى مراکش فبايعوه وبقى حتى توفي سنة
أربعين وستمائة وبوع بعده أخوه السعيد ابو الحسن علي ولقب المعتضد بالله
وبقى الى ما بعد خلافة المستنصر
وكان أبو دبوس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر قد ثار بشرق
الأندلس في سنة تسع وعشرين وستمائة وخطب للأمير أبي زكريا يحيى
صاحب افريقية من بقية الموحدين وأطاعته جيان وشريش من الأندلس في
السنة الثانية من ولايته ثم بايع لابن هود سنة احدى وثلاثين وستمائة عند وصول
تقليد خليفة بغداد اليه ثم تغلب على اشيلية سنة ثنتين وثلاثين وستمائة
وانتزعها من ابن هود ثم رجعت الى ابن هود بعد شهر ثم تغلب على غرناطة
سنة خمس وثلاثين وستمائة وبايعوه وهو بجيان فقدم اليها ونزلها وابتنى بها
حصن الحمراء وهو المعبر عنه بالقصبة الحمراء والمراد بالقصبة القلعة وهي
مقر ملك بنيه الى الآن ثم تغلب على مالقة وأخذها من يد عبدالله بن زنون
الثائر بها بعد موت ابن هود وبقى الى ما بعد خلافة المستنصر
السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس بالعراق
المستعصم بالله

وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله المقدم ذكره كان ضعيف الرأي
والبصر بتدبير الأمور ذا طمع بوع له بالخلافة عقب موت أبيه المستنصر لعشر
خلون من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة باتفاق من أهل الدولة وبقى
حتى قتله التتر في وقعة هولكو في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة
فكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وكان له ولد اسمه أبو بكر
الحوادث والماجريات في خلافته
لما ولي الخلافة استبد كبراء دولته بالأمر وحسنوا له قطع الأجناد ومداراة التتر
ففعل ذلك وأبطل أكثر العساكر وكان التتر من أولاد جنكزخان قد خرجوا على
بلاد الاسلام

على ما تقدم وملكوا أكثر بلاد الشرق والشمال وكان أهل الكرخ من محلات
بغداد رافضة فجرى بينهم وبين أهل السنة فتنة ببغداد فأمر أبو بكر بن الخليفة
المستعصم ركن الدين دوا دار العسكر ونهبوا الكرخ وهتكوا النساء وزادوا
فركبوا منهن الفواحش وكان للمستعصم وزير يقال له مؤيد الدين بن العلقمي
رافضي فشق ذلك عليه فكتب الى هولكو بن طولى بن جنكزخان ملك التتر
وأطمعه في البلاد فخرج هولكو للاستيلاء على بلاد الخليفة وكان بركة بن
طوجى خان صاحب بلاد الشمال التي قاعدتها الآن السراي قد أسلم على يد
الباخرزي أحد مشايخ الصوفية وأوصاه بالخليفة المستعصم وكتب بركة الى
الخليفة يعرفه ذلك وأنه معاضده وناصره وانتظمت الصحبة بينه وبين الخليفة
فمر هولكو على بركة قاصدا بغداد فاعترضه بركة ومنعه من ذلك وقال ان
الخليفة صاحبي فلا سبيل الى وصولك اليه وان لم ترجع عنه حاربتك فتوقف
هولكو حينئذ عن قصد بغداد سنتين

حتى مات بركة فقصده بغداد حينئذ وكان عسكر بغداد قبل ولاية المستعصم مائة ألف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصل اقطاعهم فصار عسكرها دون عشرين ألف فارس ولما قارب التتر بغداد خرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن الدين الدوادار فالتقوا على مرحلتين من بغداد وجرى بينهم قتال شديد انهزم في آخره عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد منهزما وسار بعضهم الى جهة الشام ونزل هولوكو ملك التتر على بغداد من الجانب الشرقي و نزل أميران من أمرائه من الجانب الغربي قبالة دار الخلافة و خرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي إلى هولوكو فتوثق منه لنفسه و عاد إلى الخليفة المستعصم و قال إن هولوكو يبيئك في الخلافة كما فعل بسطان الروم ويريد أن يزوج ابنته من ابنك ابي بكر وحسن له الخروج الى هولوكو فخرج اليه المستعصم في جمع عظيم من أكابر أصحابه فأنزله في جهة ثم استدعى الوزير الفقهاء والأمثال حتى اجتمع هناك جميع سادات بغداد من العلماء وغيرهم وصار أهل بغداد يخرجون الى التتر طائفة بعد طائفة حتى تكاملوا

فبذل فيهم التتر السيف وقتلوه ولم ينج منهم الا القليل وهجموا دار الخلافة وقتلوا كل من فيها من الأشراف والأكابر ولم يسلم منهم الا من كان صغيرا فأخذ اسيرا ودام القتل والنهب في بغداد أربعين يوما ثم نودي بالأمان وقتل الخليفة المستعصم ولم يوقف على كيفية قتله فقيل خنق وقيل جعل في عدل ورفس حتى مات وقيل عرق في دجلة واستبقى هولوكو الوزير ابن العلقمي مدة يسيرة في الوزارة ثم قتله

ومما وقع في أيامه بالديار المصرية أن الفارس اقطاعي أحد أمراء الملك الصالح نجم الدين أيوب كان قد وقع بينه وبين الملك المعزأيك التركماني صورة فعمل الملك المعز الحيلة في أمره حتى قتله فتغير أصحابه من ذلك وخرجوا قاصدين الشام من جهة سوق الغنم فوجدوا الباب مغلقا فأحرقوه وخرجوا منه فسمى الباب المحروق وبذلك يعرف الى الآن

وفي أيامه في سنة سبع وأربعين وستمائة ملك الفرنسييس ملك الفرنج مدينة دمياط وأقام بها حتى مات الملك الصالح نجم الدين أيوب فارتحل فنزل مقابل المنصورة ثم كانت الكسرة على الفرنسييس في سنة ثمان وأربعين وستمائة فقتل من عسكره نحو ثلاثين ألفا وأسر الفرنسييس ملكهم ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وتوفي لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة وملك بعده ابنه الملك المعظم توران شاه وهو الذي كسر الفرنج على المنصورة في المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ثم قتل في الثامن والعشرين من الشهر المذكور وملكته بعده أم خليل شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور في صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة فأقامت ثمانية أشهر ولم يملك مصر في الاسلام امرأة غيرها ثم خلعت وملك بعدها الملك الأشرف موسى بن الناصر

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

مكتبة

يوسف بن الملك المسعود بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة وخلع لوقته وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية ودخلت بعده الدولة التركية وأول من ملك منهم بعد الأشرف موسى الملك المعز أيك التركماني في شهر شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة وجمع له بين مصر والشام وبنى المدرسة المعزية برحبة الخروب بالفسطاط وتزوج أم خليل شجرة الدر المقدم ذكرها وكان ملكا حازما إلا أنه استوزر شخصا من كتاب القبط اسمه شرف الدين بن ساعد الفائزي كان قد أسلم في الدولة الأيوبية وأحدث مظالم ورتب مكوسا على جهات متعددة ثم ما كفاه ذلك حتى سماها حقوقا وأخذ في مصادرات الناس فكان سيئة من سيئات المعز وبقي المعز حتى قتل بحمام القلعة سنة أربع وخمسين وستمائة وملك بعده ابنه الملك المنصور علي بن أيك وقتلت أم خليل المذكورة ورميت من سور القلعة وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وكان على دمشق الملك الصالح إسماعيل بن العادل

أبي بكر بن أيوب فبقي بها حتى ملك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد صاحب الديار المصرية فجهز إلى دمشق عسكريا صحبة معين الدين بن الشيخ فتسلمها من الصالح إسماعيل في سنة ثلاث وأربعين وستمائة ومات معين الدين المذكور فتسلمها الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور من حسام الدين بن أبي علي في السنة المذكورة وبقي نائبا بها حتى استدعاه الملك الصالح نجم الدين أيوب المذكور إلى الديار المصرية في سنة أربع وأربعين وستمائة وأقام مكانه في نيابة دمشق جمال الدين يغمر وبقيت دمشق بيد نواب الصالح المذكور حتى مات في سنة سبع وأربعين وستمائة فسار الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد صاحب حلب إلى دمشق وملكها في سنة ثمان وأربعين وستمائة وبقي بها إلى ما بعد خلافة المستعصم وكانت حلب بيد الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد ابن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب واستضاف إليها دمشق على ما تقدم وبقياً بيده إلى ما بعد خلافة المستعصم وكانت طرابلس وصفد بيد الفرنج وكانت حماة بيد المظفر محمود فبقي حتى توفي في سنة ثلاث وأربعين وستمائة وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد فبقي بها إلى ما بعد خلافة المستعصم وكانت الكرك بيد الناصر صلاح الدين داود ابن المعظم عيسى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة فاستخلف عليها ابنه الملك المعظم عيسى وسار إلى حلب فلجأ إلى الملك الناصر صاحب حلب فبقي عنده إلى أن بعث إليه الملك الصالح نجم الدين أيوب من تسلمها في تلك السنة وأقام بدر الدين الصوابي الصالحي نائبا وبقي الناصر داود بعد ذلك مشردا في البلاد إلى أن مات وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر معتقلا بالشوبك فأخرجه الصوابي نائب الكرك وملكه الكرك فبقي بها إلى ما بعد خلافة المستعصم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلاميه

وكانت حمص بيد الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد شيركوه فبقى بها حتى توفي سنة أربع وأربعين و ستمائة و ملكها بعده ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى فبقيت في يده الى أن وثب عليه الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب دمشق المتقدم ذكره في سنة ست وأربعين و ستمائة فانتزعها منه و استضافها إلى دمشق و حلب و بقيت بيده إلى أن كان من أمره مع التتر ما كان

و كانت بعلبك بيد حسام الدين بن أبي علي نيابة عن الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الديار المصرية ثم ملكها الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد حين ملك دمشق سنة ثمان و أربعين و ستمائة فبقيت بيده إلى أن كان من أمره مع التتر ما كان

و كانت مكة بيد راجح بن قتادة و هو يخطب لعمر بن علي بن رسول صاحب اليمن ثم غلب عليها سنة سبع و أربعين و ستمائة أبو سعيد الحسن بن علي بن قتادة و لحق راجح باليمن و سار جماز بن حسن بن قتادة سنة إحدى خمسين و ستمائة إلى الناصر بن العزيز بدمشق مستجيشا عليه ليقطع ذكر صاحب اليمن من الخطبة فجهز له عسكريا و سار إلى مكة فقتل أبا سعيد بالحرم و ملك مكة و بقي الى ما بعد خلافة المستعصم

وكان على المدينة سنجر بن قاسم فبقى حتى قتل في سنة سبع و أربعين و ستمائة و ولى مكانه ابنه عيسى ثم قبض عليه أخوه جماز سنة تسع و أربعين و ستمائة و ملك مكانه

قال ابن سعيد وفي سنة إحدى و خمسين و ستمائة كان بالمدينة أبو الحسن بن شيحة بن سالم و قال غيره كان بالمدينة سنة ثلاث و خمسين و ستمائة و ولى أخوه جماز و طال عمره و بقي الى ما بعد خلافة المستعصم و كان على اليمن المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول و طال مدته و بقي الى ما بعد خلافة المستعصم

وكان ما وراء النهر و خراسان و غزنه و ما مع ذلك بيد بني جنكزخان

وكانت مملكة الشمال المعروفة قديما ببيت بركة و الآن بمملكة أربك و قاعدتها مدينة السراي التي بناها بركة خان قد جعلها جنكزخان لابنه طوش خان و مات في حياة أبيه جنكزخان و ملك بعده ابنه باطوخان و يقال صائن خان و معناه الملك الجيد فبقى حتى مات سنة ثنتين و خمسين و ستمائة و ملك بعده أخوه صرطق بن دوشى خان و مات سنة أربع و خمسين و ستمائة و ملك بعده أخوه بركة بن دوشى خان و كان قد اسلم على يد الشيخ شمس الدين الباخري من أصحاب الشيخ نجم الدين الكبرى صاحب الطريقة و حسن إسلامه و بقي الى ما بعد خلافة المستعصم

وكانت إفريقية بيد أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد من الموحدين فبقى حتى مات لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع و أربعين و ستمائة و بوع بعده ابنه و لى هذه المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا و دخل تونس في رجب من السنة المذكورة و هو أول من تلقب من الحفصيين من الموحدين بالقباب الخلافة و انتهى أمره الى أن بوع له بمكة و بعث بالبيعة اليه و استولى على ما كان بيد ابيه من إفريقية وغيرها و بقي الى ما بعد خلافة المستعصم و كانت تلمسان بيد ابي سعيد بن عبد المؤمن من الموحدين من جهة اخيه

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المأمون فعزله أخوه وولى عليها جابر بن يوسف من عقب القاسم بن عبد الواد من زناته في سنة أربع وعشرين وستمائة ثم قتل في سنة تسع وعشرين وستمائة وولى بعده ابنه الحسن بن جابر من جهة المأمون ثم نزل عن ذلك لعمه عثمان بن يوسف فأساء السيرة فأخرجته الرعية في سنة إحدى وثلاثين وستمائة وأقاموا مكانه عمه وكدار بن زيان ثم قتل سنة ثلاث وثلاثين وولى بعده يغمراسن بن زيان من قبل بني عبدالمؤمن فاستبد بالأمر عليهم وتحلى بحلية الملك وجرى على مرتبته ولم يبق عليهم غير الدعاء على المنابر ثم غلب أبو زكريا سلطان الحفصيين بإفريقية على تلمسان وفوض أمرها ليغمراسن فبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم

وكان الغرب الأقصى وإشبيلية وما معها من الأندلس بيد المعتضد بالله أبو الحسن علي بن إدريس من بني عبد المؤمن من الموحدين فسار إلى تلمسان فمات بها في صفر سنة ست وأربعين وستمائة وفيها استولت الفرنج على إشبيلية من الأندلس ثم اجتمع الموحدون على بيعة أبي حفص عمر بن أبي إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن فبايعوه ولقبوه المرتضى وكان بسلا فقدم إلى مراکش وأقام بها وفي أيامه استولى أبو يحيى بن عبد الحق المريني على مدينة فاس سنة سبع وأربعين وستمائة واستقرت فيها قدمه وقدم بنيه إلى الآن ثم خرج على المرتضى القائد أبو العلا الملقب بأبي دبوس بن أبي عبدالله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن واجتمع عليه جموع الموحدين وقصد مراکش وبها المرتضى فغلبه عليها وفر المرتضى إلى أزموور فقبض عليه وألجأها واعتقله بها إلى أن ورد عليه أمر أبي دبوس بقتله فقتله واستبد أبو دبوس بالأمر وتلقب بالواثق بالله والمعتمد على الله فخرج عليه أبو يحيى زكريا بن عبد الحق المريني وقصد مدينة فاس بعد أن استولى على كثير من بلادها فانتزعها من عامل بني عبد المؤمن واستولى عليها في أول سنة ست وأربعين وستمائة وملك سجلماسة من أيدي الموحدين أيضا في سنة ثلاث وخمسين وستمائة وبقى حتى مات بفاس في رجب سنة ست وخمسين وستمائة وملك بعده ابنه عمر ثم قصد عمه يعقوب بن عبد الحق وانتزع منه مدينة فاس ومات ابن أخيه عمر بعد ذلك وكانت مراکش قاعدة الغرب الأقصى يومئذ بيد أبي دبوس الملقب بالواثق المعتمد على الله من بني عبد المؤمن فقصدته يعقوب بن عبد الحق وانتزع منه مراکش في سنة ثمان وستين وستمائة واستقل بملك الغرب الأقصى بأسره وأنقرض ملك بني عبد المؤمن منه ثم عاد إلى فاس وبني المدينة التي استجدها ملاصقة لها ونزلها في سنة أربع وستين وستمائة وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم

وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد أبي دبوس محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر فأخذ المرية من يد محمد وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأربعين وستمائة وبقى إلى ما بعد خلافة المستعصم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الفترة التي شغرت فيها الخلافة عن خليفة وهي ما بين قتل المستعصم في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة الى حين بايع الملك الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية المستنصر أحمد بن الظاهر أول الخلفاء بالديار المصرية في رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة والملوك مستولية على الممالك شرقا وغربا الحوادث والماجريات في هذه المدة في سنة سبع وخمسين وستمائة بعد استيلاء التتر على بغداد سار هولوكو ملك التتر من بغداد قاصدا الشام وعدى الفرات بعساكره ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وارسل ولده سموطين هولوكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب وفي سنة ثمان وخمسين وستمائة عبر هولوكو الفرات ونازل حلب واستولى عليها في تاسع صفر من هذه السنة وبذلوا السيف في المسلمين وصعد القلعة خلق عظيم من المسلمين ودام القتل والنهب فيها من تاسع صفر الى رابع عشرة فامرهم هولوكو أن يرفعوا السيف ونادى بالأمان ولم يسلم من اهل حلب إلا من التجأ الى أماكن معروفة كان بأيدي اهلها أمانات من هولوكو ويقال إن من سلم بهذه الأماكن كانوا نحو خمسين الف نفس ودام الحصار على قلعة حلب حتى نزل من فيها بالأمان وأمر هولوكو بخراب اسوار حلب و أسوار قلعتها فخربت عن آخرها وأحرقت زردخانيتها و توجه أهل حماة بالمفاتيح إلى هولوكو وطلبوا منه الأمان وشحنة تكون عندهم ثم سار التتر إلى دمشق وأستولوا عليها وعلى سائر الشام و حاصروا قلعة دمشق حتى نزلوا بالأمان بعد مضايقة عظيمة في منتصف جمادى الأولى من هذه السنة ونهبوا جميع ما فيها

و خربوا أسوارها و كذلك أستولوا على ميفارقين و قتلوا صاحبها الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر وكان النصراني بدمشق قد أستطالوا بدق الناقوس و إدخال الخمر الجامع فبلغهم حركة عسكر مصر إليهم فوثبوا بالنصارى و نهبوهم و خربوا كنيستهم العظمى بها وو صل المظفر قطز صاحب مصر إلى الشام وبقي التتر على عين جالوت فكانت الكسرة على التتر و قتل كتيغا نائب هولوكو) ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا (و سار المظفر قطز بعد كسر التتر حتى دخل دمشق و أبتهجت الرعايا بالنصر ثم عاد المظفر قطز بعد ذلك قاصدا الديار المصرية فقتل في الطريق و ملك الظاهر بيبرس على ما سيأتي ذكره وكان المظفر قطز قد أستتاب سنجر على دمشق فلما ملك الظاهر بيبرس خرج عن طاعته و تسلطن بدمشق في العشر الأول من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين و ست مائة ولايات الأمصار في هذه المدة

كانت مصر بيد الملك المنصور علي بن المعز أيبك وبقي حتى قبض عليه الملك المظفر قطز في سنة سبع وخمسين و ستمائة و أستولى على الملك مكانه وكان المصاف بينه وبين التتر على عين جالوت بعد أن أستولوا على جميع الشام في رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة فكسرهم أشد كسرة و استقلع الشام منهم بعد أن عجز كافة ملوك الشرق وعساكرها عن مقاومتهم و استولوا على الأقاليم الشرقية والشمالية كإقليم ما وراء النهر من بخارى وسمر قند وغيرهما و إقليم خوارزم ودشت القجاق وإقليم خراسان وعراق

العجم وأذربيجان وخوزستان وبلاد فارس والجزيرة الفراتية وبلاد الروم وبلاد الشام وغير ذلك واجتمع له ملك الديار المصرية والبلاد الشامية وتداول ملوك مصر ذلك بعده إلى زماننا على ما سيأتي ذكره وبقي حتى قتل في متصيده وهو عائد من الشام بالقرب من قصير الصالحية على إثر ذلك من السنة المذكورة وملك بعده الملك الظاهر بيبرس البندقداري في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمئة وأخذ في جهاد الفرنج واستعاد

ما ارتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وغير ذلك ففتح البيرة والكرك وحمص وقيسارية وأرسوف وصفد ويافا والشقيف وأنطاكيا وحصن الأكراد وعكا وصافيتا وقلاعا من بلاد سيبس وكسر التتر على البيرة بعد أن عدى الفرات خوفا بعساكره ودخل بلاد الروم وإنترع قيسارية من يد التتر وجلس على تخت آل سلجوق بها وبنى المدرسة الظاهرية بالقاهرة بين القصرين وبقي إلى ما بعد هذه الفترة وكانت دمشق وحلب بيد الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فبقيت بيده حتى استولت عليهما التتر في سنة ثمان وخمسين وستمئة ثم إنترعهما منهم المظفر قطز صاحب الديار المصرية واستولى عليهما وعلى سائر البلاد الشامية وقبض عليه الظاهر بيبرس وملك بعده وبقي إلى ما بعد هذه المدة على ما تقدم وكانت طرابلس قد بقيت بيد الفرنج بعد فتح الظاهر صفد وكانت حماة بيد المنصور محمد بن المظفر محمود فبقي بها حتى غلب هولاء على البلاد الشامية فهرب إلى مصر صحبه الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب في جماعة من بني أيوب فأكرم المظفر قطز صاحب الديار المصرية نزله فلما كسر المظفر التتر أعادهم إلى حماة على ما كان عليه من السلطنة فبقي بها إلى ما بعد هذه المدة وكانت الكرك بيد الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن كامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فبقي بها إلى ما بعد هذه الفترة وكانت حمص وبعليك بيد الناصر يوسف مضافتين إلى حلب ودمشق وكان من أمره ما كان من مصيره إلى الديار المصرية ولحقه بقطر صاحبها وإنترع قطر البلاد الشامية من أيدي التتر فصارت في جملة نيابات صاحب الديار المصرية وكان ما وراء النهر وخراسان وغزنه وعراق العجم وأرمينية وأذربيجان وسائر مملكة إيران بيد هولاء كو بن طولي بن جنكزخان وكانت مملكة الشمال بيد بركة بن درجي خان وبقي بركة إلى ما بعد هذه المدة الفترة

وكانت مكة بيد جماز بن حسن بن قتادة فوصل عمه راجح بن قتادة إلى مكة وقد كبر سنه فاستولى على مكة وأخرج جمازا منها فلحق بالينبع ثم دار أمر مكة بين أبي نمي محمد بن أبي سعد بن علي بن قتادة وبين غالب بن راجح بن قتادة وبقي الأمر على ذلك إلى ما بعد هذه الفترة

وكانت المدينة بيد جماز بن شيحة فبقي إلى ما بعد هذه المدة
وكان ما وراء النهر وخراسان وما معها بيد بني جنكزخان
وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى بن
عبد الواحد من الموحدين فبقي إلى ما بعد هذه المدة
وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد يغمرسن ابن زيان من جهة المستنصر بن
أبي زكريا صاحب إفريقية فبقي إلى ما بعد هذه المدة
وكان الغرب الأقصى بيد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق فبقي إلى ما بعد هذه
المدة
وكانت غرناطة وما معها من الأندلس بيد أبي دبوس محمد بن الأحمر فبقي
إلى ما بعد هذه الفترة
الطبقة الرابعة من الخلفاء خلفاء بني العباس بالديار المصرية من حين انتقال
الخلافة إليها وإلى زماننا وهم أحد عشر خليفة
الأول منهم المستنصر بالله
وهو أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد بن الناصر لدين الله المقدم ذكره
والعامة تسمية الزرابيني ببيع له بالخلافة بالديار المصرية في شهر رجب سنة
ثمان وخمسين وستمئة وقام ببيعه السلطان الملك الظاهر بيبرس
البندقداري صاحب الديار المصرية وهو أول خليفة واطأ لقبه لقب خليفة قبله
تلقيبا له بلقب أخيه المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بالله
المقدم ذكره وكانوا قبل ذلك يقتبضون لكل خليفة يتولى لقباً لم يكن لأحد قبله
وكانه إنما لقب بذلك تفاؤلاً للإستنصار بالله على التتر وكان من شأنه أنه حضر
مع

جماعة من العرب وذكر انه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر فعقد له
السلطان مجلساً حضر فيه جماعة من الأكابر منهم الشيخ عز الدين بن عبد
السلام إمام الشافعية في زمانه والقاضي تاج الدين بن بنت الأعز قاضي
القضاة بالديار المصرية يومئذ بمفرده فشهد أولئك العرب انه ابن الظاهر بالله
ثم شهد من سمع كلامهم بنسبة المذكور بالإستفاضة فأثبت القاضي تاج الدين
بن بنت الأعز نسيه ثم ببيع بالخلافة بعد ذلك على ما تقدم ذكره وبقي حتى
قتله التتر بالعراق حين وجهه الملك الظاهر إلى بغداد لينتزعها منهم في أواخر
سنة ثمان وخمسين وستمئة
الحوادث والماجريات في خلافته
لما بايع له الملك الظاهر اهتم بأمره أتم الإهتمام وكتب السلطان الكتب إلى
المماليك والنواب بأخذ البيعة له في جميع الأقطار بالخلافة وأن يخطب له مع
السلطان على المنابر ويبدأ به في الذكر وينقش إسمه مع إسمه

في السكة على الدنانير والدرهم فلما كان يوم الجمعة الذي يلي المبايعه
خطب الخليفة بنفسه بجامع القلعة ثم ركب السلطان بعد ذلك بقليل إلى خيمة
ضربت له بالبستان الكبير بظاهر القاهرة ونزل بها والخليفة معه ولبس منه
خلعة الخلافة وهي عمامة بنفسجي وجبة سوداء وطوق ذهب في عنقه وسيف

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بداوى تقلد به وجلس مجلسا عاما بحضرة الخليفة والوزير والقضاة والعلماء والأمرء ونصب للصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب السر يومئذ منبر فصعد عليه وقرأ تقليد السلطان ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر وشق القاهرة وهى مزينة له وحمل صاحب بهاء الدين ابن حنا وزيره التقليد على رأسه ومشى به في الموكب بين يدي السلطان والأمرء مشاة حوله وأمامه وعمل له السلطان الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة واستخدم له عسكريا جليلا وغرم على ذلك فيما يقال ألف ألف دينار بتكرير الألف مرتين وبرز السلطان والخليفة في رمضان من السنة المذكورة وتوجهوا إلى دمشق وكان السلطان في كل منزلة يمضى إلى دهليز الخليفة الخاص به فلما وصلا إلى دمشق نزل السلطان بالقلعة ونزل الخليفة في جبل الصالحية ونزل أمرأؤه وأجناده حوله ثم جهز السلطان الخليفة بعسكره من دمشق إلى بغداد لقتال التتر الذين استولوا عليها وخرج السلطان معه لتشييعه ووصاه بالتأنى في الأمور ثم عاد السلطان إلى دمشق ثم إلى الديار المصرية فدخلها في سابع عشر ذى الحجة من هذه السنة ووصلت إليه كتب الخليفة بعد وصوله الديار المصرية بأنه قد استولى على عانة والحديثة وولى عليهما وأن كتب أهل العراق وصلت إليه يستحثونه على الدخول إليهم ثم بعده تنفيذ الكتب إلى الديار المصرية خرج إليه التتر فقاتلوه وقتلوه وقتلوا غالب عسكره وجاءت الأخبار إلى الديار المصرية بذلك لاراد لقضاء الله ولا معقب لحكمه

وفي سنة ستين وستمائة وقع بالديار المصرية بمصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى والبلاد الشامية دمشق وصفد والكرك والشوبك وغيرها وسواد العراق زلزلة شديدة تساقطت منها الأبنية وتشققت الجبال وتقطعت الصخور وتفجرت الأرض عيونا وخرج الناس من مساكنهم هاربين إلى الصحارى وظهر أثرها في النيل والبحر الملح وطما البحر لسببها حتى أغرق قماش القصارين وتكسرت القوارب والسفن وتهدمت الجدران ومنارات الجوامع ووقع جانب عظيم من منار الإسكندرية ولايات الأمصار في خلافة

كان على الديار المصرية والبلاد الشامية بأسرها إلا ما بقى بيد الفرنج منها في أيامه الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الذي قام ببيعته وبقى الى ما بعد خلافته وكانت مكة بين ابي نمى محمد بن ابي سعد بن علي ابن قتادة وبين غالب بن راجح بن قتادة على ما تقدم ثم استبد ابو نمى بمكة ونفى أقاربه جمازا وأخويه إدريس ومحمدا الى اليمن فأعقابهم قائمة بإمرته الى الآن وبقى أبو نمى الى ما بعد خلافة المستنصر

وكانت اليمن بيد المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول فبقى الى ما بعد خلافة المستنصر

وكانت مملكة إيران من بغداد وما معها بيد هولوكو بن طولى بن جنكزخان فبقى الى ما بعد خلافة المستنصر وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بنى جنكزخان غير هولوكو وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله محمد بن ابي زكريا فبقى الى ما بعد خلافة المستنصر

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد يغمراسن بن زيان فبقى الى ما بعد خلافة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المستنصر
وكان الغرب الأقصى بيد ابي يوسف يعقوب عبد الحق فبقى الى ما بعد خلافة
المستنصر
وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد ابي دبوس بن الأحمر فبقى الى
ما بعد خلافة المستنصر
الثاني من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
الحاكم بأمر الله وهو أبو العباس أحمد بن الحسين بن أبي بكر بن

الأمير ابي علي القبي بن الأمير حسن بن الراشد بالله ابي جعفر المنصور
الحادي والثلاثين من خلفاء بني العباس بالعراق وقد تقدم ذكره قال المؤيد
صاحب حماة هذا هو المشهور بمصر عند نسابتها أما عند الشرفاء العباسيين
السليمانيين في درج نسبهم الثابت فهو أحمد بن علي بن ابي بكر بن أحمد بن
الإمام المسترشد والد الراشد المقدم ذكره وتلقيه بالحاكم وإن لم يكن
مواطناً للقب أحد من الخلفاء العباسيين قبله فهو مواطئ للقب الحاكم بأمر
الله الفاطمي ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية وهو أبو الخلفاء
العباسيين بالديار المصرية الموجودين الى الآن بويج له بالخلافة يوم الخميس
في أواخر ذي الحجة سنة ستين ستمائة وذلك أنه لما قتل المستنصر احمد
المقدم ذكره في أواخر سنة ثمان وخمسين وستمائة بقيت الخلافة شاغرة
بعده الى أن بعث السلطان من احضره اليه من بغداد فقدم مصر في سنة
تسعة وخمسين وستمائة وهو ابن خمس عشرة سنة ثم
جلس السلطان في التاريخ المذكور مجلساً عاماً وأثبت نسبة وبايعه بالخلافة
وأشركه معه في الدعاء له على المنابر مقدماً في ذلك على السلطان إلا انه
لم يثبت اسمه في السكة على الدراهم والدنانير وبقى حتى توفي في شهر
سنة احدى وسبع مائة وكانت خلافته اربعين سنة تقريباً بعد أن حج في سلطنة
الملك المنصور لاجين في سنة سبع وتسعين وستمائة وزودها السلطان مبلغ
سبع مائة ألف درهم وكان له من الأولاد المستكفي بالله الآتي ذكره وغيره
الحوادث والماجريات في خلافته
لما بويج له بالخلافة رقم اسم السلطان في السكة ودعى له قبل السلطان في
الخطبة وحفظ له ما يجب حفظه من مقداره إلا أن السلطان الملك الظاهر لم
يمكنه من التصرف والركوب والنزول بل هياً له برجا يقيم فيه فبقى على ذلك
الى ان ملك السلطان الأشرف خليل ابن المنصور قلاوون فأسكنه بالكبش
على القرب من الجامع الطولوني وكان يخطب بنفسه في جامع القلعة

ويصلى ولم يطلق تصرفه إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين فأباح له
التصرف حيث شاء وأركبه معه في الميادين
وفى أيامه في سنة ستين وستمائة رتب السلطان الملك الظاهر القضاة أربعة
من كل مذهب قاض وكان قبل ذلك في الدولة الفاطمية وما قبلها والدولة
الأيوبية وما بعدها قاض واحد وهو يستنيب من يختاره من المذاهب على قاعدة
الخلافة العباسية ببغداد بل اجتمع في الدولة الفاطمية في أيام الحاكم بأمر

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامة

الله الفاطمي مصر وأجناد الشام وبلاد المغرب لقاظ واحد وكان سبب استقرار القضاة الأربعة أن القاضي كان في أول ل الدولة الظاهرية ابن بنت الأعز وكان شافعيًا فكان إذا ورد عليه شيء من غير مذهبه توقف في إثباته فاختار السلطان أربعة قضاة ليحكم كل منهم بما يسوغ في مذهبه وفي هذه السنة كان بالديار المصرية غلاء شديد فجمع السلطان الفقراء وأخذ لنفسه خمس مائة فقير ولولده بركة خان خمس مائة ولنائبه بيليك الخازندار ثلاثمائة وفرق الباقيين

على الأمراء على قدر طبقاتهم وأمر لكل فقير برطلين خبزًا فما رثى بعد ذلك بالديار المصرية فقير يسأل

وفي سنة اثنتين وستين وستمائة ختن السلطان ولده بركة خان وأمر الأمراء والمقدمين والجند والقضاة والفقهاء والفقراء والعوام أن يحضروا أولادهم ليختنهم مع ولده فأحضر إليه ألف وستمائة وخمسة وأربعون صغيرًا خارجًا عن أولاد الأمراء والمقدمين فأمر لكل منهم بكسوة على قدره ومائة درهم ورأس غنم وختن الجميع مع ولده

وفي سنة ثمانين وستمائة قصد أبغا بن هولكو ملك التتر الديار المصرية ولقيه الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية فهزمه بعين جالوت أشد هزيمة وعاد إلى بلاده ورجع السلطان الملك الظاهر إلى الديار المصرية وفي سنة سبع وتسعين وستمائة قصد غازان ملك التتر إلى الديار المصرية ولقيه السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون على حمص فانهزم المسلمون واستشهد منهم جماعة ثم عاد إلى الديار المصرية ورجع غازان إلى بلاده

وفي أيامه في سنة أربع وستين وستمائة فتح السلطان الملك الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية يافا وأنطاكية وانتزعهما من الفرنج وأخذ بغراس وبهسنا ودريساك وغيرها وانتزعهما من الأرمن وفي سنة سبع وستين أخذ مصيف من أيدي الإسماعيلية وفي سنة سبع فتح حصن الأكراد وحصن عكار وتسلم قلعة العليقة وبلادها من الإسماعيلية

وفي سنة إحدى وسبعين تسلم نوابه من الإسماعيلية ما بقي من قلاعهم وهي الكهف والمينقة والقدموس

وفي سنة أربع وثمانين وستمائة فتح المنصور قلاوون حصن المرقب وفي سنة ست وثمانين فتح صهيون وفي سنة ثمان وثمانين فتح طرابلس بعد أن مضى عليها مع الفرنجة مائة وخمسة وثمانون سنة وأشهر وأعجز الملوك السالفة فتحها وهدمها بأسرها بعد الفتح وفي سنة تسعين وستمائة فتح ابنه الأشرف خليل عكا وهدمها وأخلى الفرنج من الرعب أكثر بلاد الساحل مثل صيدا وبيروت وصور وانطرطوس وتسلمها المسلمون وأمر بهدمها فهدمت وتكاملت جميع البلاد الساحلية للإسلام وفي سنة إحدى وتسعين وستمائة فتح الأشرف خليل أيضا قلعة الروم وسماها قلعة المسلمين وكانت كرسي خليفة الأرمن وفي سنة إحدى وتسعين وستمائة رآك السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بلاد الديار المصرية وهو البروك الحسامي إلا أنه لم يأت روكه على النمط المعتبر في التحرير وفي أيامه استنقذ يعقوب بن عبد الحق المريني

سلطان الغرب الأقصى مدينة سلا من يد الفرنج بعد ان استولوا عليها وغزاهم بالأندلس أربع مرات حتى أذعن له شانجة بن أدفونش ملكهم في عقد الهدنة فعقدتها له على شروط ألزمه إياها وغزاهم ابنه أبو يعقوب يوسف في سلطنته بعد ذلك وفي أيامه في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبع مائة ألزم السلطان النصارى واليهود لبس عمائم مخالفة لألوان عمائم المسلمين فألبس النصارى عمائم زرقاء واليهود عمائم صفراء ولايات الأمصار في خلافته

كان على مصر والشام الملك الظاهر بيبرس المقدم ذكره فبقي حتى توفي في دمشق في المحرم سنة ست وسبعين وستمائة بعد أن فتح الكثير مما كان استعاده الفرنج من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ففتح قيسارية وأرسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وبغراس والقصير وحصن الأكراد والقرين وحصن عكار وصافيتا وبانياس وأنطرطوس وإقتل من الأرمن دريساك ودركوش ومليش وكفر دبين ورعبان ومرزبان وأدنة والمصيصة وبلاد النوبة وملك بعده مصر والشام ابنه الملك السعيد بركة في صفر من السنة المذكورة ثم خلع وبعث به إلى الكرك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وست مائة وملك بعده أخوه الملك العادل سلامش فبقي أربعة أشهر ثم خلع وملك بعده الملك المنصور قلاوون الصالحى الشهير بالألفى في شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة ولقب الألفى لأن أقسنقر الكاملى إشتهر بألف دينار وبنى البيمارستان المنصوري بالقاهرة بين القصرين الذي ليس له نظير في الدنيا وأدرج فيه مدرسته المنصورية وقبة مدفنة على جنبتي الداخل إليه يمنا ويسرة وتوفي بظاهر القاهرة المحروسة ودفن بقبته بالبيمارستان المقدم ذكره وملك بعده ابنه الملك الأشرف خليل صبيحة وفاة أبيه وأخذ في الغزو على عادة أبيه وقتل في متصيده بالبحيرة في العشر الأوسط من المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة وهو الذي عمر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسى وملك بعده الملك المعظم بيدرا ثم خلع من يومه وملك بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون في صفر

سنة ثلاث وتسعين وستمائة وهي سلطنته الأولى ثم خلع بعد ذلك وسير به إلى الكرك فحبس بها وملك بعده الملك العادل كتبغا عقب خلع وخلع في صفر سنة ست وتسعين وستمائة وملك بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين في الخامس والعشرين من صفر المذكور وقتل في الحادي والعشرين من شوال من السنة المذكورة وبقي الأمر شورى مدة يسيرة ثم حضر الملك الناصر محمد ابن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة في حادي عشر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة وهي سلطنته الثانية وخلع يوم السبت حادي عشر شوال من السنة المذكورة وملك بعده الملك المظفر بيبرس الجاشنكير في الثالث والعشرين من شوال المذكور وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم وكانت مكة بيد أبي نمي محمد أبي سعد إلى أن مات أبو نمي فقام بإمرة مكة

بعده ابناه رميثة وحميضة ونازعهما أخوهما عطيفة وأبو الغيث فاعتقلاهما ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل المملكة بالديار المصرية في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فأطلق عطيفة وأبا الغيث وولاهما وأمسك رميثة وحميضة وبعث بهما إلى مصر ثم رد السلطان رميثة وحميضة إلى إمارتهما مع عسكر فاستقرا في إمارتهما وبعثا إليه بعطيفة وأبي الغيث وبقى التنارع بينهم وهم يتعاقبون إمرة مكة مرة بعد أخرى وقتل أبو الغيث في بعض حروبهم وبقى الأمر على ذلك إلى ما بعد خلافة الحاكم وكانت المدينة بيد جمار بن شيحة فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم وكان اليمن بيد المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول وبعث إلى الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية هدية جلييلة على أن يكتب له بالأمان فأجيب إلى ذلك وقررت عليه إتاة لملوك مصر وأعيدت رسله إليه في سنة ثمانين وستمائة ومات بحصن تعز سنة أربع وتسعين وستمائة وملك بعده ابنة الملك الأشرف ممهد الدين

عمر بن المظفر يوسف وبقى حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة وملك بعده أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر يوسف فاستمر على مواصلة ملوك مصر بالضريبة المقررة عليه والهدايا والتحف وتمذهب بمذهب الشافعي رضى الله عنه واشتغل بالعلوم واعتنى بجمع الكتب حتى يقال إن خزانته اشتملت على مائة ألف مجلد وكان فيه بر للعلماء وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم وكانت مملكة إيران بيد هولاکو بن طولی بن جنکزخان ملك التتر فبقى حتى هلك في سنة ثنتين وستين وستمائة لعشر سنين من ولايته وملك بعده ابنه أبغا وهو الذي قصد الديار المصرية فلقبه الظاهر بيبرس وهزمه بعين جالوت في سنة ثمانين وستمائة وهلك سنة إحدى وثمانين وستمائة وملك بعده ابنه تكدار فأسلم وتسمى احمد وتلقب أحمد سلطان وخاطب ملوك عصره وهو اول من أسلم من بنى هولاکو ثم قتله عسكره من المغل لما نعموا عليه من إسلامه في سنة

اثنتين وثمانين وستمائة وملك بعده أخوه أرغون بن أبغا فعدل عن دين الإسلام إلى دين البراهمة من عبادة الأصنام وانتحال السحر وهلك سنة تسعين وستمائة وملك بعده أخوه كيختو بن أبغا فسأدت سيرته وأفحش في المنكرات فقتله غلمانة في سنة ثلاث وتسعين وستمائة لثلاث سنين وأشهر من ولايته وملك بعده ابن عمه بيدو بن طرخاي بن هولاکو ثم قتل سنة خمس وتسعين وستمائة لثمانية أشهر من ولايته وملك بعده غازان والعامه تقول قازان بالقاف ابن أرغون بن أبغا بن هولاکو وهو الذي هزم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ومات سنة تسع وتسعين وستمائة وملك بعده أخوه خدابندا والعامه تقول خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاکو فافتتح أمره بالدخول في الإسلام وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين واقام دين الإسلام وعظم الخلفاء وكتب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

أسماءهم في سكتة على الدراهم والدنانير ونقش عليها اسم الأئمة الاثنى عشر على طريق الرافضة وحذف اسم الشيخين من الخطبة وبنى المدينة المسماة بالسلطانية بأذربيجان وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بنى جنكزخان غير بنى هولوكو وكانت مملكة الشمال بيد بركة بن دوجى خان بن جنكزخان فبنى مدينة السراى وجعلها قاعدة ملكه وبقي حتى مات سنة خمس وستين وستمائة وملك بعده منكوتر بن طغان بن باطوخان بن جنكزخان وزحف مع أبغا بن هولوكو على الشام في سنة ثمانين وستمائة وهزمهم المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية على حمص على ما تقدم ومات منكوتر سنة إحدى وثمانين وستمائة وملك بعده ابنه تدان منكوبن منكوتر ثم خرج عن الملك سنة ست وثمانين وستمائة وانقطع إلى صحبة المشايخ والفقراء وملك مكانه أخوه تلابغا بن منكوتر وبقي حتى قتل سنة تسعين وستمائة وملك بعده أخوه طقطاى خان بن منكوتر وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم وكانت إفريقية بيد المستنصر بالله محمد بن أبى زكريا

من الحفصيين من الموحدين فتوفى سنة خمس وسبعين وستمائة وولى بعده ابنه الواثق بالله يحيى بن المستنصر محمد ليلة موت أبيه فأحسن السيرة وبسط العدل والعطاء وبعث إليه أهل بجاية بالبيعة ثم انتزع منه بجاية عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى سنة سبع وسبعين وسبعمائة فانخلع الواثق عن الإمرة لعنه أبى إسحاق المذكور في أول ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة وسار أبو إسحاق إلى تونس فدخلها في ربيع الآخر من السنة المذكورة واستولى على المملكة جميعها واعتقل الواثق المخلوع وبنه ثم دس عليهم من ذبحهم ليلا في صفر سنة تسع وسبعين وستمائة وخرج على السلطان أبى إسحاق أحمد بن روق بن أبى عمارة واستولى على تونس بعد خروج أبى إسحاق منها وانخلع أبو إسحاق من ملك بجاية لدينه أبى فارس عبد العزيز في آخر ذى القعدة من السنة المذكورة ثم خرج على الأمير أبى فارس الدعى بن يحيى المخلوع فقتله في سنة اثنتين وثمانين وستمائة واستولى على بجاية ودخل أهلها في طاعته ثم خرج على الأمير الدعى أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص فانهزم منه الدعى واستولى أبو حفص على تونس وسائر المملكة وتلقب بالمنتصر ثم ظفر بالدعى بعد ذلك فقتله وبايعه أهل تلمسان وطرابلس وما بينهما ثم خرج أبو زكريا يحيى بن السلطان أبى إسحاق على بجاية وقسنطينة فملكهما واقتطعهما عن مملكة إفريقية وبقي السلطان أبو حفص على إفريقية حتى مات في آخر ذى الحجة سنة أربع وتسعين وستمائة وكان الواثق بن المستنصر المقدم ذكره عند موته ترك جارية حاملا فوضعت ولدا فسماه الشيخ محمد المرجاني محمدا وأطعم الفقراء يومئذ عصيدة فلقب الولد بأبى عصيدة فلما مات السلطان أبو حفص استقر في الملك بعده أبو عصيدة المذكور وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد يغمراسن بن زيان من جهة الحفصيين أصحاب إفريقية فتوفى في ذى القعدة سنة إحدى وثمانين وستمائة وولى بعده ابنه عثمان بن يغمراسن فبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم

وكان الغرب الأقصى بيد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق فبقى حتى مات في آخر المحرم سنة خمس وثمانين وستمائة وملك بعده ابنه ولى عهده أبو يعقوب يوسف بن يعقوب فجرى على سنن أبيه في العدل وبقى إلى ما بعد خلافة الحاكم وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد أبي دبوس محمد بن يوسف من بنى الأحمر وبقى حتى مات سنة إحدى وسبعين وستمائة وملك بعده ابنه الفقيه محمد بن محمد بن يوسف بن نصر ومات في سنة إحدى وسبع مائة وهى السنة التى مات فيها الإمام الحاكم المذكور الثالث من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية المستكفى بالله وهو أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أحمد المقدم ذكره وهذا اللقب منقول إليه عن المستكفى بالله

أبى القاسم عبد الله الثالث والعشرين من خلفاء بنى العباس بالعراق ببيع له بالخلافة يوم موت أبيه في شهر سنة إحدى وسبعمائة وبقى حتى توفى بمدينة قوص في العشر الآخر من شوال سنة أربعين وسبعمائة فكانت خلافته نحو تسع وثلاثين سنة وكان له من الأولاد الحاكم بأمر الله الآتى ذكره الحوادث والماجريات في خلافته

لما بوع بالخلافة استقر على ما كان عليه أبوه الحاكم من الركوب والنزول وركوب الميادين مع السلطان إلى أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة المرة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير في شهر سنة تسع وسبعمائة فحصل عند السلطان منه وحشة فجهزه إلى مدينة قوص بصعيد مصر الأعلى ليقيم بها فبقى فيها بقية مدة خلافته وعهد بالخلافة إلى ابنه الحاكم بأمر الله أحمد بن أبى الربيع سليمان وثبت على الحاكم بقوص بعد أن أشهد عليه فيه أربعين شاهداً

وفي أيامه في سنة تسع وسبعين توقف النيل وكسر الخليج قبل الوفاء وانتهت الزيادة في السايح والعشرين من توت إلى خمسة عشر ذراعاً وسبع عشرة أصبعا

وفي سنة إحدى وسبعمائة خطب للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ببلاد إفريقية وحاضرة تونس بواسطة أن صاحبها أبا يحيى وفد على السلطان فقلده بلاد طرابلس الغرب وأعطاه الأعلام والعصائب فوعده أن مهما فتحه من بلاد الغرب خطب له فيه

وفي أيامه عمل الروك الناصرى في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ست عشرة وسبعمائة واستعيدت الإقطاعات من الأمراء والأجناد وقيست بالوجهين القبلى والبحرى ثم فرقت الإقطاعات على الأمراء والجند وكان الموجب لعمله أن الملك المنصور حسام الدين لاجين كان في سلطنته وقد عمل الروك الحسامى فجرى على غير أنموذج محرر فاحتيج إلى إعادته وتحريره فعمل السلطان الملك الناصر هذا الروك فجاء في غاية الإتقان والتحرير

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة فتح الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية آياس وبلادها وانتزعها من الأرمن مع كثير من بلادهم ولايات الأمصار في خلافته كانت الديار المصرية والبلاد الشامية في أيامه بيد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو الذي عمر الخانقاه الركنية ببيبرس داخل باب النصر من القاهرة مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية وبقي حتى خلع في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة وملك بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون في مستهل شوال من السنة المذكورة وهي سلطنته الثالثة وفيها طالت مدته وقوى ملكه وأكمل المدرسة الناصرية بين القصرين وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي

وكانت مكة بيد رميثة وحميضة ابني أبي ندى فوقع التنازع بينهما وسار رميثة إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية في سنة خمس عشرة وسبعمائة مستنجدا بسلطانها الملك الناصر محمد بن قلاوون فأيده السلطان بعساكر وجه بها إلى مكة فهرب حميضة ثم رجع إلى مكة بعد ذلك واصطاح هو وأخوه ثم حالف عطيفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ووصل إلى السلطان الملك الناصر فأيده بالعساكر فملك مكة وقبض على رميثة وسجن بمصر ثم أطلق سنة عشرين وسبع مائة أقام بمصر وبقي حميضة مشردا إلى ان أستامن السلطان فأمنه ثم وثب على حميضة مماليك كانوا معه فقتلوه ثم أشرك في إمارة مكة بين رميثة وأخيه عطيفة ثم مات عطيفة واستقل رميثة بإمارة مكة إلى أن كبر وهرم وكان له ولدان هما ثقبه وعجلان فاقتسما معه إمارة مكة برضاه ثم أراد الرجوع عن ذلك فلم يوافقاه عليه فلما مات رميثة تنازع ولداه المذكوران وخرج ثقبه من مكة وبقي عجلان بها ثم غلبه عليها ثقبه وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي

وكانت المدينة بيد جماز بن شيحة وبقي حتى عمى ومات في سنة أربع أو خمس وسبع مائة وولى بعده ابنه منصور بن جماز ثم وفد أخوه مقبل بن جماز على الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية فأشرك بينهما في الإمارة والإقطاع ثم غاب منصور عن المدينة واستخلف ابنه كبيشة فهجم عليه مقبل وملكها من يده لحق كبيشة بأحياء العرب فاستجاش وهجم المدينة على عمه مقبل فقتله سنة تسع وسبع مائة ورجع منصور إلى إمارته وبقي ماجد بن مقبل يستجيش العرب على عمه منصور بالمدينة ويخالفه إليها كلما خرج منها ثم زحف ماجد سنة سبع عشرة وسبع مائة وملكها من يد عمه منصور فاستصرخ منصور بالسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فأنجده بالعساكر فحاصروا ماجد بن مقبل بالمدينة وفر عنها وملكها منصور ثم سخط عليه السلطان الملك الناصر فعزله واستقر بأخيه ودى في إمارتها ثم أعيد منصور إلى إمارتها ومات سنة

خمس وعشرين وسبع مائة فولى ابنه كبيشة بن منصور مكانه فقتله عسكر ابن عمه ودى وعاد ودى إلى الإمارة ثم توفى بعد ذلك فولى طفيل بن منصور

بن جمار وتفرد بإمرتها وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي وكان اليمن بيد الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف من بنى رسول فبقي حتى توفى سنة إحدى وعشرين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المجاهد سيف الدين على فأساء السيرة فقبض عليه وخلع وحبس سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة وملك بعده عمه الملك المنصور أيوب بن المظفر يوسف ثم قتل وأعيد الملك المجاهد وعصى عليه الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بحصن الدملة واستقل به ثم قبض عليه المجاهد بعد صلح جرى بينهما وقتله وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي وكانت مملكة إيران بيد خدابند بن أرغون من بنى هولاء فبقي حتى مات سنة ست عشرة وسبع مائة وملك بعده ابنه أبو سعيد وهو ابن ثلاث عشرة سنة بمعاضده

جوبان نائب أبيه وقام جوبان بتدبير دولته ثم عظم شان أبي سعيد وقوى سلطانه وانتظم الود بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة وترددت الرسل والمكاتبات بينهما وقتل أبو سعيد جوبان نائبة سنة ست وعشرين وسبع مائة ومات أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبع مائة ودفن بمدينة السلطانية ولم يعقب وانقرض بموته ملك بنى هولاء واختلف أهل دولته وافترقت الأعمال التي كانت بيده وصارت طوائف كما كانت ملوك طوائف الفرس ولما مات أبو سعيد نصب أهل الدولة موسى خان من أسباطهم على بغداد وتوريز وأعمالهما وقام بتدبير دولته على باشا من أمراء دولتهم وكان الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن ابلكان المعروف بالشيخ حسن الكبير وهو ابن عم السلطان أبي سعيد معتقلا ببلاد الروم فأخرج من السجن بعد موت أبي سعيد

ووصل بغداد وخلع موسى خان ونصب مكانه محمد بن عنبرجي من عقب هولاء واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز وسار إليه حسن بن دمرداش من بلاد الروم فغلبه على توريز وقتل محمد بن عنبرجي ولحق الشيخ حسن ببغداد واستقر حسن بن دمرداش بتوريز ونصب للملك بها صاتييك أخت السلطان أبي سعيد على عادة العجم في تمليك بنات الملوك وزوجها لسليمان خان من أسباط هولاء واستولى إبراهيم شاه بن بارنباي ابن سنوتاي على قطعة من ديار بكر ثم استولى أولاد جوبان على مملكة أذربيجان وهي بلاد توريز والسلطانية واستولى القان طغيمتر من بنى جنكزخان على خراسان وأعمالها واستولى أرتنا على بلاد الروم وبقي الشيخ حسن إلى ما بعد خلافة المستكفي

وكانت مملكة الشمال التي قاعدتها مدينة السراي بيد طقطاي خان بن منكوتمر خان فبقي حتى مات سنة اثنتي عشرة وسبع مائة وملك بعده ابن أخيه أزيك بن طغزخان فأسلم واتخذ مسجدا للصلاة وخطب إليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية بنتا من أقاربه فزوجه إياها وبعث بها إليه إلى الديار المصرية ووصلت إلى دمياط وحملت في النيل إلى ساحل بولاق فحملت على عجلة من عجلات بلاد الترك إلى القلعة وعقد عليها الناصر ودخل عليها واتصلت المودة بينه وبين الملك الناصر وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي

وكانت تونس وما معها من إفريقية بيد أبي عصيدة محمد وبجاية وقسنطينة من الغرب الأوسط بيد أبي البقاء خالد بن أبي زكريا بن أبي إسحاق فمات أبو عصيدة في ربيع الآخر سنة ستع وسبع مائة ولم يخلف ابنا فبايع أهل تونس من بعده أبا بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص فزحف أبو البقاء خالد صاحب بجاية على أبي بكر بن عبد الرحمن صاحب تونس فقبض عليه واعتقله ثم قتله بعد ذلك فعرف بأبي بكر الشهيد واستقل السلطان أبو البقاء خالد بملك تونس وبجاية وما معهما وتلقب الناصر لدين الله وكان

أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحياني بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص بطرابلس فبايعه أهلها وزحف على السلطان أبي البقاء بتونس فخاف أبو البقاء فخلع نفسه فقبض عليه أبو يحيى واعتقله واستبدل بمملكة تونس وبجاية في رجب سنة إحدى عشرة وسبع مائة وبويع بها البيعة العامة ثم اضطرب أمره فاستخلف على تونس وخرج منها إلى قابس فبايع أهل تونس محمد المعروف بأبي حربة ان السلطان أبي يحيى زكريا المقدم ذكره في سنة سبع عشرة وسبع مائة وكان قد استولى على بجاية المتوكل على الله أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم ابن يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص فقصده تونس وملكها من السلطان محمد أبي حربة ولحق السلطان أبو يحيى اللحياني بمصر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأحسن نزله وبقي عنده حتى مات ولحق أبو حربة بتلمسان فأقام بها حتى مات واستقل السلطان أبو بكر بتونس وبجاية وأعمالهما إلى أن غلبه على تونس إبراهيم بن أبي بكر الشهيد واستولى عليها في رجب سنة خمس وعشرين وسبع مائة ثم غلبه عليها السلطان أبو بكر وانتزعها من يده في شوال من السنة المذكورة واستقر بيده ملك تونس وبجاية وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفي وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد عثمان بن يغمراسن من بني عبد الواد فمات في سنة ثلاث وسبع مائة وولى بعده ابنه أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن وغلب على تلمسان يوسف بن عبد الحق واستولى عليها وأقر عليها أبا زيان المذكور فبقى حتى مات في شوال سنة سبع وسبع مائة وولى بعده أخوه أبو حمو موسى بن عثمان ابن يغمراسن ثم قتله وولى بعده ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن ابن أبي حمو ثم غلبه عليها السلطان أبو الحسن المريني وقتله في رمضان سنة سبع وثلاثين وسبع مائة واستضافها إلى مملكة فاس وولى عليها ابنه أبا عنان فبقى إلى ما بعد خلافة المستكفي

وكان الغرب الأقصى بيد أبي يعقوب يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق فبقى حتى طعنه خصي من بعض خدمه وهو نائم على فراشه فمات سابع ذي القعدة سنة

ست وسبع مائة وملك بعده ابنه أبو ثابت عامر بن أبي يعقوب يوسف فبقى حتى مات بطنجة من أقصى الغرب في ثامن صفر سنة سبع وسبع مائة وملك بعده أخوه أبو الربيع بن أبي يعقوب يوسف فسار بسيرة آباءه في العدل وبقي

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بمدينة تازا في سلخ جمادى الآخر سنة عشر وسبع مائة وملك بعده أخوه أبو سعيد عثمان ابن أبي يعقوب يوسف وملك تلمسان من الغرب الأوسط من يد موسى بن عثمان بن يعمراسن سنة أربع عشرة وسبع مائة وبقي حتى توفى في سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة وملك بعده ابنه ولى عهده أبو الحسن على بن عثمان وسار إلى تلمسان فملكها من أبي تاشفين سلطان بنى عبد الواد بها في سنة سبع وثلاثين وسبع مائة وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفى وكانت غرناطة وما معها من شرق الأندلس بيد الفقيه محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر فمات في سنة إحدى وسبع مائة على ما تقدم وملك بعده ابنه محمد المخلوع بن محمد الفقيه ثم غلب عليه أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد الفقيه وقبض عليه واعتقله واستولى على مملكته فأساء السيرة في الرعية والجند فقبضوا عليه وملك مكانه أبو الوليد إسماعيل بن أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر وبقي إلى أن قتله بعض أقاربه في سنة ثلاث وعشرين وسبع مائة وملك بعده ابنه محمد بن أبي الوليد إسماعيل فبقي حتى قتل غدرا بغرناطة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة وملك بعده أخوه أبو الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل وبقي إلى ما بعد خلافة المستكفى الرابع من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية الحاكم بأمر الله

وهو أبو العباس أحمد بن المستكفى بالله أبي الربيع سليمان المقدم ذكره ولقبه منقول إليه من لقب جده الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ثاني خلفائهم بمصر وقد تقدم أن لقب الأول منقول من لقب الحاكم بأمر الله أبي على منصور الفاطمي ثالث خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ويقال لأبي العباس هذا الحاكم الثاني ولى الخلافة بالعهد من أبيه المستكفى على ما تقدم أنه عهد إليه بها بمدينة قوص وأشهد عليه بذلك أربعين شاهدا ودعى له على المنابر بعد عقد خلافته في العشر الأخير من شوال سنة أربعين وسبع مائة وبقي حتى خلعه الناصر محمد بن قلاوون في العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة فكانت خلافته نحو سنة واحدة وشهرين ولم أقف على ذكر عقب له الحوادث والماجريات في خلافته من أعظمها وقعا في النفوس موت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية فإنه كان ملكا عظيما مهيبا عارفا بتدبير الملك ذا معرفة وافرة وكرم زايد فتح لفتوحات الجليلة وعمر العمائر السنية منها جامع قلعة الجبل الموجود بها الآن جدده في سنة سبع عشرة وسبع مائة وعمر القصور العظيمة بمنزلة سرياقوس في سنة خمس وعشرين وسبع مائة وبالع في شراء الخيل حتى اشترى منها دفعة واحدة بمائتي ألف درهم وبالع في شراء المماليك وأثمانهم حتى اشترى كل مملوك بمائة ألف درهم إلى ما دون ذلك وخلف خمسة عشر ولدا ذكرا تسلطن منهم ثمانية بعده ولايات الأمصار في خلافته كانت مصر في أيامه بيد الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة وتوفى سنة إحدى وأربعين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المنصور أبو بكر

بن الناصر محمد بعد موت أبيه وبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم
وكانت مكة بيد ثقبه بن رميثة فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم هذا
وكانت المدينة بيد طفيل بن منصور بن جمار فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم
وكان اليمن بيد الملك المجاهد سيف الدين علي فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم

وكانت بغداد وما معها بيد الشيخ حسن الكبير فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم
وكان ما وراء النهر وخراسان بيد بني جنكزخان من غير بني هولوكو
وكانت مملكة الشمال بيد أزبك خان فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم
وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية بيد السلطان أبي بكر فبقي إلى ما بعد
خلافة الحاكم

وكانت تلمسان بيد أبي عنان بن السلطان أبي الحسن المريني فبقي إلى ما
بعد خلافة الحاكم

وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبي الحسن علي بن عثمان فبقي إلى ما
بعد خلافة الحاكم

وكانت غرناطة من الأندلس بيد أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد من بني
الأحمر فبقي إلى ما بعد خلافة الحاكم

الخامس من خلفاء بني العباس بالديار المصرية
الوائق بالله

وهو أبو إسحاق إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسين
المقدم ذكره وهذا اللقب منقول عن الواثق بالله أبي جعفر هارون تاسع خلفاء
بني العباس بالعراق بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه

الحاكم في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مائة وقام ببيعته
الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ولم يزل يخطب له على
المنابر وراتب الخلافة يحمل إليه إلى العشرين من ذي الحجة سنة إحدى
وأربعين وسبع مائة ثم أعيدت الخطبة للحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي
سليمان المقدم ذكره وفوض إليه نظر المشهد النفيسي فاستقر بيد الخلفاء
إلى الآن وبقي حتى توفى في رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مائة
الحوادث والماجريات في خلافته

قد تقدم إن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان كان قد عهد إلى ابنه الحاكم
بأمر الله أبي العباس أحمد بأربعين شاهدا بمدينة قوص وثبت ذلك على الحاكم
بها فلما مات المستكفي قصد الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطان الديار
المصرية يومئذ أن يخطب بمملكة الديار المصرية للواثق إبراهيم المقدم ذكره
فلم يتم له ذلك لما تقدم من العهد إلى لحاكم المذكور فبقي الأمر على ذلك
إلى أن

توفى الملك الناصر في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة فأعيد الحاكم المذكور
إلى خلافته

وفي أيامه في سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة كان القبض على الأمير قوصون
أتابك العساكر بعد أن كان عنان السلطنة بيده في أيام الملك الأشرف كجك

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون المقدم ذكره لصغره ولايات الأمصار في خلافته
كانت مصر والشام بيد الملك المنصور أبى بكر بن الناصر محمد بن قلاوون فبقى حتى خلع في تاسع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة وملك بعده أخوه الملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه المنصور وخلع في التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة وملك بعده أخوه الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أحضر من الكرك واستمر في السلطنة حتى خلع نفسه في أوائل المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة وملك بعده أخوه الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في العشرين من المحرم المذكور وبقى حتى توفى في رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مائة وملك بعده أخوه الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون يوم موت أخيه الصالح إسماعيل وبقى حتى خلع في ثمانى جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبع مائة وملك بعده أخوه الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الكامل شعبان فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده
وكانت مكة بيد ثقبه بن رميثة فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق والحاكم بعده وكانت المدينة بيد طفيل بن منصور فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده
وكانت اليمن بيد الملك المجاهد سيف الدين علي بن المؤيد هزبر الدين داود في سلطنته الثانية فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعودة الحاكم بعده وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ حسن الكبير فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم بعده وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد جفطاي من بنى جنكزخان

وكانت مملكة الشمال بيد أزيك فتوفى سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة وملك بعده ابنه جاني بك بن أزيك فقصد توريز وملكها ثم كر راجعا فمات في طريقة لثلاث سنين من ملكه وأقيم ابنه بردى بك بن جاني بك مقامه في الملك وملك بعده ابنه طقطمش وهو صغير فخرج عليه ماماي أحد أمراء دولته بالقرم ونصب من ولد أزيك صغيرا اسمه عبد الله بن أزيك وزحف إلى مدينة السراى قاعدة ملكهم فهرب منها طقطمش واستولى ماماي على السراى وأجلس عبد الله بن أزيك على كرسى الملك بها فنازعه أمير من أمراء الدولة ونصب من بنى القان آخر اسمه طقتمر فغلبه ماماي وقتلها واستولى على المملكة وبقى فيما اظن إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم

وكانت تونس وسائر بلاد أفريقية وبجاية من الغرب الأوسط بيد السلطان المتوكل على الله أبى يحيى أبى بكر إبراهيم فتوفى في رجب سنة سبع وأربعين وسبع مائة وملك بعده ابنه أبو حفص بن أبى بكر بعهد من أبيه فبقى حتى قصده السلطان أبو الحسن المرينى في سنة ثمان وأربعين وسبع مائة وملك بجاية وقسنطينة وقتل أبو حفص بن أبى بكر في حربة بتونس واستضافها إلى مملكته بالغرب الأقصى وكمل له بذلك ملك جميع المغرب واستخلف في المملكة ابنه أبا الفضل بن أبى الحسن وسار إلى المغرب فبقى إلى ما بعد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

خلافة الواثق وعود الحاكم
وكانت تلمسان بيد السلطان أبى الحسن المرينى ونائبه
عليها ابنه أبو عنان بن أبى الحسن فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعقد خلافة
الحاكم
وكان على الغرب الأقصى السلطان أبو الحسن المرينى فبقى إلى ما بعد
خلافة الواثق وعود الحاكم
وكانت غرناطة من الأندلس بيد يوسف بن أبى الوليد من بنى الأحمر وفي
خلال أيامه تغلب طاغية النصارى على الجزيرة الخضراء وانتزعها من يد
المسلمين صلحا في سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة بعد حروب عظيمة وبقى
إلى ما بعد خلافة الواثق وعود الحاكم
السادس من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية
المعتضد بالله

وهو أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان المقدم ذكره وهذا
اللقب منقول إليه عن المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق طلحة سابع
عشر خلفائهم بالعراق وبويع له بالخلافة بعد موت اخيه الحاكم بأمر الله أحمد
بن المستكفى بالله أبى
الربيع سليمان في سابع عشر شعبان المكرم سنة ثمان وأربعين وسبعمائة
وبقى حتى توفى في عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة فكانت
خلافته أربع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما وكان له من الأولاد المتوكل على
الله محمد الآتى ذكره
الحوادث والماجريات في خلافته
في سنة تسع وأربعين وسبعمائة كانت فرقة النيل التى بين مصر والروضة قد
نشفت وصار النيل بجملته بين الروضة والجزيرة فأقيم الأمير منجك لإصلاح ذلك
حتى تعود الفرقة التى بين مصر والروضة على عاداتها في استمرار الماء فيها
شتاء وصيفا فاشترى مراكب وملاها بالحجر والطين وغرقها في بحر الجزيرة
فلم يظهر لذلك أثر وبقى الأمر على ما كان عليه ويابى الله الا ما أراد
وفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة كان الطاعون العظيم الذى عم أقطار
الأرض وخرب أكثر البلاد وخت فيه من
الناس يقال إنه كان يخرج فيه في كل يوم من القاهرة أكثر من عشرين ألف
جنازة ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم وأقام دائرا في البلاد مدة سنتين وعم
جميع الأقطار الا المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فإنه لم
يدخلها فإنه {صلى الله عليه وسلم} قد أخبر أنه لا يدخلها طاعون وعدم بسببه
أكثر البضائع لقلة الصناعات والتجار وبلغ فيه إذ ذاك الراوية الماء بالقاهرة عشرة
دراهم وأجرة طحن القمح كل اردب خمسة عشر درهما وغلا الشعير مع
الحجاج حتى بلغ الشعير كل وية ما يزيد على مائة درهم

وفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة قبض السلطان الملك الصالح صالح على
الصاحب علم الدين بن زنبور وهو يومئذ وزير وناظر الجيوش وناظر الخواص

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وضرب وصور وأخذ منه أموال جمّة يقال إنه وجد له من ثياب بدنه التي يلبسها ألفان وستمئة قطعة منها مفرد ألفا قطعة وبوجهين ستمئة قطعة ووجد له حنينات خمسة آلاف قطعة وأواني ذهب وفضة ستون قنطارا وجوهر قنطاران وأربعون رطلا وحب لؤلؤ أردبان بالكيل المصري وذهب مسكوك ستمئة ألف دينار وفضة نقش ثلاثون أردبان وحوادث ذهب ستة آلاف حياصة وكلوتات زركش ستة آلاف كلوتة وشاشات وتخافيف ثلاثمئة قطعة وبسط خمسة وثلاثون ألف قطعة وأنطاع ألف نطع وخيول ودواب عشرون ألف رأس ورقيق سبعمئة رأس وعشرة رؤوس ومماليك ترك وغيرهم خمسون مملوكا وخدام مائة خادم وعبيد مائة عبد ونحاس أربعون ألف قطعة وأملاك وعقار وضياع ستة آلاف مكان قومت بثلاثمئة ألف دينار ومعاصر قصب خمس وعشرون معصرة واقطاعات حلقة سبعمئة اقطاع وسروج وعدة خيل قومت بثمان مائة ألف درهم ومتاجر وبضائع ومخازن قومت بأربعمئة ألف دينار ومراكب ستمئة مركب وبساتين وحنينات مائتا موضع وسواقى ألف وأربعمئة ساقية خارجا عن الأبقار والأغنام والغلال والأواني الصيني وغير ذلك

وفي سنة أربع وخمسين وسبعمئة خرجت المراسم السلطانية عن السلطان الملك الصالح بأن اليهود والنصارى لا يتحدثون في ديوان من دواوين السلطان ولا دواوين الأمراء وأن لا يكرموا في المجالس وأن تكون عمائمهم أذرع بغير زيادة وأن يلبسوا الفراجي الزرق ويكون ركوبهم عرضا وأن يكون قيمة كل حمار من مراكبهم دون مائة درهم وإذا مر أحد منهم بمسلم جالس نزل وأظهر المسكنة وأن لا يدخل النصارى الحمام الا بصليب وطوق في عنقه وأن لا يدخل نساؤهم الحمامات مع المسلمات وأن يكون خفاها لونين وأن يكون إزار النصارية أزرق وإزار اليهودية أصفر وكتب بذلك الى سائر الممالك ليجروهم على ذلك

وفي سنة ست وخمسين وسبعمئة كملت عمارة الخانقاه السيفية شيخو بالصليبية وفيها شرع السلطان حسن في عمارة مدرسة تحت القلعة وكان مكانها قصرا للأمير يلبغا البجياوي فهدمه وعمرها مكانه وفيها هبت ريح شديدة من المغرب اصفر بها الجو ثم احمر ثم اصفر ثم احمر ثم اسود رمت الجدران وكسرت الأشجار وبقيت من أول النهار الى بعد منتصف الليل ثم اعقبها مطر فسكنت

وفي سنة سبع وخمسين وسبعمئة ضربت الفلوس الجدد في سلطنة الناصر حسن بإشارة الأمير صرغتمش أتاك العساكر وكانت من أحسن الفلوس وضعا فإن زنة كل فلس مثقال وهو قيراط من درهم وسبب ذلك أن الناس كانوا يعثون في المعاملة بالفلوس حتى صاروا يقصون كل فلس أربع قطع ويحسبونه بأربع فلوس وفيها فتح الأمير بيبرس الخوارزمي نائب حلب أدنة وطرطوس والمصيصة وعدة قلاع مما كان بأيدي الأرمن ولايات الأمصار في خلافته

كانت مصر والشام بيد المظفر حاجي بن الناصر محمد ابن قلاوون وخلع في ثامن عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ثم قتل من يومه ومملك بعده أخوه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهي سلطنته

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الأولى في تاسع عشر الشهر المذكور
وخلع في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمئة
وملك بعده أخوه الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون يوم
خلع أخيه الناصر حسن المذكور وخلع ثاني شوال سنة خمس وخمسين
وسبعمئة ومملك بعده أخوه الملك الناصر حسن المقدم ذكره يوم خلع أخيه
الملك الصالح صالح وهي سلطنته الثانية وبقي حتى خلع وقتل في عاشر
جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمئة وبنى مدرسته العظمى بجانب
سوق الخيل تحت قلعة الجبل وهو آخر من ملك من أولاد السلطان الملك
الناصر محمد بن قلاوون لصلبه ومملك بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد بن
المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع عمه الناصر حسن وبقي
الى ما بعد خلافة المعتضد

وكانت مكة بيد ثقيبة بن رميثة ثم اجتمع ثقيبة وأخوه عجلان بمصر سنة ست
وخمسين وسبع مائة فولى
السلطان عجلان وفر ثقيبة الى الحجاز فأقام بمكة منازعا لأخيه عجلان من غير
ولاية وعجلان مستبد بولايتها جار على سنن العدل والتجافي عن أموال الرعية
والتعرض للمجاورين وبقي الى ما بعد خلافة المعتضد
وكانت المدينة بيد طفيل بن منصور بن جماز بن بني الحسين فبقي الى سنة
احدى وخمسين وسبع مائة فوقع النهب في الركب بالمدينة في الموسم
فقبض عليه الأمير طاز أمير ركب الحج وولى مكانه رجلا من عقب جماز اسمه
سيف ثم ولى بعده فضل من عقب جماز أيضا ثم ولى بعد فضل مانع من عقب
جماز ثم ولى جماز ابن منصور بن جماز ثم دس عليه الناصر حسن صاحب
الديار المصرية من الفداوية من قتله وأتفق امرأء الركب على تولية ابنه هبة
الى حين يرد عليهم من السلطان ما يعتمدونه ثم ورد أمر السلطان بتولية مانع
فولى ثم ولى بعده عطية بن منصور بن جماز وأظنه بقى الى ما بعد خلافة
المعتضد

وكان اليمن بيد الملك المجاهد على بن المويد هزبر الدين داود في سلطنته
الثانية فبقي حتى حج سنة احدى وخمسين وسبع مائة في ايام الناصر حسن بن
الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام وكان الامير طاز احد اكابر امرأء
الديار المصرية قد حج في تلك السنة واشيع بمكة ان المجاهد عليا يكسو
الكعبه فوقعت الفتنه بين العسكر المصري والملك المجاهد فانهزم المجاهد
139 وعسكره واسر هو وحمل الى مصر فاعتقل بها ثم اطلق سنة ثنتين
وخمسين وسبعمئة في دولة الملك الصالح صالح ووجه معه الأمير قشتمر
المنصوري ليوصله الى بلاده فلما بلغ به الينع ارتاب منه في الهرب فرجع به
الى مصر فحبس في الكرك من بلاد الشام ثم اطلق وأعيد الى ملكه وأقام
على مداراة صاحب مصر

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ حسن الكبير فبقي الى أن
مات في بغداد سنة سبع وخمسين وسبعمئة ومملك بعده ابنه أويس بن الشيخ

حسن الكبير فيقي الى ما بعد خلافة المعتضد
وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك بيد بني جنكزخان
وكانت مملكة الشمال من بلاد الترك بيد ماماي المستولي عليها بعد قتل
طقتمر فزحف عليه صليجي جركس أحد المتغلبين على بعض أعمال السراي
وملكها من يده وصار ماماي الى القرم فغلب عليها ثم زحف اليك خان الى
السراي وملكها من يد صليجي جركس فيقي أياما ثم هلك وملك بعده ابنه قاني
باي خان
وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة من الغرب الأوسط بيد ابي
الفضل بن السلطان ابي الحسن المريني صاحب الغرب الأقصى فخرج عليه
أبو العباس الفضل بن السلطان ابي بكر صاحب بجاية وقصده بتونس فخرج
منها أبو الفضل بن ابي الحسن فارا الى ابيه بالغرب الأقصى ودخلها أبو
العباس الفضل بن السلطان ابي بكر وملكها سنة تسع وأربعين وسبعمئة
واستولى على جميع المملكة وبقي حتى قبض عليه سنة إحدى
وخمسين وسبعمئة وبويع بعده أخوة أبو إسحاق إبراهيم بن ابي بكر وهو غلام
قد ناهز الحلم وخنقه بعد ليلة واستولى على تونس وبجاية وقسنطينة وبلادها
فبقيت في يده حتى غلبه أبو عنان بن السلطان ابي الحسن المريني على
بجاية وقسنطينة سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة ثم انتزع منه السلطان أبو
العباس احمد بن محمد بن ابي بكر قسنطينة في السنة المذكورة ثم غلبه
عليها أبو عنان بن السلطان ابي الحسن المريني واستولى عليها ثانيا ثم رجع
الى الغرب الأقصى سنة سبع وخمسين وسبعمئة فسار أبو إسحاق إبراهيم
صاحب تونس إليها فملكها من يد عامل ابي عنان سنة إحدى وستين وسبعمئة
ثم قوى أمر السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن ابي بكر فعاد الى
قسنطينة وملكها في السنة المذكورة وبقي الى ما بعد خلافة المعتضد

وكانت تلمسان بيد السلطان ابي الحسن المريني ونائبه فيها ابنه أبو عنان بن
أبي الحسن ثم ارتحل عنها أبو عنان
الى المغرب عند إشاعة موت ابيه في حرب العرب واستخلف عليها عثمان بن
حراز في ربيع سنة تسع وأربعين وسبعمئة فيقي حتى سار اليه أبو سعيد
فدخل تلمسان وملكها من يده في السنة المذكورة ثم قصد أبو عنان بن
السلطان ابي الحسن تلمسان فملكها سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة وقبض
على السلطان أبي سعيد وملك تلمسان من يده واستخلف بعض أولاده عليها
ورجع إلى الغرب الأقصى فعمد أبو حمو بن بنى عبد الواد إلى تلمسان فملكها
في ربيع الأول سنة ستين وسبعمئة وخرج ابن السلطان أبي عنان فلاحق
بالمغرب ثم سار السلطان أبو سالم بن أبي عنان إلى تلمسان فملكها في سنة
إحدى وستين وسبعمئة وبقي إلى ما بعد خلافة المعتضد
وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبي الحسن المريني فتوفى في الثالث
والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبعمئة وملك بعده ابنه ولي
عهده أبو عنان بن أبي الحسن فتوفى في ذي الحجة سنة تسع وخمسين
وسبعمئة وكان قد عهد إلى ابنة أبي زيان
فعدل عنه إلى ابنه السعيد بن أبي عنان ثم خرج عليه عمه أبو سالم إبراهيم بن
أبي الحسن فغلبه على ملكه ودخل مدينة فاس في منتصف شعبان سنة ستين

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وسبعمائة فبقى حتى أقيم مكانه أبو عمر تاشفين المعروف بالموسوس بن السلطان أبي الحسن وقبض على أبي سالم وقتله فبقى حتى خلع وولى مكانه أبو زيان محمد بن الأمير عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن وكان غائبا بالأندلس فقدم مدينة فاس ودخلها في منتصف شهر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة فبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد

وكان ما بقى من الأندلس بيد المسلمين وهو غرناطة وما معها بيد يوسف بن أبي الوليد من بنى الأحمر فتوفى يوم الفطر سنة خمس وخمسين وسبعمائة وولى مكانه ابنه محمد بن يوسف فأقام خمس سنين إلى أن خلع وولى مكانه أخوه إسماعيل بن يوسف في ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين وسبعمائة وبقى إلى ما بعد خلافة المعتضد السابع من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية المتوكل على الله

وهو الإمام الأعظم أبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله المقدم ذكره وهذا اللقب منقول إليه عن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر عاشر خلفائهم بالعراق كان رقيق السمرة اللحية معتدل القامة حسن الشك عظيم الهيئة وافر وافر العقل كثير التواضع ولى الخلافة بعهد من أبيه المعتضد بالله المقدم ذكره ثم بوع له بالخلافة بعد وفاته يوم الخميس ثانی عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة وهي ولايته الأولى وبقى حتى خلعه الأمير أيبك أتابك العساكر في سنة تسع وسبعين وسبعمائة فكانت خلافته هذه خمس عشرة سنة وأشهرها

الحوادث والماجريات في خلافته في سنة أربع وستين وسبعمائة مات حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو والد السلطان الأشرف شعبان بن حسين الآتى ذكره وكان احسن أولاد السلطان الملك الناصر موتا وعقبها كانت سلطنة ابنه الأشرف شعبان في السنة المذكورة وفيها برزت الأوامر السلطانية لمنكلى بغا الشمسى نائب الشام بفتح باب دمشق المعروف باب كيسان ففتح وكان له من حين سده السلطان نور الدين الشهيد ما يزيد على مائتى سنة مسدودا وفي سنة سبع وستين وسبعمائة وصل صاحب قبرس من جزائر الفرنج إلى الأسكندرية ومعه اسطول عظيم نحو سبعين مركبا حربية في عسكر عظيم وهي يومئذ ولاية قبل أن تستقر نيابة ففتحوها وقتلوا منها خلقا كثيرا وأسروا النساء والصبيان وأحرق أهل البلد باب رشيد من أبوابها وخرجوا منها فارين واتصل

الخبر بالسلطان الملك الأشرف والأمير يلغا أتابك عسكره فأسرعوا المسير إليها فبلغ خبر العسكر الفرنج ففروا هاربين إلى المراكب بما أخذوه من الأموال العظيمة والأسرى وساروا إلى بلادهم فعمرت البلد وأسوارها ورجع أهلها إليها وعاد السلطان للديار المصرية إلى القلعة وفي سنة ثمان وستين وسبعمائة وصلت رسل الملك الأفضل عباس صاحب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

اليمن إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية بهدية جليلة منها فيل وفرس
بغير ذكر ولا أثنين من أصل الخلقة وجملة من القماش والمسك والعنبر
والعود والصندل واللبان والبهار وحجارة الموميا والعقيق ورماح القنا وغير ذلك
فقبل السلطان هديتهم وأعادهم إلى مرسلهم وفيها شرع الأمير يلبغا في
عمارة وأسطول عظيم مائة مركب حربية ما بين طرائر وأغربة لقصد غزو
قبرس في نظير طروقة الاسكندرية وفرغت عمارتها جميعها في دون سنة
وذلك ما لم يصل إليه همة ملك وأدرك الفرنج من ذلك رعب عظيم حتى أن
الصغير كان يبكى فتخوفة أمه بالأمير يلبغا وربما جفلت فرس أحدهم من
الحوض وهى تشرب فيقول لها الأمير يلبغا في

الحوض وفيها خرج السلطان الأشرف والأمير يلبغا إلى البحيرة للصيد فكبس
مماليك يلبغا عليه بمنزلة الطرانة في الليل ففر الأمير يلبغا وعدى بر إلى
القااهرة وتبعه السلطان بمن معه من الأمراء ونزل ببولاق التكرورى مقابل
القااهرة وتراموا بالنفط من البرين فاستدعى الأمير يلبغا انوك بن حسين اخى
السلطان الأشرف وسلطنة ولقبه الملك المنصور وهو المعروف بسلطان
الجزيرة فعدى السلطان الأشرف من الوراق إلى جزيرة الفيل فتفرق أصحاب
يلبغا عنه وفر بمن بقى معه فذهب إلى بيته بالكبش ثم سلمهم نفسه فضربوا
عنقه ودفن بترية قرايغا خارج باب البرقية واستقر في الأتابكية مكانه الأمير
أسندمر الناصرى في سنة تسع وستين وسبعمائة وفى سنة تسع وسبعين
وسبعمائة وقعت وقعة بين السلطان والأمير أسندمر فوقعت الكسرة على
أسندمر فقبض عليه وقتل من كان معه من المماليك الجلب وكان أكثر من
قتلهم العوام بتسلطهم بالفساد وهجوم الحمامات على النساء وأخذهم النساء
من الطرقات
ثم عفا السلطان عن الأمير أسندمر وأقلقه ثم قبض عليه مع جماعة من
الأمراء في هذه السنة فاعتقلوا بالإسكندرية
وفي سنة سبعين حجت والدة السلطان الأشرف
وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة جرى كلام في حق الأشراف العلويين بسبب
أن بعض الأمراء وقع في حق أحدهم وزعم أنه لم يعرف كونه شريفا فأمر
السلطان الأشراف بالديار المصرية أن يجعل كل واحد منهم في عمامته
عصابة خضراء من صوف أو حرير أو غير ذلك مستديرة على بعض لفات
العمامة ليمتازوا عن غيرهم
وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة توقف النيل عن الوفاء وكسر الخليج مع
نقص أصبعين عن الستة عشر ذراعا وخرج الناس إلى الصحراء خارج باب
النصر واستسقوا وفيهم الأمراء والقضاة والفقهاء والأعيان والضعفاء والأطفال
ونقص النيل بعد ذلك فلم يرو من بلاد مصر الا القليل وبلغ سعر القمح اربعين
درهما كل اردب ثم بلغ سبعين وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفيت خوند
والدة السلطان الأشرف

وهي متزوجة بالأمير الجاي اليوسفي اتابك العساكر فنظم بعض شعراء العصر
في ذلك
في ثاني العشرين من ذي القعدة
كانت صبيحة موت أم الأشرف
فاله يرحمها ويعظم اجرها
ويكون في عاشور موت اليوسفي
فكان الأمر كما كان فإنه في أول سنة خمس وسبعمائة تغير السلطان على
الأمير الجاي ففر هاربا الى ساحل قليوب فألقى نفسه بفرسه في النيل ليعدى
الى بر الجيزة فغرق وكان في يوم عاشوراء كما تقدمت الإشارة إليه في
البيتين السابقين وكان من جملة أمراء الأشرف ارغون شاه الخاصكي من كبار
أمراءه فنظم بعض الشعراء فيه الجاي ذاك الرخ لما طغى
في دسته مال لنقل الوشاه
تراجعت عن صفة خيله
وكل فرز إن مضى ما اختشاه
ونفسه جال بها ساعة
ولم يضربه أرغون شاه
وكان أرغون شاه أحد أمراء الأشرف الخاصكية
ونظم آخر
الجاى قال اعذروا فإني
قهرت بالأشرف الكرم
حسبت كل الحساب إلا
ظهور شعبان في الحرم
وفي سنة ست وسبعين وسبعمائة اشتد الغلاء بالديار المصرية حتى بيع القمح
كل اردب بمائة وعشرين درهما ثم تزايد حتى بلغ مائة وستين والشعير بثمانين
درهما كل اردب والخبز كل رطلين بدرهم ولحم الضأن كل رطلين بدرهمين
ونصف ولحم البقر بدون ذلك والرواية الماء خمسة دراهم وبيع كل فروج
بخمسة واربعين درهما وكل سفرجلة بخمسين درهما وكل رمانة لفان بعشرة
دراهم وكل رمانة حلوة بستة عشر درهما ومات اكثر الدواب من قلة العلف
وغلت البضائع لقلة الظهر وأكل الناس الميتة وجاعت الكلاب حتى أكلت
الموتى على الطرقات وتنبت القبور وتخرج الموتى فتاكلهم وصار الناس في
بلاء عظيم وفي السنة المذكورة فتح الأمير عشقتمر نائب حلب مدينة
سيس قاعدة ملك الأرمن وانتزعها من ايدي الأرمن وهو آخر الفتوح الإسلامية
فيما أدركناه

وفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة أبطل السلطان الملك الأشرف بواسطة
شيخنا الشيخ سراج الدين البلقيني القراريط وهي مكوس كانت تؤخذ على بيع
العقار وفي السنة المذكورة تجهز السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز فخرج
عليه مماليكه بالعقبة ففر إلى القاهرة فقبض عليه وقتل كما سيأتى بولايات
الأمصار
ولايات الأمصار في خلافته
كانت مصر والشام بيد الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى فبقى حتى خلع

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

في خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبع مائة وملك بعده ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو طفل وبقي حتى خرج للحج سنة ثمان وسبعين وسبعمائة فخرج عليه مماليكه بالعقبة ففر منهم إلى مصر واختبا ثم وقع الظفر به وقتل في ثالث ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبع مائة وملك بعده ابنه الملك المنصور على يوم خلع أبيه وقام بتدبير دولته الأمير أيك أتاك العساكر فخلع أيك المتوكل واعتقله ببرج القلعة وبقي المنصور على إلى ما بعد خلع المتوكل وكانت مكة بيد عجلان بن رميثة فبقي بها حتى توفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة وولى بعده ابنه أحمد وكان قد فوض إليه الأمر في حياته وقاسمه أمره فقام أحمد بامر مكة بعد أبيه أحسن قيام جاريا على سنن أبيه في العدل وحسن السيرة فبقي إلى ما بعد خلع المتوكل وكانت المدينة بيد عطية بن منصور بن جمار فأقام سنين ثم عزل وولى مكانه هبة بن جمار ثم عزل وأعيد عطية ثم توفي عطية وهبة وولى جمار ابن هبة وبقي فيما أظن إلى ما بعد خلع المتوكل وكانت اليمن بيد المجاهد على بن هزبر الدين داود من بني رسول فتوفي سنة ست وستين وسبعمائة وملك بعده ابنه الملك الأفضل عباس فبقي حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد فبقي إلى ما بعد خلافة المتوكل

وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد الشيخ أويس بن الشيخ حسن الكبير فبقي حتى مات سنة ست وسبعين وسبعمائة وملك بعده بغداد وتوريز ابنه حسين بن أويس وفي خلال ذلك استولى على توريز شجاع بن المظفر اليزدي ولحق حسين بن أويس بأخيه الشيخ على ببغداد ثم انتزعها منه حسين بن أويس واستضافها إلى بغداد ثم انتزع على بن أويس بغداد من أخيه حسين واستقر حسين بتوريز والشيخ على ببغداد ولما رجع حسين إلى توريز استوحش منه أخوه أحمد بن أويس ولحق بأردبيل فطرق أحمد توريز فملكها واختفى بها أخوه حسين أياما ثم قبض عليه أحمد وقتله واستبدل أحمد بن أويس بملك توريز وبغداد وما معها من الأعمال مثل السلطانية وتستر وغيرها وبقي إلى ما بعد خلع المتوكل وكان ما وراء النهر وخراسان بيد جفطاي من بني حنكرخان وكانت مملكة الشمال بيد قاني بي فهرب خان ابن البك خان فغلب عليه أرض خان فهرب قاني بي خان بن البك خان إلى عملهم الأول واستقر أرض خان بالسراي وماماي بالقرم وذلك في حدود ست وسبعين وسبعمائة وكان طقطمش بن بردى بك قد لحق بتمر سلطان المغل بما وراء النهر المعروف بتمرلنك فأقام عنده وطمحت نفس طقطمش إلى ملك أبائه بسراي فجهز معه السلطان تمر العساكر فسار بها إلى سراي وانتزعها من عمال أرض واسترجع ما تغلب عليه قاني باي وصلحى جركس وغير ذلك واستولى على جميع المملكة وبقي إلى ما بعد خلع المتوكل

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة بيد أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ثم استولى على بجاية وقسنطينة وأبو عبد الله محمد بن محمد بن السلطان أبي بكر في رمضان سنة خمس وستين وسبعمئة فأساء السيرة فسار إليه السلطان أبو العباس من تونس فقتله ودخل بجاية تاسع عشر شعبان سنة سبع وستين وسبعمئة وملكها وبقيت بيده وتونس بيد السلطان أبي إسحاق إبراهيم بن السلطان أبي بكر إلى أن توفى السلطان أبو إسحاق فجأة في الليل سنة سبع و سبعين وسبعمئة وملك بعده تونس ابنه أبو البقاء خالد ثم رحل السلطان أبو العباس من بجاية إلى تونس وقبض على السلطان أبي البقاء خالد واعتقله وملك تونس وانتظم في ملكه إفريقية وبجاية وقسنطينة وأعمالها وبقي إلى ما بعد خلع المتوكل وكانت تلمسان بيد السلطان أبي سالم بن أبي عنان المريني صاحب فاس فاستخلف على تلمسان أبا زيان محمد بن عمار بن السلطان أبي تاشفين ورجع هو إلى الغرب الأقصى من سنته فنهض أبو حمو إلى تلمسان فدخلها وملكها وخرج منها أبو زيان ثم ثار على أبي حمو السلطان عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن المريني صاحب الغرب الأقصى فملك منه تلمسان سنة إحدى وسبعين وسبعمئة ودخلها في أوائل سنة اثنتين وسبعين وسبعمئة ثم رجع أبو حمو إلى تلمسان واستولى عليها في سنة أربع وسبعين وسبعمئة ثم ملكها بعده السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن وبقي حتى مات في سنة خمس وسبعين وسبعمئة وملك بعده أخوه أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو ثم استنجد أبو زيان بن أبي حمو بأبي العباس المريني صاحب فاس فاقتلع تلمسان من أخيه أبي الحجاج وملكها في سنة ست وسبعين وسبع مائة وبقي إلى ما بعد خلع المتوكل

وكان الغرب الأقصى بيد أبي زيان محمد بن الأمير عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن إلى أن قتله وزيره في المرحم سنة ثمان وستين وسبع مائة وملك بعده عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن فبقي حتى مات في ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وسبع مائة وملك بعده ابنه سعيد بن عبد العزيز وهو طفل وقام بتدبير دولته ووزيره أبو بكر ثم غلب على فاس والغرب الأقصى أبو العباس أحمد بن أبي سالم في المحرم سنة ست وسبعين وسبع مائة ثم توفى في سنة ست وتسعين وسبع مائة وكانت غرناطة وما معها من الأندلس بيد إسماعيل ابن يوسف من بني الأحمر فبقي إلى ما بعد خلع المتوكل الثامن من خلفاء بني العباس بالديار المصرية المستعصم بالله

وهو أبو يحيى زكريا بن الواثق بالله إبراهيم بن المستكفي أبي الربيع سليمان المقدم ذكره وهذا اللقب منقول عن المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله آخر خلفائهم بالعراق فبايعه الأمير أيبك أتاك العساكر بعد خلع أمير المؤمنين المتوكل بمفرده من غير اجتماع أحد من أهل الحل والعقد غيره وفي سنة تسع وسبعين وسبع مائة فبقي ثلاثة أشهر ثم خلعه وأعاد المتوكل إلى الخلافة وهي خلافته الثانية فبقي حتى خلعه السلطان الملك الظاهر برقوق واعتقله في برج بالقلعة في مستهل

رجب سنة خمس وثمانين وسبع مائة
الحوادث والماجريات في خلافته وفي عود المتوكل إلى الخلافة ثانيا

لما خلع أيبك أتابك العساكر الإمام المتوكل على الله محمد وقرر المستعصم زكريا في الخلافة تغيرت عليه الممالك ونفرت عنه قلوب العساكر وخامرت عليه نواب الشام جملة وخرجوا عن الطاعة فأقام الحال على ذلك نحو ثلاثة أشهر كما تقدم ثم أعاد الأمير أيبك الإمام المتوكل إلى الخلافة على عادته في العشرين من المحرم سنة تسع وسبعين وسبع مائة وخرج جاليش العسكر خمس أمراء مقدمو ألوف منهم الأمير برقوق العثماني وبركة الجوباني وبلغا الناصري وثلاث طيلخانات ومائة مملوك من المماليك السلطانية ومائة مملوك من مماليك الأمير أيبك وخرج السلطان والعسكر بعد ذلك ووصلوا إلى بليس فبلغهم أن بعض أمراء الجاليش قد خامر عليهم فرجع السلطان وأيبك من بليس إلى القلعة فخرج جماعة من الأمراء إلى قبة النصر ورأسهم قطلقتمر الطويل فجهز إليهم أيبك عسكرا فكانت الكسرة على جماعة أيبك وهرب أيبك إلى كيما ن مصر فلم يوقف له على خير وصارت الكلمة لقطلقتمر الطويل ورجع الأمير برقوق وبركة ومن كان قد خرج معهما في الجاليش فقبضوا على الأمير قطلقتمر الطويل ومن معه وبعثوا بهم إلى الاسكندرية فاعتقل فيها وصارت الكلمة ليلغا الناصري فحضر إليه أيبك من هربه فقبض عليه وبعث به إلى الإسكندرية فسجن فيها ثم قبض على جماعة كبيرة من الأمراء وبعث بهم إلى الاسكندرية فسجنوا بها أيضا واستمرت الكلمة للأمير يلغا الناصري ثم ركب عليه الأمير برقوق والأمير بركة وأنزلاه من الإسطبل واستقر الأمير برقوق مكانه أمير أخور والأمير بركة أمير مجلس وهو كالمشارك له في الأمر ثم حضر الأمير قشتمر الدوادار نائب الشام إلى الديار المصرية فخرج السلطان لملاقاته واستقر به

أتابك العساكر ثم قبض الأمير برقوق على الأمير قشتمر الدوادار الأتابك وجماعة من الأمراء معه واستقر في الأتابكية مكانه واستقر الأمير أيتمش البجائني أمير أخور مكان الأمير برقوق وقبض على الأمير يلغا الناصري وبعث به إلى الاسكندرية فاعتقل بها كل ذلك في سنة تسع وسبعين وسبع مائة وفي أوائل هذه السنة وقع حريق عظيم بدار التفاح خارج باب زويلة لم يسمع بمثله وفي سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة وقعت الوحشة بين الأمير بركة وبرقوق وخرج بركة إلى قبة النصر مقاتلا لبرقوق فوقعت الكسرة على بركة فقبض عليه وبعث به إلى الاسكندرية فسجن بها وبقي الأمير برقوق منفردا بتدبير المملكة وبقي بركة في السجن حتى قتل فيه في هذه السنة وفي هذه السنة وصل إلى الديار المصرية أنس العثماني والد الأمير برقوق أتابك العساكر واستقر له إمرة مقدمة ألف فبقيت معه حتى مات وانتقل ابنه من الأتابكية إلى السلطنة في سنة أربع وثمانين وسبع مائة وهو على إمرته وفي سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة وقع بالديار المصرية وباء عظيم مات فيه خلق كثير

وفي سنة أربع وثمانين شرع الأمير جركس الخليلي أمير أخور في عمارة جسر على رأس الخور المعروف بزقاق القناديل تحت الروضة ليعود جريان الماء تحت أدر منشية المهراني وزربيني بكتمر وقيسون وما في معناهما وعمله فلم يثبت وفي هذه السنة بلغ النيل أصبعين من إحدى وعشرين ذراعا ولايات الأمصار في خلافته وفي عود المتوكل إلى الخلافة ثانياً وفي عود المتوكل محمد إلى الخلافة ثانياً كانت الديار المصرية والممالك الشامية بيد الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان بن حسين فبقي حتى توفي في الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة وملك بعده أخوه الملك الصالح حاجي بن شعبان فبقي حتى خلع في العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة وملك بعده الملك الظاهر برقوق بن أنس العثماني فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل ثم خلعه

وكانت مكة بيد أحمد بن عجلان فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه وكانت المدينة بيد جماز بن هبة فعزل وولى نعيم ابن منصور بن جماز ثم قتل فوثب جماز بن هبة على إمارة المدينة واستولى عليها فعزله السلطان وولى ثابت بن نعيم فبقي إلى آخر سنة أربع وثمان مائة ثم ولى جماز بن هبة في سنة خمس وثمان مائة فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه وكان اليمن بيد الملك المنصور محمد بن الأفضل عباس بن المجاهد علي فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه وكانت بغداد وما معها من مملكة إيران بيد السلطان أحمد بن أويس فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه وكان ما وراء النهر وخراسان وما مع ذلك مع بني جفطاي من بني جنكيز خان وكانت مملكة الشمال بيد طقتمش بن بردى بك فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه وكانت تونس وسائر بلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة بيد السلطان أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد السلطان أبي حمو فخرج عليه السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم صاحب الغرب الأقصى فسار إلى تلمسان فملكها وأقر بها أبا زيان بن أبي حمو وبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه وكان الغرب الأقصى بيد أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه وكانت غرناطة وما معها من بلاد الأندلس بيد إسماعيل ابن يوسف من بني الأحمر فبقي إلى ما بعد خلافة المستعصم وعود المتوكل وخلعه التاسع من خلفاء بني العباس بالديار المصرية الواثق بالله

وهو أبو حفص عمر بن الواثق بالله أبي الحسن إبراهيم الخامس من خلفائهم بالديار المصرية وهذا اللقب منقول إلى أبيه من الواثق الأول كما تقدم ثم نقل من أبيه إليه بايع له بالخلافة الظاهر برقوق بعد خلع الإمام المتوكل في مستهل شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبع مائة فبقي في الخلافة حتى توفي في العشر الأول من شوال سنة ثمان وثمانين وسبع مائة فأعاد الظاهر برقوق المستعصم زكريا المقدم ذكره إلى الخلافة ثانياً والمتوكل على الله في الإعتقال والناس لا يرون في كل ذلك الخليفة غيره ثم أطلق المتوكل على الله من الإعتقال وأعيد إلى الخلافة في ثاني جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبع مائة وبقي حتى توفي في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وثمانمائة وكان له من

الأولاد الإمام المستعصم بالله أبو الفضل العباسي والإمام المعتضد بالله أبو الفتح داود خليفة العصر وسيدي يعقوب وسيدي حمزة ومحمد وهو أسنهم وبنات

الحوادث والماجريات في خلافته وعود المستعصم ثم عود المتوكل بعده في سنة خمس وثمانين وسبع مائة قصد جماعة من الفرنج ساحل صيدا وبيروت من البلاد الشامية فخرج إليهم طائفة من عسكر دمشق فهزموا الفرنج وقتلوا منهم جماعة وفيها بلغ السلطان الملك الظاهر أن الأمير قرط التركماني وإبراهيم بن قطلمن أمير جاندارا في جماعة قصدوا الركوب عليه فقبض على قرط وابن أمير جاندارا ثم أمر بقرط فقتل واعتقل ابن أمير جاندارا مدة ثم عفا عنه رحمة لأبيه

وفي سنة ست وثمانين وسبع مائة حضر الأمير بيدمر الخوارزمي نائب الشام إلى الأبواب السلطانية بهدية جليلة فقبلت هديته وحضر دار العدل وأجلس فوق النائب

الكافل وهذا لم يعهد مثله وفيها حضر إلى الأبواب السلطانية رسل بهدية من مماليك وغيرهم وأظهروا أنهم رسل طقتمش خان صاحب بلاد الشام فخرج لملاقاتهم النائب الكافل وجماعة من الأمراء وأنزلوا بالميدان تعظيماً لهم ورتب لهم المرتبات السنوية ثم ظهر من كتبهم أنهم رسل صاحب القرم فتغير عليهم السلطان ونقلهم من الميدان إلى دار الضيافة ونقص من راتبهم وبقي لهم ما يقتضيه حالهم وفي هذه السنة توفي الشيخ أكمل الدين محمود شيخ خانقاه شيخونية وكان من أجلة العلماء وأعيان أهل العصر وأجلهم رتبة عند السلطان ونزل السلطان للصلاة عليه ومشي في جنازته وكان له مشهد عظيم وفي سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة ظهر بالديار المصرية نجم كبير قليل النور بذؤابة خلفه قدر رمحين فما فوقهما وبقي ليالي ثم اختفى وفي سنة أربع وتسعين وسبع مائة كثرت الشنعة بأمر الأمير منطاش بالبلاد الحلبية فخرج إليه السلطان الملك الظاهر وسار إلى حلب وقبض عليه وقتله وجهزت رأسه إلى الديار المصرية ثم وصل

السلطان إلى البلاد المصرية بعد ذلك وفيها وصل الخبر أن تمرلنك استولى على شيراز قاعدة فارس وقتل صاحبها شاه منصور وأنه أرسل يخادع السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد فلم ينخدع له وفر من بغداد قاصداً الديار المصرية

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وفي سنة ست وتسعين وسبعمئة في ربيع الأول وصل القان أحمد بن أويس المقدم ذكره إلى الديار المصرية فارا من تمرلنك فخرج السلطان الظاهر لملاقاته بنفسه وألبسه قباء مطرزا مغرى بقاقم وعاد معه إلى الصوة وطلع السلطان إلى القلعة وجهر السلطان أحمد إلى بيت جليل من بيوت الأمراء على بركة الفيل فأنزل فيه وأجرى عليه الرواتب اللائقة بمثله ثم وصلت رسل طقتمش خان المقدم ذكره بكتاب مضمونه طلب المعاونة والمعاونة على تمرلنك ورد عليه الجواب بالإجابة إلى ذلك ثم عاد السلطان أحمد بن أويس إلى دمشق ومنها إلى جهة بغداد حين بلغه رجوع تمرلنك عنها

وفي سنة إحدى وثمانمئة توفى الملك الظاهر برقوق وملك بعده ابنه الناصر فرج على ماسياتى ذكره
وفي سنة سبع وتسعين وسبعمئة زاد النيل في آخر يوم من أبيب أربعين أصبعا وفي أول مسرى اثنين وستين أصبعا وفي ثالث مسرى خمسين أصبعا فكانت الزيادة في أربعة أيام سبعة أذرع ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم إلا ما يحكى في آخر سنة من خلافة المنتصر الفاطمى على ما تقدم ذكره
وفي سنة اثنتين وثمانمئة خرج تتم نائب الشام عن الطاعة وأظهر الخلاف ثم لما اثبت السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر رشده في ربيع الأول منها واستبدل بالتصرف دون ولى أمره الأمير أيتمش العجائبي تنكر الأمير أيتمش لذلك ووقع الحرب بينهما في الشهر المذكور بمصر فانهزم الأمير أيتمش ولحق بالشام وانجاز إلى نائبه تتم فخرج السلطان الناصر فرج من الديار المصرية لحرهما في شهر رجب منها وصحبته أمير المؤمنين المتوكل والتقوا على القرب من غزة فانكسر تتم وأيتمش ومن معهما وقبض السلطان عليهما ودخل هو إلى دمشق واستولى عليها وقتل بها تتم وايتمش وجهز برأسيهما إلى القاهرة في رمضان منها ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية وطلع القلعة في السادس والعشرين من رمضان المذكور

وفي سنة ثلاث وثمانمئة سار تمرلنك إلى البلاد الشامية وفتح مدينة حلب وقلعتها فسار الناصر إليه من الديار المصرية بعساكره إلى دمشق وقدم إليها تمرلنك وجرى بينهما مراجعات في أثائها فر جماعة من عسكر الناصر إلى الديار المصرية فتبعهم على الأثر فأدركهم على القرب من غزة فقبض عليهم واستمر قاصدا الديار المصرية حتى طلع القلعة في خامس جمادى الآخر منها وأخذ تمرلنك في خداع أهل دمشق حتى صالحهم على مبلغ ألف ألف دينار وفتحوا له بابا من أبوابها وأخذوا في جمع ذلك من الناس على قدر طبقاتهم خارجا عما قرر عليهم من خيل الهاربين من عسكر السلطان وسلاحهم فلما حمل ذلك إليه قرر عليهم بعد ذلك عشرة آلاف دينار فاستخرجت له بأعظم مشقة ثم فرق جارات المدينة على أمرائه وأعيان عسكره فعاتوا فسادا واستخرجوا من أهلها ما قدروا عليه بعد أن قتلوا
وسلبوا النساء والذراري ثم أمر بتحريق البلد فأحرق عن آخره حتى لم يبق بها رسم دار ولا خط يعرف ويبقى على ذلك إلى الآن إلا القليل مما جدد وفي سنة

أربع وثمانمائة ظهر بالديار المصرية جراد انتشر في أقطارها وأكل ورق الشجر وحوص النخيل واستأصل المقات وكثر فساده ثم سلط الله عليه البرد فهلك وفيها ظهر بالديار المصرية أيضا كوكب كبير نير له ذؤابه صاعدة في السماء ترى مع ضوء القمر وبقي إلى ثلث الليل وبقي كذلك ليالى ثم اختفى وفي سنة سبع وثمانمائة اختلف أمراء الديار المصرية على سلطانهم الناصر فلق الأмир يشبك العثماني بدمشق في طائفة كبيرة وسار إلى الشام فألم بالأمر شيخ المحمودى نائب الشام فجمع له العساكر الشامية وسار به إلى مصر فخرج إليهم الناصر ولقيهم في العباسية من بلاد الشرقية في ذى الحجة من هذه السنة فانهم الناصر فتبعوه حتى طلع القلعة ثم خرج عليهم وحاربهم تحت القلعة فانهمزوا منه وعاد الأمر شيخ إلى دمشق واختفى يشبك بالقاهرة ثم ظهر يشبك في سنة ثمان وثمانمائة

فأعاده الناصر إلى ما كان عليه ثم تجددت بينهما الوحشة بعد ذلك ففر الناصر من القلعة واختفى بدار القاضي سعد الدين بن غراب في الرابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة وأقيم في السلطنة مكانه أخوه عبد العزيز وهو صغير ولقب الملك المنصور بعهد من أمير المؤمنين المتوكل ولم يزل الناصر مختفيا إلى ليلة السبت خامس جمادى الآخر وظهر واجتمع عليه كبير من العسكر فزحف على أصحاب أخيه عبد العزيز فهزمهم واستولى على تخت ملكه وقبض على أخيه عبد العزيز وجهزه إلى الإسكندرية فاعتقل بها ثم أمر به بعد ذلك فقتل وعظم سلطانه وتملك أمره وعظم شأنه ولايات الأمصار في خلافة

وعود المستعصم ثم عود المتوكل كانت الديار المصرية والممالك الشامية بيد الظاهر برقوق حتى خلع من السلطنة وبعث به إلى الكرك فاعتقل به في رجب أو جمادى الآخر سنة إحدى وتسعين

وسبعمائة وملك بعده الملك المنصور حاجى بن الأشرف شعبان وهو الذى كان قد لقب في سلطنته الأولى بالصالح وهذه سلطنته الثانية فبقي حتى عاد الظاهر برقوق من الكرك واستقر في السلطنة بعد خلع المنصور حاجى في أوائل سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة وبقي حتى توفى في منتصف شوال المبارك سنة إحدى وثمانمائة وملك بعده ابنه الناصر فرج ثم تغير عليه بعض مماليكه وبعض أمرائه فاختلف ثم ملك أخوه الملك المنصور عبد العزيز ثم ظهر السلطان فرج واستقر على عادته وبقي في السلطنة وكانت مكة بيد أحمد بن عجلان فبقي حتى مات في رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وولى مكانه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان وهو صغير في كفالة عمه كبش بن عجلان فبقي حتى بعث إليه الظاهر برقوق فداويا صحبة الأمر جركس الخليلي وهو يومئذ أمير الحجاج فركب في محمل الكسوة فلما خرج محمد بن أحمد بن عجلان ليقبل خف جمل المحمل على العادة وثب عليه

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الغداوى يسكين فقتله ودخل أمير الרכب المذكور إلى مكة فولى عنان بن مغامس بن رميثة مكانه ثم لحق على بن عجلان بالديار المصرية فولاه الظاهر برقوق مكة في سنة تسع وثمانين وسبعمئة شريكا لعنان وسار مع أمير الרכب إلى مكة فهرب عنان ودخل على بن عجلان مكة واستقل بإمارتها ثم وفد على بن عجلان على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين وسبعمئة فأفرد به بالإمارة وأنزل عنان بن مغامس عنده فأحسن نزله ثم قبض عليه واعتقله وبقي علي بن عجلان في إمارة مكة حتى قتل ببطن مر في سنة سبع وتسعين وسبعمئة وولى السلطان ابن أخيه حسن بن أحمد مكانه واستبد بأمره فبقى بها إلى ما بعد خلافة الواثق والمستعصم بعده والمتوكل بعدهما

وكانت المدينة بيد جمار بن هبة ثم عزل وولى نعيم ابن منصور بن جمار وكانت اليمن بيد المنصور محمد بن الفضل عباس فمات وملك بعده أخوه الأشرف عماد الدين إسماعيل بن الأفضل عباس ثم مات وملك بعده ابنه الملك

الناصر أحمد فبقى إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه وعود المتوكل وموته

وكانت بغداد وما معها من توريز والسلطانية وتستر وغيرها من مملكة إيران بيد أحمد بن أويس فبقى حتى طرقتة عساكر تمرلنك وهو بتوريز فخرج عنها إلى بغداد ثم هرب إلى مصر وأقام بها في ظل صاحبها الظاهر برقوق ثم عاد إلى بلاده ولم ينتظم له بعد ذلك أمر وبقيت المملكة بيد تمرلنك في جملة ما بيده مما وراء النهر إلى الخليج القسطنطينى حتى مات واستقل بمملكة بغداد وتوريز وما معها بعض بنية فبقيت بيده إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه وعود المتوكل ووفاته

وكانت مملكة الشمال بيد طقتمش بن بردى بك فوقع الفتنه بينه وبين تمرلنك وجرى بينهما حروب طويلة ووصل الخبر آخر سنة سبع وتسعين وسبعمئة أن تمرلنك ظفر بطقتمش وقتله واستولى على سائر أعماله ويقال إن تمرلنك لم يملك هذه المملكة أصلا بل

بقيت بيد طقتمش خان ثم تنقلت بعده في ملوكهم إلى أن كانت بيد فولادخان وكتب عن الملك الناصر فرج ثم صارت بعد إلى غيره وكانت تونس وبلاد إفريقية وبجاية وقسنطينة بيد السلطان أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر فبقى حتى مات في شعبان سنة ست وثمانين وسبعمئة وملك بعده ابنه أبو فارس عزوز في رابع شعبان من السنة المذكورة واستولى على تونس وبجاية وقسنطينة وأعمالها وبقي إلى ما بعد وفاة الواثق وعود المستعصم وخلعه ثم عود المتوكل ووفاته

وكانت تلمسان والغرب الأوسط بيد السلطان أبى حمو ثم قبض أبو تاشفين بن السلطان أبى حمو على أبيه أبى حمو واعتقله بوهران آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمئة ثم اتصل بأبى حمو أن ابنه أبى تاشفين يريد قتله فدلى بحبل من القصر واستغاث بأهل وهران فاجتمعوا إليه

وجددوا له البيعة وارتحل أبو حمو من حينه إلى تلمسان فدخل في أوائل سنة تسع وثمانين وسبعمئة وبلغ ابنه أبى تاشفين الخبر فأسرع إلى تلمسان فاعتصم أبوه أبو حمو بمنارة المسجد ودخل أبو تاشفين القصر وطلب أباه أبى حمو فجاء

إليه فأدركته الرقة عليه فقبل يده وغدا به إلى القصر فاعتقله ثم رغب إلى ابنه أبي تاشفين في قضاء فرض الحج فجهزه في سفينة إلى الإسكندرية واستقل أبو تاشفين بملك تلمسان وسار أبو حمو في السفينة حتى بلغ بجاية فطلع منها وأسعه صاحب تونس بالعساكر وعاد إلى تلمسان وابنه أبو تاشفين مشغول ببعض حروبه فدخلها في رجب سنة تسعين وسبعمئة وعاد ملك أبي حمو إليه ثم نهض أبو تاشفين على أبي حمو بعساكر بني مرين فقتل أبو حمو في المعركة ووصل ابنه أبو تاشفين تلمسان وملكها سنة إحدى وتسعين وسبعمئة وأقام بها دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب الأقصى وخطب له على منابر وقرر على نفسه ضريبة يبعث بها إليه في كل سنة وبقي أبو تاشفين على ذلك حتى مات في رمضان

سنة خمس وتسعين وسبع مائة فبعث السلطان أبو العباس صاحب الغرب الأقصى ابنه أبا فارس ابن أبي العباس إلى تلمسان فملكها فلما مات السلطان أبو العباس وملك مكانه ابنه أبو فارس المذكور الغرب الأقصى كان أبو زيان بن أبي حمو معتقلا عندهم فأطلقه وبعث به إلى تلمسان أميراً عليها نيابة عن أبي فارس فسار أبو زيان إليها ودخلها فبقى حتى قتل في سنة ست وثمان مائة وولى بعده أخوه محمد المكنى بأبي زيان أيضاً فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق وعود المستعصم ثم المتوكل بعده وكان الغرب الأقصى بيد السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن فخرج من فاس لبعض حروبه فغار عليها موسى ابن عمه أبي عنان ملكها في ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبع مائة وقبض على السلطان أبي العباس وقيده وبعث به إلى الأندلس فاعتقله هناك ثم توفى السلطان موسى بن أبي عنان فملك بعده المستنصر ابن السلطان أبي العباس فخرج عليه الواثق محمد بن أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن فملك مدينة فاس من يده سنة سبع وثمانين وسبع مائة ثم سار السلطان أبو العباس إلى فاس فملكها في رمضان سنة تسع وثمانين وسبع مائة وبعث المستنصر إلى أبيه أبي العباس بالأندلس ثم عدى أبو العباس من الأندلس إلى سبته فملكها في السنة المذكورة ثم استنزل عنها ابن الأحمر صاحب غرناطة وأضافها إلى مملكته ثم ظهرت دعوة أبي العباس بمراكش من الغرب الأقصى واستولى جنده عليها ثم سار إليها ابنه المستنصر فملكها وسار أبو العباس إلى فاس فملكها في خامس رمضان من السنة المذكورة وبعث بالواثق إلى الأندلس ثم أمر بقتله في الطريق فقتل بطنجة وبقي السلطان أبو العباس بفاس حتى توفى بمدينة تازا في المحرم سنة ست وتسعين وسبع مائة وبايعوا بعده ابنه أبا فارس وسار أبو فارس بعد ذلك إلى فاس فأقام بها متولياً على الغرب الأقصى حتى توفى سنة تسع وتسعين وسبع مائة وملك بعده

أخوه عامر فأقام سنتين ثم تردى عن فرسه فمات وولى بعده أخوه أبو سعيد عثمان فبقى إلى ما بعد خلافة الواثق والمستعصم ثم المتوكل

و كانت الأندلس بيد إسماعيل بن يوسف بن أبي الأحمر فبقي حتى مات في أول سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة و ولي بعد أبه أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل فبقي حتى مات سنة أربع وتسعين وسبع مائة و ولي بعده أبه أبو عبد الله محمد فبقي إلى ما بعد خلافة المائق وعود المستعصم ثم المتوكل العاشر من خلفاء بني العباس بالديار المصرية المستعنين بالله وهو الإمام أبو الفضل العباس بن الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد المقدم ذكره و لم يل الخلافة من اسمه العباس غيره و هذا اللقب منقول إليه عن المستعنين بالله أبي العباس أحمد الثاني عشر من خلفائهم بالعراق ومن صفته شاب أبيض اللون معتدل القامة أقى الأنف مستدير اللحية بصهوبة بويح له بالخلافة بعد موت والده المتوكل في السابع والعشرين من رجب سنة ثمان وثمان مائة وقام ببيعته السلطان الملك الناصر فرج وبقي حتى خلعه الملك المؤيد شيخ في النصف من ذي الحجة سنة سبع عشرة وثمان مائة وحجره في القلعة الحوادث و الما جريات في خلافته

فس سنة تسع وثمان ومائة خالف الأمير جكم نائب حلب وخرج عن الطاعة فخرج السلطان الناصر من الديار المصرية إلى الشام لمحارته في ربيع الأول منها ثم عاد إلى الديار المصرية في رجب منها عن غير طائل و في سنة عشر وثمان مائة زاد خوفه من الأمير شيخ نائب الشام فخرج إليه في المحرم منها و معه الأمير يشبك العثماني فلما صار إلى دمشق قبض على الأمير يشبك و الأمير شيخ و أعتقلهما بدمشق ففرا من سجنهما وعاد السلطان إلى مصر فأتاه الخبر و هو على العريش قافلا في عاشر ربيع الآخر بقتل الأمير يشبك في حرب

و جرت بين الأميرين شيخ ويشبك و بين نوروز الحافظي وخرج الأمير شيخ من الشام و أستولى نوروز عليها و أستمر السلطان في سيره قاصدا مصر حتى طلع القلعة في الرابع و العشرين منه ثم غلب الأمير شيخ على دمشق فخرج و أستولى عليها ثم خرج السلطان في المحرم سنة أثنتي عشرة و ثمان مائة حتى وصل إلى دمشق فخرج منها الأمير شيخ ودخلها السلطان ثم خرج منها يريد الأمير شيخ فتبعه فاعتصم منه بقلعة صرخد فحاصره بها مدة شهر ثم حصل الصلح بينهما على أن السلطان ينصرف عنه إلى دمشق ثم رجع بعد ذلك إلى الديار المصرية و عاد الأمير شيخ إلى دمشق ثم خرج السلطان في ربيع الآخر سنة ثلاث عشر وثمان مائة و سار إلى دمشق فخرج منها الأمير شيخ و دخلها السلطان ثم خرج منها في طلب الأمير شيخ فتبعه إلى الأبلتين ثم كف عن طلبه و لحق الأمير شيخ بقيصرية من بلاد الروم و عاد الناصر إلى دمشق عن غير طائل فقدم الأمير شيخ من قيصرية إلى صرخد و سار منها إلى الديار المصرية و أستولى على القلعة فأدركته عساكر الناصر ففارقها و عاد إلى الشام و السلطان بدمشق فخرج منها يريد الأمير شيخ وقد تحصن بقلعة الكرك فحصره السلطان بها مدة ثم رحل عنه بغير طائل على صورة صلح من غير حقيقة و عاد إلى الديار المصرية و طلع القلعة في المحرم سنة أربع عشرة وثمان مائة ثم توجه في شوال منها إلى الإسكندرية و عاد في ذي القعدة منها ثم سار في ثاني عشر ذي الحجة منها

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

إلى الشام يريد الأمير شيخ ففر منه فتبعه إلى بعلبك فرجع الأمير شيخ إلى اللجون وهو في أثره فالتقى هناك في يوم الاثنين ثالث عشر المحرم سنة خمس عشرة وثمان مائة فانهزم السلطان إلى دمشق فحصره بها حتى قبض عليه يوم السبت عاشر صفر منها وقتل بقلعة دمشق في يوم السبت سابع عشر صفر المذكور ودفن بمقبرة باب الفراديس

واجتمع رأى العسكر على استبداد أمير المؤمنين المستعين بالأمر دون سلطان معه وأن يكون الأمير شيخ أتابك العساكر بالديار المصرية والأمير نوروز الحافظي نائب دمشق وأقام نوروز بدمشق وعاد المستعين بالله هو والأمير شيخ حتى وصلا إلى الديار المصرية في ربيع الأول من السنة المذكورة وطلع أمير المؤمنين المستعين إلى القلعة ونزل بالقصور السلطانية ونزل الأمير شيخ أتابك العساكر بالاسطبلات السلطانية وكان الأمير الاتابك هو المتصرف في أمور المملكة بتفويض من أمير المؤمنين المستعين بما وراء سير خلافته وأمير المؤمنين المستعين هو الذي يكتب على التقاليد والتواقيع والمراسيم والمكاتبات والمناشير وغير ذلك والخطبه والسكه على الدنانير والدراهم باسمه على انفراده ثم عن للأمير شيخ ان يتقلد السلطنة فكتب له بها عهد عن أمير المؤمنين المستعين وخطب له بعد الخليفة على عادة الملوك مع الخلفاء ونقش اسمه على الدنانير والدراهم بمفرده وحجر الامام المستعين بالقلعة وبلغ نوروز الحافظي ذلك فظهر المخ الفة واستبد بالشام وخرج عن الطاعة

ولايات الامصار في خلافته كانت الديار المصرية بيد الناصر فرج بن الظاهر برقوق فبقى حتى قبض عليه وقتل في صفر سنة خمس عشرة وثمان مائة بدمشق على ما تقدم واستبد أمير المؤمنين المستعين بالله بامور السلطنة بعده باتفاق من اهل الدولة على ما سبق وبقى حتى قلد السلطنة الملك المؤيد شيخ وعهد اليه بها وكتب له بذلك عهد عن الامام المستعين على عادة الملوك ذلك وهو السلطان القائم بمملكة الديار المصرية والمماليك الشامية الى اخر وقت وكانت مكة بيد حسن بن احمد بن عجلان فبقى الى ما بعد خلافة المستعين

وكانت المدينة بيد جماز بن هبة فبقى الى اثناء سنة احدى عشرة وثمان مائة ثم تولى مكانه عجلان بن نعيم في سنة اثنتى عشرة وثمان مائة 151 فأقام سنة واحدة ثم ولى سليمان بن هبة بن جماز في سنة ثلاث عشرة وثمان مائة فبقى إلى آخر سنة أربع عشرة وثمان مائة ثم تولى مكانه غرير بن هيارع بن هبة

وكانت اليمن بيد الناصر احمد بن الاشرف اسماعيل من بنى رسول وبغداد وتوريز وقنغرلان وهي السلطانية وما مع ذلك من مملكة ايران بيد بني تمرلنك الى أن غلب عليها قرا يوسف التركماني وملكها في سنة عشر وثمان مائه او سنه احدى عشرة وافر ابنه احمد شاه ببغداد وبلادها وابنه بريداخ

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بتوريز والسلطانية وأعمالها وهو اجلهما رتبة
وكانت خراسان وما وراء النهر وفارس وكرمان وما مع ذلك مع شاه رو بن
تمرلنك ونوابه من اخوته وغيرهم منبثون في جوانب الممالك
وكانت تونس وسائر بلاد افريقية وبجاية وقسنطينة من الغرب الأوسط بيد أبي
فارس عزوز
وتلمسان والغرب الأوسط بيد أبي زيان الثاني بن أبي حمو نحو عشر سنين ثم
مات وولى أخوه السعيد فبقى إلى ما بعد خلافة المستعين
والغرب الأقصى بيد أبي سعيد عثمان بن أبي العباس فبقى إلى ما بعد خلافة
المستعين
وكان الأندلس بيد محمد بن إسماعيل فبقى حتى توفي في سنة اثنتى عشرة
وثمان مائة وملك بعده أخوه أبو الحجاج يوسف بن أبي عبد الله بن أبي الحجاج
وهو على ذلك إلى الآن
الحادى عشر من خلفاء بنى العباس بالديار المصرية
المعتضد بالله
وهو الإمام الأعظم أبو الفتوح داود بن الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله
محمد المقدم ذكره
من صفته شاب رقيق السمن حسن اللون معتدل القامة أشهل العينين ألقى
الأنف مستدير اللحية عظيم الهيئة على الهمة وافر العقل جليل الرأي كثير
الصمت وقور المجلس وافر الجود سمح الكف متين الدين جميل السيرة ولم
يل الخلافة من اسمه داود غيره

بويق له بالخلافة بعد خلع أخيه المستعين في رابع المحرم سنة سبع عشرة
وثمان مائة وكتب له بذلك مبايعة بخط بعض كتاب الحكم مصدره بخطبة من
إنشاء علامة الدهر الشيخ تقى الدين بن حجة كما سيأتى ذكره في الكلام على
البيعات
وهو أعز الله به جانب الدين قائم بأمر الخلافة ناهض بأعبائها إلى الآن
الحوادث والماجريات في أيامه
إلى حين تألف هذا الكتاب في مبادئ سنة تسع عشرة وثمان مائة
لما بويق بالخلافة بعد خلع أخيه الإمام المستعين بالله والأمير نوروز الحافضى
يومئذ نائب السلطنة بالشام المحروس امتنع الأمير نوروز عن الانضمام إلى
حوزة السلطان الملك المؤيد وأظهر الخلاف فسار إليه السلطان الملك المؤيد
بالعساكر في يوم الاثنين رابع المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة وصحبته
الإمام الأعظم المعتضد بالله المقدم ذكره حتى وافى دمشق فاعتصم نوروز
بقلعة دمشق بعد ان شحنها بالأزواد والعدد والسلاح وسائر آلات الحصار
فحاصرها السلطان أياما وضايقها ونصب عليها المجانيق ومدافع النفط العظام
وأحضر مدفعا عظيما من صدف فنصبه عليها وتواتر عليها الرمى حتى هدم بعض
أبراجها وأحسن نوروز بالظهور عليه والظفر به ففتح القلعة ونزل منها وسلم
نفسه للسلطان في العشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة فلم
يلبث بعد ذلك أن قتل وجهزت رأسه إلى الديار المصرية مع غيرها من رؤوس
أتباعه فعلق
بياب القلعة ثم بباب زويلة ثم حضر السلطان بعد ذلك إلى الديار المصرية في

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عامة وصحبه امير المؤمنين المعتضد وطلع القلعة في يوم الخميس غرة شهر رمضان من السنة المذكوره على اتم حال واكمل نصره وكان النيل في سنة خمس عشرة وثمان مائة قد وفى في مسرى من شهور القبط ونزل السلطان من القلعة فكسره بنفسه ونظم علامة الدهر الشيخ تقى الدين بن حجة في ذلك

ايا ملكا بالله اضحى مؤيدا
ومنتصبا في ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضى
وحقك بعد الكسر ايام نيروز

فكان كسر نوروز بعد ذلك في هذه السنة فسبحان منطلق الالسنه ولما فتحت القلعة وقبض على نوروز واصحابه كتب الشيخ 152 تقى الدين المشار اليه عن السلطان الملك المؤيد وهو صحبة الركاب الشريف مهنتا بالفتح والظفر به وباصحابه والقبض عليهم كتابا من الشام الى الديار المصرية بفتح الشام في السايح والعشرين من صفر من هذه السنه منه وسكر نوروز لكثرة المخامره وعربد فاذقناه الحد الى ان صار للرمح والسيف في جهال جموعه جزر ومد ومنه وتبطن بعد ذلك بالقلعه التى هي به غير محروسه وقال انه معتصم في برج قد شيده فتلاه لسان الحال اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في (بروج مشيدة) وكتب كتابا اخر عن السلطان مهنتا بوقوع نوروز في القبضه الشريفه منه

وفسدت اغذيتهم بالقلعه فعجزوا عن المعالجه بالبارد والحامي وثقلوا بعد ذلك على قلبها فاستفرغتهم من افواه المرامى وكتب كتابا اخر مهنتا بحلول الركاب الشريف بالقلعة المحروسه منه في الاشاره الى استنزال نوروز من قلعه دمشق واهبط الله من ترفع بطارمتها وتمرد الى الهاويه واصلاه نار الجحيم) وما أدراك ما هيه نار حامية (ولا يخفى ظهور الاهلة من مواطى خيلنا وقد بهرت بالافق الرومي لمعاتها وبدور اخفاف المطى وقد خيلت في غرر ذلك السراب هالاتها وشهب الاسنه وقد زادت سموا كانها تحاول ثارا عند بعض النجوم والبلاد الروميه وقد تلا لسان الحال عند الغلبة) الم غلبت الروم (قلت وقد كتبت الى المقر الناصري بن البارزي كاتب السر الشريف كتابا بالتهنئه بهذا الفتح وهو بالشام منه

هذا وسلطانه المؤيد قد تدكدك بسطوته الاطواد الراسخه ونكس بقهرة نواصى القلاع الشامخة ودان له بالطاعة حتى النبات والجماد وتتابع فتكاته القامعة فاستأصلت شافة أهل الفساد ودعا قلعة دمشق

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

فلبته ساجده وصاح بها مدفعه الغضبان فخرت قائلة (إن كانت إلا صيحة واحدة) واستنزل الناكث من منيع حصنه فقلده الأغلال بعد أن كان يقلده المنن وحاق بالماكر مكرة السيئ فما لبث بعد الاستنزال أن وفي سنة ثمان عشرة وثمان مائة خرج الأمير قانى بيه نائب الشام عن الطاعة بعد نوروز الحافظى والتفت عليه لفيف من العساكر الشامية حتى صار لهم رم عظيم وشوكة منكية واستولى على دمشق وحلب فلما انتهى الخبر إلى السلطان بادر الخروج إليهم في عدد قليل من العسكر وخف من الأتقال وسار من الديار المصرية وصحبته أمير المؤمنين المعتضد بالله أدام الله أيامه في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ثمان عشرة وثمان مائة بعد أن قدم إليهم طليعة عسكره وقبضوا على بعض أمرائها فعاجلهم السلطان بنفسه في قليل ممن سبق معه من عسكره فأوقع بهم على سمرمين من أعمال حلب في رابع عشر شعبان من السنة المذكورة وكسرهم كسرة شنيعة لم

يسمع بمثلها وقبض على جماعة من أعيانهم ودخل بهم مدينة حلب وفر قانى بيه في طائفة قليلة فلم يلبث أن قبض عليه وأتى به إلى السلطان فقتل هو وغيره ممن وقع في القبض الشريفة ووجه برؤوسهم إلى الديار المصرية فحملت على الرماح ومر بها داخل القاهرة وأتى بها إلى باب القلعة فعلقت ثم إلى باب زويلة فعلقت عليه وأقام السلطان ومن معه بحلب ثم بحماة إلى أواخر الشتاء ثم أتى الديار المصرية وصحبته أمير المؤمنين المعتضد بالله في السادس عشر ذي الحجة من هذه السنة على أكمل النصر وأتم التأييد قلت وكتبت إلى المقر الناصري كاتب السر الشريف المقدم ذكره كتابا بالتهنئة بهذا الفتح منه

وينهي ورود خبر الفتح الذي جل موقعه ففاتت عجائبه الحصر وأذنت بالظفر مقدمات نتائجه فكنى خليفته أبا الفتح وسلطانها أبا النصر

ومنه
وقبض على الناكثين فانبسطلت لقبضهم النفوس وأريقت دماء المارقين فأديرت على سباع البر من طلا
دمائهم الكؤوس
ومنه

وامتطى خبره السار صهوة الشهباء من حلب استيطاء لسير الرواحل وسرى سروره وصبح الديار المصرية وإن كان غيره يسرى فيصبح دونها بمراحل
ومنه

وحملت رؤوس رؤوسهم على الرماح فكانت لها عمائم وخيف على باب زويلة المجاور المدرسة العين فعلق عليه منها تائم وفي هذه السنة توقف النيل في أوائل زيادته ثم زاد بعد ذلك فأفعم وانتهى في زيادته إلى تمام عشرين ذراعا وغمر الروابي وملا الوهاد وزرع الناس فأكثروا حتى أتوا على ما علاه النيل مما يصلح للزراعة ونبت الزرع أحسن نبات وأطمأنت بذلك قلوبهم وطابت به نفوسهم وجرى الحال على ذلك إلى أواخر رمضان وكان الزرع في السنة الخالية بالوجه البحري وأراضي الجزيرة وما والاها قليل المتحصل وذهب أكثر ما عند الناس من الحبوب بعد الاقتيات في

زراعة هذه السنة فنفتت الغلال من
القاهرة ومصر وبلاد الجيزية والوجه البحري وعز القوت وعدم القمح والشعير
والفول والخبز من القاهرة ومصر حتى لم يكد يوجد وبلغ سعر القمح في
الظاهر نحو ستمائة درهم كل اردب وربما زاد على ذلك الا أنه قد حف الناس
في ذلك لطف لم يوجد في غيره من الغلوات من حيث طمأنينة قلوب الناس
بما يترجونه من نجابة الزرع وقرب ادراكه واكتفى ضعفاء الناس بالبقاء
الأخضر وطعام الأرز وغيره من سائر ما يطبخ والله يرزق من يشاء بغير
حساب
ولايات الأمصار في خلافته
الديار المصرية والبلاد الشامية يومئذ بيد السلطان الملك المؤيد شيخ بعهد من
أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي الفتح داود خليفة العصر
ومكة بيد حسن بن أحمد بن عجلان وقد كتب لرميثة بن محمد بن عجلان بها
عن السلطان وهو وحسن ابن أحمد بن عجلان يتنازعانها
والمدينة بيد غرير بن هيارع
واليمن بيد الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل من بني رسول
وبغداد وتوريز وقنغرلان وهي السلطانية بيد قرا يوسف التركماني وقد أقر
ببغداد وأعمالها ابنه أحمد شاه وتوريز والسلطانية وأعمالها ابنه بربداه وهما
باقيان الى الآن

وخراسان وما وراء النهر وسائر بلاد الشرق الى ما يتاخم بلاد توريز وما معها
بيد شاه روخان بن تمرلنك ويقال انه على جانب عظيم من العدل ومحبة أهل
العلم وتقريبهم
وتونس وسائر بلاد افريقية وبجاية وقسنطينة من الغرب الأوسط بيد أبي
فارس عزوز بن السلطان أبي العباس من الموحدين وهو على جانب من
الشجاعة وقوة البأس وقد دوخ البلاد وأقامها على سنن وكف الأيدي المتعدية
مع عدل وتواضع وحسن سيرة
وتلمسان وما معها من الغرب الأوسط بيد السعيد بن أبي حمو من بني عبد
الواد فبقى حتى غلبه عليها أخوه عبد
الواحد بن أبي حمو وأخرجه من البلد بغدر من أهلها وفر السعيد الى افريقية
فمات ببونة المعروفة ببلد العناب وبقى عبد الواحد فيها الى الآن
والغرب الأقصى بيد أبي سعيد عثمان بن أبي العباس المريني
وغرناطة وما معها من الأندلس بيد أبي الحجاج يوسف ابن أبي عبد الله بن أبي
الحجاج من بني الأحمر

**الفصل الثاني من الباب الثاني في مقرات الخلفاء وما انطوت عليه الخلافة
من الممالك وبيان ترتيب الخلافة وشعارها وكيفية تقليد الخليفة الملوك
السلطنة**

أما مقرات الخلفاء فهي أربع مقرات
المقرة الأولى

المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
كانت مقرة الخلفاء الراشدين الى حين انتقل علي رضي الله عنه الى العراق
وذلك أن مبدأ النبوة كان بمكة ثم هاجر النبي {صلى الله عليه وسلم} الى

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المدينة وأقام بها حتى توفي في الثاني عشر من ربيع الأول سنة احدى عشرة
من الهجرة ثم كان بعده بها في الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر
ثم عثمان
ثم علي في أول أمره ثم انتقل بعد ذلك الى العراق لقتال معاوية ثم خلفه ابنه
الحسن فيه الى حين تسليم الأمر لمعاوية
المقرة الثانية
الشام

وهي دار خلفاء بني أمية الى حين انقراضهم وذلك أن معاوية كان أميراً على
الشام قبل الخلافة ثم استقل بالأمر حين سلم اليه الحسن فبقى في الشام هو
ومن بعده الى حين انقراض خلافتهم بقتل مروان بن محمد على ما تقدم ذكره
وكانت دار اقامتهم دمشق وان نزلوا غيرها فلغير اقامة
المقرة الثالثة
العراق

وهو دار خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حين انتقل اليه ثم ابنه
الحسن الى حين تسليمه لمعاوية ثم كانت دار خلافة بني العباس الى حين
انقراض الخلافة
من العراق بقتل المستعصم وكان بدء مبايعة السفاح أول خلفائهم بالكوفة
على ما تقدم ثم بنى بعد ذلك بالأنبار مدينة وسماها الهاشمية ونزلها فلما ولي
أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة بعده بنى بغداد وسكنها وصارت منزلاً لخلفاء
بني العباس بعده إلى حين قتل المستعصم
المقرة الرابعة
الديار المصرية

وهي الآن دار الخلافة وقد تقدم أن أول من بويع بها منهم المستنصر بالله أبو
العباس أحمد بن الظاهر بالله بن الناصر لدين الله وقد تقدم أنه توجه إلى
بغداد لقتال التتر فقتل ثم الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن الحسين جد
الخلفاء بها الآن وقد تقدم أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون أسكنه
الكيش بخط الجامع الطولوني ثم صارت مساكنهم على القرب من المشهد
النفيسى وهم على ذلك إلى الآن
وأما ما انطوت عليه الخلافة من الممالك فإن حكمها

امتد فيما بين المشارق والمغارب فكان يجري تحت إمرتهم من أقاليم الشرق
عراق العرب وعراق العجم وأذربيجان وأرمينية والأهواز وكرمان وسجستان
وفارس والسند والهند وما وراء النهر وخراسان وطبرستان وغير ذلك ومن بلاد
المغرب إفريقية والغرب الأوسط والغرب الأقصى والأندلس في بعض الأزمنة
ومن أوساط الأقاليم الديار المصرية والبلاد الشامية والثغور والعواصم وبلاد
الروم وما في معنى ذلك وكانت الأموال تحمل من جميع الأقاليم بعد تكفية
الجيش إلى بيت المال على بعد المسافة حتى يقال إن الرشيد كان يستلقى
على قفاه وينظر إلى السحابة فيقول إذهبى إلى حيث شئت يأتني خراجك

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وبقى الأمر على ذلك حتى تغلب المتغلبون على الممالك واستولوا عليها وصار الأمر على ما صار إليه الآن والله غالب على أمره
وأما ترتيب الخلافة
فاعلم أنها لم تزل لابتداء الأمر جارية على ما ألف من سيرة النبي {صلى الله عليه وسلم} من خشونة العيش والقرب من الناس وأطراح الخيلاء وأحوال الملوك مع ما فتح الله تعالى
على خلفاء السلف من الإقاليم وجبى إليهم من الأموال التي لم يفز عظماء الملوك بجزء من أجزائها وناهيك أنهم فتحوا عدة من الممالك العظيمة التي كانت يضرب بها المثل في عظيم قدرها وارتفاع شأن ملوكها من ممالك الشرق والغرب حتى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال إنما الملك الذي يأكل الشعير ويعس على رجليه بالليل ماشيا وقد فتحت له مشارق الأرض ومغاربها يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد حكى أنه رضى الله عنه حين أتى لفتح بيت المقدس كان يخرج من مخلاة فرسه كسرا يابسة من خبز فيمسحها من التراب ويأكلها فلما رآه عظماء بيت المقدس قالوا لا طاقة لنا بهذا

ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن سلم الحسن رضى الله عنه الأمر لمعاوية بن أبى سفيان فأخذ في إظهار أبهة الخلافة وترتيب أمورها على نظام الملك لما في ذلك من إرهاب العدو وإخافته وتزايد الأمر في ذلك حتى اضمحل في جانب الخلافة سائر الممالك العظيمة وانطوى في ضمنها ممالك المشارق والمغرب وفاقته بأبهتها الأكاسرة والقيصرة
وهابتها ملوك الأرض قاطبة لاسيما في أوائل الدولة العباسية حتى يحكى أن صاحب عموريه من ملوك الروم كانت عنده شريفة من ولد فاطمة رضى الله عنها مأسورة في خلافة المعتصم بن الرشيد فعذبها فصاحت الشريفة وامعتصماه فقال لها الملك لا يأتي لخلصك إلى على أبلق فبلغ ذلك المعتصم فنادى في عسكره بركوب الخيل البلق وخرج وفي مقدمة عسكره أربعة آلاف أبلق و أتى عمورية وفتحها وخلص الشريفة و قال أشهدي لي عند جدك أني أتيت لخلصك وفي مقدمة عسكري أربعة آلاف أبلق على ما تقدم ذكره إلى غير ذلك من القوة والعظمة التي كانت الخلافة فيها
وقد حكى ابن الأثير في تاريخه أنه لما وصلت رسل ملك الروم إلى بغداد في سنة خمس وثلاث مائة في خلافة المقتدر رتب من العسكر في دار الخلافة مائة وستون ألفا ما بين راكب وراجل ووقف بين يدي الخليفة سبع مائة حاجب وسبعة آلاف خادم خصى و أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود ووقف الغلمان الحجرية

الذين هم بمثابة ممالك الطباق الآن بآتم الزينه و المناطق المحلاه و زينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة وغرائب الزينه و غشيت جدرانها بالستور و فرشنت أرضها بالبسط وكان عدة البسط اثنين وعشرين ألف بساط و عدة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف ستر منها اثني عشر ألف ستر من الديباج المذهب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وكان من جملة الزينه شجرة من الذهب الفضة بأغصانها و أوراقها وطيور الذهب و الفضة على أغصانها وأغصانها تتمايل بحركات مصنوعة و الطيور تصفر بحركات مرتبة وألقت المراكب والدباب في دجلة بأحسن زينة و كان هناك مائة سبع مع مائة سبع إلى غير ذلك من الأحوال الملوكية التي يطول شرحها قال القاضي في عيون المعارف و لم يزل أمر الخلافة متماسكا إلى حين أستخلف المتقي لله فتفرد بتدبير الأمور غير الخلفاء وتغلبت على ما نأى من البلدان الأقوي فالأقوي و اقتصر على الدعاء لهم على المنابر وفي أيام المستكفي بالله أستولى

بنو بويه على بغداد و أستبد معز الدولة بن بويه بالأمر و نقش اسمه على الدناير و الدراهم مع أسم الخليفة و شاركه في الدعاء على المنابر و تصرف في أمور الدولة تصرف الملوك ورتب للخليفة كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته لا يصل إليه غيرها بعد أن كان يحمل إلى خزائنه أموال المشرق و المغرب هذا ما تفهقر الخلافة و أنحطاط رتبها يومئذ و قد كان للخلافة رسوم جارية على ترتيب خاص بعضها مضاه لترتيب الملك الآن و بعضها خارج عنها

الجلوس على سرير الخلافة في المواكب و قد ذكر بعض المؤرخين أن أصل ذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما بدن أستاذن أصحابه في اتخاذ شيء يجلس عليه للأستراحة فأذنوا له في ذلك ثم زادوا في ارتفاعه حتى صار السرير الذي يجلس عليه الخليفة في المواكب نحو سبعة أذرع فيما حكاه ابن الأثير وغيره عند ذكر سلطنة طغريل السلجوقي على ما سيأتي ذكره وكان يفرش للخليفة على سرير الخلافة فرش مرتفعة وهي التي يعبر عنها بسدة الخلافة

ومنها الصلاة في المقصورة في الجامع في الجمعة والعيد و قد ذكر المؤرخون أن أول من اتخذ المقصورة في الجامع معاوية على ما تقدم ذكره في ترجمته ثم اختلف فقيل إنه اتخذها حين طعنه الخارجي وقيل بل رأى كلبا على منبره فاتخذها وقيل أول من اتخذها مروان بن الحكم اتخذها من حجارة منقوشة فيها كوى مفتحة وقيل أول من اتخذها عثمان بن عفان رضي الله عنه خوفا أن يصيبه ما أصاب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على ما سيأتي ذكره في الباب السابع إن شاء الله تعالى

ومنها ضرب الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة و قد ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية أن أول من ضرب الدنانير والدراهم في الإسلام عبد الملك بن مروان في سنة خمس وسبعين من الهجرة وقيل سنة أربع وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد وكان المتولي لأمر ذلك الحجاج بن يوسف ثم ضربها في سائر النواحي في سنة ست وسبعين ثم ولى ابن هبيرة العراق في أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل إن أول من ضربها مصعب بن الزبير بأمر أخيه عبدالله بن الزبير حين استولى على الحجاز وكتب على أحد الوجهين بركة وعلى الوجه الآخر اسم الله تعالى ثم غيرها الحجاج وكتب عليها باسم الله وكتب بعده الحجاج ثم اضيفت أسماء الملوك في السكة إلى أسماء الخلفاء ثم ابطلت أسماء الخلفاء من السكة جملة واقتصر على أسماء الملوك

ومنها نقش اسم الخليفة علي ما ينسج من الكسوة والطرز من الحرير والذهب بلون مخالف للون الأصل ليمتاز بذلك ما يختص بالخلافة عن غيره وهو رسم قديم للخلفاء في الدولتين الأموية والعباسية ثم ابدل ذلك باسم الملوك عند تغلبهم على الخلفاء كما تقدم في أمر الدنانير والدرهم ومنها خطابة الخليفة بنفسه في مكان إقامته وخطابة

الأمراء بالأعمال التي يلونها عن الخلفاء وهو رسم قديم من صدر الإسلام الى حين تفهقر أمر الخلافة فأهمل الخلفاء الخطابة بأنفسهم وفوضوها الى الخطباء وقد ذكر ابن الأثير وغيره أن آخر خليفة خطب بنفسه على منبر بكثرة الراضي وإن كان غيره ربما خطب نادرا

ومنها الدعاء للخليفة على المنابر وهو رسم قديم للخلفاء ورأيت في بعض التواريخ أن أول خليفة دعى له على منبر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه دعا له عبدالله بن عباس بالبصرة فقال اللهم انصر على الحق فتبعه الناس بعد ذلك في الدعاء للخلفاء على المنابر في سائر الاعمال قال ابو هلال العسكري في كتابة الأوائل وأول من دعى له بنعته على المنبر محمد الأمين بن الرشيد فقبل وأصلح عبدك وخليفتك عبدالله محمدا الأمين ولم يذكر قبله نعت أحد من الخلفاء على منبر وكانت الخلفاء يفردون بالدعاء على المنابر الى أن غلبت الملوك على الخلفاء فأشركوا معهم في الدعاء قال محمد بن عبدالله الهمذاني في ذيله على تاريخ الطبرى وأول من أشرك في الدعاء له على المنابر مع الخليفة عضد الدولة ابن بويه في سنة ثمان وستين وثلاثمائة في خلافة الطائع ثم جرى الملوك بعده على ذلك ومنها انفراد الخلفاء بالكتابة على ولايات الوظائف كالوزارة والقضاء وسائر الولايات ولم يزل ذلك مختصا بهم الى حين انقراض الخلافة من بغداد إلا ما يوليه الوزراء ومن في معناهم من صغار الولايات المفوضة اليهم ثم نقل ذلك الى الملوك بحكم تفويض الخلفاء الأمور العامة إليهم خلا ولايات الملوك فإنها مما يختص به الخلفاء الى الآن

وأما شعار الخلافة فمنها الخاتم والأصل فيه ما ثبت في الصحيح أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قيل له إن الملوك لا يقرأون كتابا غير مختوم فاتخذ خاتما من ورق وجعل نقشه محمد رسول الله فلما توفي رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لبسه أبو بكر بعده ثم لبسه عمر بعد أبي بكر ثم لبسه عثمان بعد عمر فوقع منه في بئر أريس فلم يقدر عليه

واتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيم لخاتم كل خليفة نقش يخصه وبقي الأمر على ذلك الى حين انقراض الخلافة من بغداد الا أن المؤرخين أهملوا ذكر خواتم الخلافة في أواخر الدولة العباسية بالعراق ومنها البردة وهي بردة النبي {صلى الله عليه وسلم} التي كان الخليفة يلبسها في المواكب قال أبو السعادات بن الأثير في نهايته في غريب الحديث وهي شملة مخططة وقيل كساء أسود

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وقد اختلف في وصولها الى الخلفاء فحكى الماوردي في الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبي {صلى الله عليه وسلم} كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية وتناقلها الخلفاء بعده والذي ذكره غيره أن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية وقال لم أكن أؤثر بثوب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أحدا فلما مات كعب اشتراها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم وحكى الماوردي أيضا عن ضمرة بن ربيعة أن هذه البردة كان النبي {صلى الله عليه وسلم} أعطها أهل أيلة أمانا لهم فأخذها منهم عبدالله ابن خالد بن أبي أوفي وهو عامل عليهم من قبل مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية وبعث بها الى مروان فكانت في خزانتها حتى أخذت بعد قتله وقيل اشتراها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس بثلاثمائة دينار ومنها القضيبي وهو عمود كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يأخذه بيده قال الماوردي وهو من تركة النبي {صلى الله عليه وسلم} التي هي صدقة قلت وكان القضيبي والبردة جميعا عند خلفاء بني العباس ببغداد الى أن انتزعها السلطان سنجر السلجوقي من المسترشد بالله ثم أعيد الى المقتدى عند ولايته في سنة خمس وثلاثين وخمس مائة والذي يظهر أنهما بقيا عندهم الى انقراض الخلافة من بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة فإن مقدار ما بينهما مائة واحد وعشرون سنة وهي مدة قريبة لا تمنع تفاوتها اليها

ومنها ثياب الخلافة وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه عند الكلام على ترجمة الملك السعيد اسماعيل أحد ملوك بني أيوب باليمن أنه كان به هوج فادعى أنه من بني أمية وليس ثياب الخلافة ثم قال وكان طول الكم يومئذ عشرين شبرا فيحتمل أنه أراد زمن بني أمية وأنه أراد زمن بني أيوب ومنها لون الأعلام والخلع ونحوها فبنو أمية يقال إنه كان شعارهم الخضرة وقد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد صاحب اليمن المقدم ذكره أنه حين ادعى الخلافة وأنه من بني أمية لبس الخضرة وهذا صريح في أن شعارهم الخضرة وأما بنو العباس فشعارهم السواد وقد اختلف في اختيارهم السواد فذكر القاضي الماوردي في كتابه الحاوي الكبير في الفقه أن السبب في ذلك أن النبي {صلى الله عليه وسلم} عقد لعنه العباس رضي الله عنه في يوم حنين ويوم الفتح راية سوداء وذكر أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل أن السبب في ذلك أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حين أراد قتل ابراهيم بن محمد العباسي المعروف بالإمام أول القائمين من بني العباس لطلب الخلافة قال لشيعته لا يهولنكم قتلى فإذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العباس يعنى السفاح فلما قتله مروان لبس شيعته عليه السواد فلزمهم ذلك وصار شعارا لهم ومن غريب ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد في كتابه المغرب أن الظافر أحد خلفاء الفاطميين بالديار المصرية لما قتله وزيره عباس بعث نساء الخليفة شعورهن طى الكتب إلى الصالح طلائع بن رزيك وهو يومئذ

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وإلى منية بنى خصيب من صعيد مصر فحضر إليهم الصالح وقد رفع تلك الشعور على الرماح وأقام الرايات السود إظهاراً للحزن على الظافر ودخل القاهرة وهو على ذلك فكان ذلك من الفأل العجيب وهو ان مصر انتقلت إلى بنى العباس وأقيمت فيها الأعلام السود بعد خمس عشرة سنة وأما كيفية تولية الملوك الخلفاء وترتيبهم في ذلك فله حالتان

الحالة الأولى ما كان الأمر عليه في الزمن الأول والخلافة بالعراق والحال فيه مختلف فتارة تكون السلطنة التي تولي بحضرة الخلافة كسلطنة بنى بوية وآل سلجوق وغيرهم وتارة تكون ببعض الأطراف كالديار المصرية حينئذ ونحوها فإن كانت السلطنة بحضرة الخلافة فقد جرت عادتهم في ذلك أن يجلس الخليفة بمجلسه العام على كرسي عال ويحضر السلطان الذي تولي فيجلس على كرسي لطيف أمام كرسي الخليفة ويحضر أعيان المملكة ورؤساؤها وبخاطب الخليفة السلطان بالولاية على لسان الوزير ثم يخلع على السلطان خلة الخلافة ويحمل على مراكب من إسطبلات الخليفة ويذهب السلطان إلى داره فيرسل السلطان التقدام السنية كما حكى ابن الاثير وغيره أن السلطان طغرلبيك ابن ميكائيل السلجوقي لما تقلد السلطنة عن القائم بأمر الله في سنة تسع وأربعين وأربعمائة جلس له الخليفة على كرسي ارتفاعه عن الأرض نحو سبعة أذرع وعليه البردة وأقبل طغرلبيك في جماعته وأعيان بغداد حاضرون فقبل طغرلبيك الأرض ويد الخليفة ثم جلس على كرسي نصب له ثم قال رئيس الرؤساء وزير الخليفة للسلطان عن لسان الخليفة إن أمير المؤمنين قد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ورد إليك أمر عبادة فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك ثم خلع على طغرلبيك سبع جبات سود بزيق واحد وعمامة سوداء وطوق بطوق من ذهب وسور بسوارين من ذهب وأعطى سيفاً بغلاف من ذهب ولقبه الخليفة وقرئ عهده عليه فقبل الأرض ويد الخليفة ثانياً وانصرف وقد جهز له فرس من إسطبلات الخليفة بمركب من ذهب مقندس فركب وانصرف إلى داره فبعث إلى الخيفة خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً من الترك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها فهذا كان شأنهم في تولية السلطنة بحضرة الخلافة

وإن كان الذي يوليه الخليفة السلطنة من ملوك الأطراف جهز له التشريف من بغداد صحبة رسول من جهة الخليفة وهو جبة أطلس أسود بطراز مذهب وطوق من ذهب يجعل في عنقه وسوران من ذهب يجعلان في يديه وسيف قرابه ملبس بالذهب وفرس بمركب من ذهب وعلم أسود مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ينشر على رأسه وصحبة وذلك تقليده بالسلطنة وربما جهز مع خلة السلطان خلع أخرى لولده أو وزيره أو أحد أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ كما كان يبعث مثل ذلك إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالديار المصرية ثم إلى أخيه العادل فمن بعده من ملوك بنى أيوب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

إلى أن كان آخر من وصل إليه ذلك منهم من بغداد الملك الناصر يوسف بن السلطان العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستعصم بالله في سنة خمس وخمسين وستمئة وكان من عاداتهم في ذلك أنه إذا وصل التشريف والتقليد إلى سلطان تلك الناحية أن يلبس السلطان الخلعة والعمامة ويتقلد السيف ويركب الفرس ويسير في موكب حتى يصل إلى مقر ملكه الحالة الثانية ما الأمر مستقر عليه بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية والأمر فيه على نحو ما سبق في الحالة الأولى فيما إذا كان السلطان الذي يولى بحضرة الخلافة لأن الخلعة تكون جبة واحدة بزيق لا سبع جبات بزيق واحد وقد كان فيما تقدم يلبس السلطان طوق الذهب دون السوارين ثم ترك الطوق والسواران جميعاً وبقي ما عدا ذلك من أصناف التشريف وأول تقليد قلده سلطان من خلفاء بني العباس بالديار المصرية تقليد الملك الظاهر بيبرس البندقداري صاحب الديار

المصرية عن الإمام المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن الظاهر بالله بن الناصر لدين الله أول خلفائهم بالديار المصرية في شعبان من شهر سنة ثمان وخمسين وستمئة وذلك أنه بعد أن بايع السلطان الملك الظاهر المستنصر بالله المقدم ذكره بالمجلس العام قلده السلطنة وكتب له بذلك عهد من إنشاء صاحب ديوان إنشاء السلطان صاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان وكتب السلطان الكتب إلى النواب والملوك بالأقطار بأن يخطب له على المنابر مع السلطان ويبدأ به في الذكر وينقش اسمه معه في السكة على الدنانير والدرهم فلما كان يوم الجمعة بعد ذلك خطب الخليفة بنفسه بجامع القلعة ثم لما كان يوم الاثنين بعد ذلك ركب السلطان إلى خيمة ضربت له بالبيستان الكبير بظاهر القاهرة المحروسة من الجهة البحرية ونزل بها هو والخليفة ولبس منه خلعة الخلافة وهي عمامة بنفسجي وجبة سوداء وطوق ذهب في عنقه وسيف بداوى تقلده وجلس السلطان مجلساً عاماً بحضرة الخليفة والوزير والقضاة والأمراء والعلماء ونصب لكتاب سره صاحب فخر الدين ابن لقمان منبر فصعد عليه وقرأ تقليد السلطان ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق ودخل من باب النصر من المدينة وهي مزينة له وحمل وزيره صاحب بهاء الدين ابن حنا التقليد على رأسه ومشى به في الموكب بين يدي السلطان والأمراء مشاة حوله وأمامه

ورأيت في بعض التواريخ أن الإمام الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان حين عهد بالسلطنة إلى الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعته الحاكم المذكور عند موت أبيه في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة طلع الأمراء والقضاة إلى القلعة واجتمعوا بدار العدل وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت وعليه خلعه خضراء وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السر على العادة فقام له الخليفة والقضاة والأمراء وجاء

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

السلطان فجلس على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة ثم قام الخليفة
فقراً) إن الله يأمر بالعدل والإحسان (إلى آخر الآية وأوصى السلطان
بالرفق بالرعية وإقامة الحق وإظهار شعائر الإسلام ونصرة الدين ثم قال
فوضت إليك جميع أمر المسلمين وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين ثم قرأ) إن
الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (إلى آخر الآية ثم أتى الخليفة بخلعة سوداء
وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض فألبسها السلطان وقلده سيفه ثم
أتى بالعهد المكتوب عن الخليفة فكتب عليه ما صورته فوضت إليه ذلك وكتب
أحمد بن عم محمد { صلى الله عليه وسلم } وكتب القضاة الأربعة شهادتهم
بالتولية ثم أتى بالسماط على العادة
وأخبرني من حضر تقليد الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد السلطان
الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق بعد وفاة والده الظاهر أن الخليفة حضر
هو وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني والقضاة الأربعة وأهل العلم وأمراء
الدولة إلى مقعد بالإسطبلات السلطانية وجلس الخليفة في صدر المكان على
مقعد مفروش له ثم أتى السلطان وهو يومئذ حدث السن فجلس بين يديه
فسأله شيخ

الإسلام عن بلوغه الحلم فأجاب بأن نعم فخطب الخليفة خطبة ثم خاطب
السلطان بتفويض الأمر إليه على نحو ما تقدم ذكره ثم أتى الخليفة بخلعة
سوداء وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض فألبسهما للسلطان ولبس
الخليفة أيضا خلعة سوداء وعمامة سوداء مرقومة ثم جلس الخليفة في مكانه
الذي كان جالسا فيه على المقعد ونصب للسلطان كرسي إلى جانب المقعد
الذي عليه الخليفة فجلس عليه وجلس الأمراء والقضاة حوله على قدر
منازلهم

قلت والذي استقر عليه الحال في جائزة تقليد السلطنة مما يرسل به
السلطان إلى الخليفة ألف دينار مع قماش سكندري ضمن بقجة بحسب الحال
الفصل الثالث من الباب الثاني

في ذكر المشاهير ممن ادعى الخلافة في بعض الأقاليم وبطلان شبهة دعاويهم
أما المشاهير ممن ادعى الخلافة في بعض الأقاليم فاعلم أنه قد قام على
خلفاء بنى العباس في أول أمرهم قائلون من العلويين في بلاد وأزمان مختلفة
فمنهم من قبض عليه ولم يتم له أمر كمحمد بن علي الخارج على أبي جعفر
المنصور ومنهم من فر إلى البلاد البعيدة ودعا إلى نفسه فكان له دولة
كإدريس الأكبر بن حسن المثلث ابن حسن المثنى بن الحسن السبط حين فر
إلى الغرب الأقصى فكان له ولعقبه به دولة ثم انقرضت إلا أنه لم يدع أحد
منهم الخلافة وطالت دولته

إلا ثلاث طوائف
الطائفة الأولى
بنو أمية بالأندلس

وذلك أن بنى العباس عند استيلائهم على الأمر وانتقال الخلافة إليهم تتبعوا بنى أمية بالقتل فهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وسار حتى دخل الأندلس فعرف بالداخل لذلك ودعا إلى نفسه بالخلافة هناك واستولى على ما كان بيد المسلمين من الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة من الهجرة وقصده بنو أمية من المشرق والتجؤوا إليه وتوفى في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة وملك بعده ابنه هشام واستخلف بعده ابنه الحكم ابنه عبد الرحمن وملك بعده ابنه محمد وملك بعده ابنه المنذر وملك بعده أخوه عبد الله وملك بعده ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله وتلقب بالناصر وخطب بأمر المؤمنين بعد أن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة وهو أول من تلقب منهم بالقباب الخلافة ودعى بأمير المؤمنين وكانوا قبل ذلك يخاطبون بالإمارة خاصة وولى الأمر بعده ابنه الحكم وتلقب بالمستنصر وعهد إلى ابنه هشام ولقبه المؤيد فغلبه على الأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المقدم ذكره وتلقب بالمهدي ثم غلبه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ثم غلبه محمد بن هشام المهدي المذكور ثم عاد هشام بن الحكم المقدم ذكره ثم عاد سليمان بن الحكم المقدم ذكره ولقب بالمستعين ثم غلبه المهدي محمد بن هشام المقدم ذكره ثم غلبه المستعين على قرطبة ثم قتل المهدي محمد بن هشام المذكور وعاد هشام إلى خلافته هذا كله والمستعين محاصر لقرطبة إلى أن افتتحها عنوة وقتلوا المؤيد هشاماً ثم غلب على وقاسم ولدا حمود من الأدارسة على قرطبة وقتلوا المستعين وأزالوا ملك بني أمية من الأندلس ثم غلب على الأندلس المرتضى بالله عبد الرحمن بن محمد بن بن عبد الملك بن الناصر ثم ولى بعده المستظهر بالله عبد الرحمن بن شهاب ابن عبد الجبار ثم غلب عليه المستكفي بالله محمد بن

عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر ثم رجع الأمر إلى الأدارسة ثم بويق للمعتد بالله هشام بن محمد أخى المرتضى وتوفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وانقطعت دولتهم من الأندلس وقد مضى القول على ذلك مفصلاً في خلال تراجم الخلفاء الطائفة الثانية

العبيديون

وهم أبناء عبيد الله المهدي ويقال لهم العلويون نسبة إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه والفاطميون نسبة إلى فاطمة بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبالمصريين نسبة إلى مصر لاستقرارهم بها آخرًا وكان مبدأ أمرهم أن المكتفى بالله طلب عبيد الله المذكور وهو يومئذ بسلمية لأمر بلغه عنه ففر من الشام إلى العراق ثم لحق بمصر في جمادى من خاصته ولحق بإفريقية من بلاد المغرب في زى التجار ووصل إلى المغرب الأقصى ودخل سجلماسة ببلاد المغرب فورد على عاملها كتاب بالقبض عليه فقبض عليه هو وابنه أبو القاسم نزار وكان أبو عبد الله الشيعى من شيعته قد أقام له الدعوة بتلك البلاد قبل دخولها فسار من إفريقية في جماعة من البربر ودخل سجلماسة وأخرج عبيد الله المهدي وابنه من الحبس وبايعه وارتحل به إلى إفريقية فنزلوا رقادة من بلاد إفريقية في أوائل سنة سبع

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وتسعين ومائتين فبوع بها المهدي البيعة العامة واستقام أمره وولى ابنه ابا القاسم عهده وبنى مدينة المهديّة بإفريقية وجعلها دار ملكه واستولى على فاس من الغرب الأقصى ودخل ملوكها من الأدارسة تحت طاعته وبقي حتى مات وولى بعده ابنه أبو القاسم نزار المقدم ذكره ثم ولى بعده ابنه المنصور بالله إسماعيل فلم يتسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة والبنود ثم ولى بعد موته ابنه المعز لدين الله ابو تميم معد فبعث قائده جوهرًا إلى الديار المصرية فملكها وبنى القاهرة في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ثم استتاب

بإفريقية وسار إلى مصر فملكها واستوطنها وولى بعده ابنه العزيز بالله أبو المنصور وولى بعد وفاته ابنه الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور ثم تولى بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي وولى بعد وفاته ابنه المستنصر بالله أبو تميم معد وولى بعد وفاته ابنه المستعلي بالله وولى بعد وفاته الأمر بأحكام الله أبو علي المنصور وولى بعد وفاته ابن عمه الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد وولى بعد وفاته ابنه الظاهر بامر الله إسماعيل ثم ولى بعده ابنه الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى وولى بعد وفاته العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله

ابن يوسف وتوفى يوم عاشوراء سنة أربع وستين وخمسائة بعد أن قطع السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الخطبة له وخطب للخلفاء العباسيين ببغداد

الطائفة الثالثة

الحفصيون من بقايا الموحدين بإفريقية و كان مبدأ أمرهم أن بلاد المغرب كان قد ظهر فيها القول بالظاهر حتى حملهم ذلك على القول بالتجسيم و ما في معناه من لوازم الوقوف مع الظاهر و كان محمد بن تومرت من بعض بطون المصامدة من البربر أهل بيته أهل دين وعبادة و قد شب في طلب العلم و رحل إلى المشرق قاصدا الحج و دخل العراق ولقى أكابر علمائه و فحول النظار به و أخذ مذهب أبي الحسن الأشعري في القول بتأويل المتشابه عن علماء الأشاعرة ولقى الإمام أبا حامد الغزالي و صحبه ثم عاد إلى بلاد الغرب و طعن على أهل في الوقوف مع الظاهر و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بقول الأشاعرة في جميع العقائد إلى أنه كان يقول بقول الإمامية من الشيعة في عصمة الإمام

و انتهى إلى بجاية فأقام بها مدة يدرس العلم و اجتمع عليه بها عبد المؤمن أحد أصحابه ثم سار إلى بلاد المصامدة من البربر فنشر بها العلم و أظهر بها مذهب الأشاعرة

و كان الكهان و المنجمون يحدثون بظهور ملك في المغرب من البربر فشاع في الناس أنه ذلك الملك اختار من أصحابه عشرة فجعلهم خاصته و هم عبد المؤمن بن علي و أبو حفص عمر بن علي و غيرهما ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد جنوحا إلى تكفير أهل الظاهر قائلين بالتجسيم فبايعوه و كان قبل ذلك يلقب بالإمام فتلقب بعد المبايعه بالمهدي و لقب عبد المؤمن بن علي

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بالخليفة إشارة إلى أنه خليفته و لقب أبا حفص عمر بن علي بالشيخ وسما أتباعه الموحدين تعريضا بتكفير المجسمة و لم يزل حتى توفي فاستقر في خلافته عبد المؤمن ابن علي المقدم ذكره و أستولى على الأندلس والغرب الأقصى والغرب الأوسط في سنة سبع وأربعين وخمس ومائة ثم أستولى على إفريقية في سنة خمس وخمسين و خمس مائة و ولي إفريقية ابنه أبا موسى عمران و لما توفي عبد المؤمن أستقر بعده ابنه المنصور يعقوب بن عبد المؤمن فولي على إفريقية أبا سعيد بن الشيخ أبي حفص المقدم ذكره ثم أستولى على إفريقية بعد ذلك الناصر بن المنصور يعقوب بن عبد المؤمن و ولي عليها الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص و ولي بعد وفاته ابنه أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ أبي محمد ثم عزل عنها و ولي مكانه أبو العلا إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن و مات بتونس فولي بعده أبو زيد بن أبي العلا ثم ولي بعده أبو محمد عبد الله بن أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ثم غلبه عليها أبو زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد ثم بوع بعد وفاته ابنه أبو عبد الله محمد وتلقب المستنصر بالله و هو أول من تلقب منهم بالقب الخليفة و أنتهى أمره إلى أن بوع له بمكة و بعث بالبيعه إليه و تبعه أعقابه في التلقب منهم بالقب الخليفة ثم بوع بعد وفاته ابنه يحيى و تلقب بالواثق ثم أنخلع عن الأمر لعنه أبي إسحاق إبراهيم بن

يحيى ثم ولي بعده ابنه أبو فارس عبد العزيز ثم غلبه عليها أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ثم بوع بعد وفاته أبو عبيدة بن الواثق بن المستنصر المقدم ذكره ثم بوع بعد وفاته أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ثم غلبه عليها أبو البقاء خالد وتلقب الناصر لدين الله ثم غلبه عليها أبو يحيى زكريا بن أحمد ابن محمد اللحياني ابن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ثم بوع بعده محمد المعروف بأبي حربة ابن أبي يحيى زكريا بن أحمد ثم غلبه عليها أبو بكر المقدم ذكره ثم بوع بعد وفاته ابنه أبو حفص عمر بن أبي بكر ثم غلبه عليها السلطان أبو حسن الموريني صاحب الغرب الأقصى و أستخلف عليها ابنه أبا الفضل فغلبه عليها الفضل بن أبي بكر المقدم ذكره و ولي

بعد وفاته أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر و ولي بعد وفاته ابنه أبو البقاء خالد ثم غلبه عليها أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى ابن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ثم ولي بعد وفاته ابنه أبو فارس عزوز و هو القائم بها إلى زماننا في سنة ثمان عشرة وثمان مائة علي ما مر ذكر تواريخ ذلك و تفاصيل أحواله في الكلام على ولايات الأمصار في تراجم الخلفاء

و أما بطلان شبهة دعوة الطوائف الثلاث الخلافة فالقول العام في ذلك ما تقدم من أن جمهور العلماء رضي الله عنهم على أنه لا يصح نصب خليفتين و أن تباعد أقليمهما واحتجاجا بعموم قوله {صلى الله عليه وسلم} إذا بوع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهم على ما تقدم ذكره في الفصل الثالث من الباب الأول و الخلفاء المقدم ذكرهم من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ثم من خلفاء بني أمية ثم من خلفاء بني العباس بالعراق ثم

من خلفاءهم بالديار المصرية إلى آخر وقت جaron على نسق واحد يليها ي
منهم الواحد بعد الواحد إما بالعهد من الذي قبله

و إما بيعة من أهل الحل والعقد فمن خرج عنهم أو شق عصاهم فهو باغ لا
تسوغ مبايعته و لاتحل متابعته و يزيد العبيديون و الحفصيون على ذلك في
بطلان شبهة دعواهم بالطعن في النسب الذي هو أحد شروط الإماميه على ما
تقدم ذكره فالعبيديون يقولون إن جدهم عبيد الله المهدي هو ابن محمد
الحيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر
الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة بنت رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} ويقال هو عبيد الله بن محمد بن ميمون بن محمد بن
إسماعيل والباقي على ما تقدم ويقولون إن أباه محمدا الحبيب حين أدركته
الوفاة عهد إلى ابنه عبيد الله وقال له أنت المهدي وتهاجر بعدي هجرة بعيدة
وتلقى محنة شديدة
واعترض هذا النسب عليهم معترضون ونفوههم عنه وبالغوا في أمرهم حتى
نسبوههم إلى ديسان الذي تنسب إليه طائفة الديسانية نسبة إلى ديسان صاحب
كتاب الميزان في نصرة الزندقة واعتنوا بشأن ذلك حتى كتب
به محضر بيغداد في سنة اثنتين وأربعمائة بأمر القادر بالله في زمن الحاكم
بأمر الله أحد خلفائهم وكتب فيه جماعة من العلويين والقضاة وممن كتب فيه
أبو عبد الله ابن النعمان فقيه الشيعة
ونسخة المحضر على ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه

هذا ما شهد به الشهود أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد منتسب
إلى ديسان بن سعيد الذي ينسب إليه الديسانية وأن هذا الناجم منهم هو
منصور ابن نزار الملقب بالحاكم حكم عليه بالبوار والدمار وهو معد بن
إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لأسعده الله وأن من تقدمه من سلفه
الأرجاس الأنجاس عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج لانسب لهم في
ولد علي بن أبي طالب وأن ما أدعوه من الانتساب إليهم زور وباطل وأن هذا
الناجم معدا هو وسلفه كفار فساق زنادقة ملحدون معطلون وللإسلام جاحدون
أباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسبوا الأنبياء وأدعوا الربوبية وفي آخره
وكتب في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعمائة
وربما وقع الطعن فيهم بما هو أسوأ من ذلك حسب ما ذكره صاحب حماة أن
بعضهم جعل نسبهم في اليهود فقال إن عبيد الله المهدي كان اسمه سعيد بن
أحمد القداح بن ميمون بن ديسان وقيل سعيد بن الحسين بن محمد وإن
الحسين تزوج امرأة يهودية وهويها
والحفصيون يقولون إن جدهم أبو حفص المذكور هو أبو حفص عمر بن يحيى
بن محمد بن وانود بن علي بن أحمد بن ولال بن إدريس بن خالد بن اليسع ابن
إلياس بن عمر بن واقتف بن محمد بن نحية بن كعب بن محمد بن سالم بن
عبد الله بن عمر بن الخطاب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وقد اعترض عليهم معترضون في ذلك فمنهم من يقول إنه منسوب إلى بنى عدى رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنهم من يقول بل هو منسوب إلى هنتاة بفتح الهاء وإسكان النون وفتح التاء المثناة فوق وبعدها ألف ثم تاء مثناة فوق مفتوحة وهاء في الآخر وهى قبيلة من قبائل المصامدة من البربر بجبال درن المتاخمة لمراكش وهى قبيلة واسعة كبيرة وكان أبو حفص هذ 1 شيخهم وكبيرهم قال صاحب العبر ولعل هذا النسب القرشى وقع في المصامدة والتحم بهم واشتملت عليه عصبتهم شأن الأنساب التى تقع من قوم إلى قوم

ويؤكد نفى الخلافة عنهم أن السلطان أبا زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص كان يمتنع من التلقب بألقاب الخلافة ويمنع من يخاطبه بها مقتصرًا على التلقب بالإمارة حتى لقد رفع إليه بعض شعرائه قصيدة مدحه بها أولها
الأصل بالأمير المؤمنينا
فأنت بها أحق العالمينا
فنهاه عن ذلك ومنعهم من خطابة بها وإنما تلقب بلقب الخلافة ابنه المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بعده على ما تقدم ذكره

الباب الثالث في ذكر ما يكتب للخلفاء من البيعات في القديم

والحديث وفيه فصلان

الفصل الأول في البيعات

وهى تكتب لمن يقوم بالخلافة بمبايعة أهل الحل والعقد دون عهد من الخليفة قبله بالشروط السابقة على ما تقدم ذكره في الكلام على الطرق التى تنعقد بها الإمامة في الباب الأول من الكتاب

وأعلم أن الصديق رضى الله عنه لم تكتب له بيعة بالخلافة بعد النبى { صلى الله عليه وسلم } إذ لم ينقل ذلك ولو وقع لنقل كما نقل كتاب عهد الصديق بالخلافة لعمر رضى الله عنهما على ما سيأتى ذكره وكذلك سائر الخلفاء بعده لم تكتب لهم مبايعة إلى أن كانت أيام عبد الملك بن مروان في الدولة الأموية رتب الحجاج بن يوسف

أيمانًا للبيعة يحلف بها للخليفة عند أخذ البيعة له وابتدئ كتابه البيعات من يومئذ ونظم الإيمان في خلالها واستمر ذلك فيما بعده واختلفت أساليب الكتاب بعد ذلك دولة بعد دولة وقد استقر أمرهم في ذلك على أربعة مذاهب

المذهب الأول

أن تفتتح البيعة بأن يقال تبايع عبد الله أبا فلان فلانا أمير المؤمنين على كذا وكذا على أنك إن خالفت في ذلك أو في شئ منه كان لازمك كذا وكذا مع بسط القول في ذلك بما يناسب المقام وتأكيد به بالإيمان المعقدات والأليات المحرجات

وعلى هذا الأسلوب كانت طريقة الأولين في الخلافة الأموية وصدر الخلافة العباسية فإن كانت المبايعة من جماعة كتب تبايعون بلفظ الجمع

وهذه نسخة بيعة من ذلك

أوردها أبو الحسين بن إسحاق الصابى في كتابه غرر البلاغة في الكتابة وهى

تبايع عبد الله أبا فلان فلانا أمير المؤمنين بيعة طوع واختيار وتبرع وإيثار وإعلان وإسرار وإظهار وإضمار وصحة من غير نغل وسلامة من غير دغل وثبات من غير تبديل ووقار من غير تأويل واعتراف بما فيها من جمع الشمل واتصال الحبل وانتظام الأمور وصلاح الجمهور وحقن الدماء وسكون الدهماء وسعادة الخاصة والعامة وحسن العائدة على أهل الملة والذمة على أن عبد الله فلانا أمير المؤمنين عبد الله الذي اصطفاه وأمينه الذي ارتضاه وخليفته الذي جعل طاعته جارية بالحق وموجبة على الخلق وموردة لهم مورد الأمن وعاقدة لهم معاهد اليمن

وولايته مؤذنة لهم بجميل الصنع ومؤدية بهم إلى جزيل النفع وإمامته الإمامة التي اقترن بها الخير والبركة والمصلحة العامة المشتركة وأمل فيها قمع الملحد الجاحد ورد الجائر الحائد وقسم العاصي الخالع وعطف الغاوي المنازع وعلى أنك ولي أوليائه وعدو أعدائه من كل داخل في الجملة وخارج عن الملة وعائد بالحوزة وحائد عن الدعوة ومستمسك بما بذلته عن إخلاص من رأيك وحقيقة من وفائك لاتنقض ولا تنكث ولا تخلف ولا تواري ولا تخادع ولا تداجي ولا تخاتل علانيتك مثل نيتك وقولك مثل طويتك وعلى الا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة وشرائطها على مر الأيام وتطاولها وتغير الأحوال وتنقلها واختلاف الأزمان وتقلبها وعلى أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها وأعوان الدولة العباسية ورعاته الا يتداخل قولك مواربه ولا يداخله مداهنة ولا يعترضه مغالطة ولا يتعقبه مخالفة ولا تختل به أمانه ولا تعله خيانة حتى تلقى الله مقيما على أمرك ووفيا بعهدك إذ كان مبايعو ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض) إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما)

عليك بهذه البيعة التي أعطيت بها صفقة يدك وأصفيت فيها سريرة قلبك والتزمت القيام بها ما طال عمرك وامتد أجلك عهد الله إن عهد الله كان مسؤولا وما اخذه على أنبيائه ورسله وملائكته وحمله عرشه من أيمن مغلظة وعهود مؤكدة ومواثيق مشددة على أنك تسمع وتصغى وتطيع فلا تعصى وتعدل ولا تميد وتستقيم ولا تحيد وتفى ولا تغدر وتثبت ولا تتغير فمتى زلت عن هذه المحجة خافرا لأمانتك ورافعا لديانتك فجدت الله تعالى ربوبيته وأنكرته وحدانيته وقطعت عصمة محمد {صلى الله عليه وسلم} منك وجدذتها ورميت طاعته وراء ظهرك ونبذتها ولقيت الله يوم الحشر إليه والعرض عليه مخالفا لأمره

وخائنا لعهدده ومقيما على الإنكار له ومصرا على الإشراف به وكل ما حلله الله لك محرم عليك وكل ما تملكه يوم رجوعك عن بذلك وارتجاعك ما اعطيته من قولك من مال موجود ومذخور ومصوغ ومضروب وسارح ومربوط وسائم ومعقول وأرض وضيعة وعقار وعقدة ومملوك وأمة صدقة على المساكين محرمة على مر السنين وكل امرأة لك تملك شعرها وبشرها وأخرى تتزوجها من بعدها طالق ثلاثا بتاتا طلاق الحرج والسنة لا رجعة فيها ولا مثنوية وعليك

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين مرة حاسرا حافيا وراجلا ماشيا
نذرا لازما ووعدا صادقا لا يبرئك منها إلا القضاء لها والوفاء بها ولا قبل الله منك
توبة ولا رجعة ولا إقالة عثرة ولا ضرعة وخذلك يوم الاستنصار بحوله وأسلمك
عند الاعتصام بحبله وهذه اليمين قولك قلتها قولاً فصيحاً وسردتها سرداً
صحيحاً وأخلصت فيها شرك إخلاصاً متيناً
وصدقت بها عزمك صدقاً يقينا والنية فيها نية فلان أمير المؤمنين دون نيتك
والطوية فيها طويته دون طويتك وأشهدت الله على نفسك بذلك وكفى بالله
شهيدا يوم تجد كل نفس عليها حافظاً ورقيباً
قلت وعلى هذا الأسلوب في المبايعات رتب الكتاب الإيمان التي يحلف بها عن
السلطان في زماننا
المذهب الثاني

في البيعات أن تفتح البيعة بلفظ من عبد الله أبي فلان فلان أمير المؤمنين
سلام عليكم فإن أمير المؤمنين يحمده إليكم الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن
يصلى على ابن عمه محمد {صلى الله عليه وسلم} ثم يقال أما بعد فالحمد
لله ويؤتى بخطبة مناسبة المقام ثم يعزى بالخليفة الماضي إن كانت البيعة
مرتبة على موت خليفة ويذكر قيامه بأعباء الأمة إلى حين ذهابه ثم يقال إنه لم
يوجد من ينهض بأعباء الخلافة بعده إلا ولده فلان أو أخوه أو ابن عمه أو نحو
ذلك ويؤتى بتقريظة وذكر استحقاقه للخلافة دون غيره ثم القائم
بالبيعة له بحضوره أو في بعض الأطراف بأخذ البيعة له على من قبله من
الرعية وعلى ذلك كانت تكتب بيعات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية
بجملتها

وهذه نسخة بيعة من هذا النمط
من عبد الله ووليه أبي فلان فلان بن فلان الإمام الفلاني بأمر الله تعالى أمير
المؤمنين إلى من يضمه نطاق الدولة العباسية من أمرائها وأعيانها وكبرائها
وأولياؤها على اتساع شعوبهم وعساكرها على اختلاف ضروبهم وقبائل عربها
القيسية واليمانية وكافة من تشمله أقطارها من أصناف الرعية الأمير منهم
والمأمور والمشهور منهم والمغمور والأسود والأحمر والأصغر والأكبر وفقهم
الله وبارك فيهم
سلام عليكم فإن أمير المؤمنين يحمده إليكم الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن
يصلى على ابن عمه محمد
خاتم النبيين وسيد المرسلين {صلى الله عليه وسلم} وعلى آله الطاهرين
الآئمة المهديين وسلم تسليماً

أما بعد فالحمد لله مولى المن الجسيم ومبدي الطول العميم ومانح جزيل
الأجر بالصبر العظيم منيل النعم المتسعة الفنون ومدنى المهج المتعالية
التناول للمنون ومبيد الأعمار ومفنيها وناشر الأموات ومحيتها والفتاح إذا
استغلت الأبواب والقائل لكل أجل كتاب (الذي لا يغير ملكه مرور الغير ولا
يصرف سلطانه تصرف القدر ولا يدرك قدمه وأزليته ولا ينفد بقاءه وسرمديته

مسلم الأنام للحمام ومصمى الأنفس بسهام الاخترام ومورد البشر من المنية منها ما برحوا في رنقة يكرعون ولمرة يبجعون ومفسر ذلك بقوله (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) والحمد لله الذى نصب الأنبياء لمراشده أعلاما وحفظ بيعتهم من الحق والهدى نظاما 2 وجعل نبوة ابن عمنا محمد { صلى الله عليه وسلم } لنبواتهم ختاماً ولم يحم نبيا مع ما شرفه من تناول وحيه وتلقيه ولا عصم إماما مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقية من لقاء المنية ووداع الأمنية بل أجل لكم منهم اجلا مكتوبا وفسح له أمدا محصورا محسوبا لا يصرف عن وصوله مقيله ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيلة سبيله وقضية قدرة محكمة الأسباب وعبرة واضحة لأولى الألباب أوضحها فرقانه الذى أقر بأعجازه الجاحد بها إذ يقول مخاطبا لنبيه (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) والحمد لله الذى منح أمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأنوارها وحاز له من ذخائرها وأودعه من أسرارها وحوله في آخر تراثها وأصار له شرف ميراثها وجعله القائم بحقة والمرشد لخلقه والمأحى بهداه ليلا

من الضلال بهيما والحاوى بخلافته مجدا ولا يزال ثناؤه عظيما) ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (يحمده أمير المؤمنين على ان أوضح بأبائه الأئمة سبل الحقائق فأصبحوا خلفاء الخالق وأئمة الخلائق وخوله ما اختصهم به من الإمامة ورفعها بها إلى أشمخ منازل العلا وأرفع مواطن الكرامة ويستمدده شكرا يوازى النعم التى أثبتت له على سيرير الخلافة ومنبرها قدما وصبرا يوازن الفجیعة التى قل لها فيض المدامع دما ويسأله أن يصلى على ابن عمه محمد { صلى الله عليه وسلم } الذى فض بجهاده جموع الإلحاد وحصر باجتهاده من مال عن الهدى وحاد وصدع بما أمر به حتى عم التوحيد ودانت لمعجزاته الأمم وقد دعاها وهو المفرد الوحيد ولم يزل مبالغا في مرضاة ربه حريصا على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه حتى استأثر به وقبضه وبدله من الدنيا شرف جواره وعوضه وأصاره إلى افضل نبى نفر وبشر وأحيا دين الله وأنشر وإن الإمام الفلانى لدين الله أمير المؤمنين كان وليا لله شرفه واستخلصه وأفرده بإمامة عصره وخصصه وفوض إليه أمر خلافته أحله محلا تقع مطارح الهمم دون علوه وإنافته فقام بحق الله ونهض وعمل بأمره فيما سن وفرض وقهر الأعداء بسطواته وعزائمه وصرف الامور بأزمه التدبير وخزائمه وبالغ في الذب عن اشيع المله واجتهد في جهاد اعداء القبلة ووقف على مصلحة البلاد امله ووفر على ما يحظى عند الله قوله وعمله ولم يترك في مرضاة خالقه مشقه الا احتملها ولا رويه الا صرفها في ارشاد خلقه واعملها حتى بلغ الغايه المحدوده واستكمل الانفاس المعدودة واحسن الله له الاختيار واثر له النقلة من هذه الدار والزلفى لسكنى دار القرار والفوز بمصاحبة الانبياء الابرار والحلول في حظائر قدسه مع ابائه الائمه الاطهار فصار اليه طاهر السريرة جميل المذهب والصورة مستوجبا بسعيه افضل رضوانه ممهدا بالتقوى لتدييره اكناف جنانه

وامير المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزیه التي عظم بها المصاب وعذب عند تجرعها المصاب واضرمت القلوب نارا واجرت الاماق دما ممارا واطاشت بهولها الاكباد بالحرق وكحلت الاجفان بالارق وكادت لهجومها الصدور تقذف افئدتها والدنيا تنزع نضرتها وبهجتها وقواعد المله تضعف وتهدى والخطوب 168 الكارثة تسهر ولا تنتهي فانا لله وانا اليه راجعون تسليما لامره الذي لايدفع واذعانا لقضائه الذي لا يصد ولا يمنع

وكان الامام الفلاني لدين الله امير المؤمنين عند نقلته جعل لي عقد الخلافة ونص عليه بارتقاء منصبها المخصوص بالانافة وافضى الى بسرها الممكنون واودعني غامض علمها المصون وعهد الى ان اشملكم بالعدل والاحسان والعطف والحنان والرحمه والغفران والمن الرائق الذي لا يكدره امتنان وان اكون لاعلام الهدى ناشرا وبما ارضى الله مجاهرا ولاحزاب القبلة

مظاهرا مظافرا ولاعداء المله مرغما قاهرا ولمنار التوحيد رافعا وعن حوزة الاسلام بغاية الامكان دافعا مع علمه بما خصصت به امير المؤمنين من كرم الشيم وفطرت عليه من خلال القاضيه مصالح الامم واوتيته من استحقاق الامامه واستيجابها ومنحته من الخصائص المبرمه لاسبابها

فتعزوا جميع الاولياء وكافة الامراء وجميع الاجناد والحاضر من الرعايا والباد عن امامكم المنقول الى دار الكرامة بامامكم الحاضر الموجود الذي اورثه الله مقامه وادخلوا في بيعته بصدور مشروحه نقيه وقلوب على محض الطاعه مطويه وثبات في الولاء والمشايعة مرضيه وبصائر لا تزال بنور الهدى والاستبصار مضيه وامير المؤمنين يسال الله ان يجعل امامته محظوظه بالاقبال دائمه الكمال صافيه من الاكدار معوضه بمواتاه الاقدار ويوالى حمده على ما منحه من الاصطفاء الذي جعله لامور الدين والدنيا قواما واقامه للبريه سيذا واماما فاعلموا هذا واعملوا به والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وكتب يوم كذا من شهر كذا من سنه كذا 168 ب المذهب الثالث

ان يفتح البيعه بلفظ هذا ويعزى بالخليفه الذاهب ان كانت البيعه مرتبه على موت ثم يهنى بالخليفه المستقر او يلوح بذكر الخلع الموجب لخلع المخلوع واستحقاق المستقر في الخلافة بحيث لا يكون في التلويح الى الخلع تنقيص لجانب المخلوع ولا حط لقدره الا ان يكون الخلع قد وقع لموجب شرعي

اقتضاه الحال وربما افتتحت البيعه بايه من كتاب الله تعالى وهذه نسخه بيعة انشاها المقر الشهابي بن فضل الله عند موت الامام المستكفي بالله ابي الربيع سليمان بن الحاكم بامر الله ومبايعه ابنه الحاكم بامر الله بعده امتحانا لخاطره واختيارا لذهنه ولم يكتب بها وهي

(إن الذين يبائعونك إنما يبائعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) هذه بيعة رضوان وبيعه احسان وبيعه يشهدا الجماعة ويشهد عليها الرحمن بيعة يلزم طائرها العنق وتحوم بشائرها على الافق وتحمل انبائها البراري والبحار مشحونه الطرق بيعة تصلح بسببها الامه ويمنح بسيلها النعمه ويؤلف بها الأسباب وتجعل بينهم مودرة ورحمة بيعة يجري بها الرفاق وتتزاحم زمر الكواكب على حوض المجره للوفاق بيعة سعيده ميمونه بيعة شريفه بها السلامه في الدين والدنيا مضمونه بيعة صحيحه شرعيه بيعة ملحوظه مرعيه

بيعه تسابق إليها كل نيه وتطاوع 169 كل طويه وتجمع عليها اشتات البريه
بيعه يستهل بها الغمام ويتهلل البدر التمام بيعه متفق على الاجماع عليها
والاجتماع لبسط الايدى اليها انعقد

عليها الاجماع وانعقدت صحتها بمن سمع ذلك واطاع وبذل في تمامها كل
امرى ء ما استطاع وحصل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ووصل بها الحق الى
مستحقه ووافق الخصم وانقطع النزاع ونظمها كتاب كريم يشهده المقربون
ويتلقاه الأئمة الأقربون) الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله () ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس (وإلينا ولله الحمد وإلى بني
العباس اجمع على هذه البيعة ارباب العقد والحل واصحاب الكلام فيما قل
وجل وولاة الأمور والأحكام وأرباب المناصب والحكام وحملة العلم والأعلام
وحماة السيوف والأقلام وكابر بني عبد مناف ومن انخفض قدره وأناف
وسروات قريش ووجوه بني هاشم والبقية الطاهرة من بني العباس وخاصة
الأئمة وعامة الناس بيعة ترسى بالحرمين خيامها
وتخفق على المأزمين أعلامها وتتعرف عرفات بركاتها وتعرف بمنى أيامها
ويؤمن عليها يوم الحج الأكبر ويؤم ما بين الركن والمقام والمنبر ولا يتبقى الا
وجه الله الكريم وفضله العميم لم يبق صاحب علم ولا علم ولا ضارب بسيف
ولا كاتب بقلم ولا رب حكم ولا قضاء ولا من يرجع اليه في اتفاق ولا إمضاء ولا
إمام مسجد ولا خطيب ولا ذو فتيا يسأل فيجيب ولا من بين جنبتي المساجد ولا
من تضمهم اجنحة المحاريب ولا من يجتهد في رأي فيخطئ أو يصيب ولا
متحدث بحديث ولا متكلم بقديم وحديث ولا معروف بدين وصلاح ولا فرسان
حرب وكفاح ولا راشق لسهام ولا طاعن برماح ولا ضارب بصفاح ولا ساع على
قدم ولا طائر بجناح ولا مخالط للناس ولا قاعد في عزلة ولا جمع كثرة ولا قلة
ولا من يستقل بالجوزاء لواءة ولا يقل فوق الفرقد ثواؤه ولا باد ولا حاضر ولا
مقيم ولا سائر ولا أول ولا آخر ولا مسر في باطن ولا معلن في ظاهر

ولا عرب ولا عجم ولا راعي إبل ولا غنم ولا صاحب أناة ولا إيدار ولا ساكن في
حضر وبادية بدار ولا صاحب عمد ولا جدار ولا سابح في البحار الزاخرة
والبراري القفار ولا من يتوقل صهوات الخيل ولا من يسبل على العجاجة الذيل
ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل ولا من تظله السماء وتقله الأرض
ولا من تدل عليه الأسماء على اختلافها وترتفع درجات بعضهم على بعض حتى
أمن بهذه البيعة وأمن الله عليه وهداه إليها وأقر بها وصدق وعض لها بصره
خاشعا وأطرق ومد إليها يده بالمبايعة ومعتقده بالمتابعة رضى بها وارتضاها
وأجاز حكمها على نفسه وأمضاها ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها)
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)
والحمد لله الذي نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو أحكم الحاكمين والحمد
لله الذي أخذ حق آل بيت نبيه من أيدي الظالمين والحمد لله رب العالمين ثم
الحمد لله رب العالمين ثم الحمد لله رب العالمين والحمد لله رب العالمين
وإنه لما استأثر الله بعبده) سليمان (أبى الربيع الإمام المستكفى بالله أمير

المؤمنين كرم الله مثواه وعوضه عن دار الإسلام بدار السلام ونقله فزكى بدنه عن شهادة الإسلام بشهادة الإسلام حيث أثره ربه بقربه ومهد لجنبه وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه وخار له في جواره رفيقا وجعل له على صالح نفسه طريقا وأنزله (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) الله أكبر ليومه لولا مخلفه كادت تضيق الأرض بما رحبت وتجزى كل نفس بما كسبت وتنبئ كل سريرة بما ادخرت وما خبت لقد أضرم سعيه إلا أنه في الجوانح لقد أصر منبر وسرير لولا خلفه الصالح لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح لقد غاضت البحار لقد غابت الأنوار لقد غالب البدور وما يلحق الأهلة من المحاق

ويدرك البدر من السرار نسفت الجبال نسفا وخبث مصايح النجوم وكادت تطفى (وجاء ربك والملك صفا صفا) لقد جمعت الدنيا أطرافها وعزمت على المسير وخضعت الأمة لهول المصير وزاغت يوم موته الأبصار (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) وبقيت الألباب حيارى ووقفت تارة تصدق وتارة تتماهى لا تعرف قرارا ولا على الأرض استقرارا (إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) ولم يكن في النسب العباسي ولا في جميع من في الوجود ولا في البيت المسترشدي ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء لهم وجدود ولا من تلده إحدى الليالي وهي عاقر غير ولود من تسلم إليه أمة محمد {صلى الله عليه وسلم} عقد نياتها إلا واحد وأين ذلك الواحد هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آباءه الأطهار وتراث أجداده ولا شيء هو إلا ما اشتمل عليه رداء الليل والنهار وهو ابن المنتقل الى ربه وولد الإمام الذاهب لصلبه المجمع على أنه في الأمام فرد هو الأمام وواحد وهكذا هو في الوجود الإمام وأنه الحائز لما زرت عليه جيوب المشارق والمغرب والفائز بملك ما بين الشارق والغارب الراقي في صفح السماء هذه الدورة المنيفة الباقي بعد الأئمة الماضين رضي الله عنهم ونعم الخليفة المجتمع فيه شروط الإمامة المتضع لله وهو من بيت لا يزال الملك فيهم الى يوم القيامة الذي تصفح السحاب نائله والذي لا يغيره عاذره ولا يغيره عاذله والذي تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه أنامله والذي لا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا ورق الدنيا عن الدين شاعله

والذي ما ارتقى سهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا مال باصره وقام قائمه ولا قعد على سرير الخلافة الا وعرف انه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكمه نائب الله في ارضه والناهض بسنته وفرضه والقائم بمقام رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وخليفته وابن عمه وتابع عمله الصالح ووارث علمه سيدنا

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ومولانا عبدالله ووليه احمد ابو العباس الحاكم بامر الله امير المؤمنين ابن الامام المستكفى بالله ابي الربيع سليمان ايد الله تعالى ببقائه الدين وطوق بسيفه الملحدين وكبت تحت لوائه المعتدين وكتب له النصر الى يوم الدين وكف بجهاده المفسدين واعاذ به الارض ممن لا يدين بدين واعاد بعدله ايام آباءه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وعليه كانوا يعملون ونصر أنصاره وقدر اقتداره واسكن في القلوب هيئته ووقاره ومكن له في الوجود وجمع له اقطاره

ولما انتقل الى الله (ذلك) السيد ولحق بدار الحق اسلافه ونقل الى سرر الجنة من سرير الخلافة وخلا العصر من امام يمسك ما بقى من نهاره وخليفة يغالب مربد الليل بأنواره ووارث نبي بمثله ومثل ابيه استغنى الوجود بعد ابن عم نبيه خاتم الأنبياء { صلى الله عليه وسلم } عن نبي مقتف على آثاره ونسي ولم يعهد فلم يبق اذ لم يوجد النص الا الإجماع وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بلا نزاع اقتضت المصلحة الجامعة عقد مجلس كل طرف به معقود وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود وجمع الناس له (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) فحضر من لم يعبأ بعده بمن تخلف ولم يربأ معه وقد مد يده طائعا لمن مدها وقد تكلف واجتمعوا على رأى واحد واستخاروا الله تعالى فيه فخار وناهيك بذلك من مختار وأخذت يمين تمد اليها الأيمان ويشد بها الإيمان وتعطى عليها المواثيق وتعرض امانتها على كل فريق حتى تقلد كل من حضر في عنقه هذه الأمانة وحط يده على

المصحف الكريم وحلف بالله العظيم وأتم ايمانه ولم يقطع ولم يستثن ولم يتردد ومن قطع من غير قصد اعاد وجدد وقد نوى كل من حلف ان النية في يمينه نية من عقدت هذه البيعة له ونية من حلف له وتذمم بالوفاء في ذمته وتكفله على عادة ايمان البيعة بشروطها واحكامها المرددة واقسامها المؤكدة بان يبذل لهذا الإمام المفترضة طاعته الطاعة ولا يفارق الجمهور ولا يظهر عن الجماعة انجماعه وغير ذلك مما تضمنته نسخ الأيمان المكتتب فيها اسماء من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يكتب منهم وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتب واذنوا لمن يكتب عنهم حسب ما يشهد به بعضهم على بعض ويتصادق عليه اهل السماء والارض بيعة تم بمشيئة الله تمامها وعم بالصوب الغدق غمامها) وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (ووهب لنا الحسن ثم الحمد لله الكافي عبده الوافي وعده الموافي لمن يضاعف على كل موهبة حمده ثم الحمد لله على نعم يرغب أمير المؤمنين في ازديادها ويرهب الا أن يقاتل أعداء الله بأمدادها

ويرأب بها ما أثر فيما أثر مما ليكه مما بان من مباينة أصدادها ونحمده والحمد لله ثم الحمد لله كلمة لا يمل من تردادها ولا نخل بما ينوب السهام من سدادها ولا نطل الا على ما يوجب بكثرة أعدادها وتيسير أقدار على أورادها ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يتقايس دم الشهداء ومد مدادها وتتنافس طرر الشباب وغرر السحاب على استمدادها وتتجانس رقومها المدبجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها والليالي من دثارها والأعداء من حدادها ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله { صلى الله

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عليه وسلم { وعلى جماعة آله من سفل من أبنائها ومن سلف من أجدادها
ورضى الله عن الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين
وبعد فإن أمير المؤمنين لما اكسبه الله تعالى من ميراث النبوة ما كان لجدته
ووهبه من الملك السليماني

عن أبيه ما لا ينبغي لأحد من بعده وعلمه منطلق الطير بما تتحملة حمائم
البطائق من بدائع البيان وسخر له من البريد على متون الخيل ما سخر من
الريح لسليمان وأتاه من خاتم الانبياء ما أمده به ابوه سليمان وتصرف واعطاه
من الفخار ما اطاعه به كل مخلوق ولم يتخلف وجعل له من لباس بنى العباس
ما يقضى له سوادة بسؤدد الأجداد وينفض على كحل الهدب ما فضل عن
سويداء القلب وسواد البصر من السواد ويمد ظلة على الأرض فكل مكان حلة
دار ملك وكل مدينة بغداد وهو في ليله السجاد وفي نهاره العسكرى وفي
كرمه جعفر الجواد يديم الابتهاج إلى الله تعالى في توفيقه والابتهاج بما يغص
كل عدو بريقه ويبدأ يوم هذه المبايعة بما هو الأهم من مصالح الإسلام وصالح
الأعمال مما يتحلى به الإمام ويقدم التقوى أمامه ويقرن عليها أحكامه ويتبع
الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس ومن لا يحمل أمره طائعا على العين
حملة بالسيف غصبا على الراس ويعجل أمير المؤمنين بما

يشفى به النفوس ويزيل به كيد الشيطان إنه يؤوس وياخذ بقلوب الرعية وهو
غنى عن ذا ولكنه يسوس وأمير المؤمنين يشهد الله وخليقته عليه أنه أقر كل
امرئ من ولاة الأمور الإسلامية على حاله واستمر في مقيله تحت كنف ظلاله
على اختلاف طبقات ولاة الأمور وتفرقهم في الممالك والثغور برا وبحرا سهلا
ووعرا وشرقا وغربا وبعدا وقربا وكل جليل وحقير وقليل وكثير صغير وكبير
وملك ومملوك وأمير وجندى يبرق له سيف شهير ورمح طرير ومن مع هؤلاء
من وزراء وقضاة وكتاب ومن له يد تبقى في إنشاء وتحقيق حساب ومن
يتحدث في بريد وخراج ومن يحتاج إليه ومن لا يحتاج ومن في الدروس
والمدارس والربط والنزوايا والخوانق ومن له أعظم التعلقات وأدنى العلائق
وسائر أرباب المراتب وأصحاب الرواتب ومن له في مال الله رزق مقسوم
وحق مجهول أو معلوم واستمرار كل امرئ على ما هو عليه حتى يستخير الله
ويتبين له ما بين يديه فمن زاد تأهيله زاد تفضيله والا فأمير المؤمنين لا يرى
سوى وجه الله ولا يحابى أحدا في دين

ولا يحامى عن أحد في حق فإن المحاماة في الحق مداواة على المسلمين
وكلما هو مستمر إلى الآن مستمر على حكم الله مما فهمه الله وفهمه
سليمان لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه ما يعتبر مستديما شكر
الله على نعمة وكذلك يجازى من شكر ولا يكدر على أحد موردا نزه الله به
نعمة الصافية عن الكدر ولا يتأول في ذلك متأول ولا من فجر نعمة أو كفر ولا
يتعلل متعلل فإن أمير المؤمنين يعوذ بالله ويعيد أيامه من الغير وأمر أمير

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المؤمنين أعلى الله أمره أن يعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر في الآفاق وأن يضرب باسمهما النقود المتعامل بها على الإطلاق ويبتهل بالدعاء لهما عطف الليل والنهار ويصرح منه بما يشرق به وجه الدرهم والدينار ويضاهى به المنابر ودور الضرب هاتيك ترفع اسمهما على أسرة مهودها وهذى على أسارير نقودها وهذى تقام بسببها الصلاة وتلك تدام بها الصلوات وكلاهما تستمال به القلوب ولا يلام على ما تعيه الآذان وتوعيه الجيوب وما منهما إلا من تحدق نحوه الأحداق وتميل إليه الأعناق وتبلغ به المقاصد ويقوى بهما المعاضد وكلاهما أمر مطاع من غير نزاع وإذا لمعت أزمة الخطب طار للذهب شعاع ولولاهما ما اجتمع جمع ولا انضم ولا عرف الأنام بمن تأتم فالخطب والذهب معناهما واحد وبهما يذكر الله قيماء المساجد ولولا الأعمال ما بذلت الأموال ولولا الأموال ما وليت الأعمال ولأجل ما بينهما من هذه النسبة قيل إن الملك له السكة والخطبة وقد أسمع أمير المؤمنين في هذا الجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب ويتداوله كل بعيد وقريب وإن الله أمر بأوامر ونهى عن نواه وهو رقيب ويستفرغ الأولياء له السجايا وتفرغ الخطباء فيها بنعوت الوصايا وتكمل بها المزايا وتتكلم بها المواعظ وتخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا وتستمر بها السمار وتتناقلها رواة الأخبار ويترنم بها الحادى والملاح

ويرق سجوها في الليل المقمر ويرقم على جنب الصباح وتعطر بها مكة بطحاءها وتحيا بحدِيثها قباها ويلقنها كل أب فهم ابنه ويسأل كل ابن أن يجيب أباه وهو لكم أيها الناس من أمير المؤمنين وعليكم بينة وإليكم ما دعاكم به إلى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة ولأمير المؤمنين عليكم الطاعة ولولا قيام الرعايا بها ما قبل الله أعمالها ولا أمسك بها البحر ودحا الأرض وأرسي جبالها ولا اتفقت الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أذيالها وأخذها دون بنى أبيه ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح لكم من أبواب الأرزاق وأسباب الارتفاق وأحسن لكم من وفاقكم وعلمكم مكارم الأخلاق وأجراكم على عوائدكم ولم يمسك خشية الإملاق ولم يبق على أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله {صلى الله عليه وسلم} ويعمل بما ينتفع به من يجئ أطال الله بقاء أمير المؤمنين

من بعده ويزيد على كل من تقدم ويقوم فروض الحج والجهاد وينيم الرعايا بعدله الشامل في مهاد وأمير المؤمنين يقيم عبادة موسم الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ويجهز السبيل على عادته ويرجو أن يعود إلى حالة الأول في سالف الأيام ويتدفق في هذين المسجدين بحرة الزاخر ويرسل إلى ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام ويقوم بقومة قبور الأنبياء صلوات الله عليهم أين كانوا وأكثرهم في الشام والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سننها وقويم سننها وستزيد في أيام أمير المؤمنين بمن أنضم إليه وفيما يتسلمه من بلاد الكفار ويسلم على يديه وأما الجهاد فيكفى باجتهاده القائم عن أمير المؤمنين بأموره المقلد عنه جميع ما وراء سريره فأمير المؤمنين قد وكل إليه خلد الله سلطانه الأنام وقلده سيفه الراعب بوارقه ليسله واجده على الأعداء سل خياله عليهم في

الأحلام ويؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العدا وانتزاع أيديهم من بلاد الإسلام فإنه حق وإن طال عليه المدى وقد تقدمت الوصية بان يغزو العدو المخدول برا وبحرا ولا يكف عمن يظفر به منهم قتلا وأسرا ولا يفك أغلالا ولا إصرا ولا ينفك يرسل عليهم في البحر غربانا وفي البر من الخيل عقبانا يحمل منها كل فارس صقرا ويحمى الممالك ممن يجوز أطرافها بأقدام ويتخول أكنافها بالإقدام وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور وما يحتاج إليه من الآت القتال وما تحتاج به الأعداء ويعجز عنه المحتال وأمهات الممالك التي هي مرابط البنود ومرابض الأسود والأمراء والعساكر والجنود وترتيبهم في الميمنة والميسرة بالجناح الممدود ولينفق أحوالهم بالعرض بما لهم من خيل تعقد بين السماء والأرض وما لهم من زرد مصون وبيض مسها ذائب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون وسيوف قواضب ورماح لكثرة طعنها من الدماء خواضب وسهام تواصل القسى وتفارقها فتحن

حين مفارق وتزجر القوس زمجرة مغاضب

وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها تطيب قلوبكم وإطالة ذيل التطويل على مطلوبكم ودمائكم وأموالكم وأعراضكم في حماية إلا ما أباح الشرع المطهر ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر وأما جزئيات الأمور فقد علمتم بأن فيمن تقلد عن أمير المؤمنين غنى عن مثل هذه الذكرى وولاية حق لا تشغل بطلب شئ فكرا وفي ولاة الأمور ورعاة الجمهور ومن هو سداد عمله ومداد أمله ومراد من هو منكم معشر الرعايا من قبله وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ومن حولكم وأنتم وهم فما منكم إلا من سيرف أمير المؤمنين ويمضى في مرضى الله على سلفه وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المثلى في طاعة الله في خلفه وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداء النصيحة وإبداء الطاعة بسريرة صحيحة وقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رأفته ولزمه حكم بيعته وألزم طائره في عنقه

ويستعمل كل منكم في الوفاء ما أصبح به عليما (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)
 هذا قول أمير المؤمنين وعلى هذا عهد إليه وبه يعهد وما سوى هذا فهو فجور لا يشهد به عليه ولا يشهد وهو يعمل في ذلك كله ما تحمد عاقبته من الأعمال ويحمل منه ما يصلح له المال لا المال وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ويستعيذ بالله من الإهمال ويسأل الله أن يمهده بما يحب من الإبتهاال ولا يمد له حبل الإمهال ويختتم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان ويحمد الله وهو من الخلق أحمد وقد آتاه الله ملك سليمان والله تعالى يمتع أمير المؤمنين بما وهبه ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر الطويل عقبه ولا يزال على أسرة العلياء قعوده ولباس الخلافة به أبهة الجلالة كأنه ما مات منصورا ولا أودى مهديا ولا ذهب رشيد المذهب الرابع
 من البيعات التي تكتب للخلفاء أن تفتح البيعة بالحمد لله وهو الذي استقر

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عليه العمل في زماننا جريا على طريقة متأخرى كتاب الديار المصرية في كتابه عهود الخلفاء والملوك
وهذه نسخة بيعة أنشأتها مرتبة على موت الخليفة الذي قبله وهى
الحمد لله الذى جعل الأمة المحمدية أبذخ الأمم شرفا وأكرمها نجارا وأفضلها
سلفا وجعل رتبة الخلافة أعلى الرتب رتبة وأعزها كنفًا وخص الشجرة الطيبة
من قريش بأن جعل منهم الأئمة الخلفاء وآثر الأسرة العباسية منها بذلك دعوة
سبقت من ابن عمهم المصطفى وحفظ بهم نظامها على الدوام فجعل ممن
سلف منهم خلفا
نحمده على أن هيا من مقدمات الرشد ما طاب الزمان
به وصفا وجدد من رسوم الإمامة بخير إمام ما درس منها وعفا وأقام
للمسلمين إماما تارج الجو بنشره فأصبح الوجود بعرفه معترفا

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص تمسك بعهدتها فوفى
وأعطاه صفة يده للمبايعة فلا يبغى عنها مصرفا وأن محمدا عبده ورسوله
الذى تدارك الله به العالم بعد أن أشفى فشفى ونسخت آية دينه الأديان وجلا
بشرعته المنيرة من ظلمه الجهل سدفا وجعل مبايعة ميايعة لله يأخذه بالنكت
ويوفيه أجره على الوفا {صلى الله عليه وسلم} وعلى آله الأطهار وعترته
الشرفا ورضي الله عن أصحابه الذين ليس منهم من عاهد الله فغدر ولا واد
في الله فجفا خصوصا من جاء بالصدق وصدق به فكان له قرابة القرب
وصفوة الصفا والمرجوع اليه في البيعة يوم السقيفة بعدما اشرايت نحوها
نفوس كادت تذوب عليها اسفا والقائم في قتال اهل الردة من بني حنيفة حتى
استقاموا على الحنيفة السمحة حنفا ومن استحال دلو الخلافة في يده غربا
فكان اشد عبقرى
قائم بأمرها فكفى وعمت فتوحه الأمصار وحملت اليه اموالها فلم يمسكها
إقتارا ولم يبذر فيها سرفا ومن كان فضله لسهم الاختيار من بين اصحاب
الشورى هدفا وجمع الناس في القرآن على صحيفة واحدة وكانت قبل ذلك
صحفا ومن سرى اليه سر أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى
فغدى يجر من ذيل الفخار سجفا واستولى على المكارم من كل جانب فحاز
اطرافها طرفا طرفا وعلى سائر الخلفاء الراشدين بعدهم ممن سلك سبيل
الحق ولطريق الهدى اقتفى صلاة ورضوانا يذهبان الداء العضال من وخامة
الغدر ويجلبان الشفا ويرفعان قدر صاحبهما في الدنيا وبيوتان منتحلهما من
جنات النعيم غربا
أما بعد فإن عقد الإمامة لمن يقوم بأمر الأمة واجب الإجماع مستند لأقوى
دليل تنقطع دون نقضه الأطماع وتنبو عن سماع ما يخالفه الأسماع إذ العباد
مجبولون على التباين والتغاير مطبوعون على التخالف والتنافر مضطرون الى
التعاون والتجاور مفتقرون الى التعاضد

والتناصر فلا بد من زعيم يمنعهم من التظالم ويحملهم على التناصف في
التداعي والتحاكم ويقيم الحدود فتصان المحارم عن الانتهاك وتحفظ الأنساب

عن الاختلاط والاشتراك ويحمى بيضة الإسلام فيمنع ان تطرق ويصون الثغور أن يتوصل إليها أو يتطرق ليعز الإسلام دارا ويطمئن المستخفى ليلا ويأمن السارب نهارا ويذب عن الحرم فتحترم ويذود عن المنكرات فلا تغشى بل تصطلم ويجهز الجيوش فتنكا العدو ويغير على بلاد الكفر فيمنعهم القرار والهدو ويرغم أنف الفئة الباغية ويقمعها ويحجز الطائفة المبتدعة ويردعها ويأخذ أموال بيت المال بحقها فيطاوع ويصرفها الى مستحقيها فلا ينزع لا جرم اعتبر للقيام بها أكمل الشروط وأتم الصفات وأكرم الشيم وأحسن السمات وكان السيد الأعظم الإمام النبوي سليل الخلافة وولي الإمامة أبو فلان فلان العباسي المتوكل على الله مثلا امير المؤمنين رضوان الله عليه وعلى آبائه الراشدين

هو الذي جمع شروطها فوفاهها وأحاط منها بصفات الكمال واستوفاهها ورامت به ادنى مراتبها فبلغت به الى اغياها وتسور الى معاليها فرقى الى اعلاها واتحد بها فكان معنى صورتها ومغناها وكانت الإمامة قد تأيمت ممن يقوم بأعبائها وعزت خطابها لقلة أكفائها فلم تلف لها بعلا تطلبه يكون لها قرينا ولا كفوا تخطبه يكون لديها مكينا إلا الإمام الفلاني المشار اليه فدعت لخطبتها وهي بنت عرسه (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) فأجاب خطبتها ولى دعوتها لتحققه رغبته اليه وعلمه بوجوب إجابته عليه إذ هو شبيلها الناشئ بغاها وغيثها المستمطر من سحابها بل هو اسدها الهصور وقطب فلکها الذي عليه تدور ومعقلها الأمنع الحصين وعقدها الأنفس الثمين وفارسها الأروع وليثها الشهير وابن بجدتها الساقطة منه على الخبير وتلادها العليم بأحوالها والجدير بمعرفة أقوالها وأفعالها وترجمانها المتكلم بلسانها وعالمها المتفنن في افنانها وطيبها العارف بطبها ومنجدها الكاشف لكربها

وحين بلغت من القصد سولها ونالت بالإجابة منه مأمولها وحرم على غيره أن يسومها لذلك تلويحا أو يعرج على خطبتها تعريضا وتصريحا احتاجت الى ولي يوجب عقدها وشهود تحفظ عهدا فعندها قام السلطان الأعظم الملك الفلاني بالألقاب السلطانية الى آخرها خلد الله سلطانه ونصر جنوده وجيوشه واعوانه فانتصب لها وليا وأقام يفكر في أمرها مليا فلم يجد احق بها منه فتجنب عضلها فلم تكن تصلح الا له ولم يكن يصلح الا لها فجمع أهل الحل والعقد المعتزين للاعتبار والعارفين بالنقد من القضاة والعلماء والأمراء ووجوه الناس وأعيان الدولة والوزراء وأهل الخير والصلحاء وأرباب الرأي والنصحاء فاستشارهم في ذلك فصوبوه ولم يروا العدول عنه الى غيره بوجه من الوجوه فاستخار الله تعالى وبايعه فتبعه أهل الاختيار فبايعوا وانتهى ذلك الى الكافة فتابعوا وانقادوا لحكمه

وطاوعوا فقابل عقدها بالقبول بمحضر من القضاة والشهود فلزمت ومضى حكمها على الصحة وانبرمت ولما تم عقدها وطلع بصبح اليمن سعدها التمس المقام الشريف السلطاني الملكي الفلاني المشار إليه أعلى الله شرف سلطانه ورفع محله وقرن بالتوفيق في كل أمر عقده وحله أن يناله عهدا الوفي ويرد منها موردها الصفي ليرفع بذلك عن أهل الدين حجبا ويزداد من البيت النبوي قريبا فتعرض لنفحاتها من مقراتها وتطلب بركاتها من مظلماتها

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ورغب الى أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين أن يحدد له بعهد السلطنة الشريفة عقدا وبأخذ له من أهل البيعة بذلك عهدا ويستحلفهم على الوفاء لهما بما عاهدوا والوقوف عندما بايعوا عليه وعاهدوا ليقترن السعدان فيعم نوؤهما ويجمع النيران فيبهر ضوءهما فلباه تلبية راغب وأجابه إجابة مطلوب وإن كان هو الطالب وعهد اليه في كل ما تقتضيه احكام إمامته في الأمة عموما وشيوعا وفوض له حكم الممالك الإسلامية جميعا وجعل اليه أمر السلطنة المعظمة بكل نطاق وألقى اليه

مقاليدها وصرفه فيها على الإطلاق وأقامه على الأمة بعهد الخلافة وصيا وجعله للإمامة بتفويض الأمر اليه وليا ونشر عليه لواء الملك وقلده سيفه العضب والبسه الخلعة السوداء فايض من سوادها وجه الشرق والغرب وكتب له بذلك عهدا كبت عدوه وزاد شرفه وضاعف سموه وطولب أهل البيعة بالتوثيق على البيعتين بالإيمان فأذعنوا واستحلفوا على الوفاء فبالغوا في الأيمان وأمعنوا وأقسموا بالله جهد أيمانهم بعد أن اشهدوا الله عليهم في إسرارهم وإعلانهم وأعطوا المواثيق المغلظة المشددة وحلفوا بالإيمان المؤكدة المعقدة على أنهم إن اعرضوا عن ذلك وأدبروا أو بدلوا فيه أو غيروا أو عرجوا عن سبيله أو حادوا أو نقصوا منه أو زادوا فكل منهم برئ من حول الله وقوته إلى حول نفسه وقوته وخارج من ذمته الحصينة إلى ذمته وكل امرأة في نكاحه أو يتزوجها في المستقبل فهي طالق ثلاثا بتاتا وكلما راجعها فهي طالق طلاقا لا يقتضى إقامة ولا ثباتا وكل مملوك في ملكه أو ما يملكه في المستقبل حر لاحق بأحرار المسلمين وكل ما ملكه أو يملكه من جماد وحيوان صدقة على الفقراء

والمساكين وعليه الحج إلى بيت الله الحرام والوقوف بعرفة وسائر المشاعر العظام محرما من دويرة أهله ماشيا حاسرا عن رأسه وإن كان به أذى حافيا يأتي بذلك في ثلاثين حجة متتابعة على التمام لايجزئه واحدة منها عن حجة الإسلام وإهداء مائة بدنه للبيت العتيق كل سنة على الدوام وعليه صوم جميع الدهر إلا المنهى عنه من الأيام وأن يفك ألف رقبة مؤمنة من أسر الكفر في كل عام يمين كل منهم في ذلك على نية أمير المؤمنين وسلطان المسلمين في سره وجهره وأوله وآخره لانية للحالف في ذلك في باطن الأمر ولا في ظاهر لا يورى في ذلك ولا يستثنى ولا يتأول ولا يستفتى ولا يسعى في نقضها ولا يخالف فيها ولا في بعضها متى جنح إلى شئ من ذلك كان أثما وما تقدم من تعقيد الإيمان له لازما لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولا يجزئه عن ذلك كفارة أصلا كل ذلك على أشد المذاهب بالتخصيص وأبعدها عن التساهل والترخيص وأمضوها بيعة ميمونة باليمن مبتدأة بالنجح مقرونة وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من الأئمة الأعلام والشهود والحكام وجعلوا الله على مايقولون وكيفا فاستحق عليهم الوفاء بقوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) وهم يرغبون إلى الله أن يضاعف لهم بحسن نيتهم الأجور

ويلجؤون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) إن شاء الله تعالى
وهذه نسخة بيعة أنشأتها على هذه الطريقة مرتبة على خلع وهى
الحمد لله الذى جعل بين الخلافة مثابة للناس وأمانا وأقام سور الإمامة وقاية
للأنام وحصنا وشد منها بالعصاة القرشية أزرا وشاد منها بالعصبة العباسية ركنا
وأغاث الخلق بإمام هدى حسن سيرة وصفا سريرة فراق صورة ورق معنى
وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن

الانقياد إليه إعلى ولا أدنى ونزع جلبابها عن شغل قلبه بغيرها فلم يعرّها نظرا
ولم يصغ لها أذنا وصرف وجهها عن أساء فيها تصرفا فلم يرفع بها رأسا ولم
يعمر لها معنى
نحمده على نعم حلت للنفوس حين حلت ومنن حلت الخطوب حين حلت
ومسار سرت إلى القلوب فسرت ومبار أقرت العيون فقرت وعوارف أمت
ال خليفة فتوالت وما ولت وقدم صدق ثبتت إن شاء الله في الخلافة فما
تزلزلت ولا زلت
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا من درك الشكوك
كائلة ولمهاوى الشبه دارئة وللمقاصد الجميلة حاوية ولشقة الزبغ والارتباب
طاوية وأن محمدا عبده ورسوله الذى نصح للأمة إذ بلغ فشقى عليها وأوردها
من مناهل الرشدا ما أطفا وهجها وبرد غليلها وأوضح لهم مناهج الحق ودعاهم
إليها وأبان لهم سبل الهداية في) من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل
فإنما يضل عليها)
صلى الله عليه وسلم وعلى آله أئمة الخير وخير الأئمة ورضى عن أصحابه
أولياء العدل وعدول الأمة صلاة ورضوانا يعمان سائرهم ويشملان أولهم
وأخرهم سيما الصديق الفائز بأعلى الرتبتين صدقا وتصديقا والحائز قصب
السبق في الفضيلتين علما وتحقيقا ومن عدل الأنصار إليه عن سعد بن عبادة
بعد ما أجمعوا على تقديمه وبادر المهاجرون إلى بيعته اعترافا بتفضليه
وتكريمه والفاروق الشديد في الله بأسا واللين في الله جانبا والموفى للخلافة
حقا والمؤدى للإمامة واجبا والقائم في نصرة الدين حق القيام حتى عمت
فتوحه الأمصار مشارقا ومغاربا وأطاعته العناصر الأربعة إذ كان لله طائعا ومن
الله خائفا وإلى الله راغبا وذى النورين المعول عليه من بين سائر أصحاب
الشورى تنوبها بقدرة والمخصوص بالاختيار تفخيما لأمره من حصر في بيته
فلم يمنعه ذلك عن تلاوة كتاب الله وذكره وشاهد سيوف قاتليه عيانا فقابل
فتكاتها بجميل صبره وأبى الحسن الذى أعرض عن الخلافة

حين سئلتها واستعفى منها بعدما اضطر إليها وقبلها وكشف له عن حقيقة الدنيا
فما أم قبلتها بقلبه ولا ولى وجهه قبلها وصرح بمقاطعتها بقوله يا صفراء غرى
غبرى يا بيضاء غرى غبرى لما وصلها من وصلها وسائر الخلفاء الراشدين
بعدهم الناهجين نهجهم والواردين وردهم

أما بعد فإن للإمامة شروطاً يجب اعتبارها في الإمام ولو لم يفتقر فواتها في الابتداء ولا في الدوام وأوصافاً يتعين إعمالها وأداباً لا يسع إهمالها من أهمها العدالة التي ملاكها التقوى وأساسها مراقبة الله تعالى في السر والنجوى وبها تقع الهيئة لصاحبها في القلوب فيجل وتميل النفوس إليها فلا تمل فهي الملكة الداعية إلى ترك الكبائر واجتنابها والزاجرة عن الإصرار على الصغائر وارتكابها والباعثة على مخالفة النفس ونهيبها عن الشهوات والصارفة عن انتهاك حرمت الله التي هي أعظم الحرمات والموجبة للتعفف عن المحارم والحاملة عن تجنب الظلمات ورد المظالم والشجاعة التي بها حماية البيضة والذب عنها والاستظهار بالغزو على

نكاية الطائفة الكافرة والغض منها والقوة بالشوكة على تنفيذ الأوامر وإمضائها وإقامة الحدود واستيفائها ونشر كلمة الحق وإعلانها ودحض كلمة الباطل وإخفائها وقطع مادة الفساد وحسم أدوائها والرأي المؤدى إلى السياسة وحسن التدبير والمغنى في كثير من الأماكن عن مزيد الجد والتشمير والمعين في خدع الحرب ومكائده والمسعف في مصادر كل أمر وموارده 3 هذا وقد جعلنا الله تعالى أمة وسطاً ووعظنا بمن سلف من الأمم ممن تمرد وعتا أو تجبر وسطاً وعصم امتنا أن تجتمع على الضلال وصان جمعنا عن الخطأ في الفعل والمقال وندبنا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسوغ لأمتنا الاجتهاد في النوازل والأحكام فاجتهادهم لا يحظر ولا ينكر خصوصاً في شأن الإمامة التي هي أكد أسباب المعالم الدينية وأقواها وأرفع المناصب النبوية وأعلاها وأعز الرتب رتبة وأعلاها وأحقها بالنظر في أمرها وأولاها وكان القائم بأمر المسلمين الآن

فلان بن فلان الفلاني ممن حاد عن الصراط المستقيم وسلك غير النهج القويم ومال عن سنن الخلفاء الراشدين فأدركه الزلل وقارف المأثم فعاد بالخلل فعاث في الأرض فساداً وخالف الرشيد عنادا ومال إلى الغي اعتماداً وأسلم إلى الهوى قياداً قد انتقل عن طور الخلافة وعزيز الإنافة إلى طور العامة فاتصف بصفاتهم واتسم بسمااتهم فمنكر يجب عليه إنكاره قد باشره وصديق سوء يتعين عليه إبعاده قد أزره وظاهر إن سلك فسبيل التهمة والارتباب أو قصد أمراً نحا فيه غير الصواب منهمك على شهواته منعكف على لذاته متشاغل عن أمر الأمة بأمر بنيه وبناته الجبن رأس ماله وعدم الرأي قرينه في أفعاله وأقواله قد قنع من الخلافة باسمها ورضى من الإمامة بوسمها وظن أن السؤدد في لبس السواد فمال إلى الحيف وتوهم أن القاطع الغمد فقطع النظر عن السيف

ولما أطلع الناس منه على هذه المنكرات وعرفوه بهذه السمات وتحققوا فيه هذه الوصمات رغبوا في استبداله وأجمعوا على خلعه وزواله فلهجوا إلى السلطان

الأعظم الملك الفلاني بالألقاب السلطانية إلى آخرها نصر الله جنوده وأسمى جدوده وأرهب على عداة الله حدوده ففوضوا أمرهم في ذلك إليه وألقوا كلهم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عليه فجمع أهل الحل والعقد منهم ومن تصدر إليهم الأمور وترد عنهم فاستخاروا الله تعالى وخلعوه من ولايته وخرجوا عن بيعته وانسلخوا عن طاعته وجرده عن خلافته تجريد السيف من القراب وطووا حكم إمامته كطى السجل للكتاب وعندما تم هذا الخلع وانطوى حكمه على البيت والقطع التمس الناس إماما يقوم بأمور الإمامة فيوفيهما ويجمع شروطها ويستوفيهما فلم يجدوا لها أهلا ولا بها أحق وأولى وأوفى بها وأملى من السيد الأعظم الإمام النبوي سليل الخلافة ووليد الإمامه أبي فلان فلان العباسي الطالع الله مثلا أمير المؤمنين (179 أ) لزال شرفه باذخا وعرينه الشريف شامخا وعهد ولايته لعهد كل ولاية ناسخا فساموه ببيعته فلبى وشاموا برق ولايته فأجاب وما تأبى علما منه بانها تعينت عليه وانحصرت فيه فلم تجد أعلى منه فتعدل إليه إذ هو ابن بجدتها وفارس نجدتها

ومزيل غمتهما وكاشف كربتها ومجلى غياهبها ومحمد عواقبها وموضح مذاهبها وحاكمها المكين بل رشيدها الأمين فنهض المقام الشريف السلطاني الملكي الفلاني المشار إليه قرن الله مقاصده الشريفة بالنجاح وأعماله الصالحة بالفلاح وبدر إلى بيعته فبايع وأتم به من حضر من أهل الحل والعقد فتابع وقابل عقدها بالقبول فمضى ولزم حكمها فانقضى واتصل ذلك بسائر الرعية فانقادوا وعلموا صوابه فمشوا على سننه وماحادوا وشاع ذلك في الأوصار وطارت به مخلقات البشائر إلى سائر الأقطار فتعرفوا منه اليمن فسارعوا إلى امتثاله وتحققوا صحة الأمر وثباته بعد اضطرابه واعتلاله واستعاذوا من نقص يصيبه بعد تمامه بهذا الخليفة وكماله فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصرها وجميل وفائها وكريم مظهرها وجادت بجزيل الامتتان وتلا لسان كرمها الوفى على وليها الصادق (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فجدد له بالسلطنة الشريفة عهدا وطوق جيده بتفويضها إليه عقدا وجعله وصية في الدين

وولية في أمر المسلمين وقلده أمر الممالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها ومملكه أزمتهما وحقق له مواعيدها وعقد له لواءها ونشر عليه أعلامها وصرفه فيها على الإطلاق وفوض إليه أحكامها وألبسه الخلعة السوداء فكانت لسؤدده شعارا وأسبغ عليه رداءها فكان له دثار وكتب له العهد فسقى المعاهد صوب العهد ولهج الأنام بذكره فاطمأنت العباد والبلاد وعندما تم هذا الفصل وتقرر هذا الأصل وأمست الرعايا بما آتاهم الله من فضله فرحين وبنعمته مستبشرين طولب أهل البيعة بما يحملهم على الوفاء ويمنع بيتهم من التكدر بعد الصفاء من توثيق عقدها بمؤكد أيمانها والإقامة على الطاعة لخليفتها وسلطانها فبادروا إلى ذلك مسرعين وإلى داعية مهطعين وبالغوا في المواثيق وأكدوها وشددوا في الإيمان وعقدوها وأقسموا بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة عالم خائنة الأعين وما تخفى الصدور في البدء والإعادة على الوفاء لهما والموالة والنصح والمصافاة والموافقة والمشايعة والطاعة والمتابعة يوالون من والهما ويعادون من

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عاداهما لايقعدون عن مناصرتهم عند ملمة ولايرقبون في عدوهما إلا ولا ذمة جارين في ذلك على الدوام والاستمرار والثبوت واللزوم والاستقرار على أن من بدل منهم من ذلك شرطا أو أعفى له رسما أو حاد عن طريقة أو غير له حكما أو سلك في ذلك غير سبيل الأمانة أو استحل الغدر أو أضمر الخيانة معلنا أو مسرا في كله أو بعضه متأولا أو محتالا لإبطاله أو نقضه فقد برئ من حول الله المتين وقوته الواقية وركنه الشديد وذمته الواقية إلى حول نفسه وقوته وركنه وذمته وكل امرأة في عصمته الآن أو يتزوجها مدة حياته طالق ثلاث بصريح لفظه لا يتوقف على نية لا يفرق فيه بين زمن سنة ولا بدعة ولا رجعة فيه ولا مثنوية وكل مملوك في ملكه أو يملكه في بقية عمره من ذكر أو أنثى حر من أحرار المسلمين وكل ما هو على ملكه أو يملكه في بقية عمره إلى آخر أيامه من عين أو عرض صدقة للفقراء والمساكين وعليه الحج إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة بثلاثين عمرة راجلا حافيا حاسرا لا يقبل الله منه غير الوفاء بها باطنا ولا ظاهرا وإهداء

مائة بدنة في كل حجة منها في عسرتة ويسرتة لا تجزئة واحدة منها عن حجة الإسلام وعمرته وصوم الدهر خلا المنهى عنه من أيام السنة وصلاة ألف ركعة في كل ليلة لايباح له دون أدائها غمض ولا سنة لايقبل منه صرفا ولا عدلا ولا يؤجر على شئ من ذلك قولا ولا فعلا متى ورى في ذلك أو استثنى أو تأول أو استفتى كان الحنث عليه عائدا وله إلى دار البوار قائدا معتمدا في ذلك أشد المذاهب في سره وعلايته على نية المستحلف له دون نيته وأمضوها بيعة محكمة المباني ثابتة القواعد كريمة المساعي جميلة المقاصد طيبة الجنى جميلة العوائد قاطعة البراهين ظاهرة الشواهد وأشهدوا على أنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاء الإسلام وعلمائه وأئمة الدين وفقهائه بعد أن أشهدوا الله عليهم وكفى بالله شهيدا وكفى به للخائنين خصيما) فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (والله تعالى يجعل انتقالهم من ادنى إلى اعلى ومن يسرى إلى يمنى ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى) وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا (إن شاء الله تعالى

قلت والذي استقر عليه الحال في كتابة بيعات الخلفاء بالديار المصرية الآن أن يتعاطى كتابه البيعة كتاب الحكم الذين هم موقعوقضاة القضاة ولا إمام لهم بصنعة الإنشاء فإن وقعت العناية بكتابة تلك البيعة أمر كاتب السر من له ملكه في صنعة الإنشاء من رؤوس كتاب الديوان فأنشأ لها صدرا على طريقة كتاب الإنشاء مفتتحا بخطبة مشتملة على براعة استهلال تناسب المقام وتدفع إلى من يتعاطى كتابة تلك البيعة من كتاب الحكم فيصدر بها ما يكتبه ثم تأتي عقب ذلك بصورة الحال الواقعة في البيعة سردا ويشهد في آخرها وهذه نسخة بيعة الإمام الأعظم المعتضد بالله أبى الفتح خليفة العصر

الموضوع له هذا الكتاب وصدرها من إنشاء علامة العصر وإمام أهل الأدب الشيخ تقى الدين بن حجة مشيرا فيه إلى سلطانه القائم ببيعته الملك المؤيد أبى النصر شيخ ملوفا بذكر شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى

وهى

الحمد لله الذى شد عضد الأمة بمن أمسى به معتضدا وأسعفنا من البيت النبوى بخليفة ما برح شيخ الملوك في تقديم بيته الشريف مجتهدا وأقام العلم العباسي بعد أبى مسلم بأبى النصر فأكرم حسن الختام وحسن الابتداء فله الحمد أولا وآخرا وباطنا وظاهرا ونكرر حمده على سلطان مؤيد تحف به العلماء والأعلام وظهر لجلالهم في أيامه الزاهرة بهجة فقال موريا هذا زمان مشايخ الإسلام نحمده على حكمته التى اقتضت أن تكون الخلافة عمدة لأحكام يزول بها الالتباس وهو القائل (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس) وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له القادر الذى أطلع بدور الخلافة كاملة في المطالع

الهاشمية وبل ظمأ الإسلام لسقايتها العباسية ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى يجب تقديم آل بيته في إيضاح كل أمر وإشكاله فصلى الله عليه وعلى آله صلاة يصل بها الحق إلى أربابه وينتظم شمل أبى الفتح بأبى النصر في ذهاب كل منهما وإيابه ما تراعت في مدائحه النظائر وملئت بالبديع بطون الدفاتر تنبيه قد ذكر محمد بن عمر المدائنى في كتاب القلم والدواة أنه كان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثى طومار والطومار هو الفرخة الورق الكاملة والمراد الورق البغدادي فإن الخلافة ببغداد كانت وحينئذ فكانت البيعات تكتب في قطع الثلثين المذكور والذى يظهر أن ذلك كان في أول أمرهم وأنه بعد ذلك كان يكتب لهم في قطع البغدادي الكامل أما الآن فالذى استقر عليه الحال فيما يكتب فيه بيعات الخلفاء من بنى العباس بالديار المصرية

الفصل الثاني من الباب الثاني فيما يكتب للخلفاء من العهود وهى ما يكتب لمن يقوم بالخلافة بعهد من الخليفة قبله بالشروط المعتبرة في ذلك على ما تقدم ذكره في الكلام على الطرق التى تنتقد بها الإمامة في الباب الأول من الكتاب وقد تقدم هناك أن الصديق رضى الله عنه عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب له بها عهدا بخط بن عثمان رضى الله عنه وللكتاب في كتابه عهود الخلفاء للخلفاء مذهبان المذهب الأول

أن يفتح العهد بلفظ هذا ما عهد فلان لفلان أو هذا عهد فلان لفلان أو هذا كتاب كتيبه فلان لفلان وما أشبه لك ثم يؤتى بوصف الخليفة والتنبيه على وجه استحقاقه الموجب لتقدمه على غيره

ثم يذكر تفويض الخلافة إليه بعد العاهد ويؤتى من وصيته بما يناسب المقام مقتصرًا في ذلك على الإشارة والتلويح غير مصرح فيه بلفظ الأمر كما يقال في عهود الملوك أمرة بكذا وأمره بكذا على ما سيأتى في ذكر عهودهم للمملوك تعظيما لشأن ولى العهد بالخلافة وتشريفا لمقامه عن أن يكون مأمور وعلى هذه الطريقة كانت عهود الخلفاء من السلف رضوان الله عليهم وعلى نهجها مشى أفاضل الكتاب المعبرين بديوان الخلافة في العراق واختاره أفاضل الكتاب من المتأخرين بالديار المصرية وصرحوا باختياره في

مصنفاتهم والأصل في ذلك ما روى أن الصديق رضى الله عنه كتب في عهده بالخلافة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخط عثمان بن عفان ونسخته هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة إنى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذلك ظنى به وإن بدل أو غير فلا علم لى بالغيب والخير أردت بكم ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم) وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (ثم تصرفوا فيه بعد ذلك بالزيادة وبسط القول وعلى هذا الأسلوب كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بنى أمية عهده لعمر بن عبد العزيز ثم يزيد بن عبد الملك بن مروان بعده وهذه نسخته

فيما ذكره ابن قتيبة في تاريخه

هذا ما عهد عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد أنه يشهد لله عز وجل بالربوبية والوحدانية وأن محمدا عبده ورسوله ص بعثه إلى محسنى عباده بشيرا وإلى مذنبهم نذيرا وأن الجنة والنار مخلوقتان حق خلق الجنة رحمة وجزاء لمن أطاعه والنار نقمة وجزاء لمن عصاه وأوجب العفو جودا وكرما لمن عفى عنه وأن سليمان مقرر على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه وبما تعلمه نفسه من معصية ربه موجبا على نفسه استحقاق ما خلق من النعمة راجيا لنفسه ما خلق خيرها وشرها مقدورة بإرادته متكونة بتكوينه وأنه الهادى فلا مغوى ولا مضل لمن هداه وخلق له رحمته وأنه الفاتن فلا هادى ولا مرشد لمن فتنه وخلق له لنقمته وأنه يفتن المؤمن في قبره بالسؤال عن دينه ونيبه الذى أرسل إلى أمته لا منجى لمن خرج من الدنيا إلى الآخرة من هذه المسألة إلا لمن استثناه عز وجل في علمه وسليمان يسأل الله الكريم بواسع فضله وعظيم منه الثبات على ما أسر وأعلن من معرفة حقه وحق نبيه عند مسألة رسله والنجاة من هول فتنة فتانية ويشهد أن الميزان يوم القيامة حق يقين يزن سيئات المسيئين وحسنات المحسنين ليري عبادة من عظيم قدرته ما أراد من تعبده لعباده بما لم يكونوا يحتسبون وأن من ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه يومئذ فأولئك هم الخاسرون وأن حوض محمد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يوم الحشر والموقف للعرض حق وأن عدد أنبيته كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وسليمان يسأل الله بواسع رحمته أن لا يردده عن حوض نبيه عطشان وأن أبا بكر وعمر خير هذه الأمة بعد نبيها والله يعلم بعدهما حيث الخير وفيمن الخير من هذه الأمة وأن هذه الشهادة كلها المذكورة في عهده هذا يعلمها الله من سره وإعلانه وعقد ضميره وأنه بها عبد ربه في سالف أيامه وماضى عمره وعليها

أناه يقين ربه وتوفاه اجله وعليها يبعث بعد موته إن شاء الله وأن سليمان كان له بين هذه الشهادة بلايا وسيئات لم يكن له عنها محيد ولا بد جرى بها عليه المقذور من الرب النافذ إلى إتمام ما حد فإن يعف ويصفح فذاك ما عرف منه

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

قديمًا ونسب إليه حديثًا وتلك صفته التي وصف بها نفسه في كتابه الصادق وكلامه الناطق وإن يعاقب وينتقم فيما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد وأن سليمان يرح على من قرأ عهده هذا وسمع ما فيه من حكمه أن ينتهى إليه في أمره ونهيه بالله العظيم ومحمد رسوله الكريم و أن يدع الإحن المضغنة ويأخذ بالمكارم المدجنة ويرفع يديه إلى الله بالضمير النصوح والدعاء الصحيح والصفح الصريح يسأله العفو عنى والمغفرة لى والنجاة من فزعى والمسألة في قبرى لعل الودود أن يجعل منكم مجاب الدعوة بما من على من صفحة يعود إن شاء الله وأن ولى عهد سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وصاحب أمره بعد موته في جنده ورعيته

وخاصته وعامته وكل من استولانى الله عليه واسترعانى في النظر فيه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن عمى لما بلوت من باطن أمره وظاهره ورجوت الله بذلك ورضاه ورحمته إن شاء الله ثم من بعده يسلم إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان إن بقى بعده فإنى ما رأيت منه إلا خيرا ولا أطلعت له مكروها وصغار ولدى وكبارهم إلى عمر إذ رجوت أن لا يألوهم رشدا وصلاحا والله خليفتى عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين وهو أرحم الراحمين وأقروا لعهدى عليكم السلام ورحمة الله ومن أبى من أمرى هذا أو خالف عهدى هذا وأرجوا أن لا يخالفه أحد من أمة محمد فهو ضال مضل مستعتب فإن اعتب وإلا فإنى لمن خالف عهدى فيهم بالسيف السيف والقتل القتل فإنهم مستوجبون لهما وهم لهيبته ملقحون والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان وعلى هذا

كتب المأمون بخطه عهد على بن موسى العلوى المعروف بالرضى بالخلافة بعده وهذه نسخته

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده لعلى بن موسى بن جعفر ولى عهده

أما بعد فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام ديننا واصطفى له من عباده رسلا دالين عليه وهادين إليه يبشر أولهم بأخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتهت نبوة الله إلى محمد {صلى الله عليه وسلم} على فترة

من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من الساعة فختم الله به النبيين وجعله شاهدا لهم ومهيما عليهم وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (بما أحل وحرّم ووعد وأوعد وحذر وأنذر وأمر به ونهى عنه لتكون له الحجة البالغة على خلقه و) ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم (فبلغ عن الله رسالته ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة التى هي أحسن ثم بالجهد والغلظة حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده {صلى الله عليه وسلم} فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد {صلى الله عليه وسلم} الوحي والرسالة جعل له قوام الدين ونظام أمر المسلمين بالخلافة وإتمامها وعزها والقيام بحق الله فيها بالطاعة التى بها تقام فرائض الله وحدوده وشرائع الإسلام وسننه ويجاهد بها عدوه فعلى خلفاء

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الله طاعته فيما
استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده وعلى المسلمين طاعة خلفائهم
ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله وأمن السبل وحقن الدماء وصلاح ذات
البين وجمع الألفة وفي إخلال ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم
واختلاف ملتهم وقهر دينهم واستعلاء عدوهم وتفرق الكلمة وحسرات الدنيا
والآخرة

فحق على من استخلفه الله في أرضه وائتمنه على خلقه أن يؤثر ما فيه رضى
الله وطاعته ويقر لما الله واقفة عليه وسائلة عنه ويحكم بالحق ويعمل بالعدل
فيما حملة الله وقلده فإن الله عز وجل يقول لنبه داود عليه السلام (يا داود
إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب) وقال عز وجل (فورك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وبلغنا
أن

عمر بن الخطاب قال لو ضاعت سخلة بجانب الفرات لتخوفت أن يسألنى الله
عنها وأيم الله أن المسؤول عن خاصة نفسه الموقوف على عمله فيما بين الله
وبينه متعرض لأمر كبير وعلى خطر عظيم فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمة
وبالله الثقة وإليه المفرغ والرغبة في التوفيق مع العصمة والتسديد والهداية
إلى ما فيه ثبوت الحجة والفوز من الله بالرضوان والرحمة وأنظر الأئمة لنفسه
وأنصحهم لله في دينه وعباده وخلافته في أرضه من عمل بطاعة الله وكتابه
وسنة نبيه عليه السلام في مدة أيامه واجتهد وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه
عهده ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده وينصبه علما لهم ومفزعاً في
جميع ألفتهم ولم شعثهم وحقن دمائهم والأمن بإذن الله من فرقتهم وفساد
ذات بينهم واختلافهم ورفع نزع الشيطان وكيدهم فإن الله عز وجل جعل
العهد بالخلافة من تمام أمر الإسلام وكمالهم وعزة وصلاح اهله وأهملهم

خلفاء من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة وشملت فيه
العافية ونقض الله بذلك مر أهل الشقاق والعداوة والسعى في الفرقة
والرفض للفتنة ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختر بشاعة
مذاقها وثقل حملها وشدة مؤنتها وما يجب عليه من تقلدها من ارتباط طاعة
الله ومراقبته فيما حملة منها فأنصب بدنه وأسهر عينه وأطال فكره فيما فيه
عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة
ومنع ذلك من الخفض والدعة مهناً العيش علما بما الله سائله عنه وحرصاً أن
يلقى الله مناصحة في دينه وعبادة ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده
أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه
مناجياً الله بالاستخارة في ذلك

ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره ومعملاً في طلبه
والتماسه من أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلى بن أبي طالب فكره
ونظره مقتصرًا ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه وبالغا في المسألة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

عمن خفى عليه امره جهده وطاقته حتى استقصى امورهم بمعرفته وابتلى اخبارهم مشاهده وكشف ما عندهم مسائلة فكانت خيرته بعد استخارته لله واجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده من البيتين جميعا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما رأى فضله البار وعمله الناصع وورعه الظاهر وزهده الخالص وتخليه من الدنيا وتسلمه من الناس وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا وناشئا وحدثا ومكتهلا فقعده له بالعهد بالخلافة إيثارا لله والدين ونظرا للمسلمين

وطلبا للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعوه مسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو أشبك به رحما وأقرب قرابة وسماه الرضى إذا كان رضى عند أمير المؤمنين فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين ومن المدينة المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين الرضى من بعده على اسم الله وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده بيعة مبسوطة إليها أيديكم منشحة لها صدوركم عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها وأثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من قضاء حقه في رعايتكم وحرصه على رشدكم وصلاحكم راجين عائده في ذلك في جمع ألفتكم وحقق دمائكم ولم شعثكم وسد ثغوركم وقوة دينكم ورغم عدوكم واستقامة أموركم وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين فإن الأمر إن سارعتم إليه وحمدتم الله عليه عرفتم الحظ فيه إن شاء الله

وكتب بيده يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ثم إنه تقدم إلى علي بن موسى وقال له اكتب خطك بقبول هذا العهد وأشهد الله والحاضرين عليك بما تعده في حق الله ورعاية المسلمين فكتب على الرضى تحته

الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله والطيبين الطاهرين أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ورفع بالرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاما قطعت وأمن أنفسا فزعت بل أحيائها وقد تلفت وأغناها إذ

افتقرت متتبعا رضى رب العالمين لا يريد جزاء من غيره وسيجزى الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين وإنه جعل إلى عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده فمن حل عقدة أمر الله بشدها أو فصم عروة أحب الله إيثاقها فقد أباح حريمة وأحل محرمة إذ كان بذلك زاريا على الإمام منتهكا حرمة الإسلام بذلك وجرى السالف فصبر منه على الفلتات ولم يعترض بعدها على العزمات خوفا على شتات الدين واضطراب جبل المسلمين ولقرب أمر الجاهلية ورسد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

فرصة تنتهز وبأئقة تتدر وقد جعلت الله تعالى على نفسى إن استرعانى على المسلمين وقلدى خلافته العمل فيهم عامة وفي بنى العباس بن عبد المطلب خاصة بطاعته وسنة رسوله { صلى الله عليه وسلم } أن لأسفك دما حراما ولا أبيع فرجا ولا مالا إلا ما سفكه حدوده وأباحته فرائضه وأن أتخير الكفاة جهدى وطاقتى جعلت بذلك على نفسى عهدا مؤكدا يسألنى عنه فإنه عز وجل يقول) وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا (فإن حدث أو غيرت أو بدلت كنت للغير مستحقا وللنكال متعرضا وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والحوار بينى وبين معصيته في عافية والجامعة والحصار يدلان على ضد ذلك) وما أدري ما يفعل بي ولا بكم () إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين (لكنى امتثلت أمر أمير المؤمنين وأثرت رضاه والله يعصمنى وإياه وأشهدت الله على نفسى بذلك) وكفى بالله شهيدا) وكتبت بخطى بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والفضل بن سهل وسهل بن الفضل ويحيى بن أكرم والبشر بن المعتمر وحماد بن النعمان في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين

ثم كتب فيه من حضر من هؤلاء وهذه صورة كتابتهم فيه
فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ما صورته

رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه بحرم سيدنا رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد ومرأى ومسمع من وجوه بنى هاشم وسائر الأولياء والأجناد وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع المسلمين وأبطل الشبهة التى كانت اعترضت آراء الجاهلين) ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه)

وكتب الفضل بن سهل في التاريخ المعين فيه
وكتب عبد الله بن طاهر ما صورته
أثبتت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر بن الحسين
وكتب يحيى بن أكرم القاضى ما صورته شهد يحيى بن أكرم على مضمون هذه
الصحيفة ظهرها وبطنها وكتب بخطه بالتاريخ
وكتب حماد بن النعمان ما صورته شهد حماد بن النعمان بمضمونه ظهره
وبطنه وكتب بيده بتاريخه

وكتب بشر بن المعتمر وكتب ما صورته
شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وكتب بخطه بالتاريخ
المذهب الثانى
في العهود التى تكتب للخلفاء أن يفتح العهد بالحمد لله
قلت وعليه العمل في زماننا مع الاقتصار على تحميده وأحدة والاختصار في
القول

وعلى ذلك
كتب عن أمير المؤمنين المستكفى بالله أبى الربيع سليمان لولده المستوثق
بالله بركة

وهذه نسخته
الحمد لله الذى أيد الخلافة العباسية بأجل والد وأبر ولد وجعلها كلمة باقية
بالسند والسند فالسند وأواها من إمرتهم إلى الكهف فالكهف وإن تنهى العدد
وزان عطفها بسؤدد سواد شعارهم المسجلة أنواره ولا شك أن النور في
السواد وعذق بصولتهم النبوى

معجزها كل مناد نحمده على ما من به من تمام النعمة فيهم ونزول الرحمة
ببواقهم ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة محضة الإخلاص
كافلا محضها بالفكاك من أسر الشرك والإخلاص ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله المبعوث بما أوضح سبل الرشاد وقمع أهل العناد والشفيع المشفع
يوم التناد {صلى الله عليه وسلم} وعلى آله وصحبه صلاة لانقضاء لها ولانفاذ
وسلم تسليمًا كثيرًا

وبعد فإن أمير المؤمنين ويذكر اسمه يعتصم بالله في كل ما يأتى ويذر مما
جعل له من التفويض ويشير إلى الصواب في كل تصريح منه وتعريض وإنه شد
الله أزره وعظم قدره استخار الله سبحانه وتعالى في الوصية بما جعله له من
الخلافة المعظمة المفخمة الموروثة عن الآباء والجدود الملقاة إليه مقاليدها
كما نص عليه ابن عمه {صلى الله عليه وسلم} في الوالد من قريش
والمولود لولده السيد الأجل المعظم المكرم فلان سليل الخلافة وشبل غابها
ونخبة أحسابها وأنسابها اجله الله وشرفه وجمل به عطف الإمامة وفوفه لما
تلمحة فيه من النجاة اللائحة على شمائله وظهر من مستوثق إبداء سره فيه
بدلائل برهانه وبرهان دلائله وأشهد على نفسه الكريمة صانها الله تعالى سيدنا
ومولانا أمير المؤمنين من حضر من حكام المسلمين قضاة قضاتهم وعلمائهم
وعدولهم مجلسه الشريف أنه رضى أن يكون الأمر في الخلافة المعظمة الذى
جعله الله له الآن لولده السيد الأجل فلان بعد وفاته فسخ الله في أجله وعهد
بذلك إليه وعول في أمر الخلافة عليه وألقى إليه مقاليدها وجعل بيده زمام
مبدئها ومعيدتها وصى له بذلك كله جزئيه وكلية وغمضه وجليه وصية شرعية
بشروطها اللازمة المعتمدة وقواعدها المحررة وأشهد عليه بذلك في تاريخ كذا
قلت وقد أنشأت على هذه الطريقة عهدا على لسان الإمام الأعظم المتوكل
على الله أبى عبد الله محمد لابنه الإمام الأعظم المستعين بالله أبى الفضل
العباس امتحانا للذهن

قبل وفاة المتوكل وانتقال الخلافة بالبيعة لابنه المستعين بنحو ثمان سنين
فاتفق أن كان هو الذى ولى الخلافة بعده من اولاده
وهذه نسخته

هذا عهد سعيد الطالع ميمون الطائر مبارك الأول جميل الأوسط حميد الآخر
تشهد به حضرات الأملاك وترقمه كف الثريا باقلام القبول في صحائف الأفلاك
وتباهى به ملوك الأرض ملائكة السما وتسرى بنشره القبول فتنشر له بكل
ناحية علما وتطلع به سعادة الجد من ملوك العدل في كل أفق نجما وترقص
من فرحها الأنهار فتنقطعها شمس النهار بذهب الأصيل على صفحات الما عهد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

به عبد الله ووليه أبو عبد الله محمد المتوكل على الله أمير المؤمنين إلى ولده
السيد الجليل عدة الدين وذخيرته وصفي أمير المؤمنين من ولده وخيرته
المستعين بالله أبي الفضل العباس بلغ الله
فيه أمير المؤمنين غاية الأمل وأقر به عين الخلافة العباسية كما أقر به عين
أبيه وقد فعل
أما بعد فالحمد لله حافظ نظام الاسلام وواصل سببه ورافع بيت الخلافة وماد
طنبه وناظم عقد الإمامة المعظمة في سلك بني العباس وجاعلها كلمة باقية
في عقبه
والحمد لله الذي عذق أمر الأمة منهم بأعظمهم خطرا وأرفعهم قدرا وأرجحهم
عقلا وأوسعهم صدرا وأجزلهم رأيا وأسلمهم فكرا
والحمد لله الذي أقر عين أمير المؤمنين بخير ولي وأفضل ولد وشد ازره
بأكرم سيد وأعز سند وصرف اختيار اختياره إلى من إذا قام بالأمر بعده قيل
هذا الشبل من ذاك الأسد
والحمد لله الذي جمع الآراء على اختيار العاهد فما قلوه ولا رفضوه وجبل
القلوب على حب المعهود إليه فلم يروا العدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه
والحمد لله الذي جدد للرعية نعمة مع بقاء النعمة الأولى وأقام لأمر الأمة من
بني عم نبيه المصطفى الأولى بذلك
فالأولى واختار لعهد المسلمين من سبقت إليه في الأزل إرادته فأصبح في
النفوس معظما وفي القلوب مقبولا

والحمد لله الذي أضحك الخلافة العباسية بوجود عباسها وأطاب بذكره رباها
فتعطر الوجود بطيب أنفاسها ورفع قدرة بالعهد إليه إلى أعلى رتبة منيفة
وخصه بمشاركة جده العباس في الأسم والكنية ففاز بما لم يفز به قبله منهم
ست وأربعون خليفة
والحمد لله الذي أوجب على الكافة طاعة إولى الأمر من الأئمة وألزمهم
الدخول في بيعة الإمام والانقياد إليه ولو كان عبدا أسود فكيف بمن أجمع على
سؤدده الأمة وأوضح السبيل في التعريف بمقام الأكل والعزة النبوية فلا)
أمركم عليكم غمة)
يحمده أمير المؤمنين على ما منحه من طيب أرومة سمت أصلا وزكت فرعا
وحياه من شرف محتد راق نظرا وشاق
سمعا ووصله به من نعم أثرت نفاعا وأثرت نفعاً
ويشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة يتوارثونها كالخلافة كابر
كابر ويوصى بها أبدا الأول منهم الآخر ويؤذن قيامهم بنصرتها أنهم معدن
جوهرها النفيس ونظام عقدها الفاخر ويشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي خص عمه العباس بكريم الحياء وشريف الإنافة ونبه على بقاء الأمر في
بنيه بقول ضل من اظهر عناده أو أضمر خلافة حيث أسر إليه ألا أبشرك يا عم
بى ختمت النبوة وبولدك تختم الخلافة { صلى الله عليه وسلم } وعلى آله
وصحبه صلاة تعم بركتها الولد والوالد ويشمل معروفها المعهود إليه ويعرف
شرفها العاهد ويعترف بفضلها المقر ولا يسع إنكارها الجاحد مانوة بذكر
الخلافة العباسية على أعواد المنابر وخفقت الرايات السود على عساكر
المواكب ومواكب العساكر وسلم تسليمًا كثيرا

هذا وكل راع مسئول عن رعيته وكل امرئ محمول على نيته مخبر بظأهره عن جميل ما أكنه في صدره وما أسره في طوبته والإمام منصوب للقيام بأمر الله

تعالى في عباده مأمور بالنصيحة لهم جهد طاقته وطاقته اجتهاده مطلوب بالنظر في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبدء أمرهم ومعاده ومن ثم اختلفت آراء الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت مقاصدهم وتنوعت اختياراتهم بحسب الاجتهاد واختلفت مواردهم فعهد الصديق إلى عمر بن الخطاب متثبنا وتركها عمر شورى في ستة وقال أتحمل أمركم حيا وميتا وأتى رضى الله عنه لكل من المذهبين بما أذعن له الخصم وسلم فقال إن أعهد فقد عهد من هو خير منى أبو بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخذ الخلفاء في ذلك بسنتهما ومشوا فيه على طريقتهما فمن راعب عن العهد وراعب فيه وعاهد إلى بعيد منه وآخر إلى ابنه أو أخيه كل منهم بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده وتقوى عليه عزيمته ويترجح لديه اعتماده

ولما كان أمير المؤمنين أحسن الله مثابه قد نور الله عين بصيرته وخصه بطهارة سره وصفاء سريرته وآتاه الله الملك والحكمة وإقامة لمصالح الرعية وصلاح أمر الأمة وعلمه مما يشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم واصطفاه على أهل عصره وزاده بسطة في العلم والجسم فلا يعزم أمرا إلا كان رشادا ولا يعتمد فعلا إلا ظهر سدادا ولا يرتئى رأيا إلا ألقى صوابا ولا يشير بشئ إلا حمدت آثاره بدايه ونهاية واستصحابا ومع ذلك فقد بلا الناس وخيرهم وعلم بالتجربة حالهم وخبرهم وأطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم وما به مصلحة خاصتهم وجمهورهم وترجح عنده جانب العهد على جانب الإهمال ورأى المبادرة إليه أولى من الإمهال ولم يزل يروى فكرته ويعمل رويته فيمن يصلح لهذا الأمر بعده وينهض بأعبائه الثقيلة وحده ويتبع فيه سبله ويسلك طرائقه ويقضى في السيرة الحسنة أثره ويشيم في العدل بوارقه ويقبل على الأمر بكلية ويقطع النظر عما سواه ويتفرغ له من كل شاغل فلا يخالطه بما عداه وقد علم أن الأحق بأن يكون لها حليفا من كان بها

خليقا والأولى بان يكون لها قرينا من كان بوصلها حقيقا والأجدر أن يكون لديها مكيئا من اتخذ معها يدا وإلى مرضاتها طريقا والأليق بمنصبها الشريف من كان مطلوبها مليا والأحرى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وفيا والأوفق لمقامها العالى من كان خيرا مقاما وأحسن نديا وكان والده السيد الأجل أبو الفضل العباس المشار إليه هو الذى وجهت الخلافة وجهها إلى قبلته وبالغت في طلبه وألحت في خطبته على أنه قد أرضع بلبانها وربى في حجرها وانتسب إليها بالنبوة فضمته إلى صدرها وكيف لا تتشبت بجماله وتتعلق بأذياله وتطمع في قربه وتتغالى في حبه وتميل إلى أنسه وتراوده عن نفسه وهو كفؤها المستجمع لشرائطها المتصف بصفاتنا ونسبها السامى إلى أعاليها الراقى على شرفاتها إذ هو شبلها الناشئ في آجامها بل أسدها الحامى لحماها

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ومجيرها الوافى بذمامها وفارسها المقدم في حلبه سباقها ووارثها الحائر
لجميع سهامها وحاكمها الطائع لأمرها ورشيدها المأمون على سرها وناصرها
القائم بواجبها

ومهدبها الهادى إلى أفضل مذاهبها فقد التحف من الخلافة بردائها وسكن من
القلوب في سويدائها وتوسمت الآفاق تفويض الأمر إليه بعد أبيه فظهر الخلق
في أرجائها واتبع سيرة أبيه في المعروف واقتفى أثره في الكرم وتشبه به في
المفاخر ومن يشابهه أبه فما ظلم وتقبل الله دعاء أبيه فوهب له من لدنه وليا
وأجاب ندائه فيه فمكّن له في الأرض وآتاه الحكم صبيا فاستوجب أن يكون
حينئذ للمسلمين ولى عهدهم واليا على أمورهم في حلهم وعقدهم متكفلا
بالأمر في قرية وبعده معينا لأبيه في حياته خليفة له من بعده وأن يصرح له
بالاستخلاف ويوضح ويتلو عليه بلسان التفويض (اخلفني في قومي وأصلح)

واقترضت شفقة أمير المؤمنين ورأفته ورفقه بالأمة ورحمته أن ينصب لهم ولى
عهد يكون بهذه الصفات متصفا ومن بحره مغترفا ومن ثمار معروفة المعروف
مقتطفا ولمنله العذب واردا وعلى بيته الشريف وسائر الأمة بالخير عائدا فلم
يجد من هو

مستكمل لجميعها مستوعب لأصولها وفروعها وهو بمطلوبها املى وعلى قلوب
الرعية أحلى وللغليل أشفى وبالعهد الجميل أوفى من ولده المشار إليه
فاستشار في ذلك أهل الحل والعقد من قضاته وعلمائه وأمرائه ووزارته وذويه
وأقاربه وبنيه وأعيان أهل العصر وعامته وجمهوره وكافته فراوه صوابا فلم
تعرفهم فيه ظنة ولا مسترابا ولا وجد أحد منهم إلى باب غيره طريقا ولا إلى
طريق غيره بابا فاستخار الله تعالى فيه فأقبل خاطره الشريف عليه وكرر
الاستخارة فلم يجد عنه محيدا إلا إليه فلما رأى أن ذلك أمر قد انعقد عليه
الإجماع قولا وفعلا وعدم فيه المخالف بل لم يكن أصلا حمد الله تعالى وأثنى
عليه وسأله التوفيق ورغب إليه وجدد الاستخارة وعهد إليه بأمر الأمة وقلده ما
هو متقلده من الخلافة المقدسة بعده على عادة من تقدمه من الخلفاء
الماضين وقاعدة من سلف من الأئمة المهديين وفوض إليه ما هو من احكامها
ولوازمها وأصولها ومعالمها من عهد ووصاية وعزل وولاية وتفويض
وتقليد وانتزاع وتخليد وتفريق وجمع وإعطاء ومنع ووصل وقطع وصلة وإدرار
وتقليل وإكثار جزئها وكنيتها وخفيها وجليها ودانيها وقاصيها وطائعيها وعاصيها
تفويضا شرعيا تاما مرضيا جامعا لأحكام الولاية جمعا يعم كل نطاق ويرى
حكمه في جميع الآفاق ويدخل تحته سائر الأقاليم والأمصار على الإطلاق لا
يغير حكمه ولا ينجلي رسمه ولا يطيش سهمه ولا يافل نجمه

قبل المعهود إليه أعلى الله مقامه ذلك بمحضر من القضاة الحكام والعلماء
الأعلام ولزم حكمه وانبرم وكتب في سجلات الأفلاك وارتسم وحملت رسائله
مع برد السحاب وطاقفت به على سائر الأمم وهو أبقاه الله مع ما طبعت عليه
طباعة السليمة وجبلت عليه سجايه الشريفة وأخلاقه الكريمة قد تلقى عن
أمير المؤمنين من شريف الآداب ما غذى به في مهده وتلقف منه من حسن

الأدوات ما يرويه بالسند عن أبيه
وجده مما انطبع في صفاء ذهنه الصقيل وانتقش في فهمه واختلط من حال
طفوليته بدمه ولحمه حتى صار طبعاً ثانياً وخلقا على ممر الزمان باقياً واجتمع
لديه الغريزي فكان أصلاً ثابتاً وفرعاً على ذلك الأصل القوي نابتاً لكن أمير
المؤمنين يوصيه تبركا ويشرح له ما يكون به إن شاء الله تعالى متمسكا
والمرء إلى الأمر بالخير مندوب ووصية الرجل لبيه مطلوبة فقد قال تعالى (
ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب)
فعليك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجا والتقوى رأس ما لك (ومن يتق
الله يجعل له مخرجا) (والجأ إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لجا وكتاب الله
هو الحبل المتين والكتاب المبين والمنهج القويم والسبيل الواضح والصراف
المستقيم فتمسك منه بالعروة الوثقى واسلك طريقته المثلى واهتد بهديه فلا
تضل ولا تشقى وسنة نبيه محمد { صلى الله عليه وسلم } عليك بالاعتداء

بأفعالها الواضحة والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة عالما بان الكتاب والسنة
أخوان لايفترقان ومتلازمان بحبل التباين لايعتلقان والبلاد والرعايا فحطمها
بنظرك ما استطعت وتثبت في كل قطع ووصل فأنت مسؤول عن كل ما
وصلت وقطعت والآل والعزة النبوية ففهما حق القرابة منك ومن رسول الله
{ صلى الله عليه وسلم } الذي شرفت به واعلم أنك إذا أكرمت أحداً منهم
فإنما أكرمته بسببه واتبع في السيرة سيرة آبائك الخلفاء الراشدين لاتزغ عنها
ولا تعمل إلا بها وبما هو إن استطعت خير منها واقف في المعروف آثارهم
المقدسة لتحوى من المآثر ما حووا وأخذ حذوهم في طريقهم المباركة وابن
المجد كما بنوا وأحى من العمل سنة سلفك المصطفين الأخيار واحرص أن
تكون من الأئمة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه (ويوم يقوم الأشهاد يوم لا
ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)
وأسلف خبراً تذكر به على مر الليالي وينتظم ذكره لك في عقود الأيام كما
تنتظم في السلك اللأئى وليكن قصدك وجه الله ليكون في نصرتك فإن من
كان الله تعالى ف نصرته لايبالى ولتعلم حق اليقين أن حسنه الإمام تضاعف
بحسب ما يترتب عليه من المصالح أو يتجدد بسببها وسيئته كذلك فمن سن
سيئة كان عليه إثمها وإثم من عمل بها ودر مع الحق كيف دار ومل معه حيث
مال واعلم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم
سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه (ولا يخطر ببالك أن هذا الأمر انتهى إليك
بقوة أو يغيرك ما قدمناه من الثناء عليك فالتأثر بالمدح مخل بالمرورة ولا تتكل
على نسبك فمن اطاع الله أدخله الجنة ولو كان عبدا حبشياً ومن عصاه أدخله
النار ولو كان هاشمياً قرشياً واستنصر الله واستعن به يكن لك عوناً وظهيراً
واستهده يهدك) وكفى بربك هادياً ونصيراً (وكن لله خائفاً
ومن مكره من المشفقين فإن) الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين)

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ووصيته تملى عليك (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) والله تعالى يبلغه منك أملا ويحقق فيك علما ويزكى بك عملا والاعتماد على الخط المقدس الإمامي المتوكلى أعلاه الله تعالى اعلاه حجة فيه إن شاء الله تعالى

تنبه قد تقدم في آخر البيعات نقلا عن محمد بن عمر المدائني أنه كان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار وهو الثلثان من القطع البغدادي وأن الذي يظهر أن ذلك كان في أوائل أمرهم وأنه كان يكتب لهم أخيرا في قطع البغدادي الكامل أما الذي استقر عليه الحال فيما يكتب من العهود بالخلافة عن خلفاء بني العباس بالديار المصرية انه يكتب لهم في قطع الشامي الكامل بقلم الثلث الخفيف

وهذه هي طريقة الأقدمين من السلف فمن بعدهم في صدر الإسلام وما وليه وعليه جرى المحققون من متأخري الكتاب بالدولة العباسية بالعراق وإلى 192 ب حين انقراضها إلا في القليل النادر مما سيأتي ذكره مما شذ عن ذلك وعلى هذا المنوال نسج أفاضل كتاب الديار المصرية في كتبوا به لملوك الديار المصرية إلا أنهم عدلوا عن لفظ أمره إلى ما يتضمن معنى الأمر دون تصريح بلفظه

والأصل في ذلك ما ورد أن النبي {صلى الله عليه وسلم} حين وجه عمرو بن حزم إلى اليمن كتب له كتاب عهد أمره فيه أمره وهذه نسخته

فيما ذكره ابن هشام وغيره

هذا بيان من الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم أمره بتقوى الله في أمره كله فإن (الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه وينهى الناس فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم ويلين للناس في الحق ويشدد عليهم في الظلم فإن الله كره الظلم ونهى عنه فقال (ألا لعنة الله على الظالمين) ويبشر الناس بالجنة ويعملها وينذر الناس النار وعملها ويتألف الناس حتى يفقهوا في الدين ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته وما أمر الله به والحج الأكبر والحج الأصغر وهو العمرة وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير إلا أن يكون ثوبا يثني طرفيه على عاتقيه وينهى أن وعلى هذا الأسلوب

كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عهد مالك الأشتر النخعي حين ولاه مصر وهو من العهود البليغة جمع 193 ب فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك

وهذه نسخته

هذا ما أمر علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها وأمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فريضته وسنته التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعته وأن ينصر الله تعالى بيده وقلبه ولسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزّه وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم الله

ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وأن الناس يبصرون من أمورك مثل ما كنت تنظر فيه من أمر الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن أحب الذخائر إليك العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الانتصاف منها فيما أحبت وكرهت وأشعر قلبك بالرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم ولا تكونن عليه سبعا ضاربا تغتم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم فيالعمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي الأمر عليهم فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفأك أمرهم 194 ا وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله ما استطعت يستر الله ما تحب ستره من عيبك

أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنهم سبب كل وتر وتجااف عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جانا يضعفك عن الأمور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله

شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ومن شاركهم في الآثام فلا يكون لك بطانة فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلف من له مثل آرائهم ونفادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على إثمه أولئك أخف عليك مئونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفًا وأقل لغيك إلفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم لك بمر الحق وأقلهم مساعدة فيما يكون

منك مما كرهه الله لأولياته واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق بأهل الصدق والورع ثم رضهم على أن لا يضروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإصغاء تحدث الزهو وتدنى من الغرة ولا يكون المحسن عندك والمسيء بمنزلة واحدة فإن في ذلك ترهيبا لأهل الإحسان وتريبا لأهل الإساءة

وإنك لا تدري إذا جاء سائل أنت بما تعطيه أم هو أسعد عسى سائل ذو حاجة إن منعه من اليوم سؤلا أن يكون له غد وفي كثرة الأيدي عن الجهل زاجر وللحلم أبقى للرجال وأعود

والمواصلة لكل 195 ب من حمى البيضة وأخلص النية والكون تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ومع عز دولته أبي منصور في حوزته والله جل اسمه يعرف لأمير المؤمنين حسن العقبي فيما أبرم ونقض وسداد الرأي فيمن رفع وخفض ويجعل عزائمهم مقرونة بالسلامة محجوبة عن موارد الندامة وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة والجنة الحصينة والطود الأرفع والمعاذ الأمنع والجانب الأعز والمجا الأحرز وأن يستشعرها سرا وجهرا ويستعملها قولا وفعلا ويتخذها ذخرا نافعا لنوائب القدر وكهفا حاميا من حوادث الغير فإنها أوجب الوسائل وأقرب الذرائع وأعودها على العبد بمصالحه وأدعائها إلى كل مناجحه وأولاها بالاستمرار على هدايته والنجاة من غوايته والسلامة في دنياه حين توبق موبقاتها وتردى مردياتها وفي آخرته حين

تروع رائعاتها وتخيف مخيفاتها وأن يتأدب بآداب الله في التواضع والإخبات والسكينة والوقار وصدق اللهجة إذا رمق وكظم الغيظ إذا حنق وحفظ اللسان إذا غضب وكف اليد عن المآثم وصون النفس عن المحارم وأن يذكر الموت الذي هو نازل به والموقف الذي هو صائر إليه ويعلم أنه مسئول عما اكتسب مجزى عما تزمك واحتقبت ويتزود من هذا الممر لذلك المقر ويستكثر من أعمال الخير لتنفعه ومن مساعي البر لتنقذه ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ويزدجر عن السيئات قبل أن يزرع عنها وابتدئ بإصلاح نفسه قبل إصلاح رعيته فلا يبعثهم على ما يأتي ضده ولا ينههم عما يقترف مثله ويجعل ربه رقبيا عليه في خلواته ومروءته مانعة من شهواته فإن أحق من غلب سلطان الشهوة وأولى من صرع أعداء الحمية من 196 ا ملك أزيمة الأمور واقتدر على سياسة الجمهور وكان مطاعا فيما يرى متبعا فيما يشاء يلي على الناس ولا يلون عليه ويقتص منهم ولا يقتصون منه فإذا إطلع الله منه على نقاء جيبه وطهارة ذيله وصحة سريرته واستقامة سيرته أعانه على حفظ ما استحفظه وأنهضه بثقل ما حمله وجعل له مخلصا من الشبهة ومخرجا من الحيرة فقد قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال عز من قائل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) إلى أي كثيرة حضنا بها على أكرم الخلق وأسلم الطرق فالسعيد من نصبها إزاء ناظرة والشقي من نبذها وراء ظهره وأشقى منهما من بعث عليها وهو صادف عنها وأهاب إليها وهو بعيد منها وله ولأمثاله يقول الله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)

وأمره أن يتخذ كتاب الله إماما متبعا وطريقا متوقعا ويكثر من تلاوته إذا خلا بفكره ويملا بتأمله أرجاء صدره فيذهب معه فيما أباح وحظر ويقنطد به إذا نهى وأمر ويستبين بيانه إذا استغلقت دونه المعضلات ويستضيء بمصايحه إذا غم عليه في المشكلات فإنه عروة الإسلام الوثقى ومحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه المرشد والكاشف لظلم الخطوب والشافي من مرض القلوب

والهادي لمن ضل والمتلافي لمن زل فمن نجا به فقد فاز وسلم ومن لها عنه فقد خاب وندم قال الله تعالى (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها في حقائق الأوقات قائما على حدودها 196 ب متبعا لرسومها جامعا فيما بين نيته ولفظه متوقيا

لمطامح سهوه ولحظه منقطعا إليها عن كل قاطع لها مشغولا بها عن كل شاغل عنها متنبئا في ركوعها وسجودها مستوفيا عدد مفروضها ومسنونها موفرا عليها ذهنه صارفا إليها همه عالما بأنه واقف بين يدي خالقه ورازقه ومحبيه وممبته ومعاقبه ومثيبه لا يستر دونه خائنة الأعين وما تخفي الصدور فإذا قضاها على هذه السبيل منذ تكبيرة الإحرام إلى خاتمة التسليم أتبعها بدعاء يرتفع بارتفاعها ويستمع باستماعها ولا يتعدى فيه مسائل الأبرار وרגائب الأختيار من إستصفاح وإستغفار وإستقالة وإسترحام وإستدعاء لصالح الدين والدنيا وعوائد الآخرة والأولى فقد قال تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وقال تعالى (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وأمره بالسعي في أيام الجمع في المساجد الجامعة وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية بعد التقدم في فرشها وكسوتها وجمع القوام المؤذنين والمكبرين فيها

واستسعاء الناس إليها وحضهم عليها آخذين الأهبة منتظفين في البزة مؤذنين لفرائض الطهارة وبالغين في ذلك أقصى الإستقصاء معتقدين خشية الله وخيفته مدرعين تقواه ومراقبته مكثرين من دعائه عز وجل وسؤاله مصلين على محمد رسوله { صلى الله عليه وسلم } وعلى آله بقلوب على اليقين موقوفة وهم إلى الدين مصروفة وألسن بالتسيح والتقدیس فصيحة وأمال في المغفرة والرحمة فسيحة فإن هذه المصليات والمتعبدات بيوت الله التي فضلها ومناسكه التي شرفها وفيها يتلى القرآن ومنها ترتفع الأعمال وبها يلوذ اللائذون ويعوذ العائذون ويتعبد المتعبدون ويتهجد المتهجدون وحقيق على المسلمين أجمعين من وال ومولى عليه أن يصونوها ويعمروها ويواصلوها ولا يهجرها 197 ا وأن يقيموا الدعوة على منابرها لأمر المؤمنين ثم لأنفسهم على الرسم الجاري فيها قال الله تعالى في هذه الصلاة (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) وقال في عمارة المساجد (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)

وأمره أن يرعى أحوال من يليه من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ويطلق لهم الأرزاق في وقت الوجوب والإستحقاق وأن يحسن في معاملتهم ويحمل في إستخدامهم ويتصرف في سياستهم بين رفق من غير ضعف وخشونة من غير عنف مثيرا لمحسنهم ما زاد بالإبانة في حسن الأثر وسلم معها من دواعي الأشر ومتعمدا لمسيئهم ما كان التغمذ له نافعا وفيه ناجعا فإن تكررت زلاته وتتابع عثراته تناوله من عقوبته بما يكون له مصلحا ولغيره واعظا وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في العلم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

والإطلاع على بعض المهم مستخلصا نخائل قلوبهم بالبسط والإدناء
ومستشحا بصائرهم بالإكرام والإحتفاء

فإن في مشاورة هذه الطبقة إستدلالا على مواقع الصواب وتحريزا من غلط
الإستبداد وأخذا لمجامع الحزامة وأمنا من مفارقة الإستقامة وقد حض الله
تعالى على الشورى في قوله لرسوله { صلى الله عليه وسلم } (وشاورهم
في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)
وأمره أن يعمد لما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ورباط المرابطين
ويقسم لها قسما وافرا من عنايته ويصرف إليها طرفا بل شطرا من رعايته
ويختار لها أهل الجلد والشدة وذوي البأس والنجدة ممن عجمته الخطوب 197
ب وعركته الحروب وإكتسب دربه بخدع المتنازلين وتجربة بمكائد المتقارعين
وأن يستظهر بكشف عددهم وإخيار عددهم وإنتخاب خيلهم وإستجادة
أسلحتهم غير مجمر بعثا إذا بعثه ولا مستكرهه إذا وجهه بل يناوب بين رجاله
مناوبة تريحهم ولا تملهم وترفهم ولا تؤودهم فإن ذلك من فائدة الإجمام
والعدل في الإستخدام وتنافس رجال
النوب فيما عاد عليهم بعد الظفر والنصر وبعد الصيت والذكر وإحراز النفع
والأجر ما يحق أن يكون الولاة به عاملين وللناس عليه حاملين وأن يكرر في
أسماعهم ويثبت في قلوبهم مواعيد الله لمن صابر ورباط وسمح بالنفس
وجاهد من حيث لا يقدمون على تورط غرة ولا يحجمون عن إنتهاز فرصة ولا
ينكصون عن تورط معركة ولا يلقون بأيديهم إلى التهلكة فقد أخذ الله تعالى ذلك
على خلقه والمرامين عن دينه وأن يزيح العلة فيما يحتاج إليه من راتب نفقات
هذه الثغور وحادتها وبناء حصونها ومعاقلها وإستطراق طرقها ومسالكها
وإفاضة الأقوات والعلوفات للمترين فيها وللمتردين إليها والمحامين لها وأن
يبذل أمانه لمن يطلبه ويعرضه على من لم يطلبه ويفي بالعهد إذا عاهد وبالعقد
إذا عاقد غير مخفر ذمة ولا جرح أمانة فقد أمر الله تعالى فقال جل من قائل (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) ونهى عن النكث فقال عز من قائل (فمن
نكث فإنما ينكث على نفسه)

وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على مراتبهم وإنعام النظر في جنياتهم
وجرائمهم فمن كان إقراره واجبا أقره ومن كان إطلاقه سائغا أطلقه وأن
ينظر في الشرطة والأحداث نظر عدل وإنصاف ويختار لها من الولاة من يخاف
الله تعالى ويتقيه ولا يحابي ولا يراقب الله فيه ويتقدم إليهم بقمع الجهال وردع
الضلال وتتبع الأشرار 1198 وطلب الدعار مستدلين على أماكنهم متوغلين
إلى مكائهم متولجين عليه في مظانهم متوثقين ممن يجدونه منهم منفذين
أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذي يتبين من أمورهم ويتضح من فعلهم في
كبيرة إرتكبوها وعظيمة إحتقبوها ومهجة أفاضوها واستهلكوها وحرمة أباحوها
وانتهكوها فمن استحق حدا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخفين
منه وأحلوه به غير مقصرين عنه بعد ألا يكون عليهم في الذي يأتون به حجة ولا
تعرضهم في وجوبه شبهة فإن المستحب في الحدود أن تقام بالبينات وأن

تدرأ بالشبهات فأولى ما توخاه رعاة الرعايا فيها ألا يقدموا عليها مع نقصان ولا يتوقفوا عنها مع قيام دليل وبرهان ومن وجب عليه القتل احتاط عليه بمثل ما يحتاط به على مثل من الحبس الحصين والتوثق الشديد وكتب إلى أمير المؤمنين بخبره وشرح جنايته وثبوتها بإقرار يكون منه أو شهادة تقع عليه ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه فإن أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد إلا ما أحاط به علما وأتقنه فهما وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالطها شك ولا يشوبها ريب ومن ألم بصغيرة من الصغائر ويسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلها ولم تتقدم له أختها وعظه وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله ما لم يكن عليه خصم في 1 لك يطالب بقصاص مه وجزاء له فإن عاد تناوله من التقويم والتهديب والتغريب والتأديب بما يرى انه قد كفى فيما اجترم ووفى فيما قدم فقد قال تعالى (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)

وأمره أن يعطل ما في أعماله من الحانات والمواخير ويظهرها من القبائح والمناكير ويمنع من تجمع أهل الخنا فيها ويؤلف شملهم بها فإنه 198 ب شمل يصلحه التشثيت وجمع يحفظه التفريق وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنية داعية لمن يأوي إليها ويعكف عليها إلى ترك الصلوات وركوب المنكرات واقتراف المحظورات وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها لله مغضبة وفي إخراجها للخير مجلبة والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وأمره أن يولى الحماية في هذه الأعمال أهل الكفاية

والغناء من الرجال وأن يضم إليهم كل من خف ركابه فأسرع عند الصريح جوابه مرتبا لهم في المسالح وسادا بهم ثغر المسالك وأن يوصيهم بالتيقظ ويأخذهم بالتحفظ ويزيح عنهم في علوفة خيلهم والمقرر من أزوادهم وميرهم حتى لا يثقل لهم على البلاد وطأة ويدعوهم إلى تحيفهم وثلهم حاجة أن يحوطوا السابلة بادئة وعائدة ويتداركوا القوافل صادرة وواردة ويحرسوا الطرق ليلا ونهارا ويتقصوها رواحا وإكارا وينصبوا لأهل العبت الأرصاد ويتمكنوا لهم بكل واد ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقا لفضائهم ومؤديا إلى انفصاضهم ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطلقا لحجرتهم وصادعا لمروتهم ولا يخلوا هذه السبل من حماة لها وسيارة فيها يترددون في جواديتها ويتعسفون في عواديتها حتى تكون الدماء محقونة والأموال مصونة والفتن محسومة والغارات مأمونة ومن حصل في أيديهم من لص خاتل وصعلوك خارب ومخيف لسبيل ومنتهاك لحريم امثثل فيه أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا

من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (وأمره أن يوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من أباق العبيد والاحتياط عليهم وعلى من يكون معهم والبحث عن الأماكن التي فارقوها والطرق التي استطرقوها ومواليهم الذين أبقوا منهم ونشزوا عنهم وأن يردوهم عليهم قهرا ويعيدوهم إليهم صغرا وأن ينشدوا الضالة بما أمكن أن تنشد ويحفظوها على ربها بما جاز أن تحفظ ويتجنبوا الامتطاء لظوهرها والانتفاع بأوبارها وألبانها مما يجز ويحلب وأن يعرفوا اللقطة ويتبعوا أثرها وبشيعوا خبرها فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت إليه ولم يعتر فيها عليه فإن الله عز وجل يقول (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) ويقول رسول الله { صلى الله عليه وسلم } ضالة المؤمن حرق النار

وأمره أن يوصي عماله بالشدة على أيدي الحكام وتنفيذ ما يصدر عنهم من الأحكام وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها الذابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ومن خرج عن ذلك من ذي عقل سخيف وحلم ضعيف نالوه بما يردعه وأحلوا به ما يزرعه ومتى تقاعس متقاعس عن حضور مع خصم يستدعيه وأمر يوجه الحاكم إليه فيه أو التوى ملتو بحق يحصل عليه ودين يستقر في ذمته قاده إلى ذلك بأزمة الصغار وخرائم الاضطرار وأن يحبسوا ويطلقوا بقولهم ويشتوا الأيدي في الأملاك والفروج وينزعوها بقضايهم فإنهم أمناء الله في فصل ما يفصلون وبت ما يبتون وعن كتابه وسنة نبيه { صلى الله عليه وسلم } يوردون ويصدرون وقد قال تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وأن يتوخى بمثل هذه المعاونة عمال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه واستيفاء حقوق ما بقائهم فيه والرياضة لمن تسوء معاملتهم وإحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم فم آداب الله تعالى للعبد الذي يحق عليه أن يتخذها أدبا ويجعلها إلى الرضى عنه سببا قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) وأمره أن يجلس للرعية جلوسا عاما وينظر في مظالمها نظرا تاما يساوي في الحق بين خاصها وعامها ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه بعد الفحص والتأمل والبحث والتبيين حتى لا يحكم إلا بعدل ولا ينطلق إلا بفصل ولا يثبت يدا إلا فيما وجب تثبتها فيه ولا يقبضها إلا عما وجب قبضها عنه وأن يسهل الإذن لجماعتهم ويرفع الحجاب بينه وبينهم ويوليهم من حصانة الكنف ولين المنعطف والاشتمال

والعناية والصون والرعاية ما يتعادل به أقسامهم وتتوازي منه أقساطهم ولا يصل المسكين منهم إلى استئزامة من تأخر عنه ولا ذو السلطان إلى هزيمة من حل دونه وأن يدعوهم إلى أحسن العادات والخلائق ويحضهم على أحمد المذاهب والطرائق ويحمل عنهم كله ويمد عليهم ظله ولا يسومهم عسفا ولا

يلحق بهم حيفا ولا يكلفهم شططا ولا يجشمهم مضلعا ولا يثلم لهم معيشة ولا يداخلهم في جريمة ولا يأخذ بريئا منهم بسقيم ولا حاضرا بعيدم فإن الله عز وجل نهى أن تزر وازرة وزر أخرى وجعل كل نفس 200 رهينة بمكسبها بريئة من مكاسب غيرها ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سن عليها من سنة ظالمة وسلك بها من محجة جائرة ويستقري آثار الولاة قبله عليها فيما أزجوه من خير أو شر إليها فيقر من ذلك ما طاب وحسن ويزيل ما خبث وقبح فإن من يغرس الخير يحظى بمعسول ثمره ومن يزرع الشر يصلى بمرور ربه والله تعالى يقول) والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون (

وأمره أن يصون أموال الخراج وأثمان الغلات ووجوه الجبايات موفرا ويزيد ذلك مثمرا بما يستعمله من الإنصاف لأهلها وإجرائهم على صحيح الرسوم فيها فإنه مال الله الذي به قوة عبادة وحماية بلاده ودرور حلبه واتصال مدده وبه يحاط الحریم ويدفع العظيم ويحمى الذمار وتذاد الأشرار وأن يجعل افتتاحه إياه بحسب إدراك أصنافه وعند حضور موافقته وأحيانه غير مستسلف شيئا قبلها ولا مؤخر لها عنها وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترفيه لهم وأهل الاستصعاب والامتناع بالشد عليه لئلا يقع إرهاب لمذعن أو إهمال لطامع وعلى المتولى لذلك أن يضع كلا من الأمر موضعه ويوقعه موقعه متجنباً إحلال الغلظة من لا يستحقها وإعطاء الفسحة من ليس من أهلها والله تعالى يقول) وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى (

وأمره أن يتخير عماله على الأعشار والخراج والضياح والجهدة والصدقات والجوالي من أهل الظلف والنزاهة والضبط والصيانة والجزالة والشهامة وأن يستظهر مع ذلك عليه بوصية تعيها أسما عهم وعهود تتقلدها أعناقهم بأن لا يضيعوها حقا ولا يأكلوها سحتا 200 ب ولا يستعملوها ظلما ولا يقارفوا غشما وأن يقيموا العمارات ويحتاطوا على الغلات ويتحرزوا من ترك حق لازم أو تعطيل رسم عادل مؤدين في جميع ذلك الأمانة متجنبين للخيانة وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه واستجادة نقده على عياره واستعمال الصحة في قبض ما يقبضون وإطلاق ما يطلقون وأن يوعزوا إلى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من سائمة مواشي المسلمين دون عاملتها وكذلك الواجب فيها وأن لا يجمعوا فيها متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها خارجا عنها ولا يضيفوا إليها ما ليس منها من فحل إبل أو أكولة راع أو عقيلة مال فإذا اجتبوها على حقها واستوفوها على رسمها أخرجوها في سلها وقسموها على أهلها الذين ذكرهم الله في كتابه إلا المؤلفه قلوبهم الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه وسقط سهمهم فإن الله تعالى يقول) إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (وإلى جباة جماجم أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزية في المحرم من كل سنة بحسب منازلهم في الأحوال وذات أيديهم في الأموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود المحدودة المعهودة لها وأن لا يأخذوها من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذي سن عالية

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ولا ذي علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب متبتل وأن يراعي جماعة هؤلاء العمال مراعاة يسرها ويظهرها ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبيدها لئلا يزولوا عن الحق الواجب أو يعدلوا عن السنن اللاحب فقد قال تعالى (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً)

وأمره أن يندب لعرض الرجال وإعطائهم وحفظ جراتهم وأوقات إطعامهم من يعرفه بالثقة في متصرفه 201 أ والأمانة فيما يجري على يده والبعد عن الإسفاف إلى الدنية والاتباع للدناءة وأن يبعثه على ضبط حلى الرجال وسيات الخيل وتجديد العرض بعد الاستحقاق وإيقاع الاحتياط في الإنفاق فمن صح عرضه ولم يبق في نفسه شيء منه من شك يعرض له أو ريبة يتوهمها أطلق أموالهم موفورة وجعلها في أيديهم غير مثلومة وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والإخلال ناسبا ذلك إلى جهته موردا له على حقيقته وأن يطالب الرجال بإحضار الخيل المختارة والآلات والسكك المستكملة على ما يوجب منافع أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم فإن أحمدهم شيئا من ذلك قاصه به من رزقه وأغرمه مثل قيمته فإن المقصر فيه خائن لأمير المؤمنين ومخالف لرب العالمين إذ يقول سبحانه (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وأمره أن يعتمد في أسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من يجتمع فيه آلات هذه الولايات من ثقة وأمانة وعلم وكفاية ومعرفة ودراية وتجربة وحنكة وحصافة ومسكة فإنها أحوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه وأن يتقدم إلى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه ويمضون أمره والتحرز من وقوع تخون فيه وإهمال له إذ كان ذلك عائدا بتحسين الفروج وتطهير الأنساب

وأن يعدوا من أهل الريبة ويقربوا من أهل العفة ولا يمشوا يباعا على شبهة ولا عقدا على تهمة وإلى ولاة العيار بتخليص عين الدرهم والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة من الزيف وتخصيصه بالإمام المقرر بمدينة السلام وحراسة السكك من أن تتداولها الأيدي المدغلة وتتناقلها الجهات المبطللة 201 ب وإثبات اسم أمير المؤمنين على ما يضرب منها ذهباً وفضة وإجراء ذلك على الرسم والسنة وإلى ولاة الطرز بأن يجروا الاستعمال في جميع المناسج على أتم النيقة وأسلم الطريقة وأحكم الصنعة وأفضل الصحة وأن يثبتوا اسم أمير المؤمن على طرز الكسا والفرش والأعلام والبنود وإلى ولاة الحسبة أن يتصفحوا أحوال العوام في حرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم ومعاملاتهم وأن يعايروا الموازين والمكاييل ويفرزوها على التعديل والتكميل ومن

اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس أو غيلة أو تدليس أو بخس فيما يوفيه أو استفصال فيما يستوفيه نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها وخصوه بوجيعها وأليمها واقفين به في ذلك عند الحد الذي يروونه لذنبه مجازيا وفي تأديبه كافيا فقد قال الله تعالى (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم

أو وزنوهم يخسرون)

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عليك وقد وقفك به على سواء السبيل وأرشدك فيه إلى واضح الدليل وأوسعك تعلميا وتحكيما وأقنعتك تعريفا وتفهيما ولم يالك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك ولم يدخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك ولا ترك لك عذرا في غلط تغلظه ولا طريقا إلى تورط تتورطه بالغا بك في الأوامر والزواجر إلى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا الناس إليه ويحثوهم عليه مقيما لك على منجيات المسالك صارفا بك عن مرديات المهالك مريدا فيك ما يسلمك في دينك وديناك ويعود بالحظ

عليك في آخرتك وأدلاك فإن اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت وإن تجانفت واعوججت فقد خسرت وندمت والأولى بك عند أمير المؤمنين مع مغرسك الزاكي ومنبتك النامي وعودك الأنجب وعنصرك الأطيب أن تكون لظنه فيك محققا ولمخيلته فيك مصدقا وأن تستزيد بالأثر الجميل قريبا من رب العالمين وثوابا يوم الدين وزلفى عند أمير المؤمنين وثناء حسنا 202 أ من المسلمين فخذ ما نبذ إليك أمير المؤمنين من معاذيره وأمسك بيدك على ما أعطى من موائيقه واجعل عهده مثالا تحتذيه وإماما تقتفيه واستعن بالله يعنك واستهده يهدك وأخلص إليه في طاعته يخلص لك الحظ من معونته ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ فأكتب إلى أمير المؤمنين منهيًا وكن إلى ما يرد عليك منتهيًا إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وعلي هذا النهج جرى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي فيما كتب به للعادل كتبغا المنصوري عن الحاكم الأول وهو الإمام الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين

وهذه نسخته

هذا عهد شريف في كتاب مرقوم يشهده المقربون ويفوضه آل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الأئمة الأقربون من عبدالله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين وسليل الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين رضوان الله عليهم أجمعين إلى السلطان الملك العادل زين الدنيا والدين كتبغا المنصوري أعز الله سلطانه أما بعد فإن أمير المؤمنين يحمده إليك الله الذي جعل له منك سلطانا نصيرا وأقام له بملكك على ما ولاه من أمور خلقه عضدا وظهيرًا وآتاك بما نهضت به من طاعته نعيما وملكا كبيرا وخولك بإقامة ما وراء سريره من مصالح

202 ب الإسلام بكل أرض منبرا وسريرا وجاء بك لإعانتته على ما استخلفه الله فيه من أمور عباده على قدر وكان ربك قديرا وجمع بك الأمة بعد أن كاد يزيغ قلوب فريق منهم وعضدك لإقامة إمامته بأولياء دولتك الذي رضي الله عنهم وخصك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم نازهون وأظهرك على الذين) ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (واصطفاك لإقامة الدين وقد اختلفت الأهواء في تلك المدة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ولم بك شعث الأمة بعد الاضطراب فكان موقوفك ثم موقوف الصديق يوم الردة
ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حاكم بأمره مستنزل لك
بالإخلاص ملائكة تأييده وأعوان نصره مسترهب بها سيف عزمك على من
جاهره بشركه وحاربه بكفره معتصم بتوفيقه في تفويضه إليك أمر سره الذي
استودعه في الأمة وجهره ويصلي
على سيدنا محمد رسوله الذي استخرجه الله من عنصره وذويه وشرف به قدر
جده بقوله فيه عم الرجل صنو أبيه وأسر إليه بأن هذا الأمر فتح به ويختم بينه
وعلى آله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده الذين قضوا بالحق وبه كانوا
يعدلون وجاهدوا أئمة الكفر الذين لا إيمان لهم والذين هم برهبهم يعدلون وسلم
تسليما كثيرا
وإن أمير المؤمنين لما آتاه الله من سر النبوة واستودعه من أحكام الإمامة
الموروثة عن شرف الأبوة واختصه من الطاعة المفروضة على الأمم وفرض
عليه من النظر في الأخص من مصالح المسلمين والأعم وعصم آراءه ببركة
آبائه من الخلل وجعل سهم اجتهاده هو المصيب أبدا في القول والعمل وكان
السلطان فلان هو الذي جمع الله به كلمة الإسلام وقد كادت 203 أ وثبت به
الأرض وقد اضطربت بالأهواء ومادت ورفع به منار الدين بعد أن شمع الكفر
بأنفه وألف به شمل المسلمين وقد

طمح العدو إلى افتراقه وطمع في خلفه وحفظ به في الجهاد حكم الكتاب
الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وحمى به الممالك الإسلامية
فما شام الكفر منها برق ثغر إلا رمى من وباله بوابل ولا أطلق عنان طرفه إلى
الأطراف إلا وقع من سطوات جنوده في كفه حابل ولا اطمأنوا في بلادهم إلا
أنتهم سراياه من حيث لم يرتقبوا ولا ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله إلا
وأناهم جنوده من حيث لم يحتسبوا وألف جيوش الإسلام فأصبحت على
الأعداء يمينه يدا واحدة وقام بأمور الأمة فأمست عيون الرعايا باستيقاظ
سيوفه في مهاد الأمن راقدة وأقام منار الشريعة المطهرة فهي حاكمة له
وعليه نافذ أمرها على أمره فيما وضع الله مقاليد في يديه ونصره الله في
مواطن كثيرة وأعانه على من أضمر له الشقاق (بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة
(وأظفره بمن بغى عليه في يومه بعد حلمه عنه في أمسه وأيده على الذي
خانوا عهده) يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه)
وتعين لملك الإسلام فلم يك يصلح إلا له واختاره الله لذلك فبلغ به الدين آماله
وضضع بملكه عمود الشرك وآماله وأعاد بسلطانه على الممالك بهجتها وعلى
الملك رونقه وجلاله وأخدمه النصر فما أضمر له أحد سوءا إلا وزلزل أقدامه
وعجل وباله ورده إليه وقد جعل من الرعب قيوده ومن الذعر أغلاله وأوطأ
جواده هام أعدائه وإن أنف أن تكون نعاله
عهد إليه حينئذ مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين في كل ما وراء
خلافته المقدسة وجميع ما اقتضته أحكام إمامته التي هي على التقوي مؤسسة
من إقامة شعار الملك الذي جمع الله 203 ب الإسلام عليه وظهرت أبهة
السلطنة التي ألقى الله وأمير المؤمنين مقاليدها إليه ومن الحكم الخاص
والعام في سائر ممالك الإسلام وفي كل ما تقتضيه شريعة سيدنا محمد عليه

أفضل الصلاة والسلام وفي خزائن الأموال وإنفاقها وملك الرقاب وإعتاقها
واعتقال الجناة وإطلاقها وفي كل ما هو في يد

الملة الإسلامية أو يفتحها الله بيده عليها وفي جميع ما هو من ضوال الممالك
الإسلامية التي سيرجعها الله بجهاده إليها وفي تقليد الملوك والوزراء وتقدمه
الجيوش وتأمير الأمراء وفي الأمصار يقر بها من شاء من الجنود ويبعث إليها
ومنها ما شاء من البعوث والحشود ويحكم في أمرها بما أراه الله من الذب
عن حريمها ويتحكم بالعدل الذي وسم الله به لظاعتها ومقيمها وفي تقديم
حديثها واستحداث قديمها وتشبيد ثغورها وإمضاء ما عرفه الله به وجهله سواء
من أمورها وإقرار من شاء من حكامها وإمضاء ما شاء من إتقان القواعد
بالعدل وإحكامها وفي إقطاع خواصها واقتلاع ما اقتضته المصلحة من عمائرها
وعماره ما شاء من قلاعها وفي إقامة الجهاد بنفسه الشريفة وكتائبه ولقاء
الأعداء كيف شاء من تسيير سراياه وبعث مواكبه وفي مضافة العدو وحصاره
ومقارعة شيعته وأنصاره وغزوه كيف أراه الله في أطراف بلاده وفي عقر
داره وفي المن والفداء والإرقاق
وضرب الهدن التي تسألها العدا وهي خاضعة الأعناق وأخذ مجاوري العدو
المخدول بما رآه الله من النكاية إذا أمكن من نواصيهم وحكم عفوهم في
طائعهم وبأسه في عاصيهم وإنزال (الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من
صياصيهم) وفي الجيوش التي ألف الأعداء فتكات ألوفها وعرفوا أن أرواحهم
ودائع سيوفها وصبحتهم سرايا رعبها المبتوثة إليهم وتركهم خوفها) كأنهم
خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم (وهم الذين ضاقت بمواكبهم إلى
العدا سعة الفجاج وقاسمت رماحهم الأعداء شر قسمة ففي أيديهم كعوبها
وفي صدور أولئك الزجاج وأذهبت عن الثغور الإسلامية رجس الكفر وظهرت
من ذلك ما جاور العذب الفرات والملح الأجاج وعرفوا في الحروب بتسرع
الإقدام وثبات الأقدام وادخر الله لأيامه الشريفة أن يردفها بهم دار السلام إلى
ملك الإسلام فيدر عليهم ما شاء من إنعامه الذي يؤكد طاعتهم ويجدد
استطاعتهم

ويضاعف أعدادهم ويجعل بصفاء النيات ملائكة الله أمدادهم ويحملهم على
الثبات إذا لقوا الذين كفروا زحفاً ويجعلهم في التعاضد على اللقاء كالبنيان
المرصوص فإن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً وفي أمر الشرع
وتوليه قضاته وحكامه وإمضاء ما فرض الله عليه وعلى الأمة من الوقوف عند
حدوده والمشى مع أحكامه فإنه لواء الله الممدود في أرضه وحبله المتين
الذي لا نقض لإبرامه ولا إبرام لنقضه وسنن نبيه الذي لا حظ عند الله في
الإسلام لغير متمسك بسنته وفرضه وهو أعز الله سلطانه سيف الله المشهور
على الذين غدوا وهم من أحكام الله مارقون ويده المبسوطة في إمضاء
الحكم بما أنزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وفي
مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذي تشد أيضاً إليه الرحال وإقامة سبل
الحجيج الذين يفدون على الله بما أصحبهم من بره وعنايته في الإقامة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

والارتحال وفي عمارة البيوت التي) أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال (وفي إقامة الخطب على المنابر واقتران اسمه الشريف

مع اسمه بين كل باد وحاضر والاقتصار على هذه التثنية في أقطار الأرض فإن القائل بالتثنية كافر وفي سائر ما 204 ب تشمله الممالك الإسلامية ومن تشمل عليه شرقا وغربا وبعدا وقربا وبرأ وبحرا وشاما ومصرًا وحجازا ويمنا ومن يستقر بذلك إقامة وطمعنا وقوض إليه ذلك جميعه وكل ما هو من لوازم خلافته لله في أرضه ما ذكر وما لم يذكر تفويضا لازما وإمضاء جازما وعهدا محكما وعقدا في مصالح ملك الإسلام محكما وتقليدا مؤبدا وتقريراً على كر الجديدين مجددا وأثبت ذلك وهو الحاكم حقيقة بما علمه من استحفاقه والحاكم بعلمه وأشهد الله وملائكته على نفوذ حكمه بذلك) والله يحكم لا معقب لحكمه (وذلك لما صح عنده من نهوض ملكه بإعباء ما حملة الله من الخلافة وأدى به الأمانة عنه فيما كتب الله عليه من الرحمة اللازمة والرأفة واستقلاله بأمور الجهاد الذي أقام الله به الدين واختصاصه وحنوده بعموم ما أمر الله به الأمة من قوله تعالى) قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) وأنه في الجهاد سهمه المصيب وله به أجر الرامي المسدد وسيفه الذي جرده على أعداء الدين وله من فناكته حظ المرهف المجرد وظل الله في الأرض الذي مده بيمن يمينه وآية لنصره الذي اختاره الله لمصالح دنياه وصالح دينه الناهض بفرض الجهاد وهو في مستقر خلافته وادع والراكض عنه بخيله وخياله إلى العدو الذي ليس له غير فتكات سيوفه رادع والمؤدي عنه فرض النفير في سبيل الله كلما تعين والمنتقم له من أهل الشقاق الذين يجادلون في الحق بعد ما تبين والقائم بأمر الفتوح التي ترد بيع الكفر مساجد يذكر فيها اسم الله واسمه ويرفع على منابرها شعاره الشريف ورسمه وتمثل له بإقامة دعوته صورة الفتح كأنه ينظر إليها والناظر عنه في عموم مصالح 205 أ الإسلام وخصوصها تعظيما لقدره وترفيها لسره وتفخيما لشرفه وتكريما لجلالة بيته النبوي وسلفه وقيامه له بما عهد إليه ووفاء

من أمور الدين والدنيا بما وضع مقاليد في يده وليدل على عظيم سيرته المقدسة بكريم سيره وبنه على كمال سعاداته إذ قد كفى به في أمور خلق الله تعالى والسعيد من كفى بغيره لم يجعل أمير المؤمنين على يده يدا في ذلك ولا فسح لأحد غيره في أقطار الأرض أن يدعى بملك ولا مالك بل بسط حكمه وتحكمه في شرق البلاد وغيرها وما بين ذلك وقد فرض طاعته على سائر الأمم وحكم بوجوبها على الخاص والعام ومن ينقض حكم الحاكم إذا حكم وهو يعلم أن الله تعالى قد أودع مولانا السلطان سرا يستضاء بأنواره ويهتدى في مصالح الملك والممالك بمناره فجعل له أن الله تعالى قد أودع مولانا السلطان سرا يستضاء بأنواره ويهتدى في مصالح الملك والممالك بمناره فجعل له أن يفعل في ذلك كل ما هدى الله قلبه إليه

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وبعثه بالتأييد الإلهي عليه واكتفى عن الوصايا بأن الله تعالى تكفل له بالتأييد
وخصه في كل خير بالمزيد وجعل خلقه التقوى وكل خير فرع عليها ونور
بصيرته بالهدى فما يدل على حسنه من أمور الدنيا والآخرة إلا وهو السابق
إليها والله تعالى يجعل أيامه مؤرخة بالفتوح ويؤيده
بالملائكة والروح على من يدعي الأب والإبن والروح ويجعل أسباب النصر
معقودة بسببه والملك (كلمة باقية في عقبه)
ويشهد بهذا العهد الشريف من شاهده مع الملائكة المقربين كل من حضر تلاوته
من سائر الناس أجمعين لتكون حجة الله على خلقه أسبق وعهد أمير المؤمنين
بثبوتة أوثق وطاعة سلطان الأرض قد زادها الله على خلقه بذلك توكيدا وشهد
الله وملائكته على الخلق بذلك وكفى بالله شهيدا والاعتماد على الخط
الحاكمي أعلاه حجة به إن شاء الله تعالى
205 ب وعلى ذلك جرى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي أيضا
فيما كتب به للملك المنصور حسام الدين لاجين عن الحاكم الثاني وهو الحاكم
بأمر الله بن الحسين المقدم ذكره
وهذه نسخته

هذا عهد شريف تشهد به الأملاك لأشرف الملوك وتسلك فيه من قواعد العهود
المقدسة أحسن السلوك من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أمير
المؤمنين للسلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين أبي الفتح لاجين
المنصوري أعز الله سلطانه
أما بعد فالحمد لله مؤتى الملك من يشاء من عباده ومعطي النصر من يجاهد
فيه حق جهاده ومرهف حسام انتقامه على من جاهر بعباده ومفوض أمر هذا
الخلق إلى من أودعه سر رأفته في محبته ومراد نغمته في مراده وجامع كلمة
الإيمان بمن اجتباه لإقامة دينه وارتضاه ليرفع عماده ومقر الحق في يد من منع
سيفه المجرد في سبيل الله أن يقر في أعماده وناصر من لم تزل كلمة الفتوح
مستكنة في صدور سيوفه جارية على السنة صغاده وجاعل ملك الإسلام من
حقوق من إذا عد أهل الأرض على اجتماعهم كان هو المتعين على انفراده
الذي شرف
أسرة ملك الإسلام بإستيلاء حسام دينه عليها وزلزل ممالك أعدائه بما بعث من
سرايا رعبه إليها وثبت به أركان الأرض التي ستحتوي ملكه في طرفيها
وضضع بسلطانه قواعد ملوك الكفر فودعت ما كان مودعا لأيامه من ممالك
الإسلام في يديها وأقامه وليه بأمره فلم يختلف عليه واثنان من خلقه وقلده
أمر بربته لما أقدره عليه من 206 أ النهوض بحقهم وحقه وأظهره على من
نصب له الغوائل) والله غالب على أمره (ونصره في مواطن كثيرة لما قدره
في القدم من رفعة شأنه وإعلاء قدره وجعل عدوه وإن أعرض عن طلبه
بجيوش الرعب محصورا وكفاه بنصره على الأعداء التوغل في سفك الدماء
فلم) يسرف في القتل إنه كان منصورا (ونقل إليه الملك بسيفه والدماء
مصونة وحكمه فيما كان بيد غيره من الأرض والبلاد آمنة والفتن مأمونة فكان
أمر من ذهب سحابة صيف أو خلسة طيف لم تحل له روعة في القلب ولم
يذعرها وقد ألبسه الله ما نزع

عن سواه سالب ولا مسلوب إجراء لهذه الأمة على عوائد فضله العميم واختصاصا بما آتاه من ملكه (والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) يحمده أمير المؤمنين على ما منح في أيامه الدين من اعتضاده بحسامه والاعتماد في ملك المسلمين على من يجعل جباه ملوك الشرك تحت أقدامه والاعتداد بمساعي من حصونه في الجهاد ظهور جياده وقصوره أطراف حسامه

ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حاكم بما أراه حامد له في ملك الإسلام على ما يسر ما وطده ودفع ما عداه معتصم به في كل ما أثبتته بالحق من قواعد الدين وأوثقه بالتقوى من عراه مستمد ملائكة نصره لمن أغنته عزائمه في جهاد أعداء الدين عن سيره في ذلك وسراه وأن محمدا عبده ورسوله الذي جعله من عصيته الشريفة وعصيته وشرفه بوراثته خلافته في أمته قدر رتبته وقصره على إقامة من يرهب العدا بنشر دعوته في الآفاق مع مواقع رغبته ويسأله أن يصلي عليه صلاة تفتح له في الدنيا إلى العصمة طريقا وتجعله في الأخرى معه ومع الذين أنعم الله عليهم من آبائه الشهداء والصالحين (وحسن أولئك رفيقا) وسلم تسليما كثيرا 206 ب وإن أمير المؤمنين لما اختصه الله به من السر المودع في قلبه والنور الذي أصبح فيه على بينة من ربه والتأييد المنتقل إليه عمن شرف بقربه والنص الذي أسره رسول الله { صلى الله عليه وسلم } إلى جده العباس من بقاء هذا الأمر في ورثته دون أقاربه وصحبه لم يزل يرغب إلى الله تعالى ويستخيره في إقامة من ينهض في ملك الإسلام حق النهوض ويفوض أمر الأمة إلى من يرى أداء الأمانة فيهم من أكد الفروض ومن إذا قال النفير يا خيل الله اركبي سابقت خيله خياله وجازت عزائمه نصاله وأخذ عدو الدين من مأمنه وغالب بسيفه الأجل على انتزاع روحه من بدنه وقاتل

لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد لإقامة منار الإسلام لا للتعرض إلى عرض الدنيا وقدمت له ملوك الدنيا حصونها وبذلت له مع الطاعة مصونها وأقيم له بكل قطر منبر وسرير وجمع ملوك العدا في رق طاعته من هو على جمعهم إذا يشاء قدير ومن يقيم العدل على ما شرع والشرع على ما أخذ عن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وسمع وبميت البدع بإحياء السنن ويعلم أن الله جعل لخلقه على لسان نبيه محمد { صلى الله عليه وسلم } سننا ولا يعدل بهم عن ذلك السنن

ولما كان السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين أبو الفتح لاجين المنصوري خلد الله سلطانه هو الذي جعل الله صلاح الأمة على يديه واختاره لإقامة دينه فساق ملك الإسلام عنوة إليه وأنهضه بذلك وقد أمده بجنود نصره وأنزل سكينته عليه وجمع قلوب أهل الإسلام على حبه وفرق أعداء الدين خوف حربه وجعل النصر حيث توجه من أشياعه وحزبه وعضده لنصرة الإسلام بملائكة سمائه وأقام به عمود الدين الذي بالسيف قام ولا غرو فإن الحسام من أسمائه وأقبلت إليه طوائف 207 أ جيوش الإسلام مذعنين وأدى في كرامتهم حقوق طاعة الله الذي أيده بنصره وبالمؤمنين

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

مكتبة

وتلقاهم بشير كرامته ونعمه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين وطار
مخلقات البشائر بملكه في الآفاق وأعص العدا بسלטانه فما توهموا في أمر
الإسلام والاختلاف حتى تحققوا بحمد الله ويمن أيامه الوفاق واختالت المنابر
الإسلامية بذكر أمير المؤمنين وذكره وأعلنت الأمة المحمدية بحمد الله الذي
أقر به الحق في مركزه ورد به شارح الملك إلى وكره وتحقق أمير المؤمنين
أنه المكنون في طوبته والمستكن في إضماره والقائم في عمارة بيته النبوي
وسلامته مقام سلمانه وعمارته فعهد إليه حينئذ في كل ما تقتضيه أحكام إمامته
في أمة نبيه وجعله في التصرف المطلق عنه قائما مقام وصية في الملة ووليه
وقلده أمر ملك الإسلام تقليدا عاما وفوض إليه حكم السلطنة الشريفة تفويضا
تاما

وألبسه من ذلك ما خلعه عن سواه ونشر عليه لواء الملك الذي زوى ظله عن
غيره وطواه وحكمه في كل ما تقتضيه خلافته المقدسة وتمضية إمامته التي
هي على التقوى مؤسسة من إقامة منار الإسلام والحكم العام في أمة محمد
عليه أفضل الصلاة والسلام وفي تقليد الملوك والوزراء وتقديم الجيوش
وتأمر الأمراء وفي تجهيز العساكر والسرايا وإرسال الطلائع والروايا وتجريد
الجنود الذين ما ندبهم إلى العدا إلا أتوا بالنهاب والسبايا وفي غزو العدو كيف
أراه الله إن شاء بنفسه أو جنده وفي استئزال النصر بالثبات والصبر فإن الله
يجزي الصابرين وما النصر إلا من عنده وفي محاصرة العدو ومصابرته وإنظاره
ومناظرته وإنزالهم على ما شرع الله فيهم من الأحكام والتوخي في ذلك ما
حكم به سعد بن معاذ في زمن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام 207 ب
وفي ضرب الهدن وإمضائها والوفاء بالعقود المشروعة إلى انتهاء مددها
وانقضائها وفي إرضاء السيوف ممن نكت ولم يتم عهده إلى مدته فإن إسقاط
الكفر في

إرضائها وفي الأمصار يقر بها من شاء من الجنود ويبعث إليها ما شاء من
البعوث والحشود وفي سداد الثغور بالرجال الذين تفتت بهم عن شنب النصر
وتأمن بهم أعدادها من غوائل الحصر وتوفر سهامها من سهام القوة التي
ترمي العدا بشرر كالقصر وإمداد بحرهما بالشواني المجربة المجردة والسفن
التي كأنها القصور الممهدة على الصروح الممردة فلا تزال تدب إليهم من
ذوات الأرجل عقاربها وتخطف غربانهم الطائفة بأجنحة القلوع مخالبا وفي
تقدمة الألوف وتنفيذ السرايا التي لا تزال أسنتها إلى نحور الأعداء مقومة
وإنفاق ما يراه في مصالح الإسلام من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة وفي إعلاء منار الشرع الشريف والانقياد إليه والمسارة إلى
نفوذ حكمه فيما له وعليه وتقوية يد حكمه على كل أمير ومأمور أقر الشرع
في يده شيئا أو انتزعه من يديه وتفويض الحكم إلى كل من يتعين لذلك من
أئمة الأمة وإقامة الشرع الشريف على قواعده الأربع فإن اتفاق العلماء حجة
واختلافهم رحمة وفي

مصالح الحرمين الشريفين وثالثهما الذي تشد الرحال أيضا إليه وفي إقامة سبل الحجيج الذي دعاهم الله فلبوه واستدعاهم فقدموا عليه وفوض إليه كل ما هو من لوازم خلافته لله في أرضه ما ذكر وما لم يذكر تفويضا لازما وتقليدا جازما وعقدا محكما وعهدا في مصالح الإسلام والمسلمين محكما واكتفى عن الوصايا بما جبل عليه خلقه الشريف من التقوى وهدى نفسه النفيسة إليه من التمسك بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى فما ينه على حسنه إلا وهو 208 أ سبق إليها ولا يدل على معدلة إلا وفكره الشريف أسرع من فكر الدال عليها وقد وثق ببراءة الذمة من حق قوم أضحوا لفضل مثله راجين وتحقيق حلول النعمة على أمة أبدا إلى لاجين وقد استخار أمير المؤمنين الله تعالى في ذلك كثيرا ولجا إلى الله في توقيفه وتوقيفه على الصواب مما يجده في الحكم بذلك هاديا ونصيرا وسارع إلى التسليم لأمر الله تعالى فيما فوض إليه من أمور عباده

إنه كان بعباده خيرا بصيرا وأشهد الله وملائكته ومن حضره من المؤمنين على نفسه بما تضمنه هذا العهد الكريم وحكم بمقتضاه على الأمة (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم) والخط الشريف الإمامي الحاكمي أعلاه حجة بمقتضاه إن شاء الله تعالى وعلى مثل ذلك كتب المولى شمس الدين إبراهيم بن القيسري عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عن الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين المقدم ذكره في سلطنته الثانية عند عوده من الكرم بعد خلع المنصور لاجين وهذه نسخته

هذا عهد يعمر بك للإسلام المعاهد وينصر منك الاعتزام فتغنى عن الموالي والمعاهد ويلقى إليك

مقاليد الأمور لتجتهد في مرضي الله وتجاهد وبيعتك على العمل بالكتاب والسنة ليكونا شاهدين لك عند الله في أعظم المشاهد فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة تبركا بأخذ يحيى عليه السلام الكتاب وحاسب نفسك محاسبة تجد نفعها يوم يقوم الحساب اعمل صالحا 208 ب فالذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب من عبد الله ووليه الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين إلى السلطان الأجل العالم العادل المجاهد المرابط المظفر الملك الناصر ناصر الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلطين فاتح الأمصار مبيد الأرمن والفرنجة والتتار وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك خادم الحرمين صاحب القبلتين أبي الفتح محمد قسيم أمير المؤمنين أعز الله سلطانه ولد السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاوون قدس الله روحه

أما بعد فالحمد لله الذي أقام ناصر الإسلام وأهله بخير ناصر وأحل في السلطنة المعظمة من استحقها بذاته الشريفة وشرف العناصر ووضع الإصر بمن كثرت منه ومن سلفه الكريم على الرعايا والأواصر وعقد لواء الملك لمن هو واحد في الجود ألف في الوعى ففي حاله تعقد عليه الخناصر وجمع كلمة الأمة بمتفرد في المعالي متوحد في المفخر متصف

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بمناقب أربى بها على أربابها من الملوك الأوائل والأواخر وأقر النواظر
والخواطر بمن أشرق عليهما نروه الباهر وظهر آثار وجود وجوده على البواطن
والظواهر وأعاد شبيبة الأيام في اقتبال سر السرائر وسارت بشائر مقدمه في
الآفاق سير المثل وما ظنك بالمثل السائر وفعلت مهابته في التمهيد والتشييد
فعل القنا المتشاجر وشفقت الصدور بوجود الاتفاق وعدم الشقاق بعد أن بلغت
القلوب الحناجر وأورث البلاد والعباد صفة ذرية ورثوا السيادة كابرًا عن كابر
وسرى سره إذا ولد المولود منهم تهللت الأرض واهتزت إليه المنابر
والحمد لله الذي اجتنب سيدنا محمدًا {صلى الله عليه وسلم} من أشرف بيت
وقبيلة ومنح الأمة برسالته من خيرى

الدنيا 209 أمير المؤمنين والآخرة الوسيلة وأوجب الشفاعة لمن سأل الله له
أعلى درجة لا ينالها إلا رجل واحد وهي الوسيلة وجعل شملهم بمبايعته في
الهداية نظيما وحض على ذلك بقوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون
الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) وبلغهم به من السعادة غاية مطلوبهم وأيده
بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم وزان شريعته المطهرة بمحاسن أبيه
منظرا ومخبرا من العقود وفرض على المؤمنين أن يوفوا بالعهود والعقود
وأقدرهم على حمل الأمانة التي أشفقت السموات والأرض والجبال من حملها
وأنزل في كتابه العزيز (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)
والحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين من سلالة عم نبيه العباس واصطفى بيته
المبارك من خير أمة أخرجت للناس وقوى به جأش المسلمين وجيوش
الموحدين على

الملحدين وآتاه بسيادة جده وسعادة جده ما لم يؤت أحدا من العالمين وحفظ
به للمؤمنين ذماما وجعله للمتقين إماما وخصه بمزيد من الشرفين نسبه
ومنصبه وجعل مزية الرتبتين كلمة باقية في عقبه وصان به حوزة الدين صيانة
العربن بالأسود وصير الأيدي البيض مشكورة لحاملي راياته السود
يحمده أمير المؤمنين حمد من اختاره من السماء فاستخلفه في الأرض وجعل
إمرته على المؤمنين فرضا لتقام به السنة والفرض ويشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له (الذي أسرى بعبد ليله من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى) وبلغ الأمة به من النجاة والنجاح الغرض الأقصى ويشهد أن محمدا
عبد ورسوله الذي كشف بمبعثه عن القلوب حجب الغي 209 ب وأشرقت
أنوار نبوته فأضاء بها يوم دخوله المدينة كل شيء صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين منهم من أقامه في الإمامة مقامه وأشار إلى الاقتداء به

من بعده ومنهم من أعز الله به الإسلام في كل قطر مع قربه وبعده ومنهم من
كانت اليد الشريفة النبوية في بيعة الرضوان خيرا له من يده ومنهم من أمر
الله تعالى بالمباهلة بالآبناء والنفوس فباهل خاتم الأنبياء {صلى الله عليه
وسلم} به وبزوجه وولده وعلي بقية العشرة الذين غدت بهم دعوة الحق
مشتهرة منتشرة وعلي عميه أسد الله وأسود رسول الله عليه السلام وجد الأئمة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المهدين أمراء المؤمنين وخلفاء الإسلام وسلم تسليما كثيرا
وإن الله تعالى جعل سجية الأيام الشريفة الإمامية الحاكمة أدام الله إشرافها
وقسم بها بين الأولياء والأعداء آجالها وأرزاقها رد الحقوق إلى نصابها وإعادتها
إلى مستحقها ولو تمادت الأيام على اغتصابها وإقرارها عند من هو من دون
الورى أولى بها ليحقق أن نسبة الشريف أظهر على أوامره دلائل الإعجاز
وحلى كلماتها بالإيجاز وهياتها بالإنجاز وإن الله جعل الاسم الشريف الحاكمي
في الحكم بأمره على خير مسمى وقوى منه في تأييد كلمة الحق جنانا وعزما
ولم يخرج من أحكامه عن اتباع أمر الله قضية ولا حكما
وكنت أيها السيد العالم العادل السلطان الملك

الناصر ناصر الدنيا والدين أبو الفتح محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور
سيف الدين قلاوون قدس الله روحه أولى الأولياء بالملك الشريف لما لسلفك
من الحقوق وما أسلفوه من فضل لا يحسن له التناسي ولا العقوق ولما أوجب
لك على العساكر الإسلامية سابق الإيمان وصادق الإيمان ولأنك جمعت في
المجد بين طارف وتالد وفقت بزكي نفس وأخ ووالد وجلالة ما ورثتها عن كلاله
وخلال 210 أمير المؤمنين ما لها بالسيادة إخلال ومفاخر تكاثر البحر الزاخر
ومآثر أعجز وصفها الناظم والناثر وكان ركابك العالي قد سار إلى الكرك
المحروس وقعدت عنك الأجسام وسافرت معك النفوس ووثقت الخواطر بأنك
إلى السلطنة تعود وأن الله يجدد لك صعودا إلى مراتب السعود وأقامت بها
وذكرك في الآفاق سائر والآمال مبشرة بأنك إلى كرسي مملتك صائر فلما
احتاج الملك الشريف في هذه المدة إلى ملك يسر سريره وسلطان تغدو
بإستقراره عيون الأنام والأيام قريرة لما للمسلمين في ذلك من

تيسير أوطار وتعمير أوطان ولأنهم لا ينفذون في المصالح الإسلامية إلا
بسلطان لم يدر في الأذهان ولا خطر لقاص ولا دان إلا أنك أحق الناس
بالسلطنة الشريفة وأولاهم برتبتها المنيفة ولا ذكر أحد إلا حقوق بيتك وفضلها
ولا قال عنك إلا بقول الله تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) لأن البلاد فتوحات
سيوفكم ورعاياها فيما هم فيه من الأمن والخير بمنزلة ضيوفكم ولأن العساكر
الإسلامية استرقهم ولاؤك ووالوك لأنهم أرقاؤك فلم يقل أحد أنى له الملك
علينا بل أقر كل منهم لك باليد وفر بولايتك عينا وأخلصوا في موالاتك العقائد
واستبشروا منك بمبارك الوجه ماجد جائد ولم يغب غائب خليفته جيش أبيه
وجده الصاعد ورفعت الممالك يد الضراعة سائلة وراغبة وخطبتك لعقائلها
ومعاقلها والخطباء على المنابر لك خاطبة وبدعائك مخاطبة وقصدت لذلك
أبوابك التي لا تزال تقصد ودعيت للعود المبارك وعود محمد للأمة المحمدية
أحمد وفعلت الجيوش المنصورة من طاعتك كل ما سر وأربت
في صدق النيات وبرها على كل من بر 210 ب
ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما
في وسعه لسعى إليك المنبر
فما ضر بحمد الله بعد الدار والآمال لساكنها مطيفة بل كان لك الذكرى في

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

قلب الخليفة نعم الخليفة وكنت لديه وإن غبت حاضرا بجميل الذكر ونأيت دارا
فقربك إليه حسن التصوير في الفكر وكان أمير المؤمنين قد شاهدك يافعا
وشهد خاطره أن ستصير للمسلمين نافعا وتأمل منك أمائر أضحى لها لترقيك
أملا وهلاك دلته كرامته ولا تنكر له الكرامة على أن سيكون بدرا كاملا وبلغه
عنك من العدل والإحسان ما أعجز وصفه بلاغتي القلم واللسان فناداك نداءه
على بعد المزار ولم يجد لك نظيرا فأطال وأطاب لمقدمك السعيد الانتظار
إلى أن أقدمت إقدام الليث وقدمت إلى البلاد المتعطشة إلى نظرك الشريف
قدوم الغيث فلاح بك على الوجود دليل الفلاح وحمد الرعايا سراك عن الصباح
والاستصباح وشاهدوا منك أسدا فاق

بوثباته وثباته الأول وشخصا لا يصلح إلا لإدالة دول ولا تصلح إلا لمثله الدول
وقامت بإختيارك على اختيارك الدلائل وعرفك سرير الملك وعرف فيك من
أبيك شمائل ورأى أمير المؤمنين من نجابتك فوق ما أخبرت به مساءلة
الركبان ومن مهابتك ما دل على خفض الشان ورفع الشان ومن محامدك كل
ما صغر الخبر عنها الخبر وأعلنت ألسنة الأقدار بأنه لم يبق عن تقليدك
الممالك الإسلامية بحمد الله تعالى عذر فاخترت على علم على العالمين
واجتباك للذب عن الإسلام والمسلمين واستختر الله تعالى في ذلك فخار
وأفاض عليك من بيعته المباركة مع فخرك المشتهر حلل الفخار وعهد إليك في
كل ما اشتملت عليه دعوة إمامته المعظمة وأحكام خلافته التي لم تزل بها
عقود الممالك في الطاعة منظمة وفوض 211 أمير المؤمنين إليك سلطنة
الممالك الإسلامية برا وبحرا شاما ومصرنا قريبا وبعدا غورا ونجدا وما سيفتح
الله عليك من البلاد وتستقذه من أيدي ذوي الإلحاد وتقليد الملوك والوزراء
وقضاة الحكم العزيز وتأمير الأمراء وتجهيز العساكر والبعوث للجهاد في سبيل
الله ومحاربة من

ترى محاربه من الأعداء ومهادنة من ترى مهادنته منهم وجعل إليك في ذلك
كله العقد والحل والإبرام والنقض والولاية والعزل وقلدك ذلك كله تقليدا يقوم
في تسليم الممالك إليك مقام الإقليد ويقضي لقربها ويعيدها بمشيئة الله
تعالى بمزيد التمهيد والتشييد لتعلم أن الله قد جعل الأيام الشريفة الحاكمة
أدامها الله تعالى فلما أبدى سالفنا من البيت الشريف المنصوري أقمارا وأطلع
منهم أنفا بدرا ملأ الخافقين أنوارا فكلما ظهر لسلفه بدت مآثر خلفه أظهر
ومن شاهدهم وشاهد شمس سعادته المنزهة عن الأفول قال هذا أكبر وكلما
ذكر لأحدهم فضل علم أنه في أيامه متزيد وأنه إن مضى منهم سيد في سبيله
فقد قام بأطراف الأسنة منهم سيد وصير الدولة الشريفة الخليفة غابا إن غاب
منهم أسود خلفهم شيل بشرت مخائله أنه عليها يسود فليقلد السلطان الملك
الناصر ما قلده أمير المؤمنين وليكن لدعوته الهادية من الملبين وعليها من
المؤمنين وليترق إلى هذه الرتبة التي استحقها بحسبه واسترقها بنسبه
وليأشرها مستبشرا وبظهر من شكر الله عليها ما يغدو به

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

مستظهدرا فقد أراد أمير المؤمنين القيام في نصره الدين الحنيف فأقامك أنت مقامه وصرف بك بين أهل الطاعة والعصيان إكرامه وانتقامه رعاية لعهد سلفك الكريم لوما استوجبه نفسك النفيسة من وفور التعظيم والتكريم وعناية بالعساكر 211 ب المؤبده الذين وجهوا وجهه أمالهم إليك وأبت كلمتهم التي صانها الله عن التفرق أن تجتمع في الطاعة والخدمة إلا عليك ولديك ومنه عليهم بسطان ما برحوا من الله تعالى يطلبونه وملك نشأوا بأبوابه العالية فلهذا يحبهم ويحبونه فاحمد الله الذي جعل لك في إعادة الملك أسوة بسليمان عليه السلام ورده إليك ردا لا انفصال لعروته ولا انفصام فأضحيت لأمر عباده سدادا ولثغور بلاده سدادا وللخليفة عضدا في الخليفة وفي الدهر سامي الحقيقة حامي الحقيقة وللملك وارثا وورقا رقا أصبحت به في السلطنة واحدا وللخليفة المعظمة ثانيا وللمقمرين ثالثا وبشراك أن الله أبرم سبب تأكيدك إبراهيم لا تصل الأيدي إلى نقضه وأنك سئلت عن أمر طالما أتعب غيرك سؤاله في بعضه وأن الله يحسن لك العون وبك الصون فقد قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يا عبد الرحمن بن سمره لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها

وبشراك أن أمير المؤمنين خصك بمزيد الاعتناء وأقامك مقامه في حسن الغناء وحقق أن السعادة في أيامه موصولة منكم بالآباء والأبناء وبلغك بهذا التقليد الشريف الأماني وتوجه بيمين قريبة عهد باستلام الركن اليماني واصطفاك بقلب أظهر له الكشوف إشراق تلك الستور وغدا مغمورا بالهداية ببركة البيت المعمور ونظر زادته مشاهدة الحرم الشريف النبوي نورا على نور وقابل ذلك بالقيام في مهمات الإسلام وتدقيق النظر في مصالح الخاص والعام واجتهد في صيانة الممالك اجتهدا يحرس منها الأوساط والأطراف وتنتظم به أحوالها أجل انتظام وتأتلف أجمل ائتلاف والوصايا كثيرة وأولها 212 أمير المؤمنين تقوى الله فليجعلها حلية لأوقاته ويحافظ عليها محافظة من يتقيه حق تقاته ويتخذها نجى فكره وأنيس قلبه ويعظم حرمان الله) ومن يعظم حرمان الله فهو خير له عند ربه) والشرع الشريف فهو لعقد الإسلام نظام وللدين القيم قوام فتجتهد في اقتفاء سننه والعمل بفروضه وسننه وتكريم أهله وقضاته والتوسل بذلك إلى الله في ابتغاء مرضاته وأمرأء دولتك فهم أنصار سلفك الصالح وذوو النصائح فيما أثروه من المصالح وخلصاء طاعتهم في السر والنجوى وأعاونهم على البر والتقوى وهم الذين أحلهم والدك من العناية المحل الأسنى والذين سبقت لهم بحسن الطاعة من الله الحسنى ولو لم يكن لهم إلا حسن الوفاء لكفاهم عندك في مزيد الاعتماد والاستكفاء فإنهم جادلوا في إقامة دولتك وجالدوا ووفوا بالعهد فهم الموفون بعهدهم إذا عاهدوا وهم للوصايا بخدمتك واعون وفيما ائتمنتهم عليه لأمانتهم وعهدهم راعون قد أصفوا لك النيات بظهر الغيب وأخلصوا الطويات إخلاصا لا شك مع ولا ريب وأبوا عنك أحسن مناب وكفا كف العدو فما طال له لافتراس ولا اختلاس ظفر ولا ناب واتخذوا لهم بذلك عند الله وعندك يدا وأثلوا لهم به مجدا يبقى حديثه الحسن الصحيح عنهم مسندا

واستوص بهم وبسائر عساكرك المنصورة خيرا وأجمل لهم سريرة وفيهم سيرا وأحمدهم عقبى هذه الخدمة وأوردتهم منهل إحسان يضاعف لهم النعمة والنعمة لتؤكد طاعتك على كل إنسان ويثقوا بحسن المكافأة (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ولتزداد أوامرك ونواهيك امتثالا ولا يجدوا عن محبة أيامك الشريفة انتقالا وليقال في حسن خدمهم وإحسانك هكذا هكذا وإلا فلا لا وأما الغزو 212 ب والجهاد في سبيل الله تعالى وما أوجبه فيهما قوله (انفروا خفافا وثقالا) فأقل ما يجزئ فرض الكفاية منه مرة في كل عام وأما فرض العين فوجوبه على ذوي الاستطاعة من المسلمين عام وقد عرفت سنن السلطانين الشهيدين والدك وأخيك قدس الله روحهما في الاعتناء بجهاد الكفار وغزوهم في عقر الدار وموقف أحدهما في موطن زلت فيه الأقدام عن الإقدام واجتمع فيه الكفر على الإسلام وشاب من هوله الوليد ومصابرته تجاه سيف من سيوف الله تعالى الإمام خالد بن الوليد واستنقاذا لآخر البلاد الساحلية التي أنقذها الله من أيدي المشركين على يد الصالحين وفتح لهما أبواب الجنة ببركة الافتتاحين وأن والدك وأخاك سدا على المشركين الفجاج وطهرا من أرجاسهم العذب الفرات والملح الأجاج فالكثائب المنصورة أبانت التتار بالسيوف المشرفية والممالك الإسلامية زهت نظاما بالفتوح الأشرفية فاجتهد في إعلاء كلمة الدين أتم اجتهاد وعززهما منك بثالث في الغزو والجهاد والرعايا بعيدهم وقريبهم ومستوطنهم وغريبهم فيوفيههم من الرعاية حظهم ويجزل صيانتهم وحفظهم وكما يرى الحق له فليرى الحق عليه ويحسن إلى رعاياه كما أحسن الله إليه وأما العدل فإنه للبلاد عمارة وللسعادة أمانة وللآخرة منجاة من النفس الأمارة فليكن له شعارا ودارا ويظهر لسجيته الزكية في آثارا وليؤكد مراسمه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة من ذلك على ما يذكر به عند الله ويشكر

والحدود الشرعية فليحل بإقامتها لسانه وطرسه ولا يتعدها بنقص ولا زيادة) ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه (والله يخلد له رتبة الملك التي أعلى بها مقامه ويديمه ناصرا للدين الحنيف 213 أمير المؤمنين فأنصاره لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة ويجعل سبب هذا العهد الشريف مدى الأيام متينا ويجدد له في كل وقت نصرا قريبا وفتحا مبينا والخط الشريف الحاكمي أعلاه حجة بمقتضاه إن شاء الله تعالى المذهب الثاني

في افتتاح عهود الملوك عن الخلفاء أن يفتتح العهد بقوله من فلان إلى فلان كما يبدأ في المكاتبات ثم يأتي بعد ذلك بقوله أما بعد ثم تارة يأتي بعد البعدي بتحميد مثل أن يقول أما بعد فالحمد لله وبخلص من ذلك إلى ذكر أمر الولاية وما ينخرط في سلكها وتارة يأتي بعد البعدي بخطاب المولى والدعاء له ويتخلص منه إلى مقاصد العهد من الوصايا وغيرها وعلى هذه الطريقة

كتب به عن الطائع لله للملك الأشرف شيرز بن عضد الدولة
وهذه نسخته

من عبدالله عبدالكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى شيرز بن عضد
الدولة وتاج الملة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين سلام عليك فإن أمير
المؤمنين يحمد إليك
الله الذي لا إله إلا هو ويسأله 213 ب أن يصلي على محمد عبده ورسوله
{صلى الله عليه وسلم}

أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك وسعادتك ونعمتك وأمتع أمير
المؤمنين بك وبالموهبة فيك وعندك فإن أمير المؤمنين يرى أن يحفظ على كل
ولي أحمد مذهبهم وأرضى ضرائبه وانصرف عن الدنيا متمسكا بطاعته متدينا
بمشايعته حقوقه المتوحدة وحرماته المتمهدة فيمن يخلفه بعده من ولد أمل
فيه أن يرث عنه محله ويقوم فيه مقامه وفاء لأهل الولاية وتصرفا على أحكام
الرعاية وسياقة للصنعة من سالف إلى خالف وإمضائها من تالد إلى طارف
هذا على الأمر الجامع والعموم الشامل فإذا اتفق أن تنتهي وراثته القرب إليه
والمنازل لديه إلى النجباء الأفاضل والحصفاء الأماثل الذين يستحبون استئناف
الاصطناع لهم واستقبال التفويض إليهم بالمناقب الموجودة فيهم لو انفردت
عما حازوه عن آبائهم وأولياهم أجرى أمير المؤمنين ما يفيضه عليهم من
الأيادي ويرقيهم إليه من هضبات المعالي مجرى الأمر الواجب الذي كثرت
الدواعي إليه

واتفق الرأي والهدى عليه وتطابق الإيثار والاختيار فيه واقترن الصواب
والسداد به واشترك المسلمون في استثمار فائدته وعائدته والانتفاع بتأديته
وعاقبته والله يخير أمير المؤمنين فيما يمضيه من العزائم وبينه من الدعائم
ويعتمده من المصالح ويتوخاه من المناجح إنه على ذلك قدير وبه جدير وهو
حسب أمير المؤمنين ونعم الوكيل
وقد علمت أدام الله عزك وأمتع المؤمنين بك أن شجرة بيتك التي تمكنت من
الخدمة أصولها ونشأت على الطاعة فروعها شجرة لم تزل النجابة صاحبة لها
والفضيلة منوطة بها وأسباب التمام والدوام مجتمعة فيها فلذلك 214 أمير
المؤمنين سبغت النعمة عليكم وامتد ظلها إليكم وتقلب فيها قداحكم وتوفرت
منها حظوظكم فتداولتموها بينكم كابر عن كابر بمساعيكم الصالحة
ومناهجكم الواضحة وتعاضدكم على ما لم شعث الدولة الجامعة وطرف عنها
الأعين الحاسدة

وكان شيخك عضد الدولة وتاج الملة أبو شجاع رضوان الله عليه صاحب الرتبة
العظمى عند أمير المؤمنين وهمامها والمتمطي غاربها وسنامها فعاش ما
عاش مشكوراً محموداً ثم انقلب إلى لقاء ربه سعيداً رشيداً وأوجب أمير
المؤمنين لك وله فيك الحلول بمكانه وحيازة خطره وشأنه إذ كنت أظفر ولده
وأول المستحقين لوراثته وكانت فيك مع ذلك الأدوات المقتضيات لأن يفوض
الأمر إليك ويعتمد فيها عليك من كفاية وغناء واستقلال ووفاء وسياسة وتدبير

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وشهامة وتشمير وتصرف علي طاعة أمير المؤمنين وإشبال على إخوتك أجمعين وحسن أثر فيما أنفذ أمرك فيه وإفاضة أمن فيمن مضت ولايتك عليه وإحاطة بدلائل الجزالة ومخايل الأصالة بمثلها تنال الغايات الأفاصي وتفترع الذوائب والنواصي فنولك أمير المؤمنين تلك الأثرة وخولك تلك الفخرة وجعل أخاك صمصام الدولة وشمس الملة أبا كاليجار أمتع الله أمير المؤمنين بك ثانئك وتاليك والمتقدم بعدك على ولد أبيك وأجراكما في التطبيق بينكما والتقريب لمنازلكما على مثل ما جرى لأمر عليه بين ركن الدولة أبي علي ومعرز الدولة أبي الحسين سالفًا ثم بين عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ومؤيد الدولة أبي منصور أنفا تولاهم الله بالرحمة ونفعهم بما قبضهم عليه من وثائق العصمة وخصك أمير المؤمنين بعد ذلك بما يخص به ذا القدر الشامخ والفخر الباذخ والقدم السابقة 214 ب والمحلة السامية فذكرك بالتكنية ورفعك عن التسمية ولقبك لقبين أحدهما شرف الدولة لتشريفه بك أولياءه الذين أوطأهم عقبك وأعلقهم سبيلك والآخر زين الملة لزيينة أيامه بمعاليك وتضاعف جمالها بمساعيك وعقد لك بيده لواءين يلويان إليك الأعناق بالطوع ممن سراه وأبهجاه والكره ممن راعاه فأزعجاه وأمر بأن تقام لك الدعوة على منابر مدينة السلام وما يجري معها من الأعمال بين

الدعوة لأمير المؤمنين وبين الدعوة لصمام الدولة وشمس الملة أمتع الله أمير المؤمنين بكما وأحسن الدفاع له عنكما إلحاقًا لك وله بعدك بأبيكما فيما كان شرف به من هذه الحال التي لم ينلها غيره ولا أهل لها أحد قبله وأن يثبت ذكرك باللقب والكنية فيما ينقش من سكك العين والورق في دور الضرب باديا وذكر صمصام الدولة كلاً كما الله تاليا وحباك أمير المؤمنين مع ذلك بخلع تامة تفاض عليك وفرسين من جياذ خيله يقادان إليك بمركبي ذهب من خاص مراكبه وسيف ماض من خيار أسيافه يعز الله منكيبك بنجاده وبذل مناكب أعدائك بغراريه وطوق وسوارين وأن تجري في المكاتب عنه إلى الغاية التي أجرى أبوك رحمه الله إليها وهذا الكتاب ناطق بها ودال عليها وندب لإيصال الجميع إليك علي بن الحسين الهاشمي الزينبي وأحمد بن نصر العباسي حاجبه وُدجى خادمه فتلق شرف الدولة وزين الملة وأبا الفوارس أدام الله عزك بما يحق عليك من تقوى الله في سرك وجهرك ومراقبته في قولك وعملك وابتغاء رضاه في مختلج خطراتك وفكرك واتباع طاعته في مخارج أمرك ونهيك وقابل ما أنعم به عليك وأحسن فيه إليك بالشكر الذي موقعه من النعمة موقع القرى من 215 أمير المؤمنين الضيف إن وجده لم يذم وإن فقدته لم يقم وامتد على من وليت عليه من الخاصة والعامة ظلك ووطئ لهم كنفك وأغمرهم بطولك ووسسهم سياسة يكون بها صلاحهم مضمونا وحریمهم مصونا وبلادهم معمورة ومنافعهم موفورة وحبهم دارا وعيشهم رغدا وثغورهم مسدودة وأعادهم مذودة ومسالكهم محمية ومسالكهم مرعية ومرهم بالمعروف وانهم عن المنكر وابعثهم على الحسنات واكفهم عن السيئات وساو في الحق بين شريفهم ومشروفهم وقويهم وضعيفهم وقريبهم وغريبهم ومليهم وذمهم وقوم سفهاءهم وجهالهم وانف دعارهم وخرابهم وأكرم صلحاءهم وحلماءهم وشاور فضلاءهم وعقلاءهم وجالس أدنياءهم وأعلیاءهم ورتبهم

مراتبهم ونزلهم منازلهم وأرهم تمسكك بالدين ليقنتدوا بك فيه ورغبتك في
الخير ليتقربوا إليك به وخذ الحق وأعطه وابسط العدل وقل به وادراً الحدود
بالشبهات واقمعها وأمضها بالبينات لتكون الرغبة إليك في رهب والرهبه منك
في رغب وبالجملة فاحمل الناس على كتاب الله جل وعز وأدابه وسنة
الرسول وما جا به

وإعلم أن أمير المؤمنين قد جعل كتابه هذا عهداً إليك وحنة لك وعليك وأن
الأوامر والنواهي في العهود تكون كثيرة وإنما قصر فيه عن استيفائها لارتفاع
طبقتك عن الحاجة إلى استقصائها وللخروج إلى الله من الحق في تضمينه
هذه الجمل منها فإذا وصل ذلك إليك مع كرامات أمير المؤمنين المقدم ذكرها
لك فالبس خلعه وتقلد سيفه وتحل بحلاه وابرز لمن يليك على حملانه وأظهر
لهم ضروب إحسانه وامتنانه وانصب أمامك اللوائين وتكن وتلقب اللقبين
وكاتب من

طبيقات الناس متلقبا بهما متكنيا إلا أمير المؤمنين فإن 215 ب الأدب أن لا
تكتابه متلقبا بل متسما وليس ذلك ناقصاً لك فيما أعطيته ولا مرتجعاً شيئاً مما
حببته ولكنه الأمر بالمعروف والرسم المألوف وصل ما بينك وبين أخيك
صمصام الدولة وشمس الملة أدام الله الإمتاع بكما بالمودة كما وصله الله
بالأخوة وكونا جميعاً يدا في طاعة أمير المؤمنين واستقيماً على كلمة سواء في
رعاية المسلمين وافتقا على مسالمة المسالمين وتعاضدا في محاربة
المحاربين فان ذلك أرأب للصدع وأضم للنشر وأنظم للشمل وأليق بالأهل
وأقم الدعوة لنفسك على منابر الممالك بعد إقامتها لأمر المؤمنين وكاتب
أمير المؤمنين بأخبارك وطالعه بأثارك واستدع أمره فأمره فيما استعجم من
التدبير عليك ورأيه فيما استبهم من الأمور دونك واسترشدته إلى الحظ يرشدك
واستهده في الخطوب يهدك واستمدته من المعونة يمددك واشكر آلاءه يزدك
إن شاء الله تعالى
أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك وسعادتك ونعمتك وأمتع أمير المؤمنين
بك وبالموهبة فيك وعندك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المذهب الثالث

أن يفتح العهد بلفظ إن أولى أو إحق وما أشبه ذلك وهي طريقة غريبة خارجة
عن أصول الكتابة من حيث إن رتبة الملوك فيما يكتب لهم التعظيم ومثل هذا
الافتتاح إنما يكتب لأصحاب الرتب السافلة التي لا تقارب رتبة الملك ولا ما
دونها

على أنه قد كتب بذلك إلى ديوان الخلافة ببغداد للسلطان صلاح الدين يوسف
على جلاله قدره بتقليد الديار المصرية والبلاد الشامية واليمينية في بعض
الأحيان 216 أمير المؤمنين وكان ذلك إنما وقع حين كان الخليفة الناصر لدين
الله متغيراً عليه حين تلقب بالملك الناصر لما في ذلك من مضاهاة لقب
الخليفة

وهذه نسخة العهد المكتوب به على هذه الطريقة
إن أولى من جادت رباعه سحب الاصطناع وخص من الاصطفاء والاحتباء

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بالصفايا والمرباع من توسم فيه انتهاج الجدد القويم والطريق الواضح
المستقيم واعتلق من الأولياء بأوثق عصمه وحباله والفناء الذي يهتدي بأنواره
في متصرفاته وأعماله والتحلي بجميل الذكر في سيرته وخلوص الاعتناء بأمور
عطيته وكان راغبا في اقتناء حميد الخلال مجتهدا في طاعة الله بما يفيضه من
العدل الممتد الظلال عاملا فيما يناط به بما يتضوع نشر مختبره ويجتني بحسن
صنعه يانع ثمره باذلا وسعه في الصلاح مؤذنة مساعيه بفوز القداح
ولما كان الملك الأجل السيد صلاح الدين ناصر الإسلام عماد الدولة جمال الأمة
فخر الملة صفى الخلافة تاج الملوك والسلطين قانع الكفرة
والمشركين قاهر الخوارج والمتمردين عز المجاهدين ألب غازي بك بن يوسف
بن أيوب أدام الله علوه على هذه السجاياء مقبلا وبصفتها الكاملة مشتملا
مؤثرا تضاعف المآثرات مثابرا متأثرا على ما تزكو به الأعمال الصالحات متحليا
بالمحامد الرائقة مستبدا بالمناقب التي هي لجميل أفعاله موافقة مطابقة
محصلا من رضا الله تعالى ما يؤثره ويرومه من طاعة الدار العزيزة لا زالت
مشيدة البناء سابعة النعماء دائمة الاستبشار عزيزة الأنصار من استمرار
الظفر ما يستديمه

اقتضت الآراء الشريفة لا زال التوفيق قرينها والتأييد مظافرها ومعينها إمضاء
تصرفه وإنفاذ حكمه في بلاد 216 ب مصر وأعمالها والصعيد الأعلى
والإسكندرية وما يفتحه من بلاد الغرب والساحل وبلاد اليمن وما افتتحه منها
واستخلصه بعد من ولايتها والتعويل في هذه الولايات عليه واستنقاذ ما استولى
عليه الكفار من البلاد وإعزاز كل من أدلوه واضطهدوه من العباد لتعود الثغور
بيمين نقيته ضاحكة المباسم وبإصابة رأيه قائمة المواسم
أمره بادئا بتقوى الله التي هي الجنة الواقية والذخيرة الباقية والعصمة الكافية
والزاد إذا أنقض وفد الآخرة وأرملوا والعتاد النافع إذا وجدوا شاهدا لهم وعليهم
ما عملوا فإنها العلم المنصوب للرشد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله ولتنتظر نفس ما قدمت لعد)
وأمره أن يتخذ كتاب الله لزواجه ومواعظه ويعتبر بتخويفه وملاحظة ويصغى
إليه بسمعه وقلبه وجوارحه ولبه ويعمل بأوامره المحكمة ويقف عند نواهيه
المبرمة ويتدبر ما حوته آياته من الوعد والوعيد والزجر والتهديد قال الله عز
وجل (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد)
وأمره أن يكون على صلواته محافظا ولنفسه عن الإخلال والتقصير في أداء
فرضها وأعضا فيغتتم الاستعداد
أمام أوقاتها للأداء ويحترز من فواتها والحاجة إلى القضاء موفيا حقها من
الركوع والسجود على الوصف الواجب المحدود مخلصا سره عند الدخول فيها
وناهيا نفسه عما يصددها بالأفكار ويلهيا مجتهدا في نفي الفكر والوسواس عن
قلبه منتصبا في إخلاص العبادة لربه ليغدو بوصف الأبرار منعوتا قال الله تعالى
(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)

وأمره بقصد المساجد الجامعة في أيام الجمع امتثالاً لأمر الله المتبع بعزيمة في الخير صادقة ونية للعبادة موافقة وفي الأعياد إلى المصليات 217 أمير المؤمنين المصحرة المجملية بالمنابر الحالية التي هي من الأدناس مطهرة نائية فإنها من مواضع العبادة ومواطنها ومظان تلاوة القرآن المأمور بحفظ آدابها وسننها فقد وصف الله تعالى من وفقه لتجميل بيوته بالعمارة بما أوضح فيه الإشارة وشرفه بوضع سمة الإيمان عليه بالإكرام الفاخر فقال (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)

فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدمه ومنتها فيها إلى أحسن ما عهده وعلمه

وأمره بلزوم نزاهة الحرمات واجتناب المحرمات والتخلي من العفاف والورع بأجمل القلائد الرائقة والتقمص بملابس التقوى التي هي بأمثاله لائقة وسلوك منهاج الصلاح الذي يجمل به فعله ويصفو له علمه ونهله وأن يمنع نفسه من الغضب ويردها عما يأمر به من سوء المكتب ويأخذها بأداب الله سبحانه في نهيبها عن الهوى وحملها على التقوى وردعها عن التورط في المهاوي والشبه وكل أمر يلتبس فيه الحق وبشبهه ويلزمها الأخذ بالعفو والصفح والتأمل لمكان الأعمال فيه واللمح قال الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)

وأمره بإحسان السيرة في الرعايا بتلك البلاد واختصاصهم بالصون الرائج والغاد ونشر جناح الرعاية على البعيد منهم والقريب وإحلال كل منهم محله على القاعدة والترتيب وإشاعة المعدلة فيهم

وإسهام دانيهم من وافر ملاحظته وقاصيهم وأن يحمي سرحهم من كل داعر ويذود عنهم كل موارد بالفساد ومظاهر حتى تصفو لهم من الأمن الشرائع وتصفو عليهم من بركة ولايته المدارع وتستتير بضوء العدل منهم المطالع ويحترم أكبرهم ويحنو على أصاغرهم ويشملهم بكنفه ودرعه وينتهي في مصالحهم إلى غيه وسعه ولا يألوهم 217 ب في النصح جهدا ولا يخلف لهم في الخير وعدا وبشاورهم في أمره فإن المشورة داعية إلى الفلاح ومفتاح باب الصلاح قال الله تعالى (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)

وأمره بإظهار العدل في الرعية التي تضمها جميع الأكناف والأطراف والتخلي من النصفة بأكمل الأوصاف وحمل كافتهم على أقوم جدد وعصيان الهوى في تقويم كل أود والمساواة بين الفاضل والمفضول في الحق إذا ظهر صدق دليله والاشتمال عليهم بالأمن الذي يعذب لهم برد مقيله وكشف ظلامه من أنبسطت

إلى تحيفه الأيدي والأطماع وأعجزته النصرة لنفسه والدفاع وتصفح أحوالهم بعين لا ترنو إلى هوى يميل بها عن الواجب وسمع لا يصغى إلى مقالة مائن ولا كاذب ولا يغفل عن مصلحة تعود إليهم ويرجع نفعها عليهم ولا عن كشف ظلمات بعضهم من بعض وردهم إلى الحق في كل رفع من أحوالهم وخفض فلا يرى إلا بالحق عاملا وللأمور على سنن الشريعة حاملا مجتنباً إغفال مصالحهم وإهمالها وحارساً نظامها على تتابع الأيام واتصالها ليكون ذلك إلى وفور الأجر داعياً وبحسن الأحدوثة قاصياً مقتدياً بما نطق به القرآن (إن الله

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

يأمر بالعدل والإحسان)
وأمره أن يأمر بالمعروف ويقيم مناره وينهي عن المنكر ويمحو آثاره فلا يترك
ممكنا من إظهار الحق وإعلانه وقمع الباطل وإخماد نيرانه ويعتمد مساعدة كل
مرشد إلى الطريق الأqvسد وناه عن التظاهر بالمحذور في كل مشهد فإنه
تضحى معونته مشاركة في إحراز

المثوبة ومساهمة ومساومة في اقتناء الأجر ومقاسمة وأن يوعز بإزالة مظان
الريب والفساد في الداني من الأعمال والقاصي فإنها مواطن الشيطان
وأماكن المعاصي وأن يشد على أيدي 218 الأمرين بالمعروف والناهين عن
المنكر ويعينهم على ذلك بما يطيب ذكره في كل مشهد ومحضر ويجتهد في
إزالة كل محذور ومنكر مقدم في الباطل ومؤخر قال الله تعالى) وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر)

وأمره أن يقدم الاحتياط في حفظ الثغور ومجاوريتها من الكفار ويستعمل غاية
التيقظ في ذلك والاستظهار ليأمن عليها غوائل المكائد ويفوز من التوفيق
لذلك بأنواع المحامد ويتجرد لجهاد أعداء الدين والانتقام من الكفرة المارقين
أخذا بقول رب العالمين) انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في
سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) وأن يعمل فيما يحصل من الغنائم
عند فل جموعهم وافتتاح بلادهم وربوعهم بقول الله وما أمر به في قسمها
وإيفاء كل

صاحب حصة منها سالكا سبيل من غدا لآثار الصلاح مقتفيا وللغرض في ذلك
مؤديا وبهدي ذوي الرشيد مهتديا قال الله تعالى في محكم التنزيل) واعلموا
أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل)

وأمره أن يجيب إلى الأمان لمن طلبه ويكون وفاؤه مقترنا بما تضمنه غير
مضمر خلاف ما يعطي به صفقة أمانه ولا مخالف باطنه ما أظهره من مقارته
إلى عقد الهدن وإتيانه ويجتنب الغدر وما فيه من العار وإسقاط الملك الجبار
قال الله عز وجل) وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون)

وأمره بأن يأمر أصحاب المعاون بمساعدة القضاة والحكام ومعونتهم بما
يقضي بلم شمل الصلاح في تنفيذ القضايا والانتظام وأخذ الخصوم بإجابة
الداعي إذا استحضروا

إلى أبوابهم للإنصاف والمسارة إلى الحق الواجب عليهم من غير خلاف قال
الله تعالى) وأكثرهم للحق كارهون)

وأمره بالعويل في المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والحسبة على من
ياوى إلى عفاف ودين وعلم بأحكام الشريعة وصحة يقين لا يخفى عليه ما
حرمه الله تعالى وأحله ولا يلتبس على علمه ما أوضح إلى الحق الواضح سبله
وإلى من يتولى المظالم بإيصال الخصوم إليه وإنصافهم كما أوجبه الله تعالى
عليه واستماع ظلاماتهم وإحسان النظر في مشاجراتهم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلاميه

وأمره أن يتلقى النعمة التي أفرغت عليه وانسأقت إليه بشكر ينطق به لسانه
ويترجم عنه بيانه ليستديم بذلك الإكرام ويقترن الإحسان عنده بالالتام وأن
يوفيها حقها من دوام الحمد 218 ب والقصد إلى شكرها والعمد قال الله
تعالى (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه)
وليعلم أنه قد بين له من الصلاح ما اتضحت أعلامه وأثبتت في المرامي سهامه
وأرشد إلى ما أودع هذا المنشور من جدد الفوز بمرضاة الله تعالى وشكر
عباده عاملا في ذلك بمقتضى جده واجتهاده ليحرز السبق في دنياه وعقباه
ويتوفر عنده ما منح به مما أرهف عزمه وحباه وغدا بمكانه رافلا في ملابس
الفخر والبهاء نائلا منه ما طال به مناكب القرناء واختص بما أعلى درجته
فتقاعست عنه آمال حاسديه وتفرد بالمكانة عن مقام من يباريه ويناويه وأولى
من الإنعام ما أمن به سرب النعمة عنده وأصفى من مناهل الإحسان ورده
وأهدى إليه من المواعظ ما يجب أن يودعه واعية الأسماع وأخذ بالعمل به كل
راع فينهج أدام الله علوه محاج الولاء الذي عهد من أمثاله من الأولياء متنزها
عن تقصير منه في عامة الأوقات ومراعيأ أفعاله في جميع التصرفات ويعلم أنه
مستول عن كل ما يلفظ به لسانه ناطقا ونظر طرفه إليه رامقا قبل أن يجانب
هواه ويبقى رهينا بما اكتسبت يده ولا يغتر من الدنيا

وزخرفها بغير لیس الوفاء من طباعه ومعيبر ما أقصر مدة ارتجاعه وسبيل
كافة القضاة والأعيان ومقدمي العساكر والأجناد ورؤساء البلاد متابعته
وموافقته وطلب مصالحهم من جانبه والتصرف على استصوابه وقد أكدت
وصاته في الرفق بهم والاشتمال عليهم والإحسان إليهم وإجمال السيرة فيهم
وكلما أشكل عليه أمر من المتجددات يطالع به الديوان العزيز مجده الله تعالى
لينهج له السبيل إلى فتح رتاجه وسلوك منهاجه والله ولي والتوفيق والهداية
وجمع الكلمة في كل إعادة وبداية والمعونة على العصمة من الزلل والتأييد في
القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل
قلت وقد عاب الوزير ضياء الدين بن الأثير هذا التقليد في كتابه المثل السائر
وغض منه وعارضه بتقليد أنشأه وقد ذكرته في كتاب صبح الأعشى في كتابة
الإنشا لاتساعه وبسط القول فيه افتتحه بقول أما بعد فإن أمير المؤمنين يبدأ
بحمد الله الذي يكون
لكل خطبة قيادا ولكل أمر مهادا
أهملت ذكره في هذا الكتاب لكونه لم يكتب به لأحد
219

المذهب الرابع

في عهود الملوك أن يفتتح العهد بالحمد لله وهو الذي استقر عليه عمل
المتأخرين من كتاب الديار المصرية على أن المقر الشهابي بن فضل الله قد
أنكر على الصاحب فخر الدين بن لقمان حيث افتتح العهد الذي كتب به للظاهر
بيبرس بالحمد وقال ليس ابن لقمان بحجة ثم قال على أن القاضي محي
الدين قد تبعه فيما كتب به للمنصور قلاوون ولا وجه لإنكاره على ابن لقمان
فقد كتب بمثل ذلك من ديوان الخلافة ببغداد عن الإمام المستنصر بالله بن
الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسي للسلطان الملك الكامل نصير
الدين محمد بن العادل أبي بكر من إنشاء الوزير أبي الأزهر أحمد بن الناقد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بخط العدل ناصر بن رشيد الخرنومي في شهر رجب الفرد سنة ثلاثين
وستمائة إلا أنه جرى فيه على
الأسلوب القديم من قولهم في أوامر الخلافة أمره بكذا وأمره بكذا
وهذه نسخته فيما ذكره البوري في تاريخه

الحمد لله الذي اطمأنت القلوب بذكره ووجب على الخلائق جزيل حمده
وشكره ووسعت كل شيء رحمته وظهرت في كل أمر حكمته ودل على
وحدانيته بعجائب ما أحكم صنعا وتدييرا وخلق كل شيء فقدره تقديرا ممد
الشاكرين بنعمائه التي لا تحصى عددا وعالم الغيب الذي لا يظهر على غيبه
أحدا لا معقب لحكمه في الإبرام والنقض ولا يؤوده حفظ السموات والأرض
تعالى أن يحيط به الضمير وجل أن يبلغ وصفه البيان والتفسير) ليس كمثل
شيء وهو السميع البصير (والحمد لله الذي أرسل محمدا {صلى الله عليه
وسلم} بالحق بشيرا ونذيرا) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)
وابتغته هاديا للخلق وأوضح به مناهج الرشيد وسبل الحق واصطفاه من أشرف
الأنساب وأعز القبائل واجتياه لإيضاح البراهين والدلائل وجعله لديه أعظم
الشفعاء وأقرب الوسائل فقذف {صلى الله عليه وسلم} بالحق على الباطل
وحمل الناس بشريعته الهادية على المحجة البيضاء والسنن العادل حتى
استقام اعوجاج كل زائغ ورجع إلى الحق كل جاحد عنه ومائل وسجد لله كل
شيء) يتفيا ظلاله عن اليمين والشمال (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الكرام الأفاضل صلاة مستمرة بالغدوات والأصائل خصوصا على عمه وصنو
أبيه العباس ابن عبد المطلب الذي اشتهرت مناقبه في المجامع والمحافل
ودرت ببركة الاستسقاء به أخلاف السحب الهواطل وفارقتنصيص الرسول
على عقبه في في الخلافة المعظمة بما لم يفز به أحد من الأوائل
والحمد لله الذي حاز مواريث النبوة والإمامة ووفر جزيل الأقسام من الفضل
والكرامة لعبده وخليفته ووارث نبيه ومحي شريعته الذي أحله الله عز وجل من
معارج الشرف والجلال في أرفع ذروة وأعلقه من حسن

التوفيق الإلهي بأمته عصمة وأوثق عروة واستخرجه من أشرف نجار وعنصر
واختصه بأزكى منحه وأعظم مفخر ونصبه للمؤمنين علما واختاره للمسلمين
إماما وحكما وناط به أمر دينه الحنيف وجعله قائما بالعدل والإنصاف بين القوى
والضعيف إمام المسلمين وخليفة رب العالمين أبي جعفر المنصور المستنصر
بالله أمير المؤمنين بن الإمام السعيد النقي أبي نصر محمد الظاهر بأمر الله
بن الإمام الوفي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله بن الإمام السعيد الزكي
أبي محمد الحسن المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين 220 صلوات الله
عليهم أجمعين وعلى آبائه الطاهرين الأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه
كانوا يعدلون ولقوا الله تعالى وهو عنهم راض وهم عنه راضون
وبعد فبحسب ما أفاضه الله تعالى على أمير المؤمنين صلوات الله عليه
وسلامه من خلافته في الأرض وفوضه إلى نظره المقدس في الأمور من
الإبرام والنقض واستخلصه له من حياطة بلاده وعباده ووكله إلى شريف نظره

ومقدس اجتهاده لا يزال صلوات الله عليه يكلاً
العباد بعين الرعاية ويسلك بهم في المصالح العامة والخاصة مذاهب الرشيد
وسبيل الهداية وينشر عليهم جناحي عدله وإحسانه وينعم لهم النظر في إرشاد
الأمناء الصلحاء من خلصاء أكفائه وأعوانه متخيراً للاسترعاء من استحمد إليه
بمشكور المساعي وتعرف إليه في سياسة الرعايا بجميل الأسباب والدواعي
وسلك في مفروض الطاعة الواجبة على الخلائق قصد السبيل وعلم منه حسن
الاضطلاع في مصالح المسلمين بالعبء الثقيل والله عز وجل يؤيد آراء أمير
المؤمنين صلوات الله عليه بالتأييد والتسديد ويمده أبداً من أقسام التوفيق
الإلهي بالموفور والمزيد ويقرن عزائمته الشريفة باليمن والنجاح ويسنى له
فيما يأتي ويذر أسباب الخير والصلاح وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه
يتوكل وإليه ينيب
ولما وفق الله تعالى نصير الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من
الطاعة المشهورة

والخدم المشكورة والحظوة في جهاد أعداء الدين بالمساعي الصالحة والفوز
من المراضى الشريفة الإمامية أجلها الله تعالى بالمغانم الجزيلة والصفقة
الرابحة لما وصل فيه سالف شريف الاختصاص بأنفه وشفع تالده في تحصيل
مآثور الاستخلاص بطارفة واستوجب بسلوكه من الطاعة المفروضة مزيد
الإكرام والتفضيل 220 ب وضرع في الإنعام عليه بمنشور شريف إمامي
يسلك في اتباعه هداة والعمل بمراشده سواء الصراط وقصد السبيل اقتضت
الآراء الشريفة المقدسة زادها الله تعالى جلالاً متألق الأنوار وقدسا يتساوى
في تعظيمه من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار الإيعاز بإجابته إلى ما وجه
أمله إلى الإنافة فيه به إليه والجذب بضعه إلى ذروة الاجتباء الذي تظهر أشعة
أنواره الباهرة عليه فقلده على خيرة الله تعالى الزعامة والغلات وأعمال
الحرب والمعاون والأحداث والخراج والضياح والصدقات والجوالي وسائر
وجوه الجبايات والعرض والعطاء والنفقة في الأولياء والمظالم والحسبة في
بلادهم وما يفتحه

ويستولي عليه من بلاد الفرنج الملاعين وبلاد من تبرز إليه الأوامر الشريفة
بقصده من المارقين عن الإجماع المنعقد من المسلمين ويتعدى حدود الله
تعالى بمخالفة من حصل من الأعمال الصالحات بولائه المفروض على الخلائق
مقبولة وطاعته ضاعف الله جلاله بطاعته وطاعة رسول الله { صلى الله عليه
وسلم } موصولة حيث قال الله عز من قائل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) واعتمد صلوات الله عليه وسلامه في
ذلك على حسن نظره ومدد رعايته وألقى مقاليد التفويض إلى وفور اجتهاده
وكمال سياسته وخصه من هذا الإنعام الجزيل بما يبقى له على تعاقب الدهر
واستمراره وبخلد على ممر الزمان حسن ذكره وجزيل فخاره وحباه بتقليد
يوطد له قواعد الممالك ويفتح بإقليده رتاج الأبواب والمسالك ويفيد قاعدته
في بلاده زيادة تقرير وتمهيد ويطير به صيته في كل قريب وبعيد ووسمه
بالمملك الأجل السيد الكامل

المجاهد المرابط نصير الدين 221 أركان الإسلام أثير الأنام تاج الملوك
والسلاطين قانع الكفرة والمشركين قاهر الخوارج والمتمردين ألب غازي بك
محمد بن أبي بكر ابن أيوب معين أمير المؤمنين رعاية لسوابق خدمه وخدم
أسلافه وأبائه عن وفور اجتهائه وكمال ازدلافة وإنافة من ذروة القرب إلى محل
كريم واختصاصا له بالإحسان الذي لا يلقاه إلا من هو كما قال تعالى (ذو حظ
عظيم) وثوقا بصحة ديانتته التي يسلك فيها سواء سبيله واستنامة إلى أماتته
في الخدمة التي ينصح فيها لله تعالى ولرسوله وركونا إلى الإنعام عليه
موضوعا بحمد الله تعالى في أحسن موضع واقعا به لديه في خبر مستقر
ومستودع

وأمير المؤمنين صلوات الله عليه لا زالت الخيرة موصولة بآرائه والتأييد الإلهي
مقرونا بإنفاذه وإمضائه يستمد من الله عز وجل حسن الإعانة في اصطفاؤه
الذي اقتضاه نظره الشريف واعتماده وأدى إليه ارتياده المقدس الإمامي
واجتهاده وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل
وأمره بتقوى الله تعالى التي هي الجنة الواقية والنعمة الباقية والملجأ المنيع
والعماد الرفيع والذخيرة النافعة في السر والنجوى والجدوة المقتبسة من قول
تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) وأن يدرع بشعارها في جميع الأقوال
والأفعال ويهتدي بأنوارها في مشكلات الأمور والأحوال وأن يعمل بها سرا
وجهرا ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدرا قال الله تعالى (ومن يتق الله
يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا)

وأمره بتلاوة كتاب الله متديرا غوامض عجائبه سالكا سبل الرشاد والهداية في
العمل به وأن يجعله مثالا يتبعه ويقتفيه ودليلا يهتدى بمراشده الواضحة في
أوامره ونواهيته فإنه 221 ب الثقل الأعظم وسبب الله المحكم والدين الذي
يهدي به إلى التي هي أقوم ضرب الله تعالى فيه لعباده جوامع الأمثال وبين له
بهده الرشاد والضلال وفرق بدلائله الواضحة بين الحرام والحلال فقال عز من
قائل (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)

وأمره بتقوى الله تعالى التي هي الجنة الواقية والنعمة الباقية والملجأ المنيع
والعماد الرفيع والذخيرة النافعة في السر والنجوى والجدوة المقتبسة من قول
تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) وأن يدرع بشعارها في جميع الأقوال
والأفعال ويهتدي بأنوارها في مشكلات الأمور والأحوال وأن يعمل بها سرا
وجهرا ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدرا قال الله تعالى (ومن يتق الله
يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا)

وأمره بتلاوة كتاب الله متديرا غوامض عجائبه سالكا سبل الرشاد والهداية في
العمل به وأن يجعله مثالا يتبعه ويقتفيه ودليلا يهتدى بمراشده الواضحة في
أوامره ونواهيته فإنه 221 ب الثقل الأعظم وسبب الله المحكم والدين الذي
يهدي به إلى التي هي أقوم ضرب الله تعالى فيه لعباده جوامع الأمثال وبين له
بهده الرشاد والضلال وفرق بدلائله الواضحة بين الحرام والحلال فقال عز من
قائل (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)

وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)
وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات والدخول فيها على أكمل هيئة من
قوانين الخشوع والإخبات وأن يكون نظره في موضع نجواه من الأرض وأن

يمثل لنفسه في ذلك موقفه بين يدي الله تعالى يوم العرض قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) وقال تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) وأن لا يشغل بشاغل عن أداء فروضها الواجبة ولا يلهو بسبب عن إقامة سننها الراتبة فإنها عماد الدين الذي نمت أعاليه ومهاد الشرع الذي رست قواعده ومبانيه قال الله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) وقال سبحانه (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

وأمره أن يسعى إلى صلوات الجمع والأعياد ويقوم في ذلك بما فرضه الله تعالى عليه وعلى العباد وأن يتوجه إلى الجوامع والمساجد متواضعا ويبرز إلى المصليات الضاحية في الأعياد خاشعا وأن يحافظ في تشييد قواعد الإسلام على الواجب والمندوب ويعظم باعتماد ذلك شعائر الله التي هي من تقوى القلوب وأن يشمل بوافر اهتمامه واعتنائه وكمال نظره وإرعائه بيوت الله التي هي محال البركات ومواطن العبادات والمساجد التي تؤكد في تعظيمها وإجلالها حكمه والبيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وأن يرتب لها من الخدم من يتبتل لإزالة أدناسها ويتصدى لإذكاء مصابيحها في الظلام وإيناسها ويقوم لها بما يحتاج إليه من أسباب الصلاح والعمارات ويحضر إليها ما يليق من الفرش والكسوات

وأمره باتباع سنة النبي { صلى الله عليه وسلم } التي أوضح جددها وثقف أودها وأن يعتمد فيها على الأسانيد التي نقلها الثقات والأحاديث التي صحت بالطرق السليمة والروايات وأن يقتضي بما جاءت به من مكارم الأخلاق التي ندب { صلى الله عليه وسلم } إلى التمسك بسببها ورغب أمته في الأخذ بها والعمل بآدابها قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال سبحانه وتعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وأمره بمجالسة أهل العلم والدين وأولي الاخلاص في طاعة الله والمتقين والاستشارة في عوارض الشك والالتباس والعمل بأرائهم في التمثيل والقياس فإن الاستشارة لهم عين الهداية وأمن من الضلال والغواية وبها تلقح عقم الأفهام والألباب ويقترح زناد الرشد والصواب قال الله تعالى في الإرشاد إلى فضلها والأمر في التمسك بحبلها (وشاورهم في الأمر) وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في ثغوره وأن يشملهم بحسن نظره الجميل وجميل تدبيره مستصلا

نياتهم بإدامة التلطف والتعهد مستوضحا أحوالهم بمواصلة التفحص والتفقد وأن يسوسهم سياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ويهديهم في انتظامها واتساقها إلى الصراط المستقيم ويحملهم على القيام بشرائط الخدم والتلزم بها بأقوى الأسباب وأمتن العصم ويدعوهم إلى مصلحة التواصل والائتلاف ويصددهم عن موجبات التخاذل والاختلاف وأن يعتمد فيهم شرائط الحزم في الإعطاء والمنع وما تقتضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع وأن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

يثيب المحسن على إحسانه ويسبل على المسيء ما وسعه العفو واحتمله الأمر ذيل صفحه وامتنانه وأن يأخذ برأي ذوي التجارب منهم والحكمة ويجتني بمشاورتهم في الأمر ثمر الشركة إذ في ذلك أمن من خطأ الانفراد وترجح عن مقام الزرع والاستبداد وأمره بالتبتل بما يليه من البلاد ويتصل بنواحيه من ثغور أولي الشرك والعناد وأن يصرف مجامع الالتفاف إليها ويخصها بوفور الاهتمام بها والتطلع عليها وأن يشمل ما ببلاده من الحصون والمعازل بالاحكام والاتقان وينتهي في أسباب مصالحها إلى غاية الوسع ونهاية الإمكان وأن يشحنها بالميرة الكثيرة والذخائر ويمدها من الأسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر وأن يتخير حراسها من الأمناء الثقة ويسدها بمن ينتخبه من الشجعان الكماة وأن يتأكد عليهم في استعمال النفقات الحفظة والاستظهار ويوقظهم للاحتراس من غوائل الغفلة والاعتزاز وأن يكون المشار إليهم ممن ربوا في ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد وتدريبوا في نصب الحبال للمشركين والأخذ عليهم بالمراسد وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد وكثرة العدد والتوسعة في النفقة والعطاء والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم في التقصير والغناء إذ في ذلك حسم لمادة الأطماع في بلاد الإسلام ورد لكيد المعاندين من عبدة الأصنام فمعلوم أن هذا الغرض أولى ما وجهت إليه العناية وصرفت وأحق ما قصرت عليه الهمم ووقفت فإن الله تعالى جعله من

أهم الفروض التي كرم فيها القيام بحقه وأكبر الواجبات التي كتب العمل بها على خلقه فقال سبحانه وتعالى هاديا في ذلك إلى سبيل الرشاد ومحرضا لعباده على قيامهم بفروض الجهاد) ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (وقال تعالى (واقتلو حيث ثقفتموهم) وقال النبي { صلى الله عليه وسلم } من نزل منزلا يخيف به المشركين ويخيفونه كان له كأجر ساجد لا يرفع رأسه إلى يوم القيامة وأجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة وأجر صائم لا يفطر وقال عليه السلام غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس هذا قوله { صلى الله عليه وسلم } في حق من سمع هذه المقالة فوقف لديها فكيف بمن كان كما قال عليه السلام ألا أخبركم بخير الناس ممسك بعنان فرسه كلما سمع هية طار إليها وأمره باقتفاء أوامر الله تعالى في رعاياه والاهتداء إلى رعاية العدل والانصاف والاحسان بمراشده الواضحة ووصاياه وأن يسلك في السياسة سبل الصلاح ويشملهم بلين الكنف وخفض الجناح ويمد ظل رعايته على مسلمهم ومعاهدهم ويزحج الأقداء والشوائب عن مناهلهم في العدل ومواردهم فينظر في مصالحهم نظرا يساوي فيه بين الضعيف والقوي ويقوم بأودهم قياما يهتدي به ويهديهم فيه إلى الصراط السوي قال الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم

(تذكرون)

وأمره باعتبار أسباب الاستظهار والأمانة واستقصاء الطاعة المستطاعة
والقدرة الممكنة في المساعدة على قضاء تفت حجاج بيت الله الحرام وزوار
نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وأن يمددهم بالإعانة في ذلك على تحقيق
الرجاء وبلوغ المرام ويحرسهم من التخطف

والأذى في حالتي الظعن والمقام فإن الحج أحد أركان الدين المشيدة وفروضه
الواجبة المؤكدة قال الله تعالى (ولله على الناس حج البيت)
وأمره بتقوية أيدي العاملين بحكم الشرع في الرعايا وتنفيذ ما يصدر عنهم من
الأحكام والقضايا والعمل بأقوالهم في ما يثبت لذوي الاستحقاق والشد على
أيديهم فيما يرونه من المنع والإطلاق وأنه متى تأخر أحد الخصمين عن إجابة
داعي الحكم أو تقاعس في ذلك لما يلزم من الأداء والعدم جذبه بعنان القسر
إلى مجلس الشرع واضطره بقوة الإنصاف إلى الأداء بعد المنع وأن يتوخى
عمال الوقوف التي تقرب المتقربون بها واستمسكوا في ثواب الله بمتين
حبلها وأن يمددهم بجميل المعاونة والمساعدة وحسن المؤازرة والمعاوضة في
الأسباب التي تؤذن بالعمارة والاستنماء وتعود عليها بالمصلحة والاستخلاص
والاستيفاء قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى)
وأمره أن يتخير من أولي الكفاية والنزاهة من يستخلصه للخدم والأعمال
والقيام بالواجب من أداء الأمانة والحراسة والتميز لبيت المال وأن يكونوا من
ذوي الاضطلاع بشرائط الخدم المعينة وأمورها والمهتدين إلى مسالك صلاحها
وتدبيرها وأن يتقدم إليهم بأخذ الحقوق من وجوهها المتيقنة وجبايتها في
أوقاتها المعينة إذ ذاك من لوازم مصالح الجند ووفور الاستظهار وموجبات قوة
الشوكة له بكثير الأعوان والأنصار وأسباب الحيطة التي تحمى بها البلاد
والأمصار وبأمرهم بالجري في الطسوق والشروط على النمط المعتاد والقيام
في مصالح الأعمال على أقدام الجد والاجتهاد وإلى العاملين على الصدقات
بأخذ الزكوات على مشروع السنن المهيع وقصد الصراط المتبع من غير عدول
في ذلك عن المنهاج الشرعي أو تساهل في تبديل حكمها المفروض وقانونها
المرعي فإذا أخذت من أربابها الذين يطهرون ويذكرون بها كان

العمل في صرفها إلى مستحقيها بحكم الشريعة النبوية وموجبها وإلى جباة
الجزية من أهل الذمة بالمطالبة بأدائها في أول السنة واستيفائها منهم على
حسب أحوالهم بحكم العادة في الثروة المسكنة إجراء في ذلك على حكم
الاستمرار والانتظام ومحافظة على عظيم شعائر الإسلام
وأمره أن يتطلع على أحوال كل من يستعمله في أمر من الأمور ويصرفه في
مصلحة من مصالح الجمهور تطلعا يقتضي الوقوف على حقائق أماناتهم
ويوجب تهذيبهم في حركاتهم وسكناتهم ذهابا مع النصح لله تعالى في برته
وعملا فيه بقول النبي { صلى الله عليه وسلم } كلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته وأمره أن يستصلح من ذوي الاضطلاع والغناء من يرتب العرض والعطاء
والنفقة في الأولياء وأن يكونوا من المشهورين بالحزم والبصيرة والموسومين

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

في المناصحة بإخلاص الطوية وإصفاء السريرة حالين من الأمانة والصون بما يزين
ناكبين عن مظان الشبه والطمع الذي يصم وبشين وأن يأمرهم باتباع عادات
أمثالهم في ضبط أسماء الرجال وتحلية الأشخاص والأشكال واعتبار شيات
الخيول وإثبات أعدادها وتحريض الجند على تخيرها واقتناء جيادها وبذل الجهد
في قيامهم من الكراع واليزك والسلاح بما يلزمهم والعمل بقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وأخريين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) فإذا نطقت جرائد الجند
المذكورين بما أثبت لديهم وحقق الاعتبار والعيان قيامهم بما أوجب عليهم
أطلقت لهم المعاييش والأرزاق بحسب إقراراتهم وأوصلت إليهم بمقتضى
واجباتهم واستحقاقاتهم فإن هذا الحال أصل حراسة البلاد والعباد وقيام الأمر
فيما أوجبه الله تعالى من الاستعداد بفرض الجهاد قال الله تعالى (والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

وأمره بتفويض أمر الحسبة إلى من يكون بأمرها مضطعا وللجنة النبوية في
إقامة حدودها متبعا فيعتمد في الكشف عن أحوال العامة في تصرفاتها
الواجب ويسلك في التطلع إلى معاملاتهم السبيل الواضح والسنن اللائق
وليهتم بالتطواف في الأسواق لاختبار المكاييل والموازين وبقيمه في مؤاخذه
المطففين وتاديبهم بما تقتضيه شريعة الدين ويحذرهم من تعدي حدود
الإنصاف شدة نكاله ويقابل المستحق المؤاخذه بما يرتدع به الجمع الكثير من
أمثاله قال الله تعالى (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا
بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض
مفسدين) وقال سبحانه (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس
يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم
عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين)
فلينول الملك السيد الكامل المجاهد المرابط نصير الدين ركن الإسلام أثير
الإمام جمال الأنام جلال الدولة فخر الملة عز الأمة سند الخلافة تاج المل
والسلاطين قانع الكفرة والمشركين قاهر الخوارج والمتمردين أمير
المجاهدين غازي بك معين أمير المؤمنين ما قلده عبد الله وخليفته في أرضه
القائم له بحقه الواجب وفرضه أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير
المؤمنين تقليد مطمئن بالإيمان وينصح لله ولرسوله صلوات الله عليه وخليفته
في السر والإعلان وليشرح بما فوض إليه من هذه الأمور صدرا وليقم بالواجب
عليه من شكر هذا الإنعام الجزيل سرا وجهرا ويعمل بهذه الوصايا الشريفة
الإمامية وليقف آثار مرآشدها المقدسة النبوية وليظهر من أثر الجد في هذا
الأمر والاجتهاد وتحقيق النظر الجميل لله والإرشاد ما يكون دليلا على تأييد
الرأي الأشرف المقدس أجله الله تعالى في اصطناعه واستكفائه وإصابة
مواقع النجاح

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

والرشد في التفويض إلى حسن قيامه وكمال اعتنائه فليقدر النعمة عليه في هذه الحال حق قدرها وليكثر بأداء الواجب بما غلب عليه من جزيل الشكر بسرهما وليطالع مع الأوقات بما يشكّل عليه من الأمور الغوامض ولينه إلى العلوم الشريفة المقدسة أجلها الله تعالى ما يلتبس عليه من الشكوك والعوارض ليرد عليه من الأمثلة ما يوضح له وجه الصواب في الأمور ويستمد من المراشد الشريفة التي هي شفاء لما في الصدور بما يكون وروده عليه وتتابعه إليه نورا على نور إن شاء الله تعالى وهذه نسخة العهد الذي كتب به للملك الظاهر بيبرس عن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسين ثاني الخلفاء بالديار المصرية من إنشاء صاحب فخر الدين ابراهيم بن لقمان وهذه نسخته

الحمد لله الذي أضفى ملابس الشرف وأظهر درره وكانت خافية بما استحکم عليها من الصدق وشيد ما وهي من علائه حتى أنسى ذكر ما سلف وقيض لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف أحمده على نعمه التي رعت الأعين منها في الروض الأنف والطاقة التي وقفت الشكر عليها فليس له عنها منصرف وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أمانا وتسهل من الأمور ما كان حزنا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جبر من الدين وهنا وصفه الذي أظهر من المكارم فنونا لا فنا صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحت مناقبهم باقية لا تفنى وأصحابه الذين أحسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة من الحسنى وبعد فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره وأحقهم أن يصح القلم ساجدا راکعا في تسطير مناقبه وبره من سعى فأضحى بسعيه الجميل متقدما ودعا إلى طاعته فأجاب من كان منجدا ومتهما وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها زندا ومعصما ولا استباح بسيفه حمى وغى إلا أضرمه نارا وأجراه دما

ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني شرفه الله تعالى وأعلاه ذكره الديوان العزيز النبوي الإمامي المستنصري أعز الله تعالى سلطانه تنويها بشريف قدره واعترافا بصنعه الذي تنفد العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية بعد أن أقعدتها زمانة الزمان وأذهبت ما كان لها من محاسن وإحسان وعتب دهرها المسئ لها فأعتب وأرضى عنها زمانها وقد كان صال عليها صولة مغضب فأعاد لها سلما بعد أن كان عليها حربا وصرف اهتمامه فرجع كل متضابق من أمورها واسعا رحبا ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا وعطفا وأظهر له من الولاء رغبة في ثواب الله ما لا يحفى وأبدى من الاهتمام بالبيعة أمرا لو رامه غيره لامتنع عليه ولو تمسك بحبله متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه لكن الله ادخر هذه الحسنة ليثقل بها في الميزان ثوابه ويخفف بها يوم القيامة حسابه فهذه منقبة أبى الله إلا أن يخلدها في صحيفة صنعه وتكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ويعرف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمينية والفراية وما يتجدد من الفتوحات غورا

ونجدا وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت في المكارم فردا ولا جعل
منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون مستثنى ولا جهة من الجهات تعد في
الأعلى ولا الأدنى
فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملا وخلص نفسك من التبعات اليوم ففي
غد تكون مسئولا لا سائلا ودع الاعتزاز بالدنيا فما نال أحد منها طائلا وما رآها
أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا فالسعيد من قطع آماله الموصولة وقدم
لنفسه زاد التقوى فتقدمه غير

التقوى مردودة لا مقبولة وابتسط يدك بالإحسان والعدل فقد أمر الله تعالى
بالعدل والاحسان في مواضع من القرآن وكفر به عن المرء ذنوبا وأثاما وجعل
يوما واحدا فيه كعبادة العابد ستين عاما وما سلك أحد سبيل العدل والاحسان
إلا واجتنت ثماره من أفنان ورجع الأمر به بعد أن تداعى أركانه وهو مشيد
الأركان وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان
وكانت أيامه في الأيام أبهى من الأعياد وأحسن في العيون من الغرر في أوجه
الجياد وأحلى من العقود إذا حلى بها عطل الأجياد
وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نواب وحكام وأصحاب رأي من أصحاب
السيوف والأقلام فإذا استعنت بأحد منهم في أمورك فنقب عليه تنقيا واجعل
عليه في تصرفاته رقبيا وسل عن أحواله ففي القيامة تكون عنه مسئولا وبما
أجرم مطلوبوا ولا تول منهم إلا من تكون مساعيه حسنة لك لا ذنوبا
وأمرهم بالإنابة في الأمور والرفق ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق وأن
يقابلوا الضعفاء في حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق وأن لا يعاملوا أحدا
على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعية
إخوانا وأن يوسعوهم برا وإحسانا وأن لا يستحلوا حرمتهم إذا استحل الزمان
لهم حرمانا فالمسلم أخو المسلم ولو كان عليه أميرا وسلطانا والسعيد من
نسج ولاته في الخير على منواله واستن بسنته في تصرفاته وأحواله وتحمل
عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله
ومما يؤمرون به أن يمحي ما أحدث من سيئ السنن وجدد من المظالم التي
هي من أعظم المحن وأن يشتري بإبطالها المحامد رخيصة بأعلى ثمن ومهما
جنى منها من الأموال فإنما هي باقية في الذم حاصلة وأجساد الخزائن إن
أضحت بها حالبة فإنما هي على الحقيقة منها عاطلة وهل أشقى ممن احتقب
إثما واكتسب بالمساعي الذميمة ذما وجعل السواد الأعظم يوم القيامة خصما
وتحمل
ظلم الناس فيما صدر عنه من أعمال) وقد خاب من حمل ظلما (

وحقيق بالمقام الشريف المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني أن لا
تكون ظلمات الأنام مردودة بعدله وطاعته تخفف ثقلا لا طاقة لهم بحمله فقد
أضحى على الإحسان قادرا وصنعت له الأيام ما لم تصنعه لمن تقدم من
الملوك وإن جاء آخر فاحمد الله على أن وصل إلى جنابك إمام هدى يوجب لك
مزية التقديم وينبه الخلائق على ما خصك الله به من الفضل العظيم وهذه

أمور يجب أن تلاحظ وترعى وبوالى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليها عقلا
 وشرعا وقد تبين لك أنك صرت في الأمور أصلا وصار غيرك فرعا
 ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذي أضحى على الأمة فرضا وهو
 العمل الذي يرجع به مسود الصحائف مبيضا وقد وعد الله المجاهدين بالأجر
 العظيم وأعد لهم عنده المقام الكريم وخصهم بالجنة التي لا لغو فيها ولا تأثيم
 وقد تقدمت لك في الجهاد يد بيضاء
 أسرعت في سواد الحساد وعرفت منك عزمه وهي أمضى مما تجنه ضمائر
 الأعماد واشتهرت بك مواقف في القتال هي أشهر وأشهى إلى القلوب من
 الأعياد وبك صان الله حمي الإسلام أن يبتذل وبعزمك حفظ على المسلمين
 نظام هذه الدول وسيفك أثر في قلوب الكافرين قروحا لا تندمل وبك يرجى أن
 يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه في الأيام الأولى فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا
 ما كان غافيا ولا هاجعا وكن في مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابعا وأيد
 كلمة التوحيد فما تجد في تأييدها إلا مطيعا سامعا ولا تخل الثغور من اهتمام
 بأمرها تنسم له الثغور واحتفال يبدل ما دجا من ظلماتها بالنور واجعل أمرها
 على الأمور مقدما وشيد منها كل ما غادره العدو متهدما فهذه حصون بها
 يحصل الانتفاع والانتفاع وعلى العدو داعية افتراق داعية افتراق لا اجتماع
 وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا والعدو إليه ملتفتا ناظرا ولا سيما ثغور
 الديار المصرية فإن العدو وصل إليها رابحا وراح خاسرا واستأصلهم الله فيها
 حتى ما أقال منهم

عائرا وكذلك الأسطول الذي ترى خيله كالأهله وركائبه سابقة بغير سائق
 مستقلة وهو أخو الجيش السليمانى فإن ذاك غدت الريح له حاملة وهذا تكفلت
 بحمله الرياح السابله وإذا لحظها الطرف جارية في البحر كانت كالأعلام وإذا
 شبهها قال هذه ليال تعلق بالأيام وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب
 وآتاك من أصالة الرأي الذي يريك المغيب وبسط بعد القبض منك الأمل ونشط
 بالسعادة ما كان من كسل وهداك إلى مناهج الحق وما زلت مهتديا إليها
 وألزمك المرأشد فلا تحتاج إلى تنبيه عليها والله تعالى يمدك بأسباب نصره
 ويوزعك شكر نعمه فإن النعمة تستتم بشكره
 وهذه نسخة العهد الذي كتبه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر للملك
 المنصور قلاوون عن الخليفة الإمام أبي العباس أحمد الحاكم الأول
 الحمد لله الذي جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات وفاسخة لعقود أولى
 الشك والشبهات الذي رفع بعض الخلق على بعض درجات وأهل أمور البلاد
 والعباد من جاءت بخوارق تملكة بالذي إن لم يكن من المعجزات فمن
 المكرمات

ثم الحمد لله الذي جعل الخلافة العباسية بعد القوط حسنة الابتسام وبعد
 الشحوب جميلة الابتسام وبعد التشريد كل دار إسلام لها أعظم من دار السلام
 والحمد لله على أن أشهدتها مصارع أعدائها وأحمد لها عواقب إعادة نصرها
 وإبدائها ورد تشيبتها بعد أن ظن كل أحد أن شعارها الأسود ما بقى منه إلا ما
 صانته العيون في جفونها والقلوب في سويدائها
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان وتتعطر
 بنفحاتها الأفواه والأردان وتلقاها ملائكة القبول فترفعها إلى أعلى مكان

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ونصلى على سيدنا محمد الذي أكرمنا الله به وشرف لنا الأنساب وأعزنا به حتى نزل فينا محكم الكتاب صلى الله عليه وعلى آله الذين أنجب الدين منهم عن أنجب ورضي الله عن صحابته الذين هم خير صحاب صلاة ورضوانا يوفى قائلها أجره يوم الحساب من الكثرة بغير حساب يوم الحساب

وبعد حمد الله على أن أحمد عواقب الأمور وأظهر للإسلام سلطانا اشتدت به للأمة الظهور وشفيت الصدور وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن بالمنصور كما أقامها في ما مضى بالمنصور واختار لإعلان دعوتها من يحيي معالمها بعد العفاء ورسومها بعد الدثور وجمع لها الآن ما كان جمع عليها فيما قبل من خلاف كل ناجم ومنحها ما كانت تبشرها به من الملاحم وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة العلوية بخير سيف مشحود ماضي العزائم ومازج بين طاعتها في القلوب وذكرها في الألسنة وكيف لا والمنصور هو الحاكم وأخرج لحياطه الأمة المحمدية ملكا تقسم البركات عن يمينه وتقسم السعادة بنور جبينه وتقهر الأعداء بفتكاته وتمهر عقائل المعازل بأصغر راياته ذو السعد الذي ما زال نوره يشف حتى ظهر ومعجزه يرف إلى أن بهر وجوهه ينتقل من جيد إلى جيد حتى علا الجبين وسره يكمن في قلب بعد قلب حتى علم والحمد لله نبأ تمكينه في الأرض بعد حين فاختره الله على علم واصطفاه من بين عباده بما جيله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم وأتى الله به الأمة المحمدية في وقت الاحتياج غوثا وفي إبان الاستمطار غيثا وفي حين عيث الأشبال في غير الافتراس ليثا فوجب على من له في أعناق الأمة المحمدية مبايعة رضوان وعند أيمانهم مصافحة أيمان ومن وجبت له البيعة باستحقاقه لميراث منصب النبوة ومن تصح منه كل ولاية شرعية يؤخذ كتابها منه بقوة ومن هو خليفة الزمان والعصر ومن بدعواته ينزل الله عليكم معاشر كماة الإسلام ملائكة النصر ومن نسبه بنسب نبيكم {صلى الله عليه وسلم} متشج وحسبه بحسبه ممتزج أن يفوض ما فوضه الله إليه من أمر الخلق إلى من يقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق

وأن يوليه ولاية شرعية تصح بها الأحكام وتنضبط أمور الإسلام وتأتي هذه العصبة الإسلامية يوم تأتي كل أمة بإمامهم من طاعة خليفتهم هذا بخير إمام وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله أن يكون للمقر العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري أجله الله ونصره وأظفره وأقدره وأيده وأبده كل ما فوضه الله لمولانا أمير المؤمنين من حكم في الوجود وفي التهائم والنجود وفي الجيوش والجنود وفي المدائن والخزائن وفي الطواهر والبواطن وفيما فتحه الله وفيما سيفتحة وفيما كان فسد بالكفر والرجاء من الله أنه سيصلحه وفي كل جود ومن وفي كل عطاء ومن وفي كل هبة وتمليك وفي كل تفرد بالنظر في أمور المسلمين بغير تشريك وفي كل تعاهد ونبذ وفي كل عطاء وأخذ وفي كل عزل وتولية وفي كل تسليم وتولية وفي كل إرفاق وإنفاق وفي كل إنعام وإطلاق وفي كل استرقاق وإعتاق وفي كل تقليل وتكثير وفي كل اتساع وتقتير وفي كل تجديد وتعويض وفي كل حمد وتقريض

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ولاية عامة تامة محكمة محكمة منضدة منضدة لا يتعقبها نسخ من خلفها ولا من بين يديها ولا يعتريها فسخ يطرأ عليها يزيدا مر الأيام جده يعاقبها حسن شباب ولا ينتهي على الأعوام والأحقاب نعم ينتهي إلى ما نصب الله للإرشاد من سنة وكتاب وذلك من شرع الله أقامه للهداية علما وجعله إلى اختيار الثواب سلما فالجواب أن يعمل بجزئيات أمره وكلياته وأن لا يخرج أحد عن مقدماته والعدل فهو الغرس المثمر والسحاب الممطر والروض المزهر وبه تنزل البركات وتخلف الهبات وتربى الصدقات وبه عمارة الأرض وبه تؤدي السنة والفرص فمن زرع العدل اجتنى الخير ومن أحسن كفي الضرر والضرير والظلم فعاقبته وخيمة وما يطول عمر الملك إلا بالمعدلة الرحيمة والرعية فهم الوديعة عند أولي الأمر فلا يخصص بحسن النظر منهم زيد ولا عمرو والأموال فهي ذخائر العاقبة والمآل والواجب أن تؤخذ بحقها وتنفق في مستحقها

والجهاد برا وبحرا فمن كنانة الله تفوق سهامه وتؤرخ أيامه وينتضي حسامه وتجري منشاته في البحر كالأعلام وتنتشر أعلامه وفي عقر دار الحرب يحط ركابه ويخط كتابه وترسل أرسانه وتجوس خلالها فرسانه فيلزم منه ديننا وليستصحب منه فعلا حسنا وجيوش الإسلام وكلماته وأمرأؤه وحماته فهم من قد علمت قدم هجره وعظم نصره وشدة بأس وقوة مراس وما منهم إلا من شهد الفتوحات والحروب وأحسن في المحاماة عن الدين الدعوب وهم بقايا الدول ونجايا الملوك الأول لا سيما أولو السعي الناجح ومن لهم نسبة صالحية إذا فخروا بها قيل لهم نعم السلف الصالح فأوسعهم برا وكن بهم برا وهم بما يجب من خدمتك أعلم وأنت بما يجب من حرمتهم أدري والثغور والحصون فهي ذخائر الشدة وخزائن العديد والعدة ومقاعد للقتال وكنائن الرجال والآمال فأحسن لها التحصين وفوض أمرها إلى كل قوي أمين وإلى كل ذي دين متين وعقل رصين ونواب الممالك ونواب الأمصار فأحسن لهم الاختيار وأجمل لهم الاختبار وتفقد لهم الأخبار

وأما ما سوى ذلك فهو داخل في حدود هذه الوصايا النافعة ولولا أن الله أمرنا بالتذكير لكانت سجايا المقر الأشرف السلطاني الملكي المنصوري مكتفية بأنوار المعية الساطعة وزمام كل صلاح يجب أن يشغل به جميع أوقاته هو تقوى الله قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) فليكن ذلك نصب العين وشغل القلب والشفقتين وأعداء الدين من أرمن وفرنج وتار فاذقهم وبال أمرهم في كل إيراد للغزو وإصدار وثر لأن تأخذ للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم الثار واعلم أن الله نصيرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار وأما غيرهم من مجاورهم من المسلمين فأحسن باستنقاذك منهم العلاج وطبهم باستصلاحك فبالطب الملكي المنصوري ما زال ينصلح المزاج والله الموفق بكرمه

تنبيه قد ذكر محمد بن عمر المدائني أنه كان في الزمن المتقدم أنه كان يكتب للأمرء عن الخلفاء في قرطاس من نصف طومار وتقدم في آخر البيعات وعهود الخلفاء أن المراد قطع البغدادي وكانت الأمرء من متقلي الممالك عنهم قائمة مقام الملوك الآن أما الذي استقر عليه الحال فيما يكتب عن خلفاء بني العباس بالديار المصرية لملوكها ففي قطع البغدادي الكامل ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن تملك الملك المؤيد شيخ سلطان العصر فكتب عهده في ورق يزيد عرضه عن قطع البغدادي بقدر نصفه بقلم مختصر الطومار

الفصل الثاني من الباب الرابع

فيما يكتب عن الخلفاء لمن دون الملوك من أرباب الوظائف والولايات وهو على خمسة أساليب

الأسلوب الأول

أن يفتح ما يكتب بلفظ عهد من فلان أو هذا ما عهد عبد الله أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ويصفه بما يليق به ثم يقال فقلده كذا وكذا وبذكر الوظيفة المولاة ثم يقال أمره بكذا وأمره بكذا إلى آخر الوصايا ثم يقال هذا عهد أمير المؤمنين إليك على نحو ما تقدم في عهود الخلفاء إلى الملوك وعلى هذا جل ما كان يكتب في الدولة العباسية بالعراق من وظائف أرباب السيوف والأقلام إلا أنه في آخر الدولة كان يقع الوصف والإطراء في حق الخليفة وحق المولى أكثر منه مما قبل ذلك والأصل في هذا الأسلوب ما كتب به عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأمرائه الذين وجههم لقتال أهل الردة

وهذه نسخته

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام عهد إليه أن يتقى الله تعالى ما استطاع في أمره كله وسره وجهه

وأمره بالجد في أمر الله تعالى ومجاهدة من تولى عنه ورجع من الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بدعاية الإسلام فإن أجابوه أمسك عنهم وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم ويعطيهم الذي لهم ولا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله فإذا أجاب الدعوة لم يكن له عليه سبيل وكان الله حسبه فيما استسر به ومن لم يجب إلى داعية الله قوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه لا يقبل الله من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام فمن أجابه وأقر به قبل منه

وعلمه ومن أبى قاتله فإن أظهره الله عز وجل عليه قتل فيهم كل قتلة بالسلاح والنييران ثم قسم ما أفاء الله عليه إلا الخمس فإنه مبلغناه ويمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشو حتى يعرفهم ويعلم ما هم لئلا يكونوا عيوناً ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم وأن يقصد بالمسلمين الرفق ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدتهم ولا يعجل بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة وليت الفعل

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وهذه نسخة عهد بقضاء القضاة بحاضرة بغداد وسائر الأعمال كتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضي محيي الدين أبي عبد الله محمد بن فضلان من إنشاء عضد الدين بن الضحاك
هذا ما عهد عبد الله وخليفته في العالمين المفترض الطاعة على الخلق أجمعين أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين إلى محمد بن يحيى بن فضلان

حين سبر خلاله واستقراها واعتبر طرائقه واستبراها فألفاه رشيدا في مذهب سديدا في أفعاله وضرائبه موسوما بالرصانة حاليا بالورع والديانة مبرزا من العلوم في فنونها عالما بمفروض الشريعة المطهرة ومسنونها مدرعا ملابس العفاف قد أناف على أمثاله في بوارع الأوصاف فقلده قضاء القضاة في مدينة السلام وجميع البلاد والأعمال والنواحي والأمصار شرقا وغربا وبعدا وقربا سكونا إلى ما علم من حاله واضطلاعه بالنهضة المنوطة به واستقلاله وركونا إلى قيامه بالواجب فيما أسند إليه ونهوضه بعبء ما عول في حفظ قوانينه عليه واستنامة إلى حلول الاصطناع عنده ومصادفته منه مكانا تيوأه بالاستحقاق وحده والله تعالى يعضد أمير المؤمنين بمزيد التوفيق في جميع الأمور ويحسن له الخيرة فيما يؤمه من مناظم الدين وصلاح الجمهور وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب أمره بتقوى الله تعالى في إعلانه وإسراره وتقمص شعارها في إظهار أمره وإظماره فإنها العروة الوثقى والذخر الأبقى والسعادة التي ما دونها فوز ولا فوقها مرقى وهي حيلة الأبرار وسيما الأخيار والمنهج الواضح والمتجر الرابع والسبيل المؤدي إلى النجاة والخلاص يوم لا وزر ولا ت حين مناص وأنفع العدد والذخائر وخير العتاد يوم تنشر الصحف وتبلى السرائر يوم تشخص الأبصار وتعدم الأنصار) وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار (ولا ينجو من عذاب الله يومئذ إلا من كان زاده التقوى وتمسك منها بالسبب الأقوى قال الله تعالى) وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب)
وأمره أن يجعل كتاب الله تعالى أماما يهتدي بمناره ويستصبح ببواهر أنواره ويستضىء في ظلم المشكلات بمنير مصباحه ويقف عند حدود محظوره ومباحه ويتخذة مثلا يحتذيه ودليلا يتبع أثره فيهديه

ويعمل به في قضاياه وأحكامه ويقتدي بأوامره في نقضه وإبرامه فإنه دليل الهدى ورائده وسائق النجاح وقائده ومعدن العلم ومنبعه ومنجم الرشاد ومطلعه وأحد الثقلين اللذين جعلهما رسول الله { صلى الله عليه وسلم } في الأمة والذكر الذي جعله الله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة فقال عز من قائل (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)
وأمره باتباع الآثار النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه والاهتداء بشموسها التي تنجلي به دجنة كل مشكل وظلامه والافتداء بسنة الشريعة المتبوعة

وتصفح الأخبار المسموعة والعمل منها بما قامت أدلة صحته من جميع جهاته فاستحكمت الثقة بنقلته عنه عليه السلام ورواته وسلمت أسانيده من قبح ورجاله من ظنة وجرح فإنها التالية للقرآن المجيد في وجوب العمل بأوامره والانتفاء بروادعه وزواجه وهو عليه الصلاة والسلام الصادق الأمين الذي ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى وقد قرن الله سبحانه طاعته بطاعته والعمل بكتابه والأخذ بسنته فقال عز من قائل (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) وأمره بمجالسة العلماء ومباحثة الفقهاء ومشاركتهم في الأمور المشكلة وعوارض الحكومات المعضلة ليستبين سبل الصواب ويعري الحكم من ملابس الشبه والارتباب ويخلص من خطأ الانفراد وغوائل الاستبداد فالمشورة باليمن مقرونة والسلامة في مطاويها مضمونة وقد أمر الله تعالى بها نبيه { صلى الله عليه وسلم } مع شرف منزلته وكمال عصمته وتأييده بروحه وملائكته فقال سبحانه (وشاورهم في الأمر فإذا عزمته فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) وأمره بفتح بابه ورفع حجابيه وأن يجلس للخصوم جلوسا عاما وينظر في أمورهم نظرا حسنا تاما مساويا بينهم في نظره ولحظه وإصغائه ولفظه محترزا من

ذي اللسن وجرأة جنانه متأنيا بذى الحصر عند إقامة برهانه فربما كان أحد الخصمين ألحن بحجته والآخر ضعيفا عن مقاومته هذا مقام الفحص والاستفهام والتثبت في إمضاء الأحكام ليسلم من خديعة محتال وكيد مغتال مائلا في جميع ذلك مع الواجب سالكا طريق العدل اللاحب غير فارق في إمضاء الحكم بين القوي والضعيف والمشروف والشريف والمالك والمملوك والغني والصلوك قال الله تعالى (إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وأمره بتصفح أحوال الشهود المسموعة أقوالهم في الحقوق والحدود المرجوع إلى أمانتهم المعمول بشهادتهم الذين بهم تقام الحجج وتدحض وتبرم الأحكام وتنقض وتثبت الدعاوي وتبطل وتمضي القضايا وتسجل مجتهدا في البحث عن طرائقهم وأحوالهم وانتقاد تصاريقهم وأفعالهم واستشفاف سجاياهم وعرفان مزاياهم مخصصا بالتمييز من كان حميد الخلال مرضي الفعال راجعا إلى ورع ودين متمسكا من الأمانة والنزاهة بالسبب المتين قال الله تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم) وأمره بالنظر في أمور اليتامى وأموالهم ومراعاة شئونهم وأحوالهم وأن يرتب بسبب اتساق مصالحهم الثقات الأعفاء والأمناء الأتقياء ممن ظهرت ديانته وحسنت سيرته واشتهر باللطف والعفاف والتنزّه عن الطمع والإسفاف وبأمرهم بحفظها من خلل يتخللها ويد خائنة تدخلها وليكن عليهم حديا وفي فرط الحنو أبا وخلفا من آبائهم في الإشفاق عليهم وحسن الالتفات إليهم فإنه عنهم مسئول والعذر عند الله تعالى في إهمالهم غير مقبول وأن يأذن لهم في الإنفاق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقتير ولا تضيق ولا تبذير فإذا بلغ

أحدهم النكاح وأنس منه أمارات الرشد
والصلاح دفع ماله إليه وأشهد بقبضه عليه على الوجه المنصوص غير منقوص
ولا منغوص ممتثلاً أمر الله تعالى في قوله سبحانه (فإذا دفعتم إليهم أموالهم
فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً)

وأمره بتزويج الأيامي اللواتي لا أولياء لهن من أكفائهن بمهور أمثالهن وأن
يشمل ذوات الغنى والفقير منهن بعدله ويتحرى لهن المصلحة في عقده وحله
وأمره أن يستنيب فيما بعد عنه من البلاد ودنا وقرب منه ونأى كل ذي علم
واستبصار وتيقظ في الحكم واستظهار ونزاهة شائعة وأوصاف لأدوات
الاستحقاق جامعة ممن يتحقق نهوضه بذلك واضطباعه ويؤمن استنزاه
وانخداعه وأن يعهد إليهم في ذلك بمثل ما عهد إليه فلا يألوهم تنبيهاً وتذكيراً
وإرشاداً وتبصيراً قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الإثم والعدوان)
وأمره بامضاء ما أمضاه من قبله من الحكام من القضايا والأحكام غير متعقب
أحكامهم بنقض ولا تبديل ولا تغيير ولا تأويل إذا كانت جائزة في بعض الأقوال
ممضاه على وجه من وجوه الاحتمال غير خارقة للإجماع عارية من ملابس
الابتداع وإن كان ذلك منافياً لمذهبه جارياً على خلاف معتقده قال الله تعالى (
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)
وأمره أن يتخذ كاتبا قيماً بشروط القضايا والسجلات عارفاً بما يتطرق نحوها
من الشبه والتأويلات ويتداخلها من النقص والتليسات متحرزاً في كل حال
متنزهاً عن ذميم الأفعال وأن يتخير حاجباً نقي الجيب مأمون المشهد والغيب
مستشعراً للتقوى في السر والنجوى سالكاً للطريقة المثلى غير متجهماً للناس
ولا معتمداً ما ينافي بسط الوجه والإيناس فإنه وصلتهم إليه ووجهة المشهود
قبل الدخول عليه فلينتخبه من بين أصحابه
ومن يرتضيه من أمثاله وأضرابه
وأمره بتسليم ديوان القضاء والحكم والاستظهار على ما في خزائنه بالإثبات
والخم والاحتياط على ما به من المال والسجلات والحجج والمحاضر والولايات
والقبوض والوثائق والأثبات والكفالات بمحضر من العدول الأمانة الثقات وأن
يرتب لذلك خازناً يؤدي الأمانة فيه ويتوخى ما توجهه الديانة وتقتضيه

وأمره بمراعاة أمر الحسبة فإنها من أكبر المصالح وأهمها وأجمعها لمنافع
الخلق وأعمها وأدعاها إلى تحصين أموالهم وانتظام أحوالهم وأن يأمر
المستتاب فيها باعتبار سائر المبيعات وما فيها من الأقوات وغيرها في عامة
الأوقات وتحقيق أسباب الزيادة والنقصان في الأسعار والتصدي لذلك على
الدوام والاستمرار وأن يجري الأمر فيها بحسب ما تقتضيه الحال الحاضرة
والموجبات الشائعة الظاهرة واعتبار الموازين والمكاييل وإعادة الزائد
والناقص منها إلى التسوية والتعديل فإن
اطلع لأحد من المتعاملين على خيانة في ذلك وفعل ذميم أو تطفيف عدل فيه
عن الوزن بالقسطاس المستقيم ناله من التأديب واسباب التهذيب بما يكون

له رادعا ولغيره زاجرا وازعا قال الله تعالى (ويل للمطففين الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين)
هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عند الله تعالى عليك قد أولاك من صنوف النعم والآلاء وجزيل النعم والحباء ما يوجب عليك الاعتراف بقدره واستيزاع شكره ووقف بك على محجة الرشد وهداك منهج الحق وسنن السداد ولم يالك تثقيفا وتبصيرا وتنبيها وتذكيرا فتأمل ذلك متديرا وقف عند حدود أوامره ونوايه مستبصرا واعمل به في كل ما تأتيه وتذره وتورده وتصدره وكن للمخيلة في ارتيادك محققا والمعتقد فيك مصدقا تفز من خير الدارين بمعلی القداح
وإحماد السرى عند الصباح وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل إن شاء الله تعالى

وهذه نسخة عهد بتقليد المظالم بمدينة السلام
كتب به أبو اسحاق الصابي عن المطيع لله إلى الحسين بن موسى العلوي وهو

هذا ما عهد عبد الله الفضل الإمام المطيع لله ذأمير المؤمنين إلى الحسين بن موسى العلوي حين اجتمع فيه شرف الأعراق والأخلاق وتكامل فيه يمن النقائب والضرائب وعرف أمير المؤمنين فيه فضل الكفاية والغناء ورشاد المقاصد والأنحاء في سالف ما ولاه إياه من أعماله الثقيلة التي لم يزل فيها محمود المقام مستمرا على النظام مصيب النقض والإبرام سديد الإسداء والإلحام زائدا على الزائدين راجحا على الموازين فائتا المحاذين مبرزا على المبارين فقلده النظر في المظالم بمدينة السلام وسوادها وأعمالها وما يجري معها ثقة بعلمه ودينه واعتمادا على بصيرته
ويقينه وسكونا إلى أن الأيام قد زادته تحليما وتهديبا والسن قد تناهت به تحكيما وتجريبا وأن صنيعه أمير المؤمنين مستقرة منه عند أكرم أكفائها وأشرف أوليائها برحمه الماسة الدانية وخدمته الشامخة الغالية ومعرفته الثاقبة الداعية إلى التفويض إليه الباعثة على التعويل عليه وأمير المؤمنين يستمد الله في ذلك أحسن ما عوده من هداية وتسديد ومعونة وتأييد وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب
أمره بتقوى الله التي هي الجنة الحصينة والعصمة المتينة والسبب المتصل يوم انقطاع الأسباب والزاد المبلغ إلى دار الثواب وأن يستشعرها فيما يسر ويعلن ويعتمدها فيما يظهر ويبطن ويجعلها إمامه الذي ينحوه ورائده الذي يقفوه إذ هي شيمة الأبرار والأخيار وكان أولى من تعلق بعلائقها وتمسك بدقائقها لمفخرة الكريم ومنصبه الصميم واستظلاله مع أمير المؤمنين بدوحة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} التي يكتنان في فنائها وبأوبان إلى أفيائها وحقيق على من كان منها منزعه وإليها مرجعه أن يكون طيبا زكيا طاهرا نقيًا عفيفا في قوله وفعله نظيفا في سره وجهره قال الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وأمره بتلاوة القرآن وتأمل ما فيه من البرهان وأن يجعله نصبا لناظره ومألفا لخاطره فيأخذ به ويعطي ويأتمر به وينتهي فإنه الحجة الواضحة والمحجة اللائحة والمعجزة الباهرة والبينة العادلة والدليل الذي من اتبعه سلم ونجا ومن صدف عنه هلك وهوى قال الله عن من قائل تعالى (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)
وأمره أن يجلس للخصوم جلوسا عاما ويقبل عليهم إقبالا تاما ويتصفح ما يرفع إليه من ظلماتهم وينعم النظر في أسباب محادثاتهم فما كان طريقه طريق المنازعة المتعلقة بنظر القضاة وشهادات العدول رده إلى المتولى للحكم وما كان طريقه طريق العصبوب المحتاج فيها إلى الكشف والفحص والاستشفاف والبحث نظر فيه نظر صاحب المظالم وانتزع الحق ممن غصب عليه واستخلصه ممن امتدت له يد التعدي والتغرر إليه وأعادته إلى مستحقه وأقره عند مستوجه غير مراقب كبيرا لكبره ولا خاصا لخصوصه ولا شريفا لشرفه ولا متسلطا لسلطانه بل يقدم أمر الله جل ذكره في كل ما يأتي ويذر ويتوخى رضاه فيما يورد ويصدر ويكون على الضعيف المحق حذبا ورع وفا حتى يتصبر وينتصف وعلى القوي المبطل شديدا غليظا حتى ينقاد ويدعن قال الله جل وعز) يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)
وأمره بأن يفتح بابه ويسهل حجابيه ويبسط وجهه ويلين كنفه ويصبر على الخصوم الناقصين في بيانهم حتى تظهر حجتهم وينعم النظر في أقوال أهل

اللسن والبيان منهم حتى يعلم مغبتهم فربما استظهر العريض المبطل بفضل بيانه على العاجز المحق لعي لسانه وهناك يجب أن يتبع التصفح على القولين والاستبطال للأمرين ليؤمن أن يزول الحق عن سننه ويزور الحكم عن طريقه قال الله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)
وأمره بأن لا يرد للقضاة حكما يمضونه ولا سجلا ينفذونه ولا يعقب ذلك بفسخ ولا يطرق عليه بنقض بل يكون لهم موافقا مؤازرا ولأحكامهم عاصدا ناصرا إذ كان الحق واحدا وإن اختلفت المذاهب إليه فإذا وجد القضية قد سيقت والحكومة قد وقعت فليس هناك شك يوقف عنده ولا ريب يحتاج إلى الكشف عنه وإذا وجد الأمر مشتبهما والحق ملتبسا والتغرر مستعملا والتغلب مستجازا نظر فيه النظر الناصر لحق المحقين الداخض لباطل المبطلين والمقوي لأيدي المستضعفين الآخذ على أيدي المعتدين قال الله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)

وأمره أن يستظهر على معرفته بمشاوره القضاة والفقهاء ومباحثة الربانيين والعلماء فإن اشتهبه عليه أمر استرشدهم وإن عزب عنه صواب استدل عليه بهم فإنهم أئمة الأحكام وإليهم مرجع الحكام وإذا اقتدى بهم في المشكلات وعمل بأقوالهم في المعضلات أمن من زلة العاثر وغلطة المستأثر وكان خليقا

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بالأصالة في رأيه والإصابة في أبحاثه وقد أمر الله تقديست أسماؤه بالمشاورة
فعرف الناس فضلها وأسلكهم سبلها بقوله لرسوله {صلى الله عليه وسلم}
وعلى آله (وشاورهم في الأمر فإذا عزم على الله إن الله يحب
المتوكلين)

وأمره أن يكتب لمن توجب له حق من الحقوق إلى صاحب الكوفة بالشدة على
يده والتمكن له منه وقبض الأيدي عن منازعته وحسم الأطماع في معارضته إذ
هو مندوب لتنفيذ أحكامه ومأمور بإمضاء قضاياه ومتى أخذ أحد من الخصوم
إلى محاربة في حق قد حكم عليه به أخذ على يده وكفه عن عدوانه وورده إلى
حكم الله الذي لا يعدل عنه قال الله عز وجل (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم
الظالمون)

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحثه عليك قد أرشدك وذكرك وهداك وبصرك
فكن إليه منتها وبه مقتديا واستعن بالله يعنك واستكفه يكفك
وكتب الناصح أبو الطاهر في تاريخ كذا
وهذه نسخة عهد

بنقابة الطالبين بمدينة السلام وسائر الأعمال
والأمصار كتب به أبو اسحاق الصابي عن الطائع لله للشريف أبي الحسن
محمد بن الحسين العلوي الموسوي مضافا إليها النظر في المساجد وعماراتها
واستخلافه لوالده الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى على النظر في
المظالم والحج بالناس في سنة ثمانين وثلاثمائة وهي
هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى محمد بن
الحسين بن موسى العلوي حين وصلته به الأنساب وقرنته لديه الأسباب
وظهرت دلالة عقله وأمانته ووضحت مخايل فضله ونجاته ومهد له بهاء الدولة
وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة ما مهد عند أمير المؤمنين من المحل
المكين ووصفه به من الحلم الرزين وأشار به من رفع المنزلة وتقديم الرتبة
والتأهيل لولاية الأعمال وتحمل الأعباء والأثقال وحيث رغبه فيه سابقة الحسين
أبيه في الخدمة والنصيحة والمشايعة الصحيحة والموقف المحمودة
والمقامات المشهودة

التي طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره وكان محمد متخلقا بخلائقه ذاهبا على
طرائقه علما وديانة وورعا وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة وتفردا بالحظ
الجزيل من الفضل والأدب الجزل والتوجه في الأهل والإيفاء في الناتب على
لداته وأترابه والإبرار على قرنائهم وأضرابه فقلده ما كان داخلا في أعمال أبيه
من نقابة نقباء الطالبين بمدينة السلام وسائر الأعمال والأمصار شرقا وغربا
وبعدا وقربا واختصه بذلك جذبا بضيعة وإنافة بقدره وقضاء لحق رحمه وترقيها
لأبيه وإسعافا له بإيثاره فيه إلى ما أمر أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر
في المظالم وتسيير الحجيج في أوان المواسم والله يعرف أمير المؤمنين
الخيرة فيما أمر ودبر وحسن العاقبة فيما قضى وأمضى وما توفيق أمير
المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينسب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

أمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسيما الصالحين وعصمة عباد الله
أجمعين وأن يعتقدوا سرا
وجهرا ويعتمدها قولا وفعلا فيأخذ بها ويعطي ويريش ويبرى ويأتي ويذر ويورد
ويصدر فإنها السبب المتين والمعقل الحصين والزراد النافع يوم الحساب
والمسلك المفضي إلى دار الثواب وقد حض الله أوليائه عليها وهداهم في
محكم كتابه إليها فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا
وأنتم مسلمون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين)
وأمره بتلاوة كتاب الله سبحانه مواظبا وتصفحه مداوما ملازما والرجوع إلى
أحكامه فيما أحل وحرم ونقض وأبرم وأثاب وعاقب وباعد وقارب فقد صح
الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه ومحجته فجعله فجرا في الظلمات طالعا
ونورا في المشكلات ساطعا فمن أخذ به سلم ونجا ومن عدل عنه هلك وهوى
قال الله عز وجل (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد)

وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو إليه الشهوات وتتطلع إليه النزوات وأن يضبطها
ضبط الحليم ويكفها كف الحكيم ويجعل عقله سلطانا عليها وتمييزه أمرا ناهيا
لها فلا يجعل لها عذرا إلى صبوة ولا هفوة ولا يطلق منها عنانا عند ثورة ولا
فورة فإنها أمانة بالسوء منصبة إلى الغي فالحازم يتهمها عند تحرك وطره
وأربه واهتياج غيظه وغضبه ولا يدع أن يغضها بالشكيم ويعركها عرك الأديم
ويقودها إلى مصالحها بالخزائم ويعتقلها عن مقارفة المحارم والمائم كيما يعز
بتهديها وتأديبها ويجل برياضتها وتقويمها والمفرط في أمره تطمح به إذا
طمحت ويجمع معها أنى جمحت ولا يلبث أن تورده حيث لا صدر وتلجئه إلى أن
يعتذر وتقيم مقام النادم الواجم وتتنكب به سبل الراشد المسالم
وأحق من تحلى بالمحاسن وتصدى لاكتساب المحامد من ضرب بمثل سهمه
في نسب أمير المؤمنين الشريف
ومنصبه المنيف واجتمع معه في ذؤابة العترة الطاهرة واستظل بأوراق الدوحة
الفاخرة فذاك الذي تتضاعف له المآثر إن أثرها والمناقب إن أسف إليها ولا
سيما من كان مندوبا لسياسة غيره ومرشحا للتقليد على أهله إذ ليس يفي
بإصلاح من ولى عليه من لا يفي بإصلاح ما بين جنبيه وكان من أعظم الهجنة أن
يأمر ولا يأمروا ولا يزدجر ولا يزدجر قال الله عز وجل (أأمرؤن الناس بالبر
وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)
وأمره بتصفح أحوال من ولى عليهم واستقراء مذاهبهم والبحث عن طرائقهم
ودخائلهم وأن يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزلته
ويوفيه حقه ورتبته وينتهي في إكرام جماعتهم إلى الحدود التي توجبها أسبابهم
وأقدارهم وتقتضيها مواقفهم وأخطارهم فإن ذلك يلزمه لسببين أحدهما يخصه
وهو النسب بينه وبينهم والآخر يعمه

والمسلمين جميعا وهو قول الله جل ثناؤه (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) فالمودة لهم والإعظام لأكابرهم والإقبال على أصاغرهم متضاعف الوجوب عليه ومتأكد اللزوم له ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا أو جذعان لم يقرحوا مجرين إلى ما يزري بأنسابهم ويغض من أحسابهم عدلهم ونبههم ونهاهم ووعظهم فإن نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم والمقصود إليه فيهم وإن أصروا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فإن نفع وإلا تجاوزه إلى ما يوجع ويلذع في غير تطرق لأعراضهم ولا انتهاك لأحسابهم فإن الغرض فيهم الصيانة لا الإهانة والإدالة لا الإزالة وإذا وجبت عليهم الحقوق أو تعلقت بهم دواعي الخصوم قادهم إلى الإغفاء بما يصح منها ويجب والخروج إلى سنن الحق فيما يشتهه ويلتبس ومتى لزمهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمر الله به فيها بعد أن

ثبت الجرائم وتصح وتبين وتتضح وتتجرد عن الشك والشبهة وتتجلى من الظن والتهمة فإن الذي يستحب في حدود الله ان تدرأ عن عباده مع نقصان اليقين والصحة وأن تمضي عليهم مع قيام الدليل والبينة قال الله عز وجل (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)

وأمره بحياطة هذا النسب الأظهر والشرف الأفخر عن أن يدعيه الأدياء ويدخل فيه الدخلاء ومن انتمى إليه كاذبا وانتحله باطلا ولم يوجد له بيت في الشجرة ولا مصداق عند النسابين المهرة أوقع به من العقوبة ما يستحقه ووسمه بما يعلم به كذبه وفسقه وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه وينزع بها غيره ممن تسول له مثل ذلك نفسه وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس لها كفؤا ولا مشاركتها في شرفها وفخرها حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية إلا من كان مثلا لها مساويا ونظيرا موازيا فقد قال الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)

وأمره بمراعاة متبلي أهله ومتهجدتهم وصلحاتهم ومجاوريتهم وأراملهم وأصاغرهم حتى يسد الخلة من أحوالهم ويدر المواد عليهم وتتعدل أقساطهم فيما يصل إليه من وجوه أموالهم وأن يزوج الأيامى ويربي اليتامى ويلزمهم المكاتب ليتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الإسلام وأمره بالإيمان ويتأدبوا بالأداب اللائقة بدوي الأحساب فإن شرف الأعراق محتاج إلى شرف الأخلاق ولا حمد لمن شرف نسبه وسخف أدبه إذ كان لم يكسب الفخر الحاصل له بفضل سعي ولا طلب ولا اجتهاد ولا دأب بل بصنع من الله عز وجل له ومزيد في المنة عليه وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والاعتداد بما فيها من المزية وإعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب والترفع عن الرذائل والمثالب

وأمره بإجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين بأسخلافه عليه من النظر في المظالم والأخذ للمظلوم من الظالم وأن يجلس للمترافعين إليه

جلوسا عاما ويتأمل ظلاماتهم تأملا تاما فما كان منها متعلقا بالحاكم رده إليه ليحمل الخصوم عليه وما كان طريقه الغشم والظلم والتغلب والغصب قبض عنه اليد المبطللة وأثبت فيه اليد المستحقة وتحرى في قضاياه أن تكون

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

موافقة للعدل ومجانبة للخذل فإن غايتي الحاكم وصاحب المظالم واحدة وهي إقامة الحق ونصرته وإبانتته وإنارته وإنما يختلف سبيلها في النظر إذ الحاكم يعمل على ما ثبت وظهر وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر وليس له مع ذلك أن يرد لحاكم حكومة ولا يعل له قضية ولا يتعقب ما ينفذه وبمضيه ولا يتتبع ما يحكم به ويقتضيه والله يهديه ويسدده ويوفقه ويرشده وأمره أن يسر حجاج بيت الله إلى مقصدهم ويحميهم في بدأتهم وعودتهم ويرتبه في مسيرتهم ومسلكهم وبرعاهم في أناء ليلهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ولا تصل إليهم مضرة

وأن يرعاهم في المنازل ويرودهم المناهل ويناوب بينهم في النهل والعلل ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء مجتهدا في الصيانة لهم ومعذرا في الذب عنهم ومتلوما على متأخرهم ومتخلفهم ومنهضا لضعيفهم ومهيضهم فإنهم حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر الرسول عليه السلام قد هجروا الأوطان وفارقوا الأهل والإخوان وتجشموا المغارم الثقال وتعسفوا السهول والجبال يلبون دعاء الله عز اسمه ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه وحقيق على المسلم المؤمن أن يحرسهم متبرعا ويحوظهم متطوعا فكيف من تولى ذلك وضمنه وتقلده واعتنقه قال الله (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) وأمره أن يراعي أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأكنافها وأن يجبي أموال وقوفها ويستقصي جميع حقوقها وأن يلم شعنها ويسد خللها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله حتى لا يتعطل رسم جرى فيها ولا تنقص عادة كانت لها وأن يثبت اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ويذكر اسمه بعده بأن عمرانها جرى على يده وصلاحها أداه قول أمير المؤمنين إلى فعله فقد فسح له أمير المؤمنين بذلك تنويها باسمه وإشادة بذكره وأن يولى ذلك من قبله من حسنت أمانته وظهرت عفته وصيانتته فقد قال الله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وأمره أن يستخلف على ما يرى الاستخلاف عليه من هذه الأعمال في الأمصار الدانية والنائية والبلاد القريبة والبعيدة من يثق به من صلحاء الرجال ذوي الوفاء والاستقلال وأن يعهد إليهم مثل الذي عهد إليه ويعتمد عليهم في مثل ما اعتمد عليه ويستقرى مع ذلك آثارهم ويتعرف أخبارهم فمن وجده محمودا أقره ولم يزله ومن وجده مذموما صرفه ولم يمهله واعتاض منه من ترتجي الأمانة عنده وتكون الثقة معهودة منه

وأن يختار لكتابته وحجبه والتصرف فيما قرب منه وبعد عنه من يزينه ولا يشينه وينصح له ولا يغشه ويجمله ولا يهجنه من الطبقة المعروفة بالظلف المصونة عن النطف ويجعل لهم من الأرزاق الكافية والأجرة الوافية ما يصدهم عن المكاسب الذميمة والمآكل الوخيمة فليس تجب عليهم الحجة إلا مع إعطاء الحاجة قال الله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى)

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلاميه

وأمره بأن يكتب لمن يقوم بينته عنده تنكشف حجه له إلى أصحاب المعامل
بالشد على يديه وإيصال حقه إليه وحسم الطمع الكاذب فيه وقبض اليد
الظالمة عنه إذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه والوقوف عند رسمه
وحده
هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجه لك وعليك قد أنار فيه سبيلك وأوضح دليلك
وهذاك وأرشدك
وجعلك على بينة من أمرك فاعمل به ولا تخالفه وانتبه إليه ولا تتجاوز به وإن
عرض لك أمر يعجزك الوفاء به ويشتهه عليك وجه الخروج منه أنهيته إلى أمير
المؤمنين مبادرا وكنيت إلى ما أمرك به صائرا إن شاء الله تعالى مستهل
رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة
وهذه نسخة عهد بتقليد الصلاة بحاضرة بغداد
كتب به أبو اسحاق الصابي عن الطائع لله لعلي بن أحمد بن الفضل الهاشمي
في ربيع الأول سنة أربع وستين وثلاثمائة وهي
هذا ما عهد عبد الله ووليه عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين لعلي بن
أحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمي حين قلده جميع ما كان يتقلده عبد
الواحد بن الفضل من الصلاة بجاني مدينة السلام وما يتصل بها من الأعمال
بسقى الفرات والنهرانات وسائر

ما كان داخلا في تقليده من النواحي والأمصار القريبة والبعيدة وطريق
خاراسان وقرر أمره سكونا إلى دينه وأمانته وثقة بنزاهته وصيانتته وصله
لرحمه ونسبه ورجاء لاستقلاله ووفائه وتقريره لاضطلاعهم وعنايته وأمير
المؤمنين يسأل حسن تسديده في ذلك في جميع آرائه التي يرتئها وعزائم
التي يمضيها وأن يقرنها بالصلاح ويتولاها بالنجاح وما توفيق أمير المؤمنين إلا
بالله عليه يتوكل وإليه ينيب
أمره بتقوى الله في سره وجهره والمراقبة له في قوله وفعله وأن يجعل ذلك
خلقا له ودينا ويتخذ منهاجا وسببا ويتحلى له بالسكينة والوقار فإنهما شعار
الأخيار الأبرار الذين هم حقيق بأن يتقبل فعالهم ويحتذى مثالهم بما أسهم الله
فيه من النسب الشريف وأهله من المفخر المنيف الذي استحق به أمير
المؤمنين ما فوض إليه واعتمد فيه عليه فإن الله جل ذكره حض الناس على
التقوى ووعدهم عليها القربة والزلفى
وإنها لحرية بالمؤمنين خليقة بعباد الله الصالحين ولا سيما من رقى المنابر
تمطيا لها وافترعها خطيبا عليها وكان إلى الله داعيا وعن عباده مناجيا وإذا
اطلع الله جل وعز منه على نقاء الصدر وسلامة السر واستقامة الدين وصحة
اليقين قبل صلاته واستجاب دعائه وأنهضه بما استكفيه وأعانته على أداء الأمانة
فيه وجمع بينه وبين من صلى خلفه وقفا أثره في فائض رحمته وسابغ مغفرته
وأحله محلة عباده الصديقين وأوليائه الصالحين والله تعالى يقول وقوله الحق ()
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)
وأمره أن يسعى إلى ذكر الله عند وجوب الصلاة ويدخلها في حقائق الأوقات
ويقومها على حدودها وشروطها ويستوفيها على الواجب من مفروضها
ومسنونها مرتلا لقرآنه مترسلا في تلاوته جامعا بين نيته ولفظه محترسا من

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

مطامح فكره ولحظه متجنباً لجرائر غفلته وسهوه متحرزاً من عوارض هجره
ولعوه

مستظهِراً على نفسه في طهارة جوارحه وتهذيب ما بين جوانحه فإن أفضل
التأهب للصلاة ما استوى باطنه وعاليه وتوازن غائبه وشاهده وليس بالطاهر
عند الله من أفاض الماء على أطرافه وجعل النجاسة حشو شغافه ولكنه
الجامع بين الأمرين والفائز بكلتا الحسنين وأحق من قصد ذلك ونجاه واعتمده
وتوخاه من اتخذهُ المسلمون إماماً وقدموه أماماً وصار بينهم وبين الله وسيطاً
وعلى ما فوضوه إليه من الصلاة بهم أمينا قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير
لكم إن كنتم تعلمون) وقال تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً
موقوتاً) وقال تعالى (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)
وأمره أن يقيم الدعوة على منابر حضرة أمير المؤمنين له
خاصة وأن يقيمها على منابر باقي الأعمال النازحة عن مقره له ثم لحامل
الأعباء عنه والوسيط بين جماعة الأولياء وبين عز الدولة أبي المنصور أحمد بن
معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين ولولا الأعمال بعده الذين يدعى
لهم على منابر ما يتقلدونه منها على العادة الجارية فيها وإن هذه الدعوة لازمة
والسنة فيها مؤكدة وهي فرع مطرد على أصل الطاعة الواجبة على المسلمين
جميعاً إذ يقول جل اسمه لهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولي الأمر منكم) والعائدة فيهم لأن الله تعالى إذا أصلح الولاة عليهم أصلح
المسرة فيهم وأنهضهم بما استرعاهم من أمورهم وكذلك يفعل الله إنه سمع
الدعاء لطيف لما يشاء
هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحثه عليك فاعمل به منتهاياً إلى حدوده ومتبعاً
لرسومه ومتأدباً بأدابه وسالكا على منهاجه واستعن بالله يعنك ويسدك
واستهده يهدك ويرشدك إن شاء الله تعالى
وهذه نسخة عهد بنظر الأوقاف بحاضرة بغداد وسوادها
كتب بها أبو إسحاق الصابي عن الطائع للحسين بن موسى العلوي

هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى الحسين
بن موسى العلوي حين طابت منه العناصر ووصلته بأمر المؤمنين الأواصر
جمع إلى شرف الأعراق الذي ورثه شرف الخلق الذي اكتسبه ووضحت آثار
دينه وأمانته وبانت أدلة فضله وكفايته في جميع ما أسنده أمير المؤمنين إليه
من الأعمال وحمله إياه من الأثقال فأضاف إلى ما كان ولاه من النظر في
الوقوف التي كانت يد فلان فيها الوقوف بالحضرة وسوادها ثقة بسداده
وسكوناً إلى رشاده وعلماً بأنه يعرف حق الصنعة ويرعى ما يستحفظه من
الوديعة ويجري في المنهل الذي أحمدته أمير المؤمنين منه في كل ما فوض
ووكل إليه والله يمد أمير المؤمنين بصواب الرأي فيما نجاه وتوخاه ويؤمنه من
عاقبة الندم فيما قضاه وأمضاه وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل
وإليه ينب

أمره بتقوى الله التي هي عماد الدين وشعار المؤمنين وأن يعتقدوها في سره ونجواه ويجعلها الذخيرة لأولاده وأخراه ويتجنب المواقع الموبية ويتوقى الموارد المردية وبغض طرفه عن المطامح المغوية ويذهب بنفسه عن المطارح المخزية فإنه أحق من فعل ذاك وأثره وأولى من اعتمده واستشعره بنسبه الشريف ومفخرة المنيف وعادته المشهورة وشاكلته المأثورة وتلاوة كتاب الله الذي هو والعترة الثقلان المخلفان في الأمة وقد جمعته وأحدهما الأنساب وجمعنا والثاني عصمة أولي الألباب وتوجهت حجة الله عليه بما يرجع من هذه الفضائل إليه وأنه عَصْن من دوحة أمير المؤمنين التي تحداها الله بالإندار قبل الخلائق أجمعين إذ يقول لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله (وأنذر عشيرتك الأقربين)
وقد حض تبارك وتعالى على التقوى ووعد عباده عليها الزلفى فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

وأمره بالاشتغال على ما أسنده إليه أمير المؤمنين من هذه الوقوف مستنفدا طوقه في عمارتها مستفرغا وسعه في مصلحتها دائما في استغلالها وتثميرها مجتهدا في تدبيرها وتوفيرها وأن يصرف فاضل كل وقف منها بعد الذي يخرج منه للنفقة على حفظ أصله واستدرار حليه والمؤنة الراتبة للقوام عليه والحفظة له إلى أربابه الذي يعود ذلك عليهم في وجوها التي سبل لها ووقف عليها واضعا جميع ذلك مواضعه موقعا له مواقعها خارجا إلى الله من الحق فيه مؤديا الأمانة إليه وأن يشهد على القابضين بما يقبضونه من وقوفهم ويكتب البراءات عليهم بما يستوفونه من أموالهم ويستظهر لنفسه بإعداد الشواهد والأدلة على ما ينفقه من أموال هذه الوقوف على مصالحه ويصرفه منها إلى أهلها ويخرجه منها في حقوقها وأبواب برها وسائر سبلها ووجوها سالكا في ذلك مذهبه المعروف في أداء الأمانة واستعمال الظلف والنزاهة معقبا على من كان ناظرا فيها من الخونة الذين لم يرعوا عهدا ولم يحفظوا حقا ولم يتصونوا عن سحت المطاعم وظلم المآثم
وأمره باستكتاب كاتب معروف بالسداد مشهور بالرشاد معلوم منه نصيحة الأصحاب والضبط للحساب وتفويض ديوان الوقوف وتدييره إليه وتوصيته بصيانة ما يشتمل عليه من أصول الأعمال وفروعها وقليل الحجج وكثيرها وأن يحتاط لأربابها في حفظ رسومها ومعاملاتها وحراسة طسوقها ومقاسماتها حتى لا يستمر عليها حيف يبقى أثره ولا يتغير فيها رسم يخاف ضرره وأن ينصف الأكرة فيها والمزارعين وسائر المخالطين والمعاملين ولا يجشمهم حيفا ولا يسومهم خسفا ولا يبغي لهم عن حق ولا يسمح لهم بواجب خلا ما عادة السماح به بزيادة عماراتهم وتآلف نياتهم
واجتلاب الفائدة منهم والعائدة بهم فإنه مؤتمن في ذلك كله أمانة عليه وأن يؤديها ويخرج من الحق فيها

وأمره باختيار خازن حصيف قووم أمين يخزن حجج هذه الوقوف وسجلاتها وسائر دفاترها وحساباتها فإنها ودائع أربابها عنده وواجب أن يحتاط عليها

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

مكتبة

جهده فمتى شك في شرط من الشروط أو حدثني من الحدود أو عارض معارض أو شاغب مشاغب في أيام نظره وأيام من عسى أن تنتقل ولاية هذه الوقوف إليه وبناط تديبرها به دفع ما يحدث من ذلك بهذه الحجج التي هي معادن البرهان وقواعد البنيان وإليها المرجع في كل بينة تبصر وتقام وشبهة تدحض وتضام

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ووثيقته الحاصلة في يدك فاتبع آثار وأوامره وازدجر عن نواهيه وزواجره واستمسك به تنج وتسلم واعمل به تفر وتغنم واسترشد الله يرشدك وستهدده يهدك واستعن به ينصرك وفوض إليه يعصمك إن شاء الله تعالى

الأسلوب الثاني
أن يفتتح ما يكتب بلفظ أما بعد ثم الذي كان في الزمن القديم أن يكتب أما بعد فإن كذا ويؤتى على مقصد الولاية إلى آخره ثم انتهى الحال في الدولة العباسية بالعراق إلى أن يقال أما بعد فالحمد لله ويؤتى بخطبة مناسبة للحال ثم يؤتى على مقصد الولاية والأصل في ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولى أبا موسى الأشعري القضاء كتب له كتابا افتتحه بأما بعد وهذه نسخته على ما أورده صاحب العقد أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك وانفذ إذا تبين لك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له أس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عونك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا لا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس فراجعت فيه اليوم عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل

الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك بنظائرها واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه فإن أحضر بينة أخذت له بحقه وإلا استحللت القضية عليه فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا حدا أو مجربا عليه شهادة زور ظنينا في ولاء أو نسب فإن الله يتولى السرائر ويدرا بالبينات والأيمان إياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن عليه الذخر والجزاء فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام

قلت ووقع في بعض المصنفات ابتداء هذا العهد بقوله من عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد وهو الذي استند إليه من كتب من بعض المذاهب السابقة في عهود الملوك عن الخلفاء من عبد الله فلان إلى فلان ووقع في مسند البزار أن أوله اعلم أن القضاء فريضة محكمة

مع تغيير بعض الألفاظ وتقديم بعض وتأخير بعض
وعلى الافتتاح بأما بعد كتب عبد الحميد بن يحيى
عن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية لبعض أمراء السرايا
أما بعد فإن أمير المؤمنين عندما اعتزم عليه من توجيهك إلى عدو الله الجلف
الجافي الأعرابي المتكسع في حيرة الجهالة وظلم الفتنة ومهاوي الهلكة
ورعاعه الذين عاثوا في الأرض فسادا وانتهكوا حرمة الإسلام استخفافا وبدلوا
نعمة الله كفرا واستحلوا سلمه جهلا أحب أن يعهد إليك
إلى آخر ما أتى به منه وهو عهد طويل جدا ضربت عن ذكره لإطالته وقد ذكرته
بجملته في كتابي صبح الأعشى في كتابة الإنشا وعلى ذلك كانت عهود الوزراء
من خلفاء بني العباس في العراق
وهذه نسخة عهد بالوزارة

كتب به الإمام المسترشد بالله لبعض وزرائه وهي
أما بعد فالحمد لله المنفرد بكبريائه المتفضل
على أوليائه مجزل النعماء وكاشف الغماء ومسبغ العطاء ومسبب الغطاء
ومسنى الحباء ومسدي الآلاء الذي لا تؤوده الأعباء ولا تكيدته الأعداء ولا تبلغه
الأوهام ولا تحيط به الأفهام ولا تدركه الأبصار ولا تتخيله الأفكار ولا تهزمه
الأعوام بتواليها ولا تعجزه الخطوب إذا ادلهمت لياليتها عالم الهواجس الفكر
وخالق كل شيء بقدر مصرف الأقدار على مشيئته ومجريها ومأنح مواهبه من
أضحى بيد الشكر يمتريها حمدا يصوب حياه ويعذب جناه وتتهلل أسرة الإخلاص
من مطاويه ويستدعي المزيد من آلائه ويقتضيه
والحمد لله الذي استخلص محمدا {صلى الله عليه وسلم} من زكي الأصلاح
وانتخبه من أشرف الأنساب وبعثه إلى الخليقة رسولا وجعله إلى منهج النجاة
دليلا وقد بواؤ الشرك بوار الذل وقضاه وشهر غضب العز وانتضاه والأمم عن
طاعة الرحمن عازفة وعلى عبادة الأوثان عاكفة فلم يزل بأمر ربه صادعا وعن
التمسك بعرا الضلال الواهية وازعا وإلى ركوب
محجة الهدى داعيا وعلى قدم الاجتهاد في إبادة الغواية ساعيا حتى أصبح نور
الحق منيرا مشرقا وعوده بعد الذبول أخضر مورقا ومضى الباطل موليا أدباره
ومستصحا تتييره وبواره وقضى {صلى الله عليه وسلم} بعد أن مهد من
الإيمان قواعده وأحكم أساسه ووطأه وأوضح سبيل الفوز لمن اقتفاها ولحب
طريقها بعد ما دثرت صواها فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه
الأكرمين صلاة متصلا سح غمامها مسفرا صبح دوامها
والحمد لله على أن صار لأمير المؤمنين من أدب النبوة ما هو أجدر بحيازة
فخره وأولى بفيض غدره ووطأ له من الخلافة المعظمة مهادا أحفزته نحوه
جوافز ارتياحه وجذبتة إليه أزمة راعه واكتباحه إلى أن أدرك من ذلك مناه
وألقى الاستقرار الذي لا يريم عصاه وعضد دولته بالتأييد من سائر أنحائه
ومراميه

وأغراضه ومغازيه حتى فاقت الدول المتقدمة إشراقا وأعطتها الحوادث من التغيير عهدا وفيها وميثاقا وأصبحت أيامه أدامها الله حالية بالعدل أجيادها جائلة في ميادين النضارة جياها وراح الظلم دارسة أطلاله مقلصا سرباله قد انجم سحابه وزمت للرحلة ركابه فما يستمر منها أمر إلا كان صنع الله سبحانه مؤيده والتوفيق مصاحبه أنى يمم ومسدده وهو يستوزعه جلت عظمته شكر هذه النعمة ويستزيده بالتحدث بها من آلائه الجمّة ويستمد منه المعونة في كل أرب قصده وأمه وشحذ لانتحائه عزمه وما توفيقه إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب

ولما كانت الوزارة قطب الأمور الذي عليه مدارها وإليه إيرادها وعنه إصدارها وخلا منصبها ممن كان يكون لها أهلا وينظم من جماله لها شملا أجال أمير المؤمنين فيمن يختار لذلك فكره وانعم لأهل الاصطفاء لهذه المنزلة نظره حتى صرح محض

رأيه عن زبدة اختيارك وهداه صائب تديره إلى اقتراحك وإيثارك فألقى إليك المقاليد وعول في دولته القاهرة على تديرك السديد وناط بك من أمر الوزارة ما لم يلف له سواك مستحقا ولا لمتسنم استيجابه مترقى علما بما تبديه كفايتك المشهورة وإيالتك المخبورة من تقويم ما أعجز مياده وصلاح ما استشرى فساده واستقامة كل حال وهي عمادها وأصلد على كثرة الاقتداح زنادها وتثبيتا لما تبتسم عنه الأيام من آثار نظرك المعربة عن احتوائك على دلائل الجزالة وإستيلائك على مخايل الأصالة اللذين تنال بهما غايات المعالي وتفرع الذرا والأعالي

ثم إن أمير المؤمنين بمقتضى هذه الدعاوي اللازمة وحرمات جدك وأبيك السالفة المتقدمة التي استحصدت في الدار العزيزة قوى أمراسها وأدنت منك الآن ثمرة غراسها رأى أن يشيد هذه العارفة التي تارج لديك نسيمها وبدت على أعناق نحرها رسومها وجادت رباعك

شآبيبها وضفت عليك جلابيبها بما يزيد أزرك اشتدادا وباع أملك طولا وامتدادا فأدناك من شريف حضرته مناجيا ومنحك من مزايا الأيام ما يكسبك ذكرا في الأعقاب ساريا وعلى الأحقاب باقيا وأفاض عليك من الملابس الفاخرة ما حزت به أوصاف الجمال وجمع لك أبانيد الآمال وقلدك من الفخر ما يدوم على مر الزمان وبيقى وأمطاك سهوة سابح يشأى الرياح سبعا ووسمك بكذا وكذا في ضمن التأهيل للتكنية إبانة عن جميل معتقده فيك ورعاية لوسائلك المحكمة المرائر وأواخيك

وأمرك بتقوى الله التي هي أحسن المعامل وأعذب المناهل وأنفع الذخائر يوم تبلى السرائر وأن تستشعرها فيما تبديه وتخفيه وتذره وتأتيه فإنها أفضل الأعمال وأوجبها وأوضح المسالك إلى الفوز برضا الله تعالى وألحبها وأجلب الأشياء للسعادة الباقية وأجناها لقطوف الخيرات الدانية عالما بما في ذلك من نفع تتكامل أقسامه وتتفتح عن نور الصلاح الجامع أكمامه قال الله جلت آلاؤه وتقدسست أسماؤه (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين) وقال تعالى حاضا على تقواه ومخبرا عما خص به متقيه وحباه وكفى بذلك رائدا إليها وباعثا عليها) إن الله يحب المتقين)

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وأمرك أن تتوخى المقاصد السليمة وتأتيها وتتوقى الموارد الوخيمة وتحتويها
وأن يشفع بالحزم أفعالك وتجعل كتاب الله تعالى إمامك الذي تهدي به
ومثالك وأن تكف من نفسك عند جماحها وإبائها وتصدها عن متابعة أهوائها
وتثني عند احتدام سورة الغضب
عنانها وتشعرها من حميد الخلائق ما يوافق إسرارها فيه إعلانها فإنها لم نزل
إلى منزلة السوء المردية داعية وعن سلوك مناهج الخير المنجية ناهية قال
الله تعالى (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)

وأمرك أن تنجز للخدمة بين يديك من بلوت أخباره واستشففت أسراره فعلمته
جامعا أدوات الكفاية موسوما بالأمانة والدراية وعركته رحا التجارب عرك
الثفال وحلب الدهر أشطره على تصاريح الأحوال ليكون أمر ما تولاه على
منهج الاستقامة جاريا وعن ملابس الخلل ولا رتياب عاريا فلا يضع في مزلقه
قدما ولا يأتي ما يقرع سنه لأجله ندما وأن تمنح رعايا أمير المؤمنين من بشرك
ما يعقل شوارد الأهواء ويلوي إليه بأعناق نوافرها اللاتي اعتصمن بالجماح
والإبء مازجا ذلك بشدة تستولى حميا رهبتها على القلوب وتفل مرهفات بأسها
صرف الخطوب من
غير إفراط في إستدامة ذلك يضيق بها على الطالب وسيع مذهبه ويغريها
اتصاله باستشعار وعر الخطأ واستيطاء مركبه
وأمرك أن تعذب موارد الإحسان لمن أحمدت بلاءه وتحققت غناؤه
واستحسننت أثره وارتضيت عيانه وخبره وتسدل أسمال الهوان على من بلوت
فعله ذميما وألفيته بعراض الإساءة مقيما وإلى رباها الموحشة مستأنسا
مستديما كيلا لكل امرئ بصاعه واتباعا لما أمر الله تعالى باتباعه وتجنبنا
للإهمال الجاعل المحسن والمسيئ سواء والمعيدهما في موقف الجزاء أكفاء
فإن في ذلك تزهيدا لذوي الحسنى في الإحسان وتتابعا لأهل الإساءة في
العدوان ولولا ما فرضه الله تعالى على المؤمنين من إيجاب الحجة والفاك
من ريقة الاجتهاد ببلاغ المعذرة لثنى عنان الإطالة مقتصرنا واكتفى ببعض
القول مختصرا ثقة بامتناع سدادك ونهاك أن رأك صواب الفعل حيث نهاك
واستنامة إلى ما خولك الله من الرأي الثاقب المطلع من خصائص البديهة على
محتجب العواقب

فارتبط يا فلان هذه النعمى التي جادت ديمها مغانيك وحققت الأيام بمكانها
أمانيك بشكر ينطق به لسان الاعتراف فيؤمن وحشي النعم من النفار
والانحراف واسلك في جمال السيرة والاقتراد بهذه الأوامر المتينة المذكورة
جددا يغري بحمدك الألسنة ويعرب عن كونك من الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه والله يصدق مخيلة أمير المؤمنين فيك وبوزعك شكر ما أولاك
ويوليك ويجعل الصواب غرضا لنبال عزائمهم ويزود عن دولته القاهرة كتائب
الخطوب بصوارم السعد ولهاذمه ويصل أيامه الزاهرة بالخلود ويبسط على
أقاصي الأرض ظلّه الممدود ما استهل جفن الغيث المدرار وابتسمت ثغور
النوار إن شاء الله تعالى

الأسلوب الثالث

أن يفتح ما يكتب بخطبة مبتدأة بالحمد لله وهو أسلوب نادر الوقوع فيما كتب به عن الخلفاء لم يعرف منه إلا ما تقدم ذكره من عهد الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمملكة الديار المصرية على ما تقدم في عهود الخلفاء للملوك في الفصل الأول من هذا الباب إلا أنه كان قد استقر عليه اصطلاح الفاطميين بالديار المصرية وعليه أورد على بن خلف مثل ما يكتب عنهم في الولايات وتبعهم ملوك الديار المصرية من بني أيوب فمن بعدهم على ذلك على ما هو معروف في ذلك ولما استقل الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس بالخلافة والسلطنة جميعا عند القبض على الناصر فرج كتب عنه كما كان يكتب عن الملوك قبله لم يختلف الحال في ذلك إلا في الألقاب السلطانية فكان يقال فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي الإمامي النبوي المستعيني ثم بطل ذلك بانتقال السلطنة عنه ورجع الأمر في ما يكتب إلى السلطان إلا في الأمور الخاصة بالخلافة

وهذه نسخة تفويض شريف كتب به عن الإمام المعتضد بالله خليفة العصر الموضوع له هذا الكتاب بتفويض نظر الجامع الجديد بمصر للمقر الناصري محمد بن البارزي كاتب السر الشريف بالممالك الإسلامية من إنشاء الشيخ الإمام علامة الدهر تقي الدين بن حجة وهي

الحمد لله الذي جعل التفويض العباسي متصلا بمحمد ونفذ أحكام الخلافة الداوودية قديما وحديثا إلى أن تسلسل حديثها المسند وعضد الإسلام والمسلمين بمعتضد ما قام في نصرته بيته إلا من هو مؤيد نعمده على أن أتحنفا من هذا البيت بكل أمين علي الأمة ورشيد ونشكره على أن أقام له بعد أبي مسلم أبا النصر فأمسى وهو بأركان الشرف مشيد ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع بين حسن النظر والشهادة ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو جامع شمل هذه الأمة وقبيلتها وسراجها المنير للعبادة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بطيب أثره وتبصروا بحسن نظره صلاة تعلى منار الشهادات في جوامع الكلم بركتها وتعلو في جوامع الأمصار بمحمد كلمتها ما سجع على أفنان المنابر ساجع وغرد وأعلن تحت العلمين العباسية بقرب المعتضد من محمد وسلم تسليما

وبعد فإن سجايا الكرم في آل بيت النبي ما برحت لعقود المنائح خلاصة وكيف لا وهو الذي أنزل بأكنافه (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) لا سيما بنو العباس فإن شجرتهم التي أصلها ثابت وفرعها في السماء نعم الخلف وما منهم إلا واثق بالله ومتوكل على الله ومعتضد به وهذا غاية الشرف فمن أخذ عنهم حديثا في أمر بيت من بيوت الله فقد ظفر بحسن نظر وفضل جامع فإن البيت والحديث لهم بغير منازع فلا معبد إلا وله الطرب عند جس عيدان المنابر بأوصافهم المشهورة ولا خائف من عصاة الأمة إلا داس بساط الطاعة في جوامعهم ودخل تحت أعلامهم المنشورة فمن قصد

القرب إليه فقد فاز بأعظم قرية لا سيما إن نهل من سقايتهم نهلة فإنه لم يجد بعدها في المناهل منهلا مستعذبا للمحبة وكان الجناب الكريم العالي القاضوي الكبير السفيري الناصري محمد بن البارزي الجهمي الشافعي صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الشريفة المحروسة الإسلامية ضاعف الله تعالى نعمته هو الركن السامي في قواعد بيتنا الشريف والمنتصب لرفع علمه العباسي حتى تقياً كل قائل بظله الوريث والملاحظ بعين سره الذي هو في نسبنا أبداع من بديع النسيب والسر المحمدي ما برح لبنى العباس فيه حظ ونصيب والمساعد بعد عمارة بيتنا في عمارة بيت الله الذي صار بحسن نظره قدير العين ولقد أبداع في إنشاء نظمها حتى تحقق الناس أنه أعظم من إنشاء نظم البيتين

لذلك رسم بالأمر الشريف العالي المولوي الإمامي المعتضدي لا زالت تفاوضه الشريفة العباسية محروسة بالأسرار المحمدية أن يفوض إلى المشار إليه نظر الجامع الجديد بمصر المحروسة ووقفه المنسوب إلى السلطان الشهيد الملك الناصر بقى الله تعالى عهده علماً أنه إن شمل نظره

الجامع المصري فقد مد الله هذا النظر في سائر الأمصار ويعلم أنه يصير بحسن مهاجره لموقفه الناصري من أعظم الأنصار وبحق لهذا الجامع أن يقول ما برحت بمصر متمسكا من محمد بالآثار ولقد هام البيت العتيق إلى رؤية هذا البيت الجديد الذي هو بالمدينة الأهلة بالجناب المحمدي ودار الخلافة وود الأقصى أن يكون الأدنى إليه ليطالع تفسيره الذي يجعل من البحر اعترافه وتمنى الأموي أن يطير بأجنحة النسرين ليزوجه بعروسه العالية المنار واستصغر تنكز نفسه عن مقابلة الناصر وأحكم الحاكم وقصر طولون عن السبق في هذا المضممار وقال الأزهر هذا بنور النظر المحمدي أزهر وقال الأقرم هذا بالطلعة البارزية أقرم فليتلق حديث هذا التفويض عن أبي الفتح عن أبي النصر ويتبرك بسنده العالي ويملي ما أخذه من شواهد المحبة عن المعتضد عن المؤيد لا عن القالي وليباشر ذلك على ما عهد من أدواته التي ما نسبت إلى غير الكمال فإن الخلل لم ينظر إليه بعينه من خلال والوصايا كثيرة ولكنه بحمد الله أبو عذرتها وابن

بجدها وجهينة أخبارها وكاتب أسرارها والله تعالى يمد فروع أصوله حتى تستظل الأمة بظل هذه الشجرة ويفتح له أبواب الخير بأبي الفتح فإن أبواب العلم لديه محررة وبديم على بيوت الله بالممالك الإسلامية نظره والاعتماد على الخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه إن شاء الله تعالى

الأسلوب الرابع
أن يفتح ما يكتب بلفظ أحق أو أولى أو نحو ذلك وبذلك كان يكتب في توابع صغار الولايات

وهذه نسخة توقيع من ذلك
كتب به عن الإمام الناصر لدين الله للقاضي محيي الدين بن فضلان بتدريس المدرسة النظامية ببغداد في سنة أربع عشرة وستمائة وهي
أحق من أبيضت عليه مجاسد النعم وجذب بضبعه إلى مقام التنويه وتقدم

ولما كان الأجل العالم محيي الدين حجة الإسلام رئيس الأصحاب مفتى
الفريقين مفيد العلوم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضالان أدام الله رفعتة
ممن نظم فرائد المحامد عقده التضيد وأوى من العلم والعمل إلى ركن شديد
وثبتت قدمه من الديانة على مستثبت راسخ وقرار مهيد رضى التعويل في
تفويض التدريس بالمدرسة النظامية إليه ثقة باضطلاع واستقلاله وتبريزه في
حلبات الاستباق على نظرائه وأمثاله وأسند إليه أدام الله رفعتة النظر في
أوقاف المدرسة المذكورة بأجمعها واعتماد ما شرطه الواقف في مصارفها
وسبلها سكونا إلى كفايته وركونا إلى سداه وأمانته
ورسم له تقديم تقوى الله تعالى التي ما زال منتهجا لطرائقها مستمسكا
بعضمها ووثائقها وأن يشرح صدره للمتعلمين ولا يأخذه ضجرة من المستفيدين
ولا تعدو عيناه عن الطالبين ولا يتبرم بالمبالغة في تفهيم المبتدى ولا يغفل عن
تذكير المنتهى فإنه إذا
احتمل هذه المشقة وأعطى كل تلميذ حقه كان الله تعالى كفيلا بمعونته
بحسب ما يعلمه من حرصه عليهم وإخلاص نيته وليكن بسائر المتفهمة معتنيا
رفيقا وعليهم حذبا شفيقا يفرع لهم من الفقه ما وضح وتسهل ويبين لهم ما
التبس من غوامضه وأشكل حتى تستنير قلوبهم بأضواء علوم الدين وتنطلق
ألسنتهم فيها باللفظ الفصيح المبين وتظهر آثار بركاته في مرآشده وتبين
ولتتوفر همته في عمارة الوقف واستنمائتها والتوفر على كل ما عاد بتزايدها
وزكائها بحيث يتضح مكان نظره فيها ويبلغ الغاية الموفية على من تقدم
ويوفيقها ولا يستعين إلا بمن يؤدي الأمانة ويوفيقها ويقوم بشرائط الاستحفاظ
ويكفيها وهو أدام الله رفعتة يجري من عوائد المدرسين والمتولين على أوفى
معهود ويرقى فيه إلى أبعد مرتقى ومقام محمود وأذن له في تناول إيجاب
التدريس ونظر الوقوف المذكورة أسوة من تقدمه في التدريس والنظر في
الموقوف على كل ما شرطه الواقف في كل ورد وصدر واعتماد كل ما حد له
في ذلك ومثله من غير تجاوز

الأسلوب الخامس

أن يفتح ما يكتب بلفظ هذا كتاب ثم يقال أما بعد فالحمد لله وبؤتى بخطية
مناسبة للحال وربما أتى فيها بثلاث تحميدات ثم أتى على المقصود إلى آخره
وعلى ذلك كان يكتب لزعماء أهل الذمة من البطارقة ونحوهم
وهذه نسخة توقيع من ذلك

كتب به أمين الدولتين ابن موصلايا عن القائم بأمر الله لعبد يسوع الجاثليق
الفطرك بمدينة السلام وسائر البلدان في ربيع الأول سنة سبع وستين وأربع
مائة وهي

هذا كتاب أمر بكتبه عبد الله أبو جعفر عبد الله الإمام القائم بأمر الله أمير
المؤمنين لعبد يسوع الجاثليق الفطرك

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

أما بعد فالحمد لله الواحد بغير ثان القديم لا عن وجود زمان الذي قصرت
صنيعة الأوهام عن إدراكه
وحارت وضلت صنيعة الأفهام عن بلوغ مدى صفاته وحالت المتنزه عن الولد
والصاحبة العاجزة عن إحاطة العلم به دلائل العقول الصافية الصائبة ذي
المشيئة الحالية بالمضاء والقدرة الجارية عليها تصاريف القدر والقضاء
والعظمة الغنية عن العون والظهير المتعالي بها عن الكفاء والنظير والعزة
المكتفية عن العصد والنصير (ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير)
والحمد لله الذي اختار الإسلام ديناً وارتنضاه وشام به غضب الحق على الباطل
وانتنضاه وأرسل محمداً {صلى الله عليه وسلم} منقذاً من إشراك الصلة
وكاشفاً عن الإيمان ما غمره من الإشراك وأظله وبعثه ماحياً أثر الكفر عن
القلوب والأسماع وناحياً في اتباع ما جد في البدار إليه والإسراع وأدلى ما
حمله أحسن الإدلاء وداوى بمعجزة النبوة من النفوس معضل الداء ولم يزل
لأعلام الهدى مبيناً ولحبائل الغي حاسماً مبيناً إلى أن خلس الحق وصفاً وغدا
الدين من أصداده منتصفاً وإتضح للحائر سنن
الرشد وانقاد الأبى باللين والأشد فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين واصحابه
المتخيين وخلفائه الأئمة الراشدين وسلم تسليماً

والحمد لله الذي استخلص أمير المؤمنين من أزكى الدوحة والأرومة وأحلّه من
عز الإمامة ذروة للمجد غير مرومة وأصار إليه من تراث النبوة ما حواه
بالاستحقاق والوجوب وأصاب به من مرامي الصلاة ما حميت شموسه من
الافول والوجوب وأولاه من شرف الخلافة ما استقدم به الفخر فلبى واستخدم
معه الدهر فيما تآبى ومنح أيامه من ظهور العدل فيها وانتشاره ولقاح حوائل
الإنصاف فيها ووضع عشاره ما فضل به العصور الخالية وظلت السير متضمنة
من ذكرها ما كانت من مثله عارية خالية ومو يستديمه سبحانه المعونة على ما
يقرب لديه ويزلف عنده ويستمدّه التوفيق الذي يغدو لعزائم الميمونة أوفى
العصد والعدة وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب
وأمير المؤمنين مع ما أوجب الله تعالى عليه من اختصاص
رعاياه بأكنافه الذي يمد عليهم رواقها ويرد بها إلى أغصان صلاحهم أوراقها
ويلقي على أجيادهم عقودها وبقي رياح ائتلافهم ركودها يرى أن يولي أولي
الاستقامة من أهل ذمته ضروب الرأفة وحنونها وأقسام العاطفة الدافعة
عنهم حوادث الغير وصرورها بمقتضى عهودهم القوية القوى وذمتهم التي يلزم
أن يحافظ عليها أهل العدل والتقوى ويغتمدهم من الصون الغامر والإجماع
المضاهى الأنف منه الغابر بما قنص يد الضيم وكفه ويفيض عليهم من
الملاحظة كل ما حسم الضير دونهم وكفه وأن يحتويهم من الحيطة بما يحرس
رسومهم المستمرة من أسباب الاختلال ويجريهم فيها على ما سنه السلف
الصالح معهم من مألوف السجايا والخلال
ولما أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين تمييزك عن نظرائك وتحليك من السداد
بما يستوجب معه أمثالك المبالغة في وصفك وإطرائك وتخصصك بالأنحاء التي
فت فيها

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

شأو أقرانك وأفدت بها ما قصر معه مساجلك من أبناء جنسك أن يعدلك في ميزانك وما عليه أهل نحلتك من حاجتهم إلى جاثليق كافل بأمورهم كاف في سياسة جمهورهم مستقل بما يلزم القيام به غير مقل بما يتعين مثله في أدوات منصبه وأن كلا ممن يرجع إليه منهم لما تصفح أحوال متقدمي دينهم واستشف وأعمل الفكر في اختيار الأرجح منهم والأشرف واففقوا من بعد على إجاله الرأي الذي أفاضوا بينهم قداحه وراضوا به زبد الاجتهاد إلى أن يورى حين راموا اقتداحه فلم يصادفوا من هو بالرياسة عليهم أحق وأحرى وللشروط الموجبة التقديم فيهم أجمع وأحوي وعن أموال وقوفهم أعف وأروع ومن نفسه لداعي التحري فيها أطوع وأتبع منك اختاروك لهم راعيا ولما يشد نظامهم ملاحظا مراعيًا وسألوا إمضاء نصهم عليك والإذن فيه وإجراء الأمر فيما يخصك أسد مجاريه وترتيبك فيما أهلت له وحملت ثقله واختصاصك على من تقدمك من الأضراب بمزيد من الإرعاء والإيجاب وحملك وأهل نحلتك على الشروط المعتادة والرسوم التي إمضاء الشريعة لها أوفى الشهادة رأى أمير المؤمنين الإجابة إلى ما وجهت

إليه فيه الرغبة واستخارة الله تعالى في كل عزم يطلق شباه ويمضي غربه مقتديا فيما أسداه إليك وأسناه من النعمة لديك بأفعال الأئمة الماضين والخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين مع أمثالك من الجثالقة الذين سبقوا وفي مقامك اتسقوا وأوعز بترتيبك جاثليقا لنسطور النصارى بمدينة السلام وسائر البلاد والأصقاع زعيما لهم وللروم واليعاقبة طرا ولكل من تحويه ديار الإسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقر وإليها يطرا وجعل أمرك فيهم ممتثلا وموضعك من الرياسة عليهم متاثلا وأن تنفرد بالتقدم على هذه الطوائف أجمع ليكون قولك فيما يجيزه الشرع الشريف فيهم يقبل وإليك في أحوالهم يرجع وأن تتميز بأهبة الزعامة في مجامع النصارى ومصلياتهم عامة من غير أن يشركك فيها أو يشاكلك في النسبة الدالة عليها مطران أو أسقف للروم أو اليعاقبة لتغدو شواهد ولايتك بالأوامر الإمامية بادية للسامع والناظر وأثار قصورهم عن هذه الرتبة التي لم يبلغوها كافة للمجادل منهم والمناظر ومنعوا بأسرهم عن مساواتك

في كل أمر هو من شروط الزعامة ورسومها والتزيي بما هو من علاماتها ووسومها إذ لا سبيل لأحدهم أن يمد في مباراتك باعه ولا أن يخرج عن الموجب عليه من الطاعة لك والتباعة وحملك في ذلك على ما يدل عليه المنشور المنشأ لمن تقدمك الممضي لك ولكل من يأتي بعدك المجدد بما حواه ذكر ما نطقت به المناشير المقررة في أيام الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين لمن تقدمك في مقامك وأحرز سبق مغزاك ومرامك من كون المنصوب في الجثلقة إليه الزعامة على ما تضمنه ديار الإسلام من هذه الفرق جمعا والمنصوص عليه في التقدم الذي ليس لغيره من رياضه مرعى وتقدم أمير المؤمنين بحياطتك وأهل نحلتك في نفوسكم وأموالكم وبيعكم ودياركم ومقار صلواتكم وحراسة أمواتكم واعتمادكم بأقسام الكلاءة على

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

أجمل الرسم معكم وأن تحموا من نقض سنة رضية قررت لكم ودحض وتيرة حميدة استعملت في فرضكم وأن تقبض الجزية من رجالكم ذوي القدرة على أدائها بحسب ما جرت به عادتكم دون النساء ومن لم يبلغ الحلم دفعة واحدة في السنة وتجروا في ذلك على السجية التي تناقلها الرواة وتداولتها الألسنة من غير تشية ولا تكريه ولا ترنيق لمنهل المعدلة عندكم ولا تكدير وأن تحيي بالشد دائما وتقوية يدك على من نصبت في أمورهم ناظرا ولشملهم ناظما ويفسح لك في فصل ما شجر بينهم على سبيل الوساطة لتقصد في ذلك ما يحسم دواعي الخلف ويطوي بساطه وأن تمضي تثقيفك لهم وأمرك فيهم أسوة ما جرى عليه الأمر مع من كان قبلك يليهم لتحسن معه السيرة العادلة عليهم بحفظ السوام المطابقة للشروط السائغة في دين الإسلام

وأمر بإنشاء هذا الكتاب مشتملا على ما خصك به وأمضى أن تعامل بموجبه فقابل نعمة أمير المؤمنين عندك بما تستوجه من شكر تبلغ فيه المدى الأقصى وبشر لا يوجد التصفح له عندك قصورا ولا نقصا وواظب على الاعتراف بما أوليته من كل ما جملك وصدق ظنك وأملك واستزد الإنعام بطاعة تطوي عليها الجوانح وأدعية لأيامه تتبع الغادي منها بالرائح وتجنب التقصير فيما بك عدق وإليك وكل وعليك علق واحتفظ بهذا الكتاب جنة تمنع عنك ريب الدهر وغيره وحجة تحمل فيها على ما يحمي ما منحت من كل ما شعثه وغيره وليعمل بهذا المثال كافة المطارنة والأساقفة والقسيسين والنصارى أجمعين وليعتمدوا من اتباعه كل ما يستحقه تقديمك على الجماعة وليثقوا بما يغمرهم من المعاطف الحامية سربهم من التفريق والإضاعة إن شاء الله تعالى

تنبيه قد ذكر محمد بن عمر المدائني أنه كان يكتب للأمرء في قرطاس من نصف طومار وللعمال والكتاب في قرطاس من ثلث طومار وللتجار وأشباههم في قرطاس من ربع طومار وللحساب والمساح في قرطاس من سدس طومار وقد تقدم أن المراد بالطومار قطع البغدادي الكامل ولا يخفى أن المناسب لقطع النصف قلم الثلث الخفيف ولقطع الثلث قلم الكوفة ولما دون ذلك قلم الرقاع

الباب الخامس فيما كان يكتب عن الخلفاء من الإقطاعات وتحويل السنين
وإلزام أهل الذمة الشرائط اللازمة لهم وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول فيما كان يكتب عنهم من الإقطاعات
وقد كان عاداتهم فيه أن يكتب هذا كتاب من عبد الله فلان الإمام الفلاني وبأتي على المقصد إلى آخره من إقطاع استغلال وهو الذي يؤخذ فيه خراج الأرض ورقبتها باقية لبيت المال أو إقطاع تملك وهو أن يملك الأرض ويقرر عليه قطيعة تؤخذ منها لبيت المال وتسمى هذه المقاطعة والأصل في ذلك ما رواه الحافظ بن عساكر في تاريخ الشام بسنده إلى أبي قائد الداري أن النبي {صلى الله عليه وسلم} أعطاه أرضا بفلسطين وكتب له بها كتابا

في قطعة آدم وهو بعد البسمة هذا ذكر ما وهب محمد رسول الله للداريين إذا أعطاه الله الأرض وهب لهم بيت عينون وحبرون وبيت ابراهيم بمن فيهن لهم أبدا

شهد عباس بن عبد المطلب وجهيم بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب فلما هاجر النبي {صلى الله عليه وسلم} إلى المدينة كتب لهم بذلك كتابا ونسخته

هذا ما أنطى محمد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تميم الداري وأصحابه إن أنطيتكم عينون وحبرون والرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد فمن آذاهم فيها آذاه الله

شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب

وفي رواية إنما كتب أولا هذا كتاب من محمد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لتميم بن أوس الداري إن له قرية حبرا وبيت عينون قريتها كلها سهلها وجبلها ماءها وحرثها وأنباطها وبقرها ولعقبه من بعده لا يحاقه فيها أحد ولا يلج عليهم أحد بظلم فمن طلبهم أو أخذ من أحدهم شيئا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وكتب علي

وروى الحافظ بن منده نحوه فصار ذلك أسلوبا ينسج على منواله قلت ويقال إن الرقعة موجودة عن التميميين ببلد الخليل إلى الآن في رقعة آدم

وهذه نسخة مقاطعة

كتب بها أبو اسحاق الصابي عن المطيع لله بإقطاع أرض إقطاع تملك وهي هذا كتاب من عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين لفلان بن فلان

إنك رفعت قصتك تذكر حال ضيقتك المعروفة بكذا وكذا من رستاق كذا وكذا من طسوح كذا وكذا وأنها أرض رقيقة قد نزل عليها الخراب وانغلق أكثرها بالسد والدغل وأن مثلها لا تتسع يد الليالي للإنفاق عليه وعلب بالاسلة واستخراج سدوده وقفل أرضه ولا يرغب الأكرة في ازدراعه والمعامل فيه وإن أمير المؤمنين مقاطعك عن هذه الضيقة على كذا وكذا من الورق المرسل في كل سنة على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية مقاطعة مؤبدة ماضية مقررة نافذة يستخرج مالها في أول المحرم من كل سنة ولا تتبع بنقض ولا يتأول فيها متأول ولا تعترض في مستأنف الأيام ما اجتهدت في عمارتها وتكلفت الإنفاق عليها واستخراج سدودها وتنقية أراضيها واحتفار سواقيها واجتلاب الأكرة إليها وإطلاق البذور والتقاوي فيها وإرغاب المزارعين بتخفيف طسوقها بحق الرقبة ومقاسماتها وكان في ذلك توفير لحق بيت المال وصلاح ظاهر لا يختل

وسألت أمير المؤمنين الأمر بذلك والتقدم به والإسجال لك به وإثباته في ديوان السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية وتصويره ماضيا لك ولعقبك وأعقابهم ومن لعل هذه الضيقة أو شيئا منها ينتقل إليه ببيع أو ميراث أو صدقة أو غير

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ذلك من ضروب الانتقال فإن أمير المؤمنين بإثاره الفلاح واعتماده أسبابه ورغبته فيما عاد بالتوفير على بيت المال والعمارة والترفيه للرعية أمرنا بالنظر فيما ذكرته واستقصاء البحث عنه ومعرفة وجه التدبير وسبيل الحظ فيه والعمل بما يوافق الرشد في جميعه فرجع إلى الديوان في تعرف ما حكيتة من أحوال هذه الضيعة فأنفذ منه رجلا مختارا ثقة مأمونا من أهل الخبرة بأمور السواد وأعمال الخراج قد عرف أمير المؤمنين أمانته وديانته وحكمه

ومعرفته وأمره بالمصير إلى هذه الناحية وجمع أهلها من الأدلاء والأكره والمزارعين وثقات الأمناء والمجاورين والوقوف على هذه الأقرحة وإيقاع المساحة عليها وكشف أحوال غامرها وعمارها والمسير على حدودها وأخذ أقوالهم وآرائهم في وجه صلاح وعمارة قراح قراح منها وما يوجهه صواب التدبير فيما التمسته من المقاطعة بالمبلغ الذي بذلته وذكرت أنه زائد على الارتفاع والكتاب بجميع ذلك إلى الديوان ليوقف عليه وينهى إلى أمير المؤمنين لينظر فيه فما صح عنده منه أمضاه وما رأى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يرى منه حتى يقف على حقيقته ويرسم بما يعمل عليه فذكر ذلك الناظر أنه وقف على هذه الضيعة وعلى سائر أقرحتها وحدودها وطافها بمشهد من أهل الخبرة بأحوالها من ثقات الأدلاء والمجاورين والأكره والمزارعين والأمناء الذين يرجع إلى أقوالهم ويعمل عليها فوجد مساحة بطون الأقرحة المزدرعة من جميعها دون سواقيها وبرورها وتلالها ومستنقعاتها وما لا يعتمد من أرضها بالحرب الهاشمي الذي تمسح به الأرض في هذه الناحية كذا وكذا جريا منها قراح كذا وكذا وقراح كذا وكذا ومنها الحصن والبيوت والساحات والقراحت والخزانات ووجد حالها في الخراب والانسداد وتكدر العمارة والحاجة إلى عظيم المعرفة ومفرط النفقة على ما حكيتة وشكوته ونظر في مقدار أصل هذه الخزانات من هذه الضيعة وما يجب عليها وكيفية الحال في ذلك ونظر أمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤتمن المنفذ من الديوان واستظهر فيه بما يراه من الاستظهار ووجب عنده من الاحتياط فوجد ما رفعه صحيحا صحة عرفها أمير المؤمنين وعلمها وقامت في نفسه وثبتت عنده

ورأى إيقاع المقاطعة التي التمسيتها على حق بيت المال في هذه الضيعة فقاطعك عنه في كل سنة هلالية على استقبال سنة كذا وكذا الخراجية على كذا وكذا درهما صحاحا مرسله بغير كسر ولا حق حرب ولا جهيدة ولا محاسبة ولا زيادة ولا شيء من جميع المؤن وسائر التوايع والرسوم تؤدي في أول المحرم كل سنة حسب ما تؤدي المقاطعة مقاطعة ماضية مؤبدة نافذة ثابتة على مضي الأيام وكرور الأعوام لا تنقض ولا تفسخ ولا تتبع ولا يتأول فيها ولا يعتبر على أن يكون هذا المال وهو من الورق المرسل كذا وكذا في كل سنة مؤدى في بيت المال ومصححا عند من تورد عليه في هذه الناحية أموال خراجهم ومقاطعاتهم وجباياتهم لا يعتل فيها بأفة تلحق الغلات سماوية ولا أرضية ولا يتعطل أرض

ولا بقصور عمارة ولا نقصان ريع ولا بانحطاط سعر ولا بتأخر قطر ولا تشرب
 علة ولا حرق ولا سرقة ولا بغير ذلك من الآفات بوجه من الوجوه ولا بسبب من
 الأسباب ولا يحتج في ذلك بحجة يحتج بها التناء والمزارعون وأرباب الخراج في
 الالتواء بما عليهم وعلى أن لا يدخل عليك في هذه المقاطعة يد ماسح ولا
 مخمن ولا حازر ولا مقدم ولا أمين ولا حاطر ولا ناظر ولا متتبع ولا متعرف لحال
 زراعة وعمارة ولا كاشف لأمر زرع وغلة ماضيا ذلك لك ولعقبك من بعدك
 وأعقابهم وذريتك وذريتهم أبدا ما تناسلوا ولمن عسى أن تنتقل هذه الأقرحة أو
 شيء منها إليه يارث أو بيع أو هبة أو نحل أو صدقة أو وقف أو مناقلة أو إجارة
 أو مهياة أو تملك أو إقرار أو بغير ذلك من الأسباب التي تنتقل بها الأملاك من
 يد إلى يد ولا ينقض ذلك ولا شيء منه ولا يغير

ولا يفسخ ولا يزال ولا يبذل ولا يعقب ولا يعترض فيه بسبب زيادة عمارة ولا
 ارتفاع سعر ولا وفور غلة ولا زكاء ريع ولا إحياء موات ولا إعمال معطل ولا
 عمارة خراب ولا استخراج غامر ولا صلاح سرب ولا استحداث غلات لم يجز
 الرسم باستحداثها وزراعتها ولا يعد ولا يمسح ما عسى أن يغرس بهذه الأقرحة
 من النخل وأصناف الشجر المعدود والكروم ولا يتأول عليك فيما لعل اصل
 المساحة أن تزيد به فيما تعمره وتستخرجه من الجبايين والمستنقعات
 ومواقع المشارب المستغنى عنها إذ كان أمير المؤمنين قد عرف جميع ذلك
 وجعل ما يجب على كل شيء منه عند وجوبه داخلا في هذه المقاطعة وجاريا
 معها
 وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في الدواوين وإقراره في يدك حجة لك
 ولعقبك من بعدك وأعقابهم
 وورثتك وورثتهم وثيقة في أيديكم وفي يد من عسى أن تنتقل هذه الضيقة أو
 الأقرحة أو شيء منها إليه بضرب من ضروب الانتقال التي ذكرت في هذا
 الكتاب والتي لم تذكر فيه وأن لا يخلفوا إيرادا من بعده ولا يتأول عليكم متأول
 فيه
 فمن وقف على هذا الكتاب أو قرأه أو قرئ عليه من جميع الأمراء وولاة العهود
 والوزراء والكتاب والعمال والمشرفين والمتصرفين والمباشرين في أمور
 الخراج وأصحاب السيوف على اختلاف طبقاتهم وتباين منازلهم وأعمالهم
 فليمتثل ما أمر به أمير المؤمنين ولينفذ لفلان بن فلان وورثته وورثتهم وعقبه
 وأعقابهم ولمن تنتقل هذه الأقرحة أو شيء منها إليه هذه المقاطعة من غير
 مراجعة فيها ولا استثمار عليها ولا تكليف أحد ممن يقوم بأمرها إيراد حجة بعد
 هذا الكتاب بها وليعمل بمثل ذلك من وقف على نسخة من نسخ هذا الكتاب
 في ديوان من
 دواوين الحضرة وأعمالها أو الناحية وليقر في يد فلان بن فلان ويد من يورده
 ويحتج به ممن يقوم مقامه إن شاء الله تعالى

تنبيه قد تقدم عن محمد بن عمر المدائني أنه كان يكتب للأمراء في قرطاس
 من نصف طومار وأن المراد نصف قطع البغدادي ومقتضى ذلك أن إقطاعهم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

كانت تكتب في هذا القطع ومن دونهم من الجند كل منهم بحسب رتبته
الفصل الثاني من الباب الخامس
فيما كان يكتب في تحويل السنين الخراجية عن الخلفاء وهو أن يكتب بنقل
السنة الشمسية إلى السنة الهلالية بالاسم دون الحقيقة توفيقا بينهما وإزالة
للشبهة في أمرهما وذلك أن أيام السنة الشمسية في المدة التي تقطع
الشمس الفلك فيها مرة واحدة حسب ما توجهه حركتها في ميلها في الجنوب
والشمال ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وأيام السنة الهلالية في المدة التي يقطع
القمر الفلك فيها اثنتي عشرة دفعة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وسدس يوم
فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوما وسدس يوم وتكون زيادة السنين
الشمسية على السنين الهلالية في كل ثلاث سنين شهرا واحدا وثلاثة أيام
ونصف يوم تقريبا وفي كل ثلاث وثلاثين سنة واحدة بالتقريب فإذا تباد
الزمان زاد تفاوت ما بين السنين حتى يكون كل ثلاثمائة سنة شمسية ثلاثمائة
وتسع سنين هلالية وعليه حمل بعض المفسرين قوله تعالى (وليثوا في كهفهم
ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) وربما كان استحقاق الخراج في أول سنة من
السنين العربية ثم تراخى الحال فيها إلى أن صار استحقاقه في أواخرها ثم
تراخى حتى يصير في السنة الثانية فيصير الخراج منسوبا للسنة السابقة
واستحقاقه في السنة اللاحقة فيحتاج حينئذ إلى تحويل السنة الخراجية
السابقة إلى التي بعدها حتى انتهت الحال في جباية الخراج سنة إحدى وأربعين

ومائتين في خلافة المتوكل وخراج كل سنة يجبي في السنة التي بعدها فلما
دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلاث
وثلاثون سنة أولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة المأمون فاجتمع من هذا
المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثلاثمائة وخمس وستون يوما وربع
يوم وزيادة الكسر وتهيأ إدراك غلات سنة إحدى وأربعين ومائتين في صدر سنة
اثنتين وأربعين ومائتين فأمر المتوكل بإلغاء ذكر سنة إحدى وأربعين ومائتين إذ
كانت قد انقضت ونسب الخراج إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر إبراهيم
بن العباس فكتب كتابا عنه بذلك وهو أول كتاب كتب في هذا المعنى ولم أقف
على نسخته

وجري العمل بعد المتوكل على ذلك سنة بعد سنة إلى أن انقضت ثلاث وثلاثون
سنة آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين فجرى فيها خبط بين الكتاب
وبقى الأمر إلى سنة ثمان وسبعين ومائتين في خلافة المعتضد فعرف ما كان
من فعل المتوكل من نقل سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين
ومائتين فأمر بنقل
سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد
مضي أربع سنين من استحقاقه وكتب بذلك كتاب عن المعتضد وولد في
الدواوين

ونسخته أما بعد فإن أولى ما صرف إليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره
ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر الفيء الذي خصه الله به وألزمه جمعه
وتوفيره وحياطته وتكثيره وجعله عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما
يصرف منه أعطيات الأولياء والجنود ومن يستعمل به فيه لتحصين البيضة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

والذب عن الحرم وحج البيت وجهاد العدو وسد الثغور وأمن السبيل وحقن
الدماء وصلاح ذات البين وأمير المؤمنين يسأل الله راغباً إليه ومتوكلاً عليه أن
يحسن عونه على ما حملة منه وبديم توفيقه إلى ما أرضاه وإرشاده إلى ما
يقضي بالخير عنه وله

وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمر جباية هذا الفيء في خلافة
آبائه الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ما كان يدرك من
الغلات والثمار في كل سنة أولاً على مجاري شهور سني الشمس في النجوم
التي يحل مال كل صنف منها فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن
شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً وربعا وزيادة عليه ويكون إدراك الغلات
والثمار في كل سنة بحسب تأخرها
فلا تزال السنون تمضي على ذلك سنة بعد سنة حتى تنقضي منها ثلاث وثلاثون
سنة ويكون عدد الأيام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثلاثمائة
وخمسة وستون يوماً وربيع يوم وزيادة عليه فحينئذ يتهياً بمشيئة الله وقدرته
إدراك الغلات التي تجري عليها الضرائب والطرسوق في استقبال المحرم من
سني الأهلة ويجب مع ذلك إلغاء ذكر السنة الخارجة إذ كانت قد انقضت
ونسبته إلى السنة التي أدركت الغلات والثمار فيها وإنه وجد ذلك قد كان وقع
في أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمه الله عليه عند انقضاء ثلاث
وثلاثين سنة آخرتهن سنة إحدى وأربعين ومائتين فاستغنى عن ذلك وأمر
بالغاء ونسبه إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين فجرت المكاتبات والحسيانات
وسائر الأعمال بعد ذلك سنة بعد سنة إلى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرتهن
انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب إنشاء الكتب بإلغاء ذكر سنة أربع
وسبعين ومائتين ونسبتها إلى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على
كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الأمر فيه أربع سنين إلى أن أمر
أمير المؤمنين المعتضد بالله رحمه الله في سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل
خراج سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين فجرى الأمر
على ذلك إلى أن انقضت في هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي
كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وأخرتهن انقضاء شهور
خراج سنة سبع وثلاثمائة ووجب افتتاح خراج ما تجري

عليه الضرائب والطرسوق في أولها من صواب التدبير واستقامة الأعمال
واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج لسنة سبع
وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة فرأى أمير المؤمنين لما يلزم به نفسه
ويأخذها به من العناية بهذا الفيء وحياطة أسبابه وإجرائها مجاريها وسلوك
سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم فيها أن يكتب إليك وإلى سائر العمال
بالنواحي بالعمل على ذلك ويكون ما يصدر إليكم من الكتب وتصدرونه عنكم
وتجري عليه أعمالكم ورفوعكم وحساباتكم وسائر مناظراتكم على هذا النقل
فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين واعمل به مستشعراً فيه وفي كل ما تمضيه
تقوى الله وطاعته ومستعملاً ثقات الأعوان وكفاتهم مشرفاً عليهم ومقوماً لهم

واكتب بما يكون منك في ذلك إن شاء الله تعالى
ولم يزل الأمر جارياً على ذلك في كل ثلاث وثلاثين
سنة تنقل سنة إلى آخر الدولة العباسية بالعراق
قلت أما الديار المصرية فقد ذكر صاحب المنهاج في صنعة الخراج أن أول نقل
السنين فيه كان في سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية
وكتب فيها كتاب من إنشاء القاضي الفاضل وهي مستمرة على النقل في كل
ثلاث وثلاثين سنة إلى زماننا هذا يكتب بها عن السلطان
الفصل الثالث من الباب الخامس
فما كان يكتب عن الخلفاء في إلزام أهل الذمة ما يلزمهم بشريطة عقد الذمة
وأخذهم بذلك
وأول ما كتب بذلك في خلافة المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد
وذلك أنه حج فسمع رجلاً يدعو عليه فهم بقتله فقال له الرجل والله يا أمير
المؤمنين

ما قلت ما قلت إلا وقد ايقنت بالقتل فاسمع مقالتي ثم مر بقتلي فقال قل
فشكا إليه استطالة كتاب أهل الذمة على المسلمين في كلام طويل فخرج أمر
أمير المؤمنين المتوكل بأن يلبس النصارى واليهود ثياب العسلي وأن لا يمكنوا
من لبس البياض كي لا يتشبهوا بالمسلمين وأن تكون ركبهم خشبا وأن تهدم
بيعتهم المستجدة وأن تطلق عليهم الجزية ولا يفسح لهم في دخول حمامات
خدمها من المسلمين وأن تفرد لهم حمامات خدمها من أهل الذمة وأن لا
يستخدموا مسلماً في حوائجهم وأفردهم بمن يحتسب عليهم وأمر أن يكتب
بذلك كله كتاباً فكتب

وهذه نسخته

أما بعد فإن الله تعالى اصطفى الإسلام ديناً فشرفه وكرمه وأناره ونصره
وأظهره وفضله وأكمله فهو الدين الذي لا يقبل غيره قال الله تعالى (ومن يتبع
غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)
بعث به صفيه وخيرته من خلقه محمداً { صلى الله عليه وسلم } جعله خاتم
النبيين وإمام المتقين وسيد المرسلين (لينذر من كان حياً ويحق القول على
الكافرين) (وأنزل كتاباً عزيزاً) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد (أسعد به أمته وجعلهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله) ولو أمن أهل الكتاب لكان خيراً
لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (وأهان الشرك وأهله ووضعهم
وصغرهم وقمعهم وخذلهم وتبرأ منهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة وقال)
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم
صاغرون (وأطلع

على قلوبهم وخبث سرائرهم وضمائرهم فنهى عن ائتمانهم والثقة بهم
لعداوتهم للمسلمين وغيثهم وبغضائهم فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا

بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون (وقال تعالى) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (وقال تعالى) لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة (وقال تعالى) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناسا لا رأي لهم ولا روية يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين ويسلطونهم على الرعية فيعسفونهم ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم والعدوان عليهم فأعظم أمير المؤمنين ذلك وأنكره وأكبره وتبرأ منه وأحب التقرب إلى الله تعالى بحسبه والنهي عنه ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأمصار وولاية الثغور والأجناد في ترك استعمالهم لأهل الذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم والإشراك لهم في أمورهم وأماناتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه إذ جعل في المسلمين الثقة في الدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين وحسن الرعاية لما استرعاهم والكفاية لما استكفوا والقيام بما حملوا بما أغنى عن الاستعانة من المشركين بالله المكذبين برسله الجاحدين لآياته الجاعلين معه إلها آخر لا إله إلا هو وحده لا شريك له ورجا أمير المؤمنين بما ألهمه الله من ذلك وقذف في قلبه جزيل الثواب وكريم المآب والله تعالى يعين أمير المؤمنين على نيته على تعزيز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه

فلتعلم هذا من رأي أمير المؤمنين ولا تستعن بأحد من المشركين وأنزل أهل الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها وأقرأ كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشعه فيهم ولا يعلم أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة في عمل الإسلام

قلت ثم لم يزل الخلفاء بعد المتوكل يتداولون كتابة مثل ذلك في كل زمن ويشددون فيه حتى أن المقتدر بالله في سنة خمس وتسعين ومائتين عزل كتاب النصارى وعمالهم وأمر بأن لا يستعان بأحد من أهل الذمة وقتل بعض النصارى وكتب إلى عماله بها

نسخته

عوائد الله عند أمير المؤمنين تومى على عادة رضاء ونهاية أمانيه وليس أحد يظهر عصيانه إلا جعله الله عظة للأنام وبادره بعاجل الاصطلام والله عزيز ذو انتقام فمن نكث وطغى وبغى وخالف أمير المؤمنين وخالف محمدا { صلى الله عليه وسلم } وسعى في إفساد دولة أمير المؤمنين عاجله أمير المؤمنين بسطوته وطهر من رجسه دولته والعاقبة للمتقين وقد أمر أمير المؤمنين بترك الاستعانة بأحد من أهل الذمة فليحذر العمال تجاوز أمر أمير المؤمنين ونواهيته

وكذلك وقع في زمن الأمر الفاطمي بالديار المصرية أمر بكتاب كتاب عنه بالباس أهل الذمة الغيار وإنزالهم بالمنزلة التي أمر الله تعالى أن ينزلوا بها من الذل والصغار وأمر أن لا يولوا شيئا من أعمال الإسلام وأن ينشأ في ذلك كتاب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

يقف عليه الخاص والعام فكتب
وأوله الحمد لله المعبود في أرضه وسمائه والمجيب دعاء من يدعوه بأسمائه
وهو كتاب طويل قص عليهم فيه كل نكال
وعلى ذلك جرى ملوك الديار المصرية إلى أن كان آخر ما كتب بمثل ذلك عن
الملك الصالح صالح بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة
خمس وخمسين وسبع مائة

الباب السادس في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاية العهد بالخلافة والكتب
الصادرة إلى الخلفاء وولاية العهد من الملوك ونحوهم
وفيه فصلان
الفصل الأول في الكتب الصادرة عن الخلفاء وولاية العهد
أما الكتب الصادرة عن الخلفاء

فللكتاب في المكاتبات العامة فيها أربعة مذاهب
المذهب الأول
أن يفتح الكتاب بلفظ أما بعد وربما أتى فيه بعد البعديّة بالتحميد إذا كان
الكتاب مما يدل على نعمة ظاهرة من فتح أو غيره وقد ينتهي التحميد إلى ثلثه
وقد يقصر فيه على تحميدة واحدة وربما أهمل التحميد ووقع الافتتاح بأما بعد
فإن أمير المؤمنين
والأصل في ذلك أن النبي { صلى الله عليه وسلم } كان
يفتح كتبه بأما بعد كما كتب { صلى الله عليه وسلم } إلي نصارى نجران
بسم الله الرحمن الرحيم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد فإني أدعوكم
إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن
أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد أذنتكم بحرب الإسلام
وعلى ذلك
كتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه حين حصر في داره إلى
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أما بعد فقد بلغ السيل الزبي والحزام الطيين وطمع في كل من كان يضعف
عن نفسه ولم يغلبك مثل مغلب فأقبل إلى صديقا كنت أم عدوا
فإن كنت مأكولا فكن خير أكل
وإلا فأدركني ولما أمزق
وعلى مثل ذلك كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة وقد خرجوا عن طاعته
أما بعد فإن) الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (وإنني والله قد لبستكم فأخلفتكم
ورفعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني وأيم الله لئن
وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأترككم بها أحاديث تنسخ
منها أخباركم كأخبار عاد وثمود
وعلى هذا الأسلوب
كتب عن المعتصم بالله إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند
قبض الأفشين على بابك ملك الروم وهو من الفتوح العظيمة في الإسلام
وهذه نسخته

أما بعد فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه والعصمة لأوليائه والعز لمن نصره والفلج لمن أطاعه والحق لمن عرف حقه وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدق عنه ورغب عن ربوبيته وابتغى إليها غيره لا إله إلا الله وحده لا شريك له يحمده أمير المؤمنين حمد من لا يعبد غيره ولا يتوكل إلا عليه ولا يفوض أمره إلا إليه ولا يرجو الخير إلا من عنده والمزيد إلا من سعة فضله ولا يستعين في أحواله كلها إلا به ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده الذي ارتضاه لنبوته وابتعثه بوحيه واختصه بكرامته فأرسله بالحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا والحمد لله الذي توجه لأمر المؤمنين بصنعه فيسر له

أمره وصدق له ظنه وأنجح له طلبته وأنفذ له حيلته وبلغ له بغيته وأدرك المسلمون بثأرهم على يده وقتل عدوهم وأسكن روعهم ورحم فاقتهم وأنس وحشتهم فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين في ديارهم متمكنين من أوطانهم بعد القتل والحرق والتشريد وطول العناء وتتابع البلاء منا من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به وصنعا له فيما وفقه لطلبه وكرامة زادها فيما أجرى على يده فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ويرغب إلى الله في تمام نعمه ودوام صنعه وسعة ما عنده بمنه ولطفه ولا يعلم أمير المؤمنين مع كثرة أعداء المسلمين وتكفهم إياه من أقطاره والضغائن التي في قلوبهم على أهله وما يترصدونه من العداوة وينطوون عليه من المكيدة إذ كان هو الظاهر عليهم والأخذ منهم عدوا كان أعظم بلية ولا أجل خطبا ولا أشد طلبا ولا أبلغ مكيدة ولا أرمى بمكروه من هؤلاء

الكفرة الذين يغزوهم المسلمون فيستعلون عليهم ويضعون أيديهم حيث شاءوا منهم ولا يقبلون لهم صلحا ولا يميلون معهم إلى موادة وإن كانت لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال يكون من فترات ولاة الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخلصه من خلس الحرب كان مالهم من خوف العاقبة في ذلك منغصا لما تعجلوا من سروره وما يتوقعون من الدوائر بعد تكذرا لما وصل إليهم من فرحة فأما اللعين بابك وكفرته فإنهم كانوا يغزون أكثر مما يغزون وينالون أكثر مما ينال منهم وهم المنحرفون عن الموادة المتوحشون عن المراسلة ومن أدبوا من تتابع الدول ولم يتجافوا عاقبة تدرتهم ولا دائرة تدور عليهم وكان مما وطأ ذلك ومكنه لهم أنهم قوم ابتدءوا أمرهم على حال تشاغل من السلطان وتتابع من الفتن واضطراب من الحبل فاستقبلوا أمرهم بعزة من أنفسهم وضعف واستشارة ممن باراهم فأجلوا من حولهم لتخلص البلاد لهم ثم أخرجوا البلاد ليز مطلبهم وتشتد المؤونة وتعظم الكلفة ويقووا في ذات أيديهم فلم يتواف إليهم قواد السلطان إلا وقد توافت إليهم القوة من كل جانب فاستفحل أمرهم وعظمت شوكتهم واشتدت ضراوتهم واستجمع لهم كيدهم وكثر عددهم واعتدادهم وتمكنت المصيبة في صدور الناس منهم وتحقق في نفوسهم أن كل ما يعدهم الكافر وبمنبيهم أخذ باليد وكان الذي بقى عندهم منه كالذي مضى وبدون هذا ما يختدع الأريب

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ويستزل العاقل ويعتقل الفطن فكيف من لا فكرة له ولا روية عنده هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم ومنافستهم على ما في أيديهم وتقطعهم حسرات في إثر ما خصوا به وأنهم إلا يكونوا يرون أنفسهم أحق بذلك فإنهم يرون أنفسهم فيه سواء ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تفضي إليه الخلافة

مادا عنقه موجهها همته إلى أن يوليه الله أمر هؤلاء الكفرة ويملكه حربهم ويجعله المقارع لهم عن دينه والمناجز لهم عن حقه فلم يكن يألو في ذلك حرصا وطلبيا واحتفالا فكان أمير المؤمنين رضي الله عنه يابى ذلك لضعفه به وصيانتته بقربه مع الأمر الذي أعده الله وأثره به ورأى أن شيئا لا يفي بقوام الدين وصلاح الأمر

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته وأطلق الأمر في يده لم يكن شيء أحب إليه ولا أخذ بقلبه من المعالجة للكافر وكفرته فأعزه الله وأعانه الله فله الحمد على ذلك وتيسره فأعد من أمواله أحصرها ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب وأنهضهم بالمعضلات ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه صلوات الله عليهم أحسنهم طاعة وأشدهم نكاية وأكثرهم عدة ثم أتبع الأموال بالأموال والرجال بالرجال من خاصة مواليه وعدد غلمانه وقبل ذلك ما اتكل عليه من صنع

الله جل وعز ووجه إليه من رغبته فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملاعين ألم يكذب الله ظنونهم ويشف صدور أوليائه منهم فقتلوهم كيف شاءوا في كل موطن ومعترك ما دامت عند أنفسهم مقاومة فلما ونوا وقلوا وكرهوا الموت صاروا لا يتراءون إلا في رؤوس الجبال ومضائق الطرق وخلف الأودية ومن وراء الأنهار وحيث لا تنالهم الخيل حبا للمطاوله وانتظارا للدوائر فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معتصمين فيه عند أنفسهم فجعلوا اعتصامهم لحين لهم وصنع لأوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى فجمعهم وحصرهم كي لا تبقى منهم بقية ولا يترجى لهم عاقبة ولا يكون الدين إلا لله ولا العاقبة إلا لأوليائه ولا التعس والنكس إلا لمن خذله فلما حصرهم الله تعالى وحبسهم ودانتهم مصارعهم

سلطهم الله عليهم كيد واحدة يختطفونهم بسيوفهم وينتظمونهم برماحهم فلا يجدون ملجأ ولا مهربا ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وخدمهم وصير الدار دارهم والمحلة محلتهم والأموال قسما بينهم والأهل إماء وعبيدا لهم وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة والثواب وما أعد لأولئك من الخزي والعقاب وصار الكافر بابك لا في من قتل فيسلم من ذل الغلبة ولا فيمن نجا فعابن في الحياة بعض العوض ولا فيمن أصيب فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ولكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسد مذاهبه وتركه ملددا بين الذل والخوف والغصة والحسرة حتى إذا ذاق طعم ذلك كله وفهمه وعرف بموقع المصيبة وظن مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة فأضرب الله وجهه

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وأعمى بصره وسد سبيله وأخذ بسمعه وبصره وحازه إلى من لا يبرق له ولا يرثى لمصرعه فامتثل ما أمر به الأفشين حيدر بن طاووس مولى أمير المؤمنين في أمره فبث له الجبائل ووضع عليه الأرصاد ونصب له الأشرار حتى أظفره الله به أسيره ذليلاً موثقاً في الحديد يراه في تلك الحالة من كاد يراه ربا ويرى الدائرة عليه من كان يظن أنها ستكون له فالحمد لله الذي أعز دينه وأظهر حجته ونصر أوليائه وأهلك أعداءه حمداً يقضى به الحق وتتم به النعمة وتتصل به الزيادة والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقق ظنه وأنجح سعيه وحاز له هذا الفتح وذخره وشرفه وجعله خالصاً لتمامه وكمله بأكمل الصنع وأحسن الكفاية ولم ير يوماً فيه يقذى عينه ولا خلا من سرور يراه وبشارة تتجدد له عنه فما يدري أمير المؤمنين ما متع فيه من الأمل أو ما ختم له من الظفر فالحمد لله أولاً والحمد لله على عطاياه التي لا تحصى ونعمه التي لا تنسى المذهب الثاني

فيما يكتب عن الخلفاء من الكتب أن يفتح الكتاب بلفظ من فلان إلى فلان والأصل في ذلك أن معظم كتب النبي {صلى الله عليه وسلم} الصادرة عنه كانت على هذا النمط

كما كتب عنه {صلى الله عليه وسلم} إلى هرقل ملك الروم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

وكان أبو بكر رضي الله عنه في خلافته يكتب عنه من أبي بكر خليفة رسول الله ثم الباقي من نسبة ما يكتب عن النبي {صلى الله عليه وسلم} ثم كتب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول خلافته من عمر خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى أن لقب بأمرير المؤمنين فكتب من عمر أمير المؤمنين فلزمها من بعده من الخلفاء إلى أن كانت خلافة المأمون فزاد بعد التحميد وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله فتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ثم يؤتى بالبعدي ويدعى للخليفة مثل أطال الله بقاءك ونحوه ثم يؤتى على المقصود وكان {صلى الله عليه وسلم} يكتب في كتبه إلى أصحابه بعد من محمد رسول الله سلام عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو

وهذه نسخة كتاب كتب به عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهي من أبي بكر خليفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقالم على الإسلام أو رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأقر بما جاء به وأكفر من أبي وأجاهده

أما بعد فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) يهدي الله للحق من أجاب إليه وضرب رسول الله { صلى الله عليه وسلم } بإذنه من أدبر عنه حتى صار الإسلام طوعا وكرها ثم توفى رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وقد نفذ لأمر الله ونصح لأُمَّته وقضى الذي عليه وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) وقال للمؤمنين (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)

فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم من الله وما جاء به نبيكم وأن تهتدوا بهديه وأن تعصموا بدين الله فإنه من لم يهده الله صل ومن لم يعافه مبتلى وكل من لم ينصره مخذول فمن هداه الله كان مهديا ومن أضله كان ضالا) من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان وقال الله جل ثناؤه (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)

وقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وإني أنفذت إليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يعاجل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى ما عند الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانته عليه ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ولا يبقي على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتلة ويسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم والداعية الأذان فإن أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم وإن لم يؤذنوا سلوهم عما عليهم فإن أبوا عاجلوهم وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم

وهذه نسخة كتاب كتب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص وقد بلغه فاشية مال فشئت له وهو يومئذ أمير مصر وهي

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص سلام عليك أما بعد فإنه قد بلغني أنه فشئت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد وعهدي بك قبل ذلك ولا مال لك فاكتب إلي من أين أصل هذا المال

وهذه نسخته كتاب من ذلك
كتب به عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف وقد بلغه أنه تعرض لأنس
بن مالك رضي الله عنه وهي
من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف أما بعد فإنك عبد قد
علت بك الأمور فطغيت وعلوت فيها حتى جزت حد قدرك وعدوت طورك وايم
الله

لأغمرنك كبعض غمزات الليوث الثعالب ولأركضنك ركضة تدخل منها في وجعاء
أمك اذكر مكاسب آبائك في الطائف إذ كانوا ينقلون الحجارة على أعناقهم
ويحفرون الآبار والمناهر بأيديهم قد نسيت ما كنت عليه أنت وأباؤك من الدناءة
واللوم والضراعة وقد بلغ أمير المؤمنين من استطاعتك على أنس بن مالك
جراً منك على أمير المؤمنين وغرة بمعرفة غيره ونقماته وسطواته على من
خالف سبيله وعمد إلى غير محجته ونزل عند سخطه وأظنك أردت أن تروزه
بها فتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فيها فإن سوغتها نصبت قدما وإن
غصبتها وليت دبرا أيها العبد الأخفش العينين الأصك الرجلين الممسوح
الجاعرتين ولن يخفى على أمير المسلمين نبؤك و) لكل نبأ مستقر وسوف
تعلمون (

وهذه نسخة كتاب على هذه الطريقة
كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع إلى صمصام الدولة بن عضد الدولة بن
بويه عند قبض على كردويه الكردي شاكرًا همته في ذلك في ربيع الأول سنة
خمس وسبعين وثلاثمائة وهي
من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى صمصام الدولة
وشمس الملة أبي كاليجار ابن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين
سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن
يصلني على محمد عبده ورسوله { صلى الله عليه وسلم }
أما بعد أطال الله بقاءك فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بوأك المنزلة العليا
وأنا لك من أثرته الغاية القصوى وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة
رحمة الله عليه من القدر والمحل والموضع الأرفع الأجل فإنه يوجب لك عند
ذلك أثرا يكون لك في الخدمة
ومقاما حميدا تقومه في حماية البيضة إنعاما بتظاهرة وإكراما بتتابعه وتواتره
والله يؤيدك من توفيقه وتسديده وبمدك بمعونته وتأييده وبخير أمير المؤمنين
فيما رآه مستمر عليه من مزيدك وتمكينك والإبقاء بك وتعظيمك وما توفيق
أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب

وقد عرفت أدام الله عزك ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين
ونعمتك وجاهد صنعه وصنيعك في الوثبة التي وثبها والكبيرة التي ارتكبتها
وتقديره أن ينتهز الفرصة التي لم يمكنه الله منها بل كان من وراء ذلك دفعه
ورده عنها ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله نارها وأتبعه عارها وشنارها
حتى انهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلة

والقلة بعد القتل الذريع والإثخان الوجيع
فالحمد لله على هذه النعمة التي جل موقعها وبان على الخاصة والعامة أثرها
ولزم أمير المؤمنين خصوصا
والمسلمين عموما نشرها والحديث بها وهو المسئول عن إقامتها وإدامتها
برحمته

وقد رأى أمير المؤمنين أن يجازيك عن هذا الفتح العظيم والمقام المجيد
الكريم بخلع تامة ودابتين ومركبين ذهبا من مراكبه وسيف وطوق وسوار
مرصع فتلق ذلك بالشكر عليه والاعتداد بنعمته فيه والبس خلع أمير المؤمنين
وتكرمه وسر من بابه على حملاته وأظهر ما حباك به لأهل حضرته ليعز الله
بذلك وليه ووليك وبذل عدوه وعدوك إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته

وعلى نحو من هذه الطريقة
كتب عن الإمام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ثاني
خلفاء بني العباس بالديار المصرية إلى الملك المؤيد هزير الدين داود بن الملك
المظفر يوسف صاحب اليمن من ملوك بني رسول في الدولة الناصرية محمد
بن قلاوون في سنة سبع وسبعمائة حين منع صاحب اليمن
الهدية التي جرت العادة بحملها من ملوك اليمن إلى ملوك الديار المصرية
يهدده فيه ويطلبه بالقيام معه في المساعدة له على التتار بمال يبعث به إليه
مصدرا بأية من القرآن متبعا للتصدير بخطبة وهي (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)
من عبد الله ووليه أبي الربيع سليمان

أما بعد حمد الله مانح القلوب السليمة هداها ومرشد العقول إلى أمر معادها
ومبداها وموفق من اختاره إلى محجة صواب لا يضل سالكها ولا تظلم عند
اختلاف الأمور العظام مسالكها وملهم من اصطفاه لابتغاء آثار السنن النبوية
والعمل بموجبات القواعد الشرعية والانتظام في سلك من طوقته الخلافة
عقودها وأفاضت على سدته الجليلة برودها وملكته أقاصي البلاد وأناطته
بأحكامه السديدة أمور العباد وسارت تحت خوافق أعلامه أعلام الملوك
والأكاسرة وشيدت بأحكامه مناخج الدنيا
ومصالح الآخرة وتبخر كل منبر من ذكره في ثوب من السيادة معلم وتهللت
من ألقابه الشريفة أسارير كل دينار ودرهم
يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أمور الخلافة ببني العباس منوطة وجعلها
كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة محوطة ويصلي على ابن عمه محمد الذي
أحمد الله بمبعثه ما ثار من الفتن وأطفأ برسالته ما اضطرم من نار الإحن
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا حمى الخلافة وذادوا عن
مواردها وعمدوا إلى تشييد المعالم الدينية فأقاموها على قواعد صلاة دائمة
الغدو والرواح متصلا أولها بطرة الليل وأخرها بجبين الصباح هذا وإن الدين
الذي فرض الله على الكافة الانضمام إلى شعبه وأطلع فيه شمس هداية
تشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه جعل الله حكمه بأمرنا منوطا وفي سلك
أحكامنا مخروطا وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفا طال نجاده وكثر أعوانه
وأنجاده وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية فإلى حرمانا تجبى ثمراتها ويرجع

إلى ديواننا العزيز
فيها وإثباتها يخلف الأسد في غابه إن مضى شبلة وبلغى في الخبر والخبر مثله

ولما أفاض الله تعالى علينا حلة الخلافة وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرافة وأقعدنا على سدة خلافة طالما أشرق بالخلائف من آبائنا وابتهجت بالسادة الغطاريف من أسلافنا وألبسنا خلعة من سواد السؤدد مصبوغة ومن سواد العيون وسويداء القلوب مصبوغة أمضينا على سدتنا الشريفة أمر الخاص والعام وقلدنا كل إقليم من أعمالنا من يصلح لسياسته على الدوام واستكفينا بالكفاة من عمالنا على أعمالنا واتخذنا مصر دار مقامنا وبها سدة مقامنا لما كانت في هذا العصر قبة الإسلام وقيئة الإمام وثانية دار السلام تعين علينا أن نتصفح جرائد أعمالنا ونتأمل نظام عمالنا مكانا مكانا وزمانا زمانا فتصفحناها فوجدنا قطر اليمن خاليا من ولايتنا في هذا الزمن عرفنا هذا الأمر من اتخذنا للممالك الإسلامية عينا وقلبا وصدرا ولبا وفوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية فقام فيها مقاما أقعد الأضداد وأحسن في ترتيب ممالكها نهاية الإصدار وغاية الإيراد وهو السلطان الأجل السيد

الملك الناصر المجل لا زالت أسباب المصالح على يديه جارية وسحابة الإحسان من أفق راحته سارية فلم يعد جوابا لما ذكرناه ولا عذرا عما أديناه إلا بتجهيز شرذمة من جحافة المشهورة وتعيين أناس من فوارسه المذكورة يقتحمون الأهوال ولا يعباون بتغييرات الأحوال يرون الموت معنما إن صادفوه وشبا المرهف مكتسبا إن صافحوه لا يشربون سوى الدماء مدامة ولا يلبسون غير السراويل عمامة ولا يعرفون طربا إلا ما أصدره صليل الحسام من غنا ولا ينزلون قفرا إلا ونبت ساعة نزولهم من قنا ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجعنا رأينا الشريف فاقتضى أن يكاتب من بسط يده في ممالكها واحتاط على جميع مسالكها واتخذ أهلها خولا وأبدي في خلال ديارها من عدم سياسة خلا برز مرسومنا الشريف النبوي أن يكاتب من قعد على تخت مملكته وتصرف في جميع أمور دولتها فطولع بأنه ولد السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر الذي له شبهة تمسك بأذيال المواقف المستعصمية وهو مستصحب الحال على زعمه

أو ما علم الفرق بين الأحياء والأموات أو ما تحقق الحال التي بين النفي والإثبات أصدرناها إلى الرحاب التعزية والمعالم اليمينية تشعير من تولى عنها فاستبد وتولى كبره فلم يعرج على أحد أن أمر اليمن ما برحت نوابنا تحكم فيه بالولاية الصحيحة والتفويضات التي هي غير جريحة وما زالت تحمل إلى بيت المال المعمور ما تمشى به الجمال رويدا وتقذفه بطون الجواري إلى ظهور اليعملات وليدا وبطالنا بأمر مصالحه ومفاسده وبحال دياره ومعاهده ولك أسوة بوالدك فلان هلا اقتفيت ما سنه من آثاره ونقلت ما دوتته أيدي الزمن من أخباره

واتصل بمواقفنا الشريفة أمور صدرت منك
منها وهي العظمى التي ترتب عليها ما ترتب قطع الميرة عن البيت الحرام

وقد علمت أنه واد غير ذي زرع ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع
ومنها انصباك إلى تفرغ مال بيت المال في شرى
لهو الحديث ونقض العهود القديمة بما تبديه من حديث

ومنها تعطيل أجياد المنابر من عقود اسمنا وخلو تلك الأماكن من أمور عقدنا
وحلنا ولو أوضحنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطال ولا تسعت فيه دائرة المقال
رسمنا بها والسيف يود لو سبق القلم حده والعلم المنصور يود لو فات العلم
واهتز بتلك الروابي فده والكتائب المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب
وأهل العزم والحزم يودون إليك إعمال الركاب والجواري المنشآت قد تكونت
من ليل ونهار وبرزت كصور الأفيلة لكنها على وجه الماء كالأطيوار وما عمدنا
إلى مكاتبتك إلا للإنذار ولا احتجنا إلى مخاطبتك إلا للإعذار فأقلع عما أنت
بصدده من الخيلاء والإعجاب وانتظم في سلك من استخلفناه فأخذ بيمينه ما
أعطى من كتاب وصن بالطاعة من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء علمك
ومنتظمون في سلك أوامر كلمك وداخلون تحت طاعة قلمك فلسنا نشن
الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه وامثل أوامر الله المطاعة
عقله ولبه ودان بما يجب من الديانة وتقلد عقود الصلاح والتحف مطارف
الأمانة ولسنا ممن

بأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا ورفض كتاب الله
ونزع عن مبايعتنا فأصدرنا مرسومنا هذا إليه يقص عليه من أنباء حلمنا ما أطال
مدة دولته وشيّد قواعد صولته ونستدعي منه رسولا إلى مواقفنا الشريفة
ورحاب ممالكنا المنيفة لينوب عنه في قبول الولاية مناب نفسه وليجن بعد
ذلك ثمار شيفقاتنا إن غرس شجر طاعتها ومن سعادة المرء أن يجنى ثمار
غرسه بعد أن يصحبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمة وخف حملا وتعالى رتبة
وحسن مثلا واشترط على نفسك في كل سنة قطعة ترفعها إلى بيت المال
وإياك ثم إياك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال ورتب جيشا مقيما تحت علم
السلطان الأجل الملك الناصر للقاء العدو المخدول التتار ألحق الله أولهم
بالهلاك وآخرهم بالبوار وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة وتواريخ سيرهم
المذكورة فاحرص على أن يخلصك من هذا المشرب السائغ أوفر نصيب وأن
تكون ممن جهز جيشا في سبيل الله فرمى بسهم فله أجر مصيبا كان أو غير
مصيب ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أعلامنا
المنصورة شاكرنا بر مواقفنا المبرورة وإن آل حالك إلى أن استمررت على
غيك واستحريت مدعى بفيك فقد منعناك التصرف في البلاد والنظر في أحكام
العباد حتى تطأ خيلنا العتاق مشمخرات حصونك وتعجل حينئذ ساعة منونك وما
أعلمناك غير ما علمه قلبك ولا فهمناك غير ما حدسه لبيك ولا تكن كالصغير
يزيده كثرة التحريك نوما ولا ممن غره الإمهال يوما فيوما أعلمناك ذلك فاعمل
بمقتضاه موقفا إن شاء الله تعالى
وعلى نحو من هذه الطريقة في الابتداء

كان يكتب عن الإمام المستعين بالله أبي الفضل العباس بن المتوكل على الله حين استقل بالخلافة والسلطنة مع زيادة في ألقاب الخليفة وإثبات ألقاب المكتوب إليه التي يكتب إليه بها في المكاتبات السلطانية فكان يكتب عنه لمن رتبته المقر الكريم من عبد الله ووليه الإمام المستعين بالله أبي الفضل أمير المؤمنين وإمام المسلمين وخليفة رب العالمين المفترض طاعته على سائر الخلائق أجمعين أعز الله ببقائه الدين وأمتع به الإسلام والمسلمين إلى المقر الكريم أو إلى الجنب الكريم أو الجنب العالي أو المجلس العالي أو المجلس السامي أو مجلس الأمير بالألقاب التي يكتب بها عن السلطان من ديوان الإنشاء الآن وكذلك في سائر الرتب المذهب الثالث

مما يكتب عن الخلفاء أن يفتح الكتاب بخطبة ثم يؤتى ببعديه ومنها إلى مقصد الكتاب وعلى ذلك كتب عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان إلى السلطان الملك الناصر أحمد بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مستدعى من الكرك إلى الديار المصرية لتقليده السلطنة بعد خلع أخيه الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون وإمساك الأمير قوصون ومن معه من الأمراء من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله تغمده الله برحمته وهذه نسخته مصدرة بآية من القرآن (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)

فالحمد لله الذي أسبغ نعمه الظاهرة والباطنة وألف قلوب أوليائه المتفقة والمتباينة وأخذ بنواصي أعدائه الكاذبة المائنة وأعلى جد هذه الدولة القاهرة وأطلع في أسنة العوالي نجومها الزاهرة وحرك لها العزائم فملكنا والأمور بحمد الله ساكنة والبلاد واطنة لله وأمنة والرعايا في مظانها قاطنة والسيوف في أعمادها مثل النيران في قلوب حسادها كامنة وأقام أهل الطاعة بالفرض واستوفى منهم القرض) وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض (وأعز أنصار المقام

العالي وأعز نصره وأعد لعدوه حصره وأتى بدولته الغراء تسمو شموستها وتثمر غروسها وتظهر في حلال الصباح المشرق عروسها وتجنئ منه بخير راع للرعية يسوسها وبشره بالملك والدوام وسره بما اجتمع له من طاعة الأنام وأقدمه على كرسي ملكه تظله الغمام وأراه يوم أعدائه وكان لا يظن أن يرى في المنام ولا يزال مؤيد الهمم مؤكد الذمم مجدد البيعة على رقاب الأمم ولا برحت أيامه المقبلة مقبلة بالنعم خضر الأكناف على رغم من كاد وغيظ من رغم ولا فتئت عهود سلفه الشريفة تنشأ له كما كانت ورعاياه تدين له بما دانت وجنوده تفديه من النفوس بأعز ما ذخرت وما صانت وسعادة سلطانه تكشف الغمم وتنشر الرمم وتعيد إلى أنوف أهل الأنفة الشمم وتحفظ على ما بقى لأوليائه من بياض الوجوه وسواد اللمم سطرها وأصدرها وقد حققت بعوائد الله الظنون

وصدقت الخواطر العيون وأنجز الله وعده وأتم سعده وجمع على مقامه
الكريم قلوب أوليائه وفرق فرق عدوه بإجابة ندائه ووطد لرقبه المناير ورجل
لتلقيه العساكر وهباً لمقاتل أعدائه في أيدي أوليائه السيوف البواتر وأخفق
قوصون وأمسك ونهب ماله واستهلك وهدمت أبنيته وخربت دياره وقلعت آثاره
وأخليت خزائنه وأخرجت من بطون الأرض دفائنه وما منعت عنه تلك الربائب
التي ظننها قساور ولا ناضلت تلك القسي التي طبعها أساور ولا أغنى عنه ذلك
المال الذي ذهب ولا ذلك الجوهر الذي كان عرضاً لمن نهب وأعيد إلى المهدي
ذلك الطفل الذي أكل الدنيا باسمه وقهر أبناءها بحكمه وموه به على الناس
وأخلى له الغاب وما خرج من الكناس وغالب به الغلب حتى وطئ الرقاب
وداس الأعقاب وخادع ودله الشيطان بغروره ودلس عليه عاقبة أموره فاعتد
بعتاده واغتر بعناده واغتر بأن الأرض
له وما علم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده فأمسك ومعه رؤوس من
أشياعه وحصرت بالخوف نفوس أتباعه ومنهم الطنبيغا وقد أحاط به العلم
الشريف بكيفية وصوله وحقيقة الخبر وما قاساه في طريقه من العبر وداس
عليه حتى وصل من وخز الإبر وكذلك من جاء معه وخلف وراءه الحق وتبعه
بعد الهزيمة التي ألجأهم إليها خوف العساكر المنصورة التي قعدت لهم على
الطريق وأخذت عليهم بمدارج أنفاسهم في فم المضيق وعبئت لهم صفوف
الرجال وأعدت لهم حتوف الأجال وحيرتهم في سعة الفجاج وأرتهم بوارق
الموت في سحب العجاج ثم لم يصلوا إلا وهم أشلاء ممزقة وأعضاء مفرقة قد
فنى تحتهم الظهر وفنى بيومهم الدهر وسأقتهم سعادة سلطان المقام العالي
إلى شقاوتهم وهم رقود وعبئت لهم الخيل والخلع إلا أنها ملابس الذل وهي
القيود فأخذوا جميعاً هم ومن كانوا على موالاته وفارقوا الجماعة لمواتاته
وحملوا إلى المجلس النائي المكان وأودعوا أحياء في ملحدة إلا أنهم

كالأموات وقد فاتوا المقصد إلا أنهم ما أمنوا القوات ووكل بحفظهم إلى أن
يشرف سرير الملك بعود مقامه وعود أيامه الحوالى وسعود زمانه التي
أزهرت بطلوعها الليالي
وهذا النصر إنما تهيأت ولله الحمد أسبابه وهذا الفتح إنما فتحت بمشيئة الله
أبوابه بمنة الله تعالى ونية المقام العالي لا بمنة أحد ولا بشدة بأس من أقر ولا
يأس من جحد وما قضى الله تعالى به من سعادة هذه الأيام ومضى به القدر
السابق وعلى الله التمام وبمظافرة الجناب الكريم السيفي قطلوبغا الفخري
الساقي الناصري أدام الله نصرته بهذه العصاة المؤيدة وبمضاء عزائمته التي
ما نبت وقضاء قواضيه التي ما انتنت وبمؤازرة من التف عليه من أكابر الأمراء
وبما أجمعوا عليه من مظافرة الآراء ونزولهم على التيه لا يضر بهم من خذلهم
ولا يهينهم من بذلهم ولا يباليون بعساكر دمشق المقيمة
على حلب ومن مال إليهم وتمالاً معهم عليهم ومن انضاف إليهم من جنود البلاد
وجيوش العناد ولا لواهم ما كان يبعث إليهم ذلك الخائن من وعيده ولا ولاهم ما
كاد يخطف أبصارهم من تهديده ولا بالوا بما تالب به عليهم جند الشام من كل
أوب وصب عليهم سيوله من كل صوب وخادعهم بالرسائل التي ما تزيدهم

عليه إلا إباء ولا تشككهم أن السيف أصدق منه إنباء حتى ولى لا تنفعه الخدع ولا تنصره البدع فما أسعدته تلك الجموع التي جمعها ولا أجابته تلك الخيول التي سار عليها إلى مكمين أجله ولا وقته تلك السيوف التي لم يظهر له بوارقها إلا حمرة خجلة حتى أخذ مع طاغيته بل طاغوته بمصر ذلك الأخذ الوبيل وقذف به إلى مهوى هلكه سبل ذلك السبيل وقام من بالديار المصرية قيام رجل واحد وتظافروا على إزالة ذلك الكافر النعمة الجاحد ولم يبق من الأمراء إلا من بذل الجهد وجمع قلوب الرعية والجند وفعل في الخدمة الشريفة ما لم يكن منه بد حتى حمد الأمر وخمد الجمر وتواترت الكتب بما عمت به

البشرى من إقامة البيعة باسمه الكريم وأنه لم يبق إلا من أعطى اليمين وأعطى الثمين وأتم الحلف إتماما لا يغدر معه يمين وأقيمت له السكة والخطبة ورفع على المنابر اسمه وتهلل به وجه النقود وظهر على أسارير الوجود وضربت البشائر ونهبت المسرات السرائر وتشوقت أولياء هذه الدولة القاهرة أدام الله سلطانها إلى حضور ملكها وسفور الصباح لإذهاب ما أبقتة عقائب تلك الليلة من حلكتها والمقام العالي ما يزداد علما ولا يزداد عزما وهو أدري بما في التأخير وبما في بعده من الضرر الكثير ومثله لا يعلم ومنه يتعلم فهو أعلم بما يجب من مسابقة قدومه للبشير وما يتعين من معاجلته لامتناء جواده ظهر الحصان وبطن السرير فالله الله في تعجيل حفظ هذا السوام المشرد وضم هذا الشمل المشنت ونظم هذا العقد المبدد وجمع كلمة الإسلام التي طالما افتترقت وانتجاع عارض هذه النعمة التي أبرقت وسرعة المسير فإن صبيحة اليوم المبارك الذي يعرف من أوله قد أشرقت فما بقى ما به يعتذر ولا سوى مقدمه السعيد ينتظر وقد كتبناها وبدنا ممدودة لمبايعته وقلوب الخلق كلها مستعدة لمتابعته وكروسي الملك قد أزلف إليه مقعده ومؤمل الظفر قد أنجز له مواعده والدهر مطاوعه والزمان مسعده وطوائف أوليائه ليوم لقائه ترصده والعهد له قد كتب ولواء الملك عليه قد نصب والمنبر باسمه عليه قد خطب والدينار والدرهم هذا وهذا له قد ضرب ولم يبق إلا أن يقترب وترى العيون منه ما ترتقب ويجلس على السرير ويزمغ المبشر ويعزم على المسير وتترين الأقاليم ويتبين لتسيير شهابه ما كان يقرأ له في التقاديم لا زال جيب ملكه على الأقطار مزرورا وذيل فخاره على السماء مجرورا وجد وليه مقبلا وقلبه مسرورا ومقدمه يحوز له من إرث أبائه نعمًا جمّة وملكا كبيرا إن شاء الله تعالى

المذهب الرابع

مما يكتب به عن الخلفاء أن يفتتح الكتاب بالسلام بأن يكتب سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يخص المقر الكريم أو الجناب الكريم أو غير ذلك من الألقاب التي يكتب بها عن السلطان ويؤتى على تلك الألقاب إلى آخرها ثم يقال ويبدى لعلمه أو يوضح لعلمه على حسب ما تقتضيه تلك المكاتبة في السلطانيات وعلى ذلك كانت كتب الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان وولده

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الإمام المستعين بالله في أول ولايته ولم يكن فيه من المكاتبات الجليلة ما يدون فأذكره

وأما الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة فقد قال أبو جعفر النحاس في كتابه صناعة الكتاب بعد أن ذكر أن صورة ما يكتب به عن الخليفة من عبد الله أبي فلان فلان الإمام الفلاني إلى فلان أتبع ذلك

بأن قال وليس أحد من الرؤساء يكتب عنه بالتصدير إلا الإمام وولى العهد ولم يزد على ذلك

والتصدير على ما فسره ابن حاجب النعمان في كتابه ذخيرة الكتاب هو من عبد الله أبي فلان فلان إلى آخره على ما تقدم وقد قال النحاس في الكلام على العنوان إنه يحذف من الكتاب عن ولى العهد لفظ أمير المؤمنين ويقال فيه ولى العهد ومقتضى ذلك أن المكاتبة عن ولى العهد كالمكاتبة عن الخليفة إلا أنه لا يقال فيه ولى العهد الإمام ويقام لفظ ولى العهد فيه مقام أمير المؤمنين

فيكتب فيه من عبد الله ابن فلان فلان الواثق بالله مثلاً ولى عهد المسلمين سلام عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله أما بعد فإن كذا ويؤتى على المقصد إلى آخر الكتاب على نحو ما تقدم في الكتابة عن الخليفة

تنبيه قد تقدم عن محمد بن عمر المدائني أنه كان يكتب عن الخلفاء للإمراء في قرطاس نصف طومار وللعمال والكتاب في قرطاس من ثلث طومار وللتجار وأشباههم

في قرطاس من ربع طومار وللحساب والمساح في قرطاس من سدس طومار وتقدم بيان أن المراد بالطومار قطع البغدادي الكامل أما الذي استقر عليه الحال فيما يكتب به عن خلفاء بني العباس بالديار المصرية إلى ملوكها فقد ذكر صاحب الدر الملتقط عن المقر الشهابي بن فضل الله أنه كتب الكتاب الصادر عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان إلى الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون عند استدعائه للسلطنة من الكرك على ما تقدم ذكره في هذا الفصل كتب في قطع البغدادي الكامل فليجر الأمر على ذلك

الفصل الثاني من الباب السادس

في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معناهم إلى الخلفاء وولاة العهد بالخلافة

أما الكتب الصادرة إلى الخلفاء

فللكاتب فيها ستة أساليب

الأسلوب الأول وهو أقدمها اصطلاحاً أن يفتح الكتاب بلفظ فلان من فلان ثم يصدر بالسلام والتحميد وسؤال الصلاة على النبي {صلى الله عليه وسلم} ثم يقال أما بعد فإن كذا ويختم بالسلام ونحوه على نحو ما تقدم في المكاتبات عن الخلفاء لا يختلف ذلك في شيء إلا في تقديم اسم المكتوب إليه على المكتوب عنه

والأصل في ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتبون في غالب كتبهم إلى

النبى {صلى الله عليه وسلم} لمحمد رسول الله
كما كتب إليه خالد بن الوليد رضى الله عنه بإسلام بنى الحارث بن كعب حين
وجهه إليهم
لمحمد النبى {صلى الله عليه وسلم} رسول الله من خالد بن الوليد
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فإني أحمد إليك الله الذي لا إله
إلا هو

أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك فإنك بعثتني إلى بنى الحارث بن كعب
وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا
قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام ثلاثة أيام وكتاب الله وسنة نبىه وإن لم
يسلموا قاتلتهم وإني قدمت إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمر
رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وبعثت فيهم ركبانا يا بنى الحارث أسلموا
تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به
وأنهاهم عما نهاهم
الله عنه وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى حتى يكتب إلى رسول الله {صلى
الله عليه وسلم} والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته
وعلى نحو من ذلك كتب إليه {صلى الله عليه وسلم}
النجاشى ملك الحبشة والمقوقس صاحب مصر أيضا في رواية ذكرها ابن عبد
الحكم وقد ذكرت كتابيهما في صبح الأعشى في كتابة الإنشا
ثم لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقب أمير المؤمنين وزاد
في أول كتبه الصادرة عنه لفظ عبد الله قبل اسمه فكان يكتب من عبد الله
عمر أمير المؤمنين على ما تقدم ذكره في المكاتبات الصادرة عن الخلفاء
اعتمدوا مثل ذلك في المكاتبة إليه أيضا
كما كتب عمرو بن العاص لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في
جواب الكتاب الوارد من أمير المؤمنين عليه يذكر فيه بأنه بلغه فاشية مال
فشئت له
لعبد الله عمر أمير المؤمنين سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو
أما بعد فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشية مال فشئت لي وأنه
يعرفني قبل ذلك ولا مال لي وإني أعلم أمير المؤمنين أنى ببلد السعر فيه
رخيص وأنى أعالج من الزراعة ما يعالجه الناس وفي رزق أمير المؤمنين سعة
والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك
في كلام آخر وجرى الناس بعد ذلك على هذا الأسلوب في الدولة الأموية وأول
الدولة العباسية
كما كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان

في جواب كتابه إليه بتوبيخه له بسبب تعرضه لأنس بن مالك رضى الله عنه
على ما تقدم ذكره
لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو
أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه وشلا حظه وحاطه ولا أعدمناه فقد

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلاميه

وصلني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وجعلني من كل مكروه فداه يذكر شتمي وتوبيخي بابائي وتعبيري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه وإحسانه إليه ويذكر أمير المؤمنين استطالة مني على أنس بن مالك وأمير المؤمنين أحق من أقال عثرتي وعفا عن ذنبي وأمهلني ولم يعجلني عند هفوتي للذي جبل عليه من كريم طباعه وما قلده الله من أمور عباده فرأى أمير المؤمنين أصلحه الله في تسكين روعي وإفراج كربتي فقد ملئت رعبا وفرقا من سطواته وقحمت نقاته وأمير المؤمنين أقاله الله العثرات وتجاوز له عن السيئات وضاعف له الحسنات وأعلى له الدرجات أحق من صفح وعفا وتعمد وأبقى ولم يشمت بي عدوا مكبا ولا حسودا مضبا ولم يجرعني عصصا والذي وصف أمير المؤمنين من صنيعته إلي وتقويمه بما أسند من عمله إلي وأوطأني رقاب رعيتيه فصادق فيه مجزي عليه بالشكر والتوسل مني إليه بالولاية والتقرب له بالكفاية وقد خضعت عند كتاب أمير المؤمنين فإن رأى طوقني الله شكره وأعانني على تأدية حقه وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته ومد في أجله أن يأمر بالكتاب إلى من رضاه وسلامه صدره ما يؤمنني به من سفك دمي ويرد ما شرد من نومي ويطمئن به قلبي فعل فقد ورد علي أمر جليل خطبه عظيم أمره شديد كربه أسأل الله أن لا يسخط أمير المؤمنين علي وأن ينيله في حزمه وعزمه وسياسته وفراسته ومواليه وحشمه وعماله وصنعاؤه ما يحمد به حسن رأيه إنه ولي أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه والصانع له في أمره والسلام

ولما زاد المأمون في الكتب الصادرة عنه بعد التحميد وأسأله أن يصلي علي محمد عبده ورسوله ألحقت في الكتب المكتوبة إلى الخليفة أيضا ويؤتى بعد البعدية بالدعاء للخليفة بما يناسبه من طول البقاء ونحوه والذي استقر عليه الحال بعد ذلك في الدولة العباسية في العراق على ما ذكره قدامة في كتاب الخراج أن يكتب لعبد الله فلان أبي فلان باسمه وكنيته ونعته ثم يقال أمير المؤمنين سلام علي أمير المؤمنين فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي علي محمد عبده ورسوله {صلى الله عليه وسلم}

أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وحراسته وأتم نعمته عليه وزاد في إحسانه إليه وفضله عنده وجميل بلائه لديه وجزيل عطائه له

قال في صناعة الكتاب ثم يقال أما بعد فإن كذا وكذا حتى يأتي على المعاني التي يحتاج إليها وتكون المكاتبة وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا فإذا زادت حاله لم يقل عبد أمير المؤمنين فإذا بلغ إلى الدعاء ترك فضاء وكتب أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وهناه كرامته وألبسه عفوه وعافيته وأمنه وسلامته والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته واعلم أنه إن كان الكتاب في معنى حدوث نعمة من فتح أو غيره أتى بعد البعدية بخطبة مفتح بالحمد وربما زيد على ذلك إلى ثلاث تحميدات ويكون خطاب الخليفة بأمر المؤمنين وتعبيير المكتوب عنه عن نفسه بلفظ الأفراد ويختم الكتاب بالإنهاء وما في معناه وهذه نسخة كتاب كتب به أبو إسحاق الصابي

عن عز الدولة بن معز الدولة بن بويه الديلمي إلى المطيع لله عند وصوله
الموصل وانهزام أبي تغلب بن حمدان عنها في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة
يوضح لك هذه الطريقة ويبين سبلها وهو

لعبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين من عبده وصنيعته عز الدولة
بن معز الدولة مولى أمير المؤمنين سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله فأني
أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والتأييد والتوفيق والتسديد
والعلو والقدرة والظهور والنصرة والحمد لله العلي العظيم الأزلي القديم
المنفرد بالكبرياء والملكوت المتوحد بالعظمة والجبروت الذي لا تحده الصفات
ولا تحوزه الجهات ولا تحصره قرارة مكان ولا يغيره مرور زمان ولا تتمثله
العيون بنواظرها ولا تتخيله القلوب بخواطرها فاطر السموات وما تظل وخالق
الأرض وما تقل الذي دل بلطيف صنعته على جميل حكمته وبين بجلي برهانه
على خفي وحدانيته واستغنى بالقدرة على الأعوان واستقلى بالعزة على
الأقران البعيد عن كل معادل ومضارع الممتنع عن كل مطاول ومقارع الدائم
الذي لا يزول ولا يحول العادل الذي لا يظلم ولا يجور الكريم الذي لا يظن ولا
يخل الحليم الذي لا يعجل ولا يجهل ذلكم الله ربكم) لا إله إلا هو فادعوه
مخلصين له الدين (منزل الرحمة على كل ولي توكل عليه وفوض إليه وأتممر
بأوامره وازدجر بزواجره ومحل النعمة بكل عدو صد عن سبيله وسننه وصدق
عن فرائضه وسننه وحاد في مكسب يده ومسعاه قدمه وخائنة عينه وخافية
صدره وهو رافع رتعة النعم السائمة في أكلاء النعم السابغة وجاهل جهلها
بشكر آلائها ذاهل ذهولها عن طرق استيفائها فلا يلبث أن ينزع سرايلها صاغرا
ويتعري منها حاسرا ويجعل الله كيده في تضليل ويورده شر المورد الوبيل إن
الله لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين

والحمد لله الذي اصطفى للنبوّة أحق عباده بحمل أعبائها وارتداء رداءها محمدا
صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعظم خطره وكرم فصدع بالرسالة وبالغ في
الدلالة ودعى إلى الهداية ونجى من الغواية ونقل الناس عن طاعة الشيطان
الرجيم إلى طاعة الرحمن الرحيم وأعلقهم بحبال خالقهم ورازقهم وعصمة
محييهم ومميتهم بعد انتحال الأكاذيب والأباطيل واستشعار المحالات والأضاليل
والتهوك في الاعتقادات الذابة عن النعيم إلى
العذاب الأليم فصلى الله عليه من ناطق بالحق ومنقذ للخلق وناصح للرب
ومؤد للفرص صلاة زاكية نامية رائحة غادية تزيد على اختلاف الليل والنهار
وتعاقب الأعوام والأدوار
والحمد لله الذي انتخب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من ذلك السنح
الشريف والعنصر المنيف والعترة الثابت أصلها الممتد ظلها الطيب جناها
الممنوع حماها وحاز له موارد أبائه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين
واختصه من بينهم بتناول أمد الخلافة واستحصال حبها في يده ووقفه لإصابة

الغرض من كل مرمى يرمى ومقصد ينتحيه وهو جل ثناؤه الحقيق بإتمام ذلك عليه والزيادة فيه لديه وأحمده سبحانه حمداً ابتدئه ثم أعيدته وأكرره وأستزیده على أن أهل ركن الدولة أبا علي وعضد الدولة أبا شجاع موليا أمير المؤمنين وأهلني للأثرة عنده التي ندنا فيها الأكفاء وقتنا فيها القرناء وتقطعت دونها أنفاس

المنافسين وتضرمت عليها أحشاء الحاسدين وإن أولاني في كل مغزى في خدمة أمير المؤمنين أغزوه ومنحى أنحوه وثأى أرابه وشعث ألمه وعدو أرغمه وزائع أقومه أفضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم النقية جيوبهم اطأمونة ضمائرهم المشحوذة بصائرهم من تمكين يده وتثبيت قدمه ونصرة رأيه وإعلاء كلمته وتقريب بغيته وإنالة أمنيته وكذلك يكون من إلاء أمير المؤمنين اعتزأؤه وبشعاره اعتزازه وعن زناده قدحه وفي طاعته كدحه والله ولي بإدامة ما خولنيه من هذه المنقبة وسوغنيه من هذه الموهبة وأن يتوحد أمير المؤمنين في جميع خدمه الذابين عن حوزته المنتمين إلى دعوته بيمين الطائر وسعادة الطالع ونجاح المطلب وإدراك الأرب وفي أعدائه العامطين لنعمته الناقضين موثيق بيعته بإضرع الخد وإتعاس الجد وإخفاق الأمل وإحباط العمل بقدرته ولم يزل مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ينكر قديما من فضل الله بن ناصر الدولة أحوالا حقيقا مثلها بالإنكار ومستحقا من ارتكبها الإعراض وأنا أذهب في حفظ غيبه وإجمال محضره وتمحل حجته وتلفيقها وتأليف معاذيره وتمييقها مذهبي الذي أعمر به كل من جرى مجراه من ناشئ في دولته ومغتذ بنعمته ومنتسب إلى ولايته ومشهور بصنيعته وأقدر أن أستصلحه لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرشاد ومناهج السداد وهو يريني أن قد قبل وارعوى وأبصر واهتدي حتى رغبت إلى أمير المؤمنين الله فيما شفعتني مت فيه من تقليده أعمال أبيه والقناعة منه في الضمان بميسور بذله وإيثاره به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله فلما بلغ هذه الحال ألت بالمال وخاس بالعهد وطرق لفسخ العقد وأجرى إلى أمور كرهتها ونفد الصبر منى عليها وخفت أن أستمر على الإغضاء عنها والمسامحة فيها فيطلع الله منى على إضاعة الاحتياط في أمر قلدي أمير المؤمنين زمامه وضمنني دركه وإرخاء

لب رجل قبل في الاعتماد عليه رأبي وعول في أخذه بما يلزمه على نظري واستيفائي فتناولته بأطراف العدل ملوفا ثم بأثواجه مفصحا مصرحا ورسمت لعبد أمير المؤمنين الناصح أبي طاهر أن يحل به وبوسطائه وسفرائه في حال ويدخل عليهم من طريق المشورة والرفق في أخرى وينتقل معه بين الخشونة التي يقفو فيها أثري واللين الذي لا يجوز أن يحسه منى تقديرا لانتنائه وزوال التوائه ففعل ذلك على رسمه في التاني لكل فاسد حتى يصلح ولكل أب حتى يسمح ولم يدع التناهي في وعظه والتمادي في نصحه وتعريفه سوء عاقبة اللجاج ومغبة الإخراج وهو يزيد طمعا في الأموال وشرها وعمى في

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الرأي وعمها إلى أن كاد أمرنا معه يخرج عن حد الانتظار إلى حد الرضى
بالإصرار فاستألفت ادراع الحزم وامتطاء العزم ونهضت إلى أعمال الموصل
وعندي أنه يغيني عن الإتمام ويتلقاني بالإعتاب وينقاد إلى المراد ويتجنب
طرق العناد
فحين عرف خبر مسيري وجدي فيه وتشميري برز بروز المخالف المكاشف
وتجرد تجرد المواقع المواقف وهو مع ذلك إذا ازددت منه قريبا ازداد مني رعبا
وإذا دلفت إليه ذراعا نكص عني باعا
وتوافت إلى حضرتي وجوه القبائل من عقيل وشيبان وغيرهما في الجمع
الكثيف من صعاليكهما والعدد الكثير من صناديدهما داخلين في الطاعة
متصرفين في عوارض الخدمة
فلما شارفت الحديثة انتقضت عزائم صبره وتقوضت دعائم أمره وبطلت
أمانيه ووساوسه واضمحلت خواطره وهواجسه واضطرب عليه من ثقاته
وعلمانه من كان بهم يعتضد وعليهم يعتمد وبدأوا بخذلانه والأخذ لنفوسهم
ومفارقتهم والطلب لحظوظهم وحصل منهم بحضرتي إلى هذه الغاية زهاء
خمسمائة رجل ذوي خيل مختارة وأسلحة شاكية فصادفوا عندي ما أملوا من
فائض الإحسان وغامر الإمتنان وذكروا عمن وراءهم من نظرائهم التنزي إلى
الانجذاب والحرص على الاستئمان وأنهم يردون ولا يتأخرون ويبادرون ولا
يتلومون

ولما رأى ذلك لم يملك نفسه أن مضى هاربا على طريق سنجار منكشفا عن
هذه الديار قانعا من تلك الآمال الخائبة والظنون الكاذبة بسلامة حشاشة هي
رهينة غيها وصريعة بغيها
وكان انهزامه بعد أن فعل الفعل السخيف وكاذ بالكيد الضعيف بأن أغرق سفن
الموصل وعروبها وأحرق جسرها واستدم إلى أهلها وتزود منهم اللعن المطيف
به أين يمم الكائن معه حيث خيم
ودخلتها يومي هذا أيد الله أمير المؤمنين دخول الغانم الظافر المستعلي
الظاهر فسكنت من نفوس سكانها وشرحت صدور قطانها وأعلمتهم ما أمرني
به أمير المؤمنين أدام الله عزه وأعلى الله أمره من تأنيس وحشتهم ونظم
ألفتهم وضم نشرهم ولم شعثهم وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم
وعلقهم وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم وكثير منهم الشناء
والدعاء والله سامع ما رفعوا ومجيب ما سألوا وأجلت حال هذا الجاهل أيد الله
أمير المؤمنين عن أقبح هزيمة وأذل هزيمة وأسوء رأي وأنكر إخساء لأنه لم
يلقنى لقاء الباخع بالطاعة المعتذر من سالف التفريط والإضاعة ولا لقاء
المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة المحقق لزعمه في الثبات للمدافعة
ولا كان في هذين الأمرين بالبر التقى ولا الفاجر الغوي بل جمع بين نقيصة
شقاشقه وغدره وفضيحة جنبه وخوره متنكبا للصلاح عادلا عن الصواب قد
ذهب عنه الرشاد وضربت بينه وبينه الأسداد وأنزله الله منزلة مثله ممن أساء
حفظ الودعية وجوار الصنيعة واستوجب نزعهما منه وتحويلهما عنه وتاملت أيد
الله مولانا أمير المؤمنين أمره على التجريب وتصفحته بالتقليب فإذا هو الرجل
الذي أطاع أبوه فيه هوى أمه وعصى دواعي رأيه وحزمه وقدمه من ولده على
من هو أنس

رشدا وأكبر سنا وأثبت جأشا وأجراً جنانا وأشجع قلبا وأوسع صدرا وأجدر بمخايل النجابة وشمائل اللبابة فلما اجتمعت له أسباب القدرة والثروة وأمكنته مناhez الغرة والفرصة وثب عليه وثبة السرحان في ثلة الضان وجزاه جزاء أم عامر بمجيرها إذ فرته بانيابها وأظافرها واجتمع وأخوه من الأم المرتضع معه لبان الإثم المكنى أبا البركات وليس باب لها ولا جرى لشيء منها على أن نشزا عنه وعقاه وقبضا عليه وأوثقاه وأفراه من قلعتهما بحيث تقر العتاة وتعاقب الجناة ثم أتبع ذلك باستحلال دمه وإفاضة مهجته غير راعيين فيه حق الأبوة ولا حانين عليه حنو النبوة ولا متندمين من الإقدام على مثله ممن تقدمت عند سلطانه قدمه وتوكدت أوأصره وعصمه ولا راحمين له من ضعف شيخوخته ووهل كبرته ولا مصغيين إلى وصية الله إياهما به التي نصها في محكم كتابه وكررها في آيه وبيناته إذ يقول (أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير) وإذ يقول (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) فبأي وجه يلقي الله قاتل والد حذب قد أمر ألا ينهره وبأي لسان ينطق يوم يسأل عما استجاره فيه وفعله وتالله لو أن يمكنه عدوا لهما قد قارضهما الذحول وقارعهما عن النفوس لقبح بهما أن يلؤما ذلك اللؤم عند الظفر به وأن يركبا تلك الخطة الشنعاء في الأخذ بناصيته ولم يرض فضل الله بما أتاه إليه حتى استوفى حدود قطع الرحم بأن تتبع أكابر إخوته السالكين خلاف سبيله المستبرئين إلى الله من عظيم ما اكتسب ووخيم ما احتقب لما غضبوا لأبيهم وامتعصوا من المستحيل فيه وفيهم فقيض على محمد بن ناصر الدولة حيلة وغيلة وغدرا ومكيدة ونايذ حمدان بن ناصر الدولة منابذة خار الله له فيها بأن أصاره من فناء أمير المؤمنين إلى الجانب العزيز

والحرز الحرير وأن أجرى الله على يده الحرب الواقعة بينه وبين المعروف بكنيته أبي البركات التي لقاها الله فيها نحسه وأتلف نفسه وصرعه بعقوقه وبغيه وقنعه بعاره وخزيه ومع ذلك لا يتعظ ولا ينزع ولا يقلع ولا يزدجر إصرارا على الجرائر التي الله عنها حسبيه وبها طليبه والدنيا والآخرة مرصدتان له بالجزاء المحقوق عليه والعقاب المسبوق إليه وأعظم من هذا كله أيد الله أمير المؤمنين خطبا وأوعر مسلكا ولحبا أن من شرائط العهد الذي كان عهد إليه والعقد الذي عقد له والضمان المخفف مبلغه عنه المأخوذ عفوه منه أن يتناهى في ضبط الثغور وجهاد الروم وحفظ الأطراف ورم الأكناف فما وفى بشيء من ذلك بل عدل عنه إلى الاستئثار بالأموال واقتطافها وإحرازها في مكامنها وقلاعها والضمن بها دون الإخراج في وجوهها والوضع لها في حقوقها وأن تراخى في أمر عظيم الروم مهملا واطرح الفكر فيه مغفلا حتى هجم في الديار وأثر الآثار ونكى القلوب وأبكى العيون وصدع الأكباد وأحر الصدور فما كان عنده فيه ما يكون عند المسلم القارئ لكتاب الله إذ يقول (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (بل صدف عن ذكر الله لاهيا وعدل عن كتابه ساهيا واستفسخه ذلك البيع والعقد وتنجزه الوعيد لا الوعد ولاطف طاغية الروم وهاداه وأماره وأعطاه وصانعه بمال المسلمين الذين يلزمه إن سلم دينه وصح يقينه أن ينفقه في مراضهم ويذب به عن حريمهم لا أن يعكسه عن جهته ويلفته عن وجهه بالنقل إلى عدوهم وإدخال الوهن بذلك عليهم وقاد إليه من الخيل العتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ونجدة للطاغية على السلطان وكان فيما تحفه به الخمر التي حظر الله عليه أن يشربها

ويسقيها وتعبد به بأن يجتنبها ويجتوبها وصلبان ذهب صاعها له وتقرب بها إليه تقربا قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة وأدناه من الجهالة والضلالة حتى كأنه عامل من عماله أو بطريق من بطارقتة فأما فشله عن مكافحته ولهجه بملاطفته فصد الذي أمره الله به في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) وأما ما نقله من الخيل عن ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم فنقيض قوله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وأما إهداؤه الخمر والصلبان فخلاف عليه تبارك اسمه إذ يقول (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) كل ذلك عنادا لرب العالمين وطمسا لأعلام الدين وضنا بما تحامى عليه من ذلك الحطام المجموع من الحرام المثمر من الآثام المقتطع من فئ الإسلام وقد فعل الآن بي وبالعسكر التي معي ومن نضم من أولياء أمير المؤمنين الذين هم إخوته وصحبه إن كان مؤمنا وأنصاره وحزبه إن كان موقنا من توغير المسالك وتفريق العروب وتضييق الأقوات واستهلاك الأزواد ليوصل إلينا الضر ويلحق بنا الجهد فعل العدو المبين المخالف في الدين فهل يجتمع في أحد المساوي أيد الله أمير المؤمنين ما اجتمع في هذا الناد العائد والشاذ الشارد وهل يطمع من مثله في حق يقضيه أو فرض يؤديه أو عهد يرعاه أو ذمام يحفظه وهو لله عاص ولإمامه مخالف ولوالده قاتل ولرحمه قاطع كلا والله بل هو الحقيق بأن تثنى إليه الأعنة وتشرع نحوه الأسنة وتنصب له الأرصاد وتشخذ له السيوف الحداد ليقطع الله بها دابره ويجب غاربه ويصرعه مصرع الأثيم المليم المستحق

للعذاب الأليم أو يفئ إلى الحق إفاءة الداخل فيه بعد خروجه العائد إليه بعد مروقه التائب المنيب النازل المستقيل فيكون حكمه شبيها بحكم الراجع عن الردة المحمول على ظاهر الشريعة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والحمد لله الذي هدانا لمرشدنا ووقف بنا على السبل المنجية لنا والمقاصد المفضية إلى رضاه المعيدة من سطاته والحمد لله الذي أعز أمير المؤمنين بالنصر وأعطاه لواء القهر وجعل أوليائه العالين الطاهرين وأعداءه السافلين الهابطين وهناه الله هذا الفتح ولا أخلاه

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

من أشكال له تقفوه وتتبعه وأمثال تتلوه وتشفعه واصلا فيها إلي فأوصل فيه إليه من حيازته مهنا لم يسفك فيه دم ولم ينتهك فيه محرم ولم ينل جهد ولم يمسس نصب
أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ليضيف صنع الله له فيه إلى السالف من عوارفه عنده وأياديه وليجدد من شكره جل وعلا ما يكون داعيا إلى الإدامة والمزيد مقتضيا للعون والتأييد إن شاء الله تعالى
الأسلوب الثاني
مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتح الكتاب بخطبة مفتحة بالحمد لله وربما كرر الحمد إلى ثلاث ويقع ذلك في الكتب التي تظهر فيها النعمة كالفتوح ونحوها وهذه نسخة من ذلك
كتب بها العماد الأصفهاني عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الإمام الناصر لدين الله بفتح طبرية وعكا وما معهما من سواحل الشام مصدره بآية من كتاب الله تعالى وهي (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)
الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد على نصرته هذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على مثلها كرائم

الصحائف ولم يجادل عن مثلها في المواقف في الأيام الإمامية الناصرية زادها الله غررا وأوضاحا ووالى البشائر إليها بالفتوح غدوا ورواحا ومكن سيوفها في كل مازق من كل كافر ومارق ولا أخلاها من سيرة سرية تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حمى الحقائق وأنجزها الحق وقذف بها على الباطل الزاهق وملكها هوادي المغارب ومرامي المشارق ولا زالت أراؤها في الظلمات مصابح وسيوفها للبلاد مفتاح وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازع
والحمد لله الذي نصر سلطان الديوان العزيز وأيده وأظفر جنده الغالب وأنجده وجلا به جلايب الظلماء وجدد جدده وجعل بعد عسر يسرا وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا وهون الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع عليه صبرا وخوطب الدين بقوله (ولقد مننا عليك مرة أخرى) فالأولى في عصر النبي والصحابة والأخرى هذه التي عتق فيها من رق الكأبة فهو قد أصبح حرا فالزمان كهيته استدار الحق ببهجته قد استنار والكفر رد ما كان عنده من المستعار وغسل ثوب الليل بم فجر الفجر منها أنهار النهار وأتى الله بنيران الكفر من القواعد وشفى غليل صدور المؤمنين برقراق الموارد ذات البوارد أنزل ملائكة لم تظهر للعيون اللاحظة ولم تخف عن القلوب الحافظة عزت غزاة الإسلام بمسوميتها وترادف نصره بمردفيها وأخذت القرى وهي ظالمة فترى مترفيها كأن لم تر فيها فكم أقدم بها حيزوم وركض فأتبعه سحب عجاج مركوم وضرب فإذا ضربه كتاب جراح مرقوم وإلا فإن الحروب إنما عقدت سجالا وإنما جمعت رجالا وإنما دعت خفافا وثقالا فإما سيوف تقاتل سيوفا أو زحوف تقاتل زحوفا فيكون حد الحديد بيد مذكرا ويد مؤنثا وهو أن السيف في اليد الموحدة يغني بالضربة الموحدة وفي اليد المثلثة لا يغني بالضرب مثلثا وذلك أنه في فئتين الثقتا وعدوتين لغير مودة اعتنقتا وإن هذه النصره

إن رويت عن ملائكة الله فما جحدت كراماتهم وإن رويت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم فما كان سيف يتقيظ من جفنه قبل أن ينبه الصريخ ولا كان ضرب يطير الهام قبل ضرب يراه الناظر ويسمع المصيح فكم ضربة كأنها هجره الموت وبها التاريخ وكم طعنة تخر لها هضاب الحديد وهي شماريخ والحمد لله الذي أعاد الإسلام جديدا ثوبه حديدا حبله مبيضا نصره مخضرا نصله متسعا فضله مجتمعا شمله والخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم والنصر الكريم يا ما يشرح صدور المؤمنين وبمنح الحبور لكافة المسلمين ويكرر البشرى بما أنعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم الخميس منسلخه وتلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما سخرها الله على الكفار) فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (ورايتها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية فيوم الخميس الأول فتحت طبرية وفاض ري النصر من بحيرتها ووقفت على جسر الفرج بقلقها وحيرتها وفي يوم الجمعة والسبت كسر الفرج الكسرة التي ما لهم بعدها قائمة وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه أخذ القرى وهي ظالمة وفي الخميس منسلخ الشهر فتحت عكا بالأمان وأقيمت بها أعلام الإيمان وهي أم البلاد وأخت إرم ذات العماد وأصبحت كأن لم تغن بالكفر ولم تفتقر من الإسلام إذ بلغ المسلمون من أعدائهم المراد وقد أصدر هذه المطالعة و صليب الصليبوت مأسور وقلب ملك الكفر الأسير جيشه المكسور مكسور والحديد الكافر الذي كان في يد الكفر يضرب وجه الإسلام قد صار حديدا مسلما يفرق خطوات الكفر عن الإقدام وأنصار الصليبوت وكباره وكل من المعمودية عمدته والدير داره قد أحاطت به يد القبضة وأخذ رهنا فلا تقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وطبرية قد رفعت أعلام الإسلام عليها ونكصت من عكا ملة الكفر على عقبيها وعمرت إلى أن شهدت يوم الإسلام وهو خير

يوميها بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير وقد غسل من بلاد الإسلام بدماء الشرك ما كان يتخللها فلا ضرر ولا ضير وقد صارت البيع مساجد بها من أمن بالله واليوم الآخر وصارت المناجر مواقف لخطباء المنابر واهتزت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتجت لموقف الكافر والبأس الإمامي الناصري قد أمضى فتكاته على يد الخادم حتى بالدمى في الكنائس وإن عز أول الإسلام بحط تاج فارس فكم حطت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس فأما القتلى والأسارى فإنها تزيد على ثلاثين الفا وأما فرسان الداوية والاستبارية فقد أمضى حكم الله فيهم وقطع بهم سيوف نار الجحيم ووصل الراحل منهم إلى الشفاء المقيم وقتل بابر نس كافر الكفار ومشيد النار من يده في الإسلام كما كانت يد الكليم وعجل بجسده إلى السيف وبروحه الخبيثة إلى النار وافترت النصره عن ثغر عكا بحمد الله الذي يسر فتحها وتسلمتها الملة الإسلامية بالأمان وعرفت في هذه الصفة ربحها وأما طبرية فاقتسرتها يد الحرب فأنهت الحرب جرحها فالحمد لله حمدا لا تضرب عليه الحدود ولا تزكى بأزكى منه العقود وكانه

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

بالبیت المقدس وقد دنا الأقصى من أقصاه وبلغ فيه الأمل الذي علم أن لن يحصيه وأحاط بأجله وأقصاه لكل أجل كتاب وأجل العدو هذه الكتابات الجامعة ولكل عمل ثواب وثمرات من جزي بطاعته جنات نعيمه الواسعة والله المشكور على ما وهب والمستول في إدامة ما استيقظ من حد الإسلام وهب وقد توجه من جانب الأمير رشيد الدين دام تأييده في إهداء هذه البشرية نيابة عن الخادم ووصف ما يسره

الله لأوليائه من العزائم والبلاد والمعازل التي فتحت هي طبرية عكا الناصرة صفورية قيسارية نابلس حيفا معليا القزلة الطور الشقيف وقلاع بين هذه كثيرة والولد المظفر تقي الدين بصر وحسن تبيين والأخ العادل سيف الدين نصره الله قد أركب بالوصول من عنده من العساكر فنزل في طريقه على غزة وعسقلان ويجهز مراكب الأصطول المنصور فيكثر عددها ويسيرها إلى ثغر عكا المحروس ويشحنها بالرجال ويوفر سلاحها وعددها والنهوض إلى القدس فهذا أوان فتحه ولقد دام عليه ليل الضلال وقد أن أن يستقر فيه الهدى مشكور الإحسان إن شاء الله تعالى

الأسلوب الثالث مما يكتب للخلفاء أن يفتح الكتاب بالتصليية على الخليفة على مذهب من يجوز من الفقهاء الصلاة على غير الأنبياء عليهم السلام إلا بطريق التبعية وهذه نسخة كتاب من ذلك كتب به القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أيضا في البشرية بفتح بلد من بلاد النوبة وانهزام ملكها بعساكره وهي صلوات الله التي أعدها لأوليائه وذخرها وتحياته التي قذف بشهبا شياطين أعدائه ودحرها وبركاته التي دعا بها كل موحد فأجاب وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن أنجاب وزكاته التي هي للمؤمنين سكن وسلامه الذي لا يعترى الموقنين في ترديده حصر ولا لكن على مولانا أمير المؤمنين عاقد ألوية الإيمان وصاحب دور الزمان وساحب ذيل الإحسان وغالب حزب الشيطان الذي زلزلت إمامته قدم الباطل وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غريم ماطل وأمضت غرب كل عزم للحق مفلول وأطلعت غارب كل نجم أفل وشفعت يقظات استغفاره

إلى غافر ذنب كل غافل وعلى آبائه الغاية والمفزع والملاذ في وقت الفزع والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس والحاكمين بعدل الله إذ عدم القسطاس والمستضيئين بأنوار الإلهام المؤرثة من الوحي إذا عجز الاقتباس والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس خزان الحكم وحفاظها ومعاني النعم وألفاظها وأعلام العلوم المنشورة إلى يوم القيامة وكالتي السروح المنتشرة من كلاءته بيد الإمامة ومن لا ينفذ سهم عمل إلا إذا شحن بموالاتهم ولا بتألق صبح هدابة إلا إذا استصبح الساري بدلالاتهم المملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله ومرابع المجد ومعاقله ومحاسن

الجود ومحال السجود ومختلف أنباء الرحمة المنزلة ومرسى أطواد البسيطة المتزلزلة ومفتر مباسم الإمامة ومجر مساحب الكرامة ومكان جنوح أجنحة الملائك ومشتجر مناسك المناسك حيث يدخلون من كل باب مسلمين وتتبعهم ملوك الأرض مستسلمين ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه (اليوم أكملت لكم دينكم) وينعقد على الولاية فأما غيره فله قوله (قاتلوا الذين يلونكم) وبناجيها بلسان جلي الإخلاص الصادق عقيدته ونشط الولاء السابق عقيلته وأرهف الإيمان الناصح مضاربه وفسح المعتقد الناصح مذاهبه فأعرب عن خاطر لم يخطر فيه لغير الولاء خطرة وقلب أعانه علي ورد الولاء صفاء المصفاة فيه فطرة ويخبر أنه ما وهن عما أوجبتة الأؤه ولا وهي ولا انثنى عزمه عن أن يقف حيث أطلت سدرة المنتهى ووضحت الآيات لأولي النهى والله سبحانه يزيل عنه في شرف المثول عوائق القدر وموانعه ويكشف له عن قناع الأنوار التي ليست همته بما دون نظرها قاعة وكان توجه منصورا بجيش دعائه قبل جيش لوائه وبعسكر إقباله قبل عسكر قتاله وبنصال سلطانه قبل نصال أجفانه لا جرم أن كتائب الرعب سارت أمام الكتائب وقواضب الحذر غمضت في جفونها عيون القواضب وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمة وتداعوا بلسان النعمة وتصرفوا بيد الخدمة وصالوا بسيف العزمة

متواخية نياتهم في الإقدام متألفة طوياتهم في طاعة الإمام كالبنيان المرصوص انتظاما وكالغاب المشجر أعلاما وكالنهار الساطع حديدا وهاجا كالليل السابل عجاجا عجاجا وكالنهر المتدافع أصحابا وكالمشط المطرد اصطحابا والأرض ترحل برجلهم لما ترفعه الحوافر من غيومها والسما تنزل بنزولهم لما تضعه الذوابل من نجومها فما انتشرت رياضها المزهرة وغيابها المشجرة إلات دلت على أن السحاب الذي سقاهاهم كريم والإنعام الذي غمرهم عظيم والدنيا التي وسعتهم من عزمهم تظعن وتقيم ولما علم العدو أن الخطب المظنون قد صرح خطابه والأمل المخدوع قد صفر وطابه راسل ورأي سل السيوف يغمده وماكر وما كر لعلمه أن الحتف يعمده واندفع هاربا هائبا وخضع كائبا كاذبا فمضى المملوك قدما وحمله ظلمه) وقد خاب من حمل ظلما (وأجابه بأنه إن وطئ البساط برجله وإلا وطئه برأسه وإن قدم على المملوك بأمله وإلا أقدمه ببأسه وإن لم يظهر أثر التوبة وإلا أقام عليه الحد بسكرة الموت من كأسه فلم

يخرج من مراوغة تحتها مغاورة ومكاسرة وراءها مكاشرة فاستخار الله في طلبه وانتهاز فيه فرصة شغل قبه بريبه ولم يغره ما أملى له في البلاد من تقلبه وسار ولم يزل مقتحما وتقدم أول العسكر محتدما وإذا الدار قد ترحل منها أهلها فبانوا وظعنوا عن ساحتها فكأنهم ما كانوا ولم يبق إلا مواعد نيران رحلت قلوبهم بضرامها وأثافي دهم أعجلت المهابة ما رد سغيبهم عن طعامها وغربان بين كأنها في الديار ما قطع من رؤوس بني حامها وعوافي طير كانت تنتظر من أشلائهم فطر صيامها وعادت الرسل المنفذة لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم ذاكرة أنهم لبسوا الليل حدادا على النعمة التي خلعت وغسلوا بماء الصبح أطماع نفس كانت قد تطلعت وأنهم طلوعوا الأوعار أوعالا والعقاب عقبانا وكانوا لمهابط الأودية سيولا ولأعالي الشجر قضبانا

فرأى المملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أجله والعزم منهم قد نال أمله والفتك بهم قد أعمل منصله وأن سيوف عساكر أمير المؤمنين منزهة عن أن تريق إلا دماء أكفائها من الأبطال وأن تلقى إلا وجوه أنظارها من الرجال وأن المذكورين

نمل حطمه سليمان عليه السلام وجنوده ورمل أطاره العاصف الذي يستحفه ويقوده وأصدر هذه الخدمة والبلاد من بعوثهم عارية والكلمة بانخفاضهم عالية ويد الله على أعدائه عادية وأنفس المخاذيل في وثاق مهابته العالية عانية ورأى المملوك أن يرتب بعده الأمير فلانا ليبدل الأمانات لسوقة أهل البلاد ومزارعها ويفصل المحاكمات بين متابعي السلطنة ومطاويعها ويفسح مجال الإحسان لمعاودي المواطن ومراجعها فيعمر من البلاد ما قد شغل ويشعر بالأمنة من لا شعر فإن مقام المملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلعها وترد جربة البحر عن موقعها مما يضر بالغلال وينسفها ويجحف بالرعايا ويعسفها

فالحمد لله الذي جعل النصر لائذا بأعطاف اعتزامه وأنامل الرعب السائر إلى الأعداء محرقة عذبات أعلامه والعساكر المناضلة بسلاح ولائه تغني بأسمائها عن

مرهفاتها والكتائب المقاتلة بشعار علائه تقرأ كتب النصر من حماتها إن شاء الله تعالى

الأسلوب الرابع

مما يكتب به إلى الخلفاء أن يفتح الكتاب بالسلام على الخليفة قال ابن شيت في معالم الكتابة وعليه العمل في زماننا وكان في أواخر الدولة الأيوبية وهذه نسخة كتاب من ذلك

كتب به القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة ببغداد يعتذر فيه عن تأخير الكتب ويذكر خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النصرانية من الروم والفرنج وهي

سلام الله الأطيب وبركاته التي يستدرها الحضر والغيب وزكواته التي ترفع أوليائه إلى الدرج ونعمه التي لم تجعل على أهل الطاعة في الدين من حرج على مولانا سيد الخلق وساد

الخرق ومسدد أهل الحق ولايس الشعار الأظهر سوادا ومستحق الطاعة التي أسعد الله من خصه بها بدءا ومعادا ومولى الأمة الذي تشابه يوم نداءه وباسه إن ركض جودا أو جوادا وواحد الدهر الذي لا يثنى وإليه القلوب تثنى ولا يقبل الله جمعا لا يكون بولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ولا استقبال قبلة ممن لا تكون محبته في قلبه تقيم واسمه في عمله إلى الله يسير مولانا أمير المؤمنين وعلى آبائه المألئ الأرض عدلا الملاء أهلا فضلا والضارين فيصلا والقائلين فضلا ومن تقول الجنة لأهلها بهم أهلا المخصوصين بالعناية الإلهية الحاكمين فكل أمة بطاعتهم مأمورة وعن معصيتهم منهية والمشرفى الأسارير على أسرة الشرف فكم ملأت النهو مناظرهم البهية المملوك يخدم الحرم الشريف باحترامه والفناء الكريم بإعظامه والبساط

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

المقبل بطول استلامه والستر الذي أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه وينهي أنه آخر الخدم عن أن ينتظم الأوقات المتجددة ويقتضب الحالات المتجردة والرسول عن أن تتوارد دراكا وتتوالى وشاكا والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة النبوية ومجالس العرض العلية ما انتهت إليه الأقدار وما أفضى إليه من كثير المناجح وقليل الأعدار فإن أدب الأمسك عن المطالعة كالصوم لا يفض ختامه ولا يحل نظامه إلا بعيد يطلع هلاله مبشرا ويبث خبره في الأفاق معطرا فلو أن متكلفا أفطر قبل مواعده وورد الماء قبل مورده لكان مفسدا لعقده ناكثا لعهد

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبار بجانبه مشتبهة والحقائق لديه غير متوجهة فإن طاغيتي الكفر بقسطنطينية وصقلية كانا قد أوقدا للحرب نارا ورفعا لها أوزارا واتخذا لها اسطولا جاريا وعسكرا جرارا وتباريا ولم يزد الله الظالمين إلا تبارا وكتبا إلى الفرنج بعد انهزامهم بالنجدة والنصرة وتضمننا لهم الخروج والكرة ويصفان ما استعدا به بما لا يعبر إلا بالكثرة واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن وخرجت من الأفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رآته الأعين وورد إلى المملوك رسول من طاغية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قدما وأكثرهم مالا منتمى يعرض عليه موادة يكون بها عسكره مودعا ويكون له بها مفرعا ولصاحب صقلية الذي زعم أنه أصل للشير يكون الشير منه مفرعا فلم يهن ولم يجب إلى السلم ولم يزع أن عسكره خذله الله مبار في البر وفي اليم إن شاء الله تعالى

الأسلوب الخامس
مما يكتب به إلى الخلفاء أن تفتح المكاتبة بالدعاء بشيء من متعلقات الخلافة في الجملة

وهذه نسخة كتاب من ذلك كتب به إلى ديوان الخلافة ببغداد عن بعض ملوك بني أيوب اعتذارا عن التقصير في وصف إنعام صدر له عن الخليفة وهو أسعد الله عظماء الأملاك بالانتساب إلى الخدمة الشريفة النبوية وأوزعهم ما أمرهم به من طاعتها وخدمها الملك الديوان العزيز النبوي ما دامت الأفلاك قائمة والنجوم ناجمة ونقع بغمائمها غلل الآمال الحائمة وفسر بمكارمها حلم الأمانى الحالمة ورتق بتدبيراتها المعصومة فتوق النوب المتعاطمة وأظهر على أيدي أوليائها معجزات نصرها وصرف الأيام والليالي بين المرضيين لله نهيها وأمرها وأودع بركات السماء والأرض بمودعها ومستقرها

المملوك وإن كان قد يسر الله له مذ أطلقت عذبة لسانه خدمة الدولة العباسية فتفسح في وسيع مآثرها وتخير من بديع جواهرها وامتاح من نمير زواجرها فإنه لا يعتذر عن الحصر الذي اعتراه في وصف المنعم عليه به من الخطاب الشريف الذي لولا أن عصمة الموالاته تثبت قلبه الخافق وتسدد لسانه

الناطق لما تعاطى وصف ما أعطاه من كتابه المرقوم وسبق إليه من سحابه المرموم فإنه مما يشف عنه الأمل ناكصا وهو كسير وينقلب دونه البصر خاسئا وهو حسير إلا أن الإنعام الشريف يبدأ الأولياء بما لو وكلهم إلى أمانهم لتهديت أن تتعاطى خطبته ولو فوضه إلى طلبتهم لنكلت عن أن تترقى هضبته ولا غرو أن للسحاب أن يصفح قطره الثرى ولل فجر أن يشرق على غير الكرى والسرى

فالحمد لله الذي قرب على المملوك منال الآمال وثبت قوي فؤاده لما لا تستقل بحمله صم الجبال ويستتنب عن جهر الشكر بسر الأدعية ويقتصر على ما يفضي به إلى المحاريب وإن لم يقصر عما يفيضه في الأندية وبطالع بأن مملوك الخدمة وابن مملوكها أخذ الكتاب بقوة وشمر لخدمته تشمير خلافة لا تشهير بنوة وتلقاه تلقي أبيه الأول الكلمات ورأى إطلاع الله لأمير المؤمنين على ما في ضميره من طاعته إحدى المعجزات والكرامات وسمع المشافهة خاشعا متصدعا واشتمل عليها بفهمه ساميا طرفه متطلعا

ولقد أشبه هذا الكتاب الكريم بيعة أخذت عليه مد لها يده آخذا بكلتا يديه والمملوك يرجو بل يتحقق أن هذا العبد المشار إليه سيوفى على سابقه من عبيد الدولة العباسية في الزمان ويكون بمشيئة الله أسبق منهم بالإحسان وقد صدرت خدمتان من جهته بعدهما تصدر الخدم ولا يالو جهدا في الخدمتين مباشرة بيده السيف مستنبيا عنها للعلم وله نصرة باقية في الولاء وهو غني عن النظر وسريرة بادية في الطاعة هو إليها أسكن منه إلى كل مشير

يعود المملوك إلى ما لا يزال يفتح به الصلوات المفروضة ويختتم به الختمات المعروضة من الدعاء الصالح الذي إن أغنى الله وليه عنه فقد أحوج ذوى العقائد السليمة إليه لأنه مزك لأعمالهم بل متمم لإسلامهم وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يدعى كل أناس بإمامهم

فيقول جمع الله لأمير المؤمنين طاعة خلقه وأذل رقاب الباطل بسيف حقه وجعل الله ما هو قبضته في

الأخرى قبضة أمير المؤمنين في الأولى من الأرض التي هي موطوءة كالسماذ ذات العلا وأدام نعمه على هذه الأمة بإمامته وأظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يظاها من كرامته وعجل لمن لا يقوم بفرض ولائه إقامة قيامته ورد بسيوفه التي لا ترد ما الإسلام ممطول به من ظلامته وأقام به مناهج الدين لأهله وأظاها بمظاها رته على الدين كله حتى يلقي الله وما خلف في الدنيا كافرا ولا ضميرا إلا بالتوحيد عامرا ولا بلدا إلا وقد بات بالإسلام أهلا وقد أصبح منه الكفر

دائرا

الأسلوب السادس

أن يفتح الكتاب بالدعاء لديوان الخلافة وعليه الاصطلاح الآن قال في التعريف وكان سبب مخاطبتهم الديوان الخضعان عن مخاطبة الخليفة ورسمه على ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه التعريف بالمصطلح الشريف أن يقال أدام الله أيام

الديوان العزيز المولوي السيدي الإمامي الفلاني ثم يؤتى بالدعاء المعطوف والصدر بالتعظيم المألوف وقد يفتح بغير هذا الدعاء مثل أدام الله سلطان الديوان العزيز وخذ الله سلطان الديوان العزيز أو أيام الديوان العزيز وما

أشبه ذلك مما يقتضي العز والدوام
والصدر نحو العبد أو المملوك أو الخادم يقبل الأرض أو العتبات أو مواطئ
المواقف أو غير ذلك

ويختتم الكتاب تارة بالدعاء وتارة ب طالع أو أنهى أو غيرهما مما فيه معنى
الإنهاء ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز وبالمواقف المقدسة
أو المشرفة والأبواب الشريفة والباب العزيز والمقام الأشرف والجانب الأعلى
أو الشريف وبأمر المؤمنين مجردة عن سيدنا ومولانا ومرة غير مجردة مع
مراعاة المناسبة والتسديد والمقاربة
وأما خطاب المكتوب عنه فاختلف بحسب من كتب عنه فكتب بعض ملوك بنى
أيوب بالديار المصرية والممالك الشامية الخادم وبعضهم المملوك وبعضهم
العبد وبعضهم أقل المماليك وبعضهم أقل العبيد وكان علاء الدين خوارزم شاه
صاحب خوارزم وما معها يكتب الخادم المطواع وتبعه ابنه جلال الدين على
ذلك وكانت أم جلال الدين تكتب الأمة الداعية قال في التعريف والملوك
والسوقة في ذلك لا تختلف
وهذه نسخة كتاب من ذلك
كتب به المقر الشهابي بن فضل الله إلي الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد
بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أحد الخلفاء العباسية بالديار المصرية
عن رماة البندق بالشام جوابا عما ورد عليه من كتابهم وهو يومئذ الحاكم في
رماية البندق في أمر ناصر الدين بن الحمصي أحد الرماة وهي
أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز المولوي السيدي النبوي الإمامي الحاكمي
ونصر به جمع الإيمان وبشر بأيامه الزمان ومتعه بالملك الذي لا ينبغي لأحد من
بعده بما ورثه من سليمان
ولا زال يخضع لمقامه كل جليل ويعرف لأيامه كل وجه جميل ويعترف لشرفه
كل معترف بالتفضيل ولا كان إلا كرمه المأمول ودعاؤه المقبول وعدوه
المصروع ووليه المحمول ولا برحت طاعته يعقد عليها كل جمع ومراسمه
ينصت إليها كل سمع وطوائف الذين كذبوا عليه لا تتلى عليهم آياته إلا تولوا
وأعينهم تفيض من الدمع

المماليك يقبلون الأرض بالأبواب العالية التي هي خطة شرفهم ومكان تعبد
القدماء منهم ومن سلفهم ويلوذون بذلك المقام ويعوذون بذلك الحرم الذي لا
يبعد نسبه من البيت الحرام ويؤملون ذلك الكرم الذي ما منهم إلا من سعد به
طائرته وجاءته به في وجه الصباح أشائره وفي وجه العشاء بشائره فنالوا به
أقصى المرام وقضوا به من العمر ما إذا قالوا يا سعد لا يعنون به إلا ذلك الإمام
وينتهون إلى ما ورد به المرسوم الشريف الذي ما من المماليك إلا من مت إليه
بقديم عبوديته ورقه وسارع إلى طائرته الميمون وحماه بسبقه وفتح له عينه
وظن أنه حالم
وامتثلوا لأمره وكيف لا تمتثل الرماة أمر الحاكم ولا سيما ابن عم سيدنا رسول
{صلى الله عليه وسلم} الإمام الحاكم وأجلوه عن رفعه إلى العين إذ كانت

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

تلك منزلة الحاجب و قدّموا إليه خفوق قلوبهم الطائفة وما علموا أن كانوا قاموا بالواجب ووقفوا على أحكام حاكمه فما شكوا أن زمان هذا الفن بزمان ناصره في بغداد قد عاد وأن مثاله المتمثل في سواد الحدق مما حكته أيامه العباسية من شعار السواد وعلّموا ما رسم به في معنى محمد بن الحمصي الذي ما نورت الليلة الظلماء أكاربخه ولا بعدت في الإقعاد له تواريخه بل أخدمت دموع ندمه نيرانه المشتعلة وأصبح به لا يحمل القوس في يده إلا أنه مشغله وما كان أنهاه إلى الديوان العزيز مما لم تذكر الخواطر الشريفة بأنه فيه المفترى وأنه صاحب القوس إلا أن ماله سعادة المشتري وأنه موه تمويه الجاحد وتلون مثل قوس قزح وإلا فقوس البندق لون واحد ودلى بغيره وعرض المحضر الذي حمّله على تغريبه

وذلك في غيبة الأمير بهاء الدين البندقدار الحاكمي الذي لو كان حاضرا لنبا بخبره وأحسن بالإعلام بسوء محضره وتحيل لأخذ الخط الشريف الذي لو عقل لكان حجة عليه ومؤكدا لإبطال رميه وقوسه وبندقه في يديه لما تضمنه الخط الشريف المقيد اللفظ المكتتب على المصطلح الساحب ذيل فخاره على المقترح الذي هدى إلى الخير وبدأ به ما وهب من الملك السلیماني الذي أوتي من كل شيء وعلم منطق الطير فإنه لم يكتب له إلا بأن يرمي على الوجه المرضي بساعده واستيفاء شروط البندق والخروج من جميع الأشكال عملا بقواعده ويعلم أنه إنما رعى حق قدمته ولا فعل في الباب العزيز ما يجب من التحلي بشعار الصدق في خدمته وأنه خالف عادة الأدب وأخطأ في الكل لكنه ندب وذلك بعد أن عمل له جميع رماة البندق وسئل فأجاب بأنه سالم من كل إشكال يشكل وأنه بعد أن أقعد رمى وحمل وحمل فشهد عليه السادة الأمراء ولاة العهد إخوة

أمير المؤمنين ومن حضر وكتبوا خطوطهم في المحضر وما حصل الآن عند عرض قصة المماليك بالمواقف المقدسة ووضوح قضيته المدنسة من التعجب من اعتراف المماليك لكونهم رموا معه بعد أن رأوا الخط الشريف وهو لفظ مقيد وأمر أيد به رأي الإمام الحاكم بأمر الله المسترشد بالله والمؤيد وكل ما أمر به أمير المؤمنين لا معدل عن طريقه ولا جدال إلا به إذا ألزم كل أمر طائره في عنقه وأمير المؤمنين بحر لا يورد إلا عن علمه وهو الحاكم ولا راد لحكمه وإنما ابن الحمصي المذكور عدم السداد وخالف جاري العادة في الحمص فإنه هو الذي سلق في الافتراء بالسنة حداد ولم يوقف المماليك من الخط الشريف إلا على بعضه ولا أراهم من برقه المتهلل غير ومضنه والذي أوقفهم عليه منه أن يرمي محمد بن الحمصي ويرمى معه وكلمة أمير المؤمنين مستمعة ومراسيمه متبعة وإذا تقدم كان الناس تبعه غير أن المذكور بدت منه أمور قطع بها الأمير صارم الدين صاروجا الحاكم البندقدار في حقه وأقعدته عن قدمته التي كان

يمت فيها بسبقه وانتقل عنه غلماناه وثقل عليه زمانه ونودي عليه في جمع كبير يزيد على تسعين قوسا وجرح لخطأ بندقه جرحا لا يؤسى ثم بعد مدة سنين

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

توسل بولد الأمير المرحوم سيف الدين تنكز إلى أبيه وتوصل به إلى مراميه فأمر أن يرمى معه وهدد المخالف بالضرب ولم يرم معه أحد برضاه إلا خوف أن توقد نار الحرب فلما مضت تلك الأيام وانقضت تلك الأحلام جمع مملوك الأبواب العالية الأمير علاء الدين بن أبو بكر الحاكم في البندق الآن من رماة البندق جمعا كثيرا واهتم به اهتماما كبيرا وذكر أمر المذكور وأحضر محضره المسطور ولم يكن عليه تعويل ولا في حكم الحاكم المقدم تعليلا ولا عند هذا الحاكم الذي ادعى له وادعى عنده تجوز الأباطيل وتحقق أن الحق فيما حكم عليه فتبع وترجع أن لا يقام منه من أقعد ولا يوصل منه ما قطع فنفذ حكم الحاكم المتقدم واستمر بقعوده المتحتم ووافق على هذا سائر الرماة بالبلاد الشامية وحكامها ومن يرجع إليه في الرماية وأحكامها وبطلت قدمة المذكور التي ذهب فيها عمره ضائعا وزمانه الذي إذا اشترت منه ساعة بالعمر لم يكن نافعا

ولما ورد الآن هذا المرسوم الشريف زاده الله شرفا قبلوا الأرض لديه وأوقفوا عليه حاكمهم المسمى فوقف له وعليه وجمع له جمعا لم يدع من الرماة معتبرا ولا من يلجم القوس وترا ولا من إذا قعد كالعين جرى ما جرى ثم قرأ عليهم ما تضمن ودعوا لأمر المؤمنين ولم يبق منهم إلا من دعا وأمن وتضاعف سرورهم بحكمه الذي رفع الخلل وقطع الجدل وقالوا لا عدمننا أيام هذا الحاكم الذي أنصف والإمام الذي عدل وبقى ابن الحمصي مثله ونودي عليه إنه من رمى معه كان مخطئا مثله ووقرت هذه المناداة في كل مسمع وقرت استقرارا انفصل عليه المجمع وذلك بما فهم من أمير المؤمنين وبنص كتابه المبين وبما قضى الله به على لسان خليفته الحاكم والله أحكم الحاكمين وطالعوا بها وأنهوا صورة الحال وجمعوا في إمضائه الآمال لا زالت سعادة أمير المؤمنين منزهة عن الشبه بعيدة عن الشبه أخذة من خير الدارين كل اثنين في وجه حتى تحصل كل رمية من كذب ولا يرمى في كل لعبة إلا كل مصطحب ما غب في السماء المرزم ووقع العقاب على ثنيته يقرع سنه ويتندم وعلا النسر الطائر والواقع على آثاره وسائر طيور النجوم والحوام إن شاء الله تعالى قلت وهذا الكتاب أنشأه المقر الشهابي بن فضل الله المقدم ذكره بناء على مذهبه في أن المكاتبه إلى الخليفة تكون بالدعاء للديوان العزيز من الملك والسوق لا يختلف وفيه نظر بل الذي ينبغي أن يفتح الكتابة إليه بتقبل الأرض على ما يكتب به للملوك إذ الملوك نوابه وأتباعه ولا أعلى منه رتبة وأما الكتب إلى ولاة العهد بالخلافة فقال أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب ويكون التصدير في المكاتبه إلى ولي العهد على ما تقدم في المكاتبه إلى الخلفاء مع تغيير الأسماء يعنى أنه لا يقال فيه الإمام ولا أمير المؤمنين بل ولي عهد المسلمين وفي

التصدير مع السلام وبركاته في أول الكتاب وآخره وفي ولي العهد يحذف وبركاته من التصدير فكانوا يكتبون لولي العهد لعبد الله أبي فلان فلان ولي

عهد المسلمين سلام علي ولي عهد المسلمين ورحمة الله فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله {صلى الله عليه وسلم} أما بعد أطال الله بقاء ولي عهد المسلمين وبآتي على المقصد على ما تقدم في الكتب إلى الخليفة ثم يختمه بقوله والسلام على ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته

أما على المصطلح المستقر عليه الحال فقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه التعريف أنه يكتب إلى ولي العهد بالخلافة ما صورته ضاعف الله تعالى جلال الجانب الشريف المولوي السيد النبوي الفلاني ثم يدعى له قال صاحب التثقيف والخطاب له بمولانا ولي العهد ونحو ذلك والتعبير عن المكتوب عنه بالخادم يقبل العتبات الشريفة أو اليد الشريفة ونحو ذلك والعلامة إليه الخادم على نسبة ما في الصدر والعنوان عن نظير الألقاب التي في الصدر قال في التثقيف

وهذا على عادة من تقدم من الملوك أما في زماننا وقبله بمدة مديدة فإنه لم يكتب إلى ولي عهد

قلت ومما يجب التنبيه عليه قطع الورق الذي يكتب فيه إلى الخليفة لا شك في أنه كان يكتب للخليفة وولي العهد حين كانت الخلافة بالعراق في قطع البغدادي بقلم مختصر الطومار على ما يظهر أو في ثلثي القطع البغدادي على ما ذكره محمد بن عمر المدائني حيث كانت بيعاتهم وعهودهم تكتب في ذلك أما الآن حيث صارت عهودهم وبيعاتهم تكتب في قطع الشامي الكامل بقلم الثلث الخفيف فإنه ينبغي أن يكون الكتب إليهم على هذا النمط تأسيا بما اعتمده في ذلك وإلا فالواجب الكتابة في البغدادي الكامل على ما كان الأمر عليه في الزمن القديم

الباب السابع في ذكر أوائل منسوبة إلى الخلفاء وغرائب وملح وأعاجيب تتعلق

بهم

وفيه فصلان

الفصل الأول في ذكر نبذة من الأوائل المنسوبة إليهم

أول من بويع بالخلافة أبو بكر الصديق بعد وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد مر ذكر ذلك في الباب الأول في الكلام على الطرق التي تتعقد بها الخلافة وهو أول خليفة ولي وأبوه حي فقيل لأبيه أبي قحافة استخلف أبو بكر قال أقرت بذلك بنو قصي قيل نعم قال يفعل الله ما يشاء وبقي أبو قحافة بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه ستة أشهر وأيام ثم توفى في المحرم سنة أربع عشرة وهو أول من عهد بالخلافة عهد بها لعمر بن الخطاب وقد مر ذكره في الباب الأول أيضا

وهو أول من جمع القرآن حين قتل القراء باليمامة في حرب مسيلمة الكذاب وسماه مصحفا وكان قبل ذلك مكتوبا في عسب النخل أو أكتاف الإبل ونحوها

أول خليفة سمى بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو أول من فتح الفتوح وأول من مصر الأمصار وهو أول من دون الدواوين في الإسلام قال القضاعي دونها في سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين قال الماوردي واختلف في سبب وضعه فقيل إن أبا هريرة رضي الله عنه قدم عليه بمال من البحرين فقال ماذا

جئت به قال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدري ما تقول قال نعم
مائة ألف خمس مرات فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها
الناس قد جاء مال كثير فإن شئتم كلنا لكم كيلا وإن شئتم عددنا لكم عدا فقال
رجل يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم قدون لنا أنت ديوانا
فأمر

بوضع الدواوين وقيل بل بعث عمر رضي الله عنه بعثا وعنده الهرمزان فقال
لعمر قد أعطيت أهل هذا البعث الأموال فإن تخلف منهم رجل أدخل بمكانه من
أين يعلم صاحبه فأنبت لهم ديوانا فسأله عن الديوان ففسره له فأمر بوضع
الديوان وقيل إن عمر استشار المسلمين في أمر المال فقال علي نقسم كل
سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئا فقال عثمان أرى مالا كثيرا
وإن لم تحص الناس حتى تعلم من أخذ ممن لم يأخذ انتشر الأمر فقال خالد بن
الوليد قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا
وجند جنودا فأخذ بقوله

وهو أول من أرخ بعام الهجرة قال في ذخيرة الكتاب لما أراد وضع التاريخ جمع
الناس للمشورة فقال بعضهم نؤرخ بمبعث النبي {صلى الله عليه وسلم}
وقال بعضهم بل بوفاته وقال بعضهم بل بهجرته من مكة إلى المدينة لأنها أول
ظهور الإسلام فصوبه عمر وأجمع رأيهم عليه وكانت الهجرة في شهر ربيع
الأول بعد عشر من النبوة وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت منه فاختلفوا
في

الشهر الذي يبدؤون به فأشار بعضهم بالبداية برمضان لشرفه فقال عمر بل
بالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم فرجع القهقري ثمانية وستين يوما
وهي القدر الذي مضى من أول المحرم إلى اثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول
وابتداء التاريخ من أول المحرم لتلك السنة
قال أبو هلال العسكري أراد بذلك اجتماع الأشهر الحرم في سنة واحدة
وهو أول من اتخذ بيت مال فيما ذكره العسكري عن قتادة
وهو أول من سن قيام شهر رمضان وجمع الناس على إمام واحد في التراويح
وذلك في سنة أربع عشرة
وهو أول من عس بالليل
وهو أول من عاقب شاعرا على الهجاء عاقب الحطيئة حين هجا الزبير بن
بدر بأن حبسه في بئر ثم أخرجه وطلب شفرة يوهمه أنه يريد قطع لسانه
تخويفا له ليكف عن الهجاء
وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين وكان أبو بكر رضي الله عنه قبل ذلك
يجلد فيه أربعين

وهو أول من حرم المتعة بالنساء وهي أن تنكح المرأة على شيء إلى أجل
وكانت مباحة قبل ذلك
وهو أول من نهى عن بيع أمهات الأولاد وهبتهن وجعلهن ميراثا
وهو أول من مسح سواد العراق على يد عثمان بن حنيف وهو من أرض

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

الموصل إلى عبادان طولا وذلك مائة وخمس وعشرون فرسخا ومن عقبه حلوان إلى القادسية عرضا وذلك ثمانون فرسخا وبلغت جربانه ستة وثلاثين ألف ألف جريب

وهو أول من صالح العمال على مال يأخذه منهم وكان من ذلك أنه شاطر عمرو بن العاص ماله وهو أمير مصر يومئذ وهو أول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة حين أقحطوا في عام الرمادة والأمير على مصر يومئذ عمرو بن العاص قال القضاء حفر خليج القاهرة من الفسطاط إلى السويس في ثمانية أشهر وجرت فيه السفن بالطعام من عامه فكان ينقل منها إلى السفن ببحر القلزم فيحمل منها إلى المدينة

وهو أول من أعال الفرائض فيما ذكره العسكري عن ابن عباس وكان ابن عباس ينكر القول ولم يظهر ذلك إلا بعد موت عمر فقيل له هلا قلت ذلك في زمن عمر قال كان رجلا مهيبا فهبته

وهو أول من اتخذ الدرّة وحملها ليعذب بها الجناة وكانت من الهيبة بحيث قال الشعبي إن درة عمر لأهيب من سيف الحجاج أول خليفة ولي وأمه في قيد الحياة عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم موسى وهارون ابنا المهدي ثم المعتضد ثم المطيع وهو أول من أقطع القطائع بالأرضين

من الخلفاء قال العسكري فعل ذلك اقتداء بالنبي {صلى الله عليه وسلم} وهو أول من حمى الحمى لإبل الصدقة ونحوها وهو أول من خفض صوته بالتكبير في الصلاة فيما ذكره العسكري عن عاصم بن أبي محكن

وهو أول من خلق المسجد وهو أول من ارتقى إلى مقام النبي {صلى الله عليه وسلم} على المنبر إذ كان أبو بكر قد نزل عنه درجة ثم جاء عمر فنزل عنه أخرى فلما جاء عثمان رقي إلى حيث كان يرقى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال سلمان اليوم ولد الشر وقد ذكر ذلك بعض الخلفاء فأنكره فقال له بعض الحاضرين اشكره يا أمير المؤمنين فلولا ذلك لكنت اليوم تخطب في بئر

وهو أول من أرتج عليه في الخطبة فقال أيها الناس إن اللذين تقدماني كانا يعدان لهذا الموقف كلاهما وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل وستأتيكم الخطبة على وجهها ثم نزل وهو أول من قدم الخطبة قبل الصلاة في العيدين حين رأى كثيرا من الناس يذهبون قبل سماع الخطبة وكان النبي {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر وعمر وعثمان في أول خلافته يصلون ثم يخطبون كما هو الآن وهو أول من فوض إلى الناس إخراج زكواتهم بأنفسهم من غير دفعها إلى الإمام

وهو أول من اتخذ صاحب شرطة قال الثعالبي في لطائف المعارف وهو أول من قيل تنح عن الطريق عند سير الخليفة أول من بايع عليا رضي الله عنه بالخلافة طلحة وكانت يده شلاء فقال حبيب بن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلاميه

مكتبة

ذؤيب أول من بايعه أشل فما أظن أن هذا الأمر يتم وقيل أول من بايعه الأشتر النخعي وهو أول خليفة وقع في زمنه قتال بين أهل القبلة وذلك في وقعة الجمل وهو أول من اتخذ بيتا يطرح فيه القصص حتى كتبوا شتمه وألقوه فيه فتركه ثم اتخذته المهدي أيام خلافته وهو أول من فرق بين البينة في شهادة الخصوم أول من اتخذ ديوان الخاتم معاوية جعل ديوانا لختم كتبه التي تكتب عنه وكان سبب ذلك فيما ذكره الثعالبي أن عمرو بن الزبير قدم عليه فأمر له بمائة ألف درهم وكتب له بذلك كتابا إلى زياد بالعراق ففرض عمرو الكتاب وجعل المائة مائتين فلما أطلع معاوية على ذلك اتخذ ديوان الخاتم أول من بايع لولده معاوية بن أبي سفيان بايع لابنه يزيد بالخلافة بعده وهو أول من وضع البريد في الإسلام نقله عن ملوك الفرس وأحكمه بعد ذلك عبد الملك بن مروان وهو أول من سمى الغالية غالية شمها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فسأله عنها فوصفها له فقال إنها غالية ويقال إنه شمها من مالك بن أسماء بن خارجة وكانت أخته هند أول من صنعتها وأنكر الجاحظ ذلك كله وقال إنا نجد في أشعار الجاهلية ذكر الغالية وربما قيل إنها أتت العرب من جهة الحبشة

وهو أول من عمل المقصورة في الجامع ليصلي فيها قيل إنه رأى على منبره كلبا فاتخذها وقيل أول من اتخذها مروان بن الحكم اتخذها من حجارة منقوشة وجعل لها كوى خوفا على نفسه وقيل أول من اتخذها عثمان رضي الله عنه خوفا أن يصيبه ما أصاب عمر وهو أول من خطب جالسا حين كثر شحمه وعظم بطنه وهو أول خليفة عبثت به رعيته واجترأت عليه حتى قام إليه رجل فقال ليخبرنا أمير المؤمنين من كان زوج أمه قيل أبي سفيان فقال حفص بن المغيرة ثم كلم ذلك الرجل عمرو بن الزبير فأغلظ عليه في كلامه فأمر به فضرب حتى مات فبلغ ذلك معاوية فلامه ففعل إنه القائل لك كذا فقال إذن قتلته وأنا أحق من وداه وهو أول من أمر بإقراء السلام على الخلفاء وأقره عمر بن عبد العزيز وهو أول من استلحق في الإسلام استلحق زيادا عملا بقول أبيه أبي سفيان لولا أن يشبرق عمر إهابي لعرفت أن زيادا قريب النسب مني أنا غرسته في رحم أمه وهو أول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته أول من أخرج المنبر إلى الصحراء في العيد مروان بن الحكم وهو أول من أخذ الجار بالجار فيما ذكره العسكري أخذ فتى بأبيه فجلده وتمثل بقول الشاعر
جانيك من يجنى عليك وقد
تعدي الصحاح مبارك الجرب
فقال الفتى ما هكذا قال الله تعالى بل قال (ولا تزرر وازرة وزرر أخرى) فرق له وخلاه
ويحكى مثل ذلك عن الحجاج بن يوسف

أول من نهى عن الكلام بحضرة الخليفة عبد الملك بن مروان وكان الناس قبل ذلك يراجعون الخليفة فيما يقول ويعترضون عليه فيما يفعل وأكثر ما كان ذلك على عثمان

وهو أول من ضرب الدراهم في الإسلام وكتب في أولها (قل هو الله أحد) سنة خمس وسبعين وجعل كل عشرة منها وزن سبع مثاقيل فاستمر هذا الوزن إلى الآن وإنما كان قبل ذلك الدراهم المشخصة ثم ضربها الحجاج ونقش عليها (الله أحد الله الصمد) ونهى أن يطبع أحد غيره فطبع سهير اليهودي دراهمه السهيرية من فضة خالصة وجعل فيها ذهباً فأمر الحجاج بقتله فقال انظر فإن لم تكن أجود من دراهمك فاقتلني فوجدها أجود منها فأمر بقتله لجرأته على ضربها قال فإني أعرض عليك أمراً فإن رأيته أصلح للمسلمين من قتلي فأعفني قال هاته فوضع الأوزان وزن ألف وخمس مائة وثلاثمائة إلى وزن ربع قيراط فجعلها حديداً ونقشها وجاء بها إلى الحجاج فأعجبه وعفا عنه وكان الناس قبل ذلك يأخذون الدرهم الوزان فيزنون به غيره وأكثر ذلك يؤخذ عدداً وهو أول من نقل الديوان من الفارسية بالعراق ومن الرومية بالشام إلى العربية

وهو أول من رفع يده على المنبر وهو أول خليفة بخل حتى كان يقال له رشح الحجر لبخله كما تقدم في ترجمته يقال إن بعض أخصائه لأمه يوماً على ذلك فقال أما سمعت قول القائل أجمع كلبك يتبعك فقال أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يلوح له غيرك بكسرة فيتركك ويتبعه أول من اتخذ البيمارستان للمرضى في الإسلام الوليد بن عبد الملك بنى بيمارستاناً بدمشق وسبله على المرضى أما مصر فأول من اتخذه بها أحمد بن طولون بناه بالفسطاط وهو باق إلى الآن ثم اتخذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيمارستاناً بالقاهرة في قاعة من قاعات القصر أخبر أنه لا يدخلها النمل وهو باق إلى الآن ثم اتخذ المنصور قلاوون البيمارستان الكبير بين القصرين فأنسى ذكر ما كان قبله وهو أول من أجرى الرواتب على القراء والعميان وأصحاب العاهات وهو أول خليفة أقام ناموس الملك ومنع من دعاء الخليفة باسمه ومراجعتة في الكلام وقام بذلك خطيباً فقال

أيها الناس إنكم كنتم تكلمون من قبلي من الخلفاء بكلام الأكفاء تقولون يا معاوية يا يزيد وإني أعطي الله عهداً يأخذني بالوفاء به لا يكلمني أحد بمثل ذلك إلا أتلفت نفسه ثم إن رجلاً قال له بعد ذلك اتق الله يا وليد فإن الكبرياء لله فأمر به فوطئ بالأقدام فأيقظ الناس ذلك أول خليفة اتخذ الأتراك أبو جعفر المنصور اتخذ حمادا التركي ثم اتخذ المهدي بعده مباركا التركي وغيره وهو أول خليفة جمع لعامل بين الحرث والخراج جمع بينهما لخالد بن برمك بفارس

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلاميه

أول خليفة زاد في الكتب وأسأله أن يصلي علي محمد وآله هارون الرشيد كما
تقدم في المكاتبات قالوا وكان ذلك من أفضل مناقبه
وهو أول خليفة جلس في المصائب علي البساط دون أنماط تحته حين نعي
إليه ابراهيم بن صالح بن علي وصار إلى
داره وقال لا يحسن بأحد أن يجلس في دار حبيب من أهله على نمط ولا نمرة
فاستن بنو العباس ذلك في المصائب
أول من دعي بنعته على المنبر محمد الأمين ف قيل اللهم وأصلح عبدك وخليفتك
عبد الله محمدا الأمين ولم يذكر قبله نعت أحد من الخلفاء على منبر
أول من آخر النيروز المتوكلي وقد مر القول عليه في الكلام على نقل السنة
وهو أول من أمر بتغيير زي أهل الذمة وقد مر القول على ذلك في بابه أيضا
الفصل الثاني في ذكر غرائب وملح وأعاجيب تتعلق بالخلفاء
غرائب تتعلق بولاية الخلافة
من ولي الخلافة في حياة أبيه
أبو بكر الصديق رضي الله عنه وليها وأبوه حي
الطائع لله انخلع له أبوه المطيع منها حين ضعف وعجز عن القيام بها وولى
مكانه وعاش أبوه بعد ذلك أربعين يوما ثم مات
من ولي الخلافة وله أخ أسن منه
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وليها وأخوه عقيل أسن منه
بعشرين سنة
يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وليها وأخوه عبد الله أسن منه
هشام بن عبد الملك وليها وأخوه مسلمة أسن منه
يزيد بن الوليد وأخوه ابراهيم وليها وأخوهما العباس وغيره من إختهم أسن
منهما

أبو العباس السفاح وليها وأخوه أبو جعفر المنصور أسن منه بسنين وأعقل منه
هارون الرشيد وليها وأخوه محمد بن المهدي أسن منه
محمد الأمين وليها وأخوه المأمون أسن منه بستة أشهر وأعقل منه
الواثق بالله وليها وأخوه محمد والد المستعين أسن منه
المتوكل على الله وليها وأخوه أحمد أسن منه
المعتز بالله وليها وأكثر إخوانه أسن منه القاهر بالله وليها وأخوه هارون أسن
منه
المطيع لله وليها وأخوه العباس وغيره من إخته أسن منه
الطائع لله وليها وأخوه عبد العزيز أسن منه
من ولي الخلافة من الإخوة
أربعة إخوة ولوا الخلافة هم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن
مروان لا يعرف ذلك لسواهم
ثلاثة إخوة ولوا الخلافة هم الأمين والمأمون والمعتصم بنو هارون الرشيد
والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل
والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد
والراضي والمقتفي والمطيع بنو المقتدر
وأما أخوان وليا الخلافة فكثير منهم يزيد و ابراهيم ابنا الوليد

والسفاح والمنصور ابنا محمد
والهادي والرشيدي ابنا المهدي
والواثق والمتوكل ابنا المعتصم وغيرهم
من ولي صيبا
جعفر بن المقتدر ولي ولم يستكمل إحدى عشرة سنة
معاوية بن يزيد ولي وله تسع عشرة سنة
من ولي مسنا قد جاوز الستين
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولي وله إحدى وستون سنة
عبد الله بن الزبير ولي وله أربع وستون سنة
مروان بن الحكم ولي وله إحدى وستون سنة
اتفاقية عجيبة في خلع الخلفاء
قال الصولي الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد
أن يخلع النبي {صلى الله عليه وسلم} وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن
خلع
ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير فخلع
ثم لم يكن في الدولة الأموية من يكمل الستة فكان منهم يزيد بن الوليد ثم
إبراهيم بن الوليد ثم مروان بن محمد وهو آخرهم
ثم أتى الله تعالى بالدولة العباسية
فكان منهم السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيدي والأمين فخلع

ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع
ثم المعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر فخلع في فتنة ابن
المعتز ثم رد
قال صاحب رأس مال النديم ثم القائم ثم الراضي ثم المقتفي ثم المكتفي ثم
المطيع ثم الطائع فخلع
قال الصلاح الصفدي ثم القادر ثم القائم ثم المقتدي ثم المستظهر ثم
المسترشد ثم الراشد فخلع
ثم المقتفي ثم المستنجد ثم المستضيء ثم الناصر ثم الظاهر ثم المستعصم
فخلع وقتل أيام هولاء ملك التتار
قلت ثم بويع المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بالديار المصرية في الدولة
الظاهرية ببيرس وجهزه الملك الظاهر إلى بغداد ليقتلها من التتار فقتله التتار
قبل وصوله إليها فهو في الحقيقة من خلفاء العراق وإن بويع له بمصر ثم بويع
بعده بالديار المصرية الحاكم بأمر الله أحمد بن الحسين وأستقر بها قدمه فهو
في الحقيقة أول خلفائها ثم كان بعده بها ابنه المستكفي سليمان ثم الحاكم
الثاني أحمد بن المستكفي ثم ابنه الثاني الواثق إبراهيم ثم ابنه الثالث
المعتضد أبو بكر ثم المتوكل محمد بن المعتضد أبي بكر فخلع ثم أعيد ثم خلع
ثم أعيد ثم كان بعده ابنه الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس
ابن المتوكل ثم ابنه الثاني الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتح داود خليفة
العصر خلد الله أيامه والله أعلم بمن يكون السادس فيخلع
ملح ونوادير تتعلق بالخلفاء
ثمانية كانوا موجودين في زمن واحد ولي كل منهم الخلافة وهم

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية وعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم كلهم كانوا موجودين عند وفاة النبي {صلى الله عليه وسلم} وقد ولى كل منهم الخلافة
أحد عشر كانوا في زمن واحد ولى كل منهم الخلافة وهم

الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ومروان بن محمد وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور كانوا موجودين في آخر أيام الوليد بن عبد الملك وقد ولوا الخلافة خليفة أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة هو

مروان بن الحكم

وأولاده العشرة

عبد الملك ومعاوية وعبد العزيز وبشر وعمر ومحمد وعبيد الله وعبد الله

وأيوب وداود

وإخوته العشرة

عثمان الأكبر وعثمان الأصغر والحارث وعبد الرحمن وصالح وأبان وبحيى

وحبيب وعمرو

وأولاد إخوته العشرة

عبد الواحد وعبد الملك وعبد العزيز وسعيد أولاد الحكم وحرب وعثمان وعمر أولاد الحارث بن الحكم ويوسف وسليمان وبحيى أولاد عبد الرحمن بن الحكم

خليفة جرت أحواله على شهر رمضان

هو عبد الملك بن مروان كان يقول ولدت في شهر رمضان وפטمت في شهر

رمضان وأعدرت في شهر رمضان وختمت القرآن في شهر رمضان وبلغت

الحلم في شهر رمضان وأتتني الخلافة في شهر رمضان وأخشى أن أموت في

شهر رمضان فما دخل شوال وأمن مات

أربعة خلفاء تزوجوا إلى رجل واحد هم

الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك ويزيد بن عبد الملك وهشام بن

عبد الملك تزوج الأربعة بنات عبد الله بن عمرو بن عثمان فتزوج الوليد بنته

عبدة وسليمان بنته عائشة ويزيد بنته أم سعيد وهشام بنته رقية ولا يعرف مثل

ذلك

خليفة ركب البريد

لا يعرف ذلك إلا لموسى الهادي كان غائبا بجرجان

فلما مات أبوه المهدي كتب إليه أخوه الرشيد بالخبر وأخذ البيعة له بالخلافة

ووجه مع الرسول الخاتم والبردة والقضيب فبلغ جرجان في ثمانية أيام ووافى

موسى بغداد على البريد بعد ثلاثة عشر يوما من موت المهدي

خليفة سلم عليه بالخلافة عمه وعم أبيه وعم جده هو

الرشيد سلم عليه عمه سليمان بن المنصور ثم العباس بن محمد عم أبيه

المهدي ثم عبد الصمد بن علي عم جده أبي جعفر

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

خليفة سلم عليه سبعة من أهل بيته كلهم ابن خليفة هو
المتوكل سلم عليه محمد بن الواثق وأحمد بن المعتصم وموسى بن المأمون
وعبد الله بن الأمين وأبو أحمد بن الرشيد والعباس بن الهادي ومنصور بن
المهدي

خليفة قبل يد خليفة ثم قبل ذلك الخليفة يده هو
المعتصم وقف لإبراهيم بن المهدي أيام خلافته ثم نزل فقبل يده ثم أدنى منه
ابنه هارون فقبل يده وقال

يا أمير المؤمنين عبدك هارون ابني فأمر له بعشرة آلاف درهم فلما استخلف
المعتصم وكان إبراهيم قد خلع فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين عبدك هبة الله
ابني فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم حكى المعتصم هذه الحكاية لعلي بن الجنيد
فلامه على عدم إنصافه لإبراهيم بن المهدي وقال إبراهيم إنما أمر لابنك
هارون بعشرة آلاف درهم وفي يده بغداد فقط وأنت في يدك الدنيا فقال
صدقت وأمر لهبة الله بن إبراهيم بعشرة آلاف دينار قال الصولي ولا يعرف
خليفة قبل يد خليفة ثم قبل ذلك الخليفة يده إلا في هذين

خليفة جرت أموره كلها على ثمانية هو
المعتصم لأنه الثامن من ولد العباس والثامن من خلفاء بني العباس والثامن
من أولاد الرشيد وولد سنة ثمان وسبعين ومائة ومات وعمره ثمان وأربعون
سنة وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وخلف ثمانية
بنين وثمان بنات وخلف العين ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية وعشرين ألف ألف
درهم وثمانية عشر ألف دابة وفتوحه ثمانية وتوفي لثمان بقين من ربيع الأول
إلى غير ذلك من عدد الثمانية أمور قدرها الله تعالى له

خليفة تنقل في خمس طبقات هو
إبراهيم بن المهدي كان في طبقة أبناء الخلفاء ثم صار خليفة ثم صار في طبقة
الندماء ثم صار في طبقة المعنين ثم صار في مشيخة بني هاشم
خليفة كانت خلافته يوما أو بعض يوم هو
عبد الله بن المعتز وقد تقدم ذكره

خليفة قتل ابنه هو
سليمان بن عبد الملك قتل ابنه أيوب صبيرا
خليفة قتل أباه هو
المنتصر قتل أباه المتوكل بأن قيص له غلمانته من الترك فقتلوه
خليفة قتل أخاه هو

المعتز قتل أخاه المؤيد بعد أن خلعه من العهد
خليفة قتل عمه هو
أبو جعفر المنصور قتل عمه عبد الله بن علي
أما من قتل ابن أخيه فكثير كالمعتصم قتل العباس ابن أخيه المأمون بالمرزاب
خليفة ليس له عقب هو
معاوية بن يزيد بن معاوية
خليفة انقطع عقبه هو
أبو العباس السفاح
خليفة جاوز سنه التسعين هو

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

القادر بالله بلغ ثلاثا وتسعين سنة
خليفة لم يبلغ عمره عشرين سنة هو د
معاوية بن يزيد بن معاوية
امرأة تزوجها خليفة وابنها خليفة وزوج ابنتها خليفة هي
فاطمة بنت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} زوجها
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنها الحسن السبط وزوج ابنتها أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه زوج بنتها أم كلثوم بنت علي
ثلاث نسوة لا رابعة لهن ولدت كل واحدة منهن خليفتين وهن
ولادة بنت العباس العباسية زوجة عبد الملك بن مروان ولدت الوليد وسليمان
كل منهما ولي الخلافة
وشاهريد بنت فيروز بن يزدجرد زوجة الوليد بن عبد الملك ولدت له يزيد
وابراهيم كل منهما ولي الخلافة
والخيزران زوجة المهدي ولدت له موسى الهادي وهارون الرشيد ولي كل
منهما الخلافة
امرأة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة هي
عاتكة بنت يزيد بن معاوية يزيد أبوها معاوية جدها معاوية بن يزيد أخوها عبد
الملك بن مروان زوجها مروان بن الحكم حموها يزيد بن عبد الملك
ابنها الوليد وسليمان وهشام بنو زوجها ابراهيم ويزيد ابنا الوليد ابنا ابن زوجها
ونحوها فاطمة بنت عبد الملك أبوها عبد الملك وجدها لأبيها مروان وإختوها
الوليد وسليمان ويزيد وهشام أولاد عبد الملك وبنو عمها الوليد بن يزيد ويزيد
وابراهيم ابنا الوليد وزوجها عمر بن عبد العزيز وجدها لأبيها يزيد بن معاوية وأبو
جدها معاوية بن أبي سفيان وعمها معاوية بن يزيد بن معاوية

وقريب منها في بني العباس زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور جدها
المنصور وأخو جدها السفاح وزوجها الرشيد وعمها المهدي وابنها الأمين وابنا
زوجها المأمون والمعتصم وابنا ابن زوجها الواثق والمتوكل
أم خليفة تزوجت بعد خلافة ابنها هي
أم خالد بنت أبي هشام أم معاوي بن يزيد تزوجت بعد موت زوجها مروان بن
الحكم
امرأة تزوجها ثلاثة خلفاء هي
عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية تزوجها الوليد وهشام بن عبد الملك
ومروان بن محمد
ليلة ولد فيها خليفة ومات خليفة وولى خليفة هي
ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائتين ولد بها
المأمون ومات الهادي واستخلف الرشيد
أعاجيب في سعة أموال الخلفاء
رأيت في بعض التواريخ أن يزيد بن عبد الملك بن مروان كان قماشه يحمل
على ستمائة جمل وأنه خلف عشرة آلاف قميص لنفسه وليقس على ذلك
باقي أمواله هذا والخلافة بعد لم تبلغ حد العظمة
وحكى الثعالبي أن أبا جعفر المنصور مات عن تسع مائة ألف ألف درهم
وخمسين ألف ألف درهم

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

وحكى الصولي أن الرشيد خلف مائة ألف ألف دينار
وحكى غيره أن الرشيد خلف من الأموال ما لم يخلف أحد مثله منذ كانت الدنيا
وذلك أنه خلف من الأثاث والعين
والجوهر والورق والدواب ما قيمته مائة ألف ألف وخمسة وعشرين ألفا خارجا
عن الضياع والعقار

وحكى ابراهيم بن نوح أن الذي خلفه المكتفي مما جمعه المعتضد ومن بعده
مائة ألف ألف دينار والجوهر والطيب وما جرى مجراه عشرون ألف ألف دينار
والكسوة والفرش عشرون ألف ألف دينار والكرع والسلاح والغلمان عشرون
ألف ألف دينار والضياع والعقار والأملك عشرون ألف ألف دينار وكان فيما
أحصى من المتاع المخلف عن المكتفي من الثياب المروزية والخراسانية ثلاثة
وستون ألف ثوب ومن الملاء ألف ملاءة ومن العمائم المروزية ثلاثة عشر ألف
عمامة ومن الثياب المروزية المقصورة أربعة آلاف ثوب خارجا عن الخام ومن
الحلل الوشى اليماني المعدة والمنسوجة بالذهب ألف ألف وثمان مائة حلة
ومن البطائن التي تحمل من كرمان في أنابيب قصب فارس مما لم يعهد مثله
ثمانية عشر ألف أنبوبة بيعت كل أنبوبة منها بدينارين وما أحصي في خزائن
الفرش من البسط الأرمينية وغيرها ثمانية عشر ألف بساط
وعقد المأمون في يوم واحد لأخيه المعتصم علي المغرب وأمر له بخمسمائة
ألف دينار ولابنه العباس على الثغور والعواصم وأمر له بخمسمائة ألف دينار
ولعبد الله بن طاهر على الجبل ومحاربة بابك وأمر له بثلاثمائة ألف دينار ثم
أمر لسائر القواد بسبعمائة ألف دينار فكان جملة ما فرقه في ذلك اليوم ألفي
ألف دينار فقال عمرو بن الفرخ الرخجي هذا يوم فرق فيه من المال ما لم
يفرق مثله مذ كانت الحياة
وقد مر أن المعتصم خلف ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية وعشرين ألف دينار
وثمانية عشر ألف دابة خارجا عما عدا ذلك من الأموال
ويقال إن المقتدر خلف نيفا وستين ألف ألف دينار بتكرير الألف مرتين وذلك
مما جمعه الرشيد ومن بعده
ولما عملت دعوة المأمون حين تزوج بوران بنت الحسن بن سهل أقام أبوها
للمأمون ولجميع قواده وأصحابه بقم الصلح أنزالهم أربعين يوما واحتفل بما لم
ير مثله نفاسة وكثرة

قال المبرد سمعت الحسن بن بغا يقول كنا نحري أيام مقام المأمون عند
الحسن على ستة وعشرين ألف ملاح ولما كانت ليلة البناء وجلت بوران على
المأمون فرش حصير من ذهب وجئ بمكتل مرصع فيه در كبار فنشرت على من
حضر من النساء وفيهن أم جعفر وحمدونة بنت الرشيد فما مس من حصر من
الدر شيئا فقال المأمون شرفن أبا محمد وأكرمنا فمدت كل واحدة يدها
فأخذت درة وبقيت سائر الدرر تلوح على حصير الذهب فقال المأمون قاتل
الله الحسن بن هانئ كأنه قد رأى هذا حيث يقول
كان صغرى وكبرى من فواقعها

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

حصباء در على أرض من الذهب
وكان في المجلس شمعة عنبر فيها مائتا رطل فضج المأمون من دخانها
فعملت له مثل من الشمع فكان الليل مدة مقامه مثل النهار ولما كانت دعوة
القواد نثرت عليهم رقاع فيها أسماء ضياع فمن وقعت في يده رقعة بضیعة
أشهد له الحسن بها ويقال إنه أنفق
في هذه الدعوة أربعة آلاف ألف دينار فلما أراد المأمون أن يصعد أمر له بألف
ألف دينار وأقطعه الصلح وعتبه على احتفاله ذلك الاحتفال وحمله على نفسه
فقال له يا أمير المؤمنين أیظن ذلك من مال سهل والله ما هو إلا مالك رد إليك
وأردت أن يفضل الله أيامك ونكاحك كما فضلك على جميع خلقه
فانظر إلى هذه الدعوة وما كان فيها وهي نغبة في بحر الخلافة
ولما أعذر المتوكل ابنه المعتز جلس بعد فراغ القواد والأكابر من الأكل
فقدمت بين يديه مرافع ذهب مرصعة بالجواهر وعليها أمثلة من العنبر والمسك
والند المعجون على جميع الصور وجعلت بساطا ممدودا وأحضر القواد
والجلساء وأصحاب المراتب فوضعت بين أيديهم صوان من ذهب مرصعة
بأصناف الجواهر من الجانبين وبين السماطين فرجة وجاء الفراشون بزناويل
قد غشيت بالأدم مملوءة دراهم ودنانير نصفين نصت في الفرجة التي بين
السماطين حتى ارتفعت على الصواني وأمر الحاضرون

أن يشربوا ويأخذ كل واحد ممن يأكل ويشرب من تلك الدراهم والدنانير بثلاث
حفنات ما حملت يديه وكلما خف موضع صب عليه من تلك الزناويل حتى يرد
إلى حالته ووقف غلمان في آخر المجلس وقالوا إن أمير المؤمنين يقول لكم
ليأخذ من شاء ما شاء فمد الناس أيديهم إلى المال فأخذه وكان الرجل يثقله
ما معه فيخرج به ويسلمه إلى غلمانه ويرجع إلى مكانه ولما انقضى المجلس
خلع على الناس ألف خلعة وحملوا على ألف مركب بالذهب والفضة وأعتق
ألف نسمة

وحكى العسكري في كتابه الأوائل عن أحمد بن حمدون قال عملت أم
المستعين قلاية لم يبق شيء حسن إلا جعلته فيها وأنفقت عليها مائة ألف دينار
وثلاثين ألف دينار وسألت ابنها المستعين أن يقف عليها قال أحمد فقال لي
ولأترجة الهاشمي أذهب وانظرا إليها وصفها لي فمضينا فرأيناها فما رأينا في
الدنيا شيئا حسنا إلا وقد عمل فيها ومددت أنا يدي إلى غزال من ذهب ملئ
عنبرا عيناه حبتا جواهر وعليه سرج ولجام
وركاب من ذهب فأخذته ووضعته في كمي وجئنا فوصفنا له حسنها فقال له
أترجة إنه سرق منها وعمز به علي فقلت يا سيدي ألام على مثل هذا فقال
ارجع فخذ ما أطلقت حمله مما تريده فقال أترجة وأنا معه قال وأنت معه
فمضينا فملأنا أكمامنا وخفافنا وفتحنا أقببنا وجعلنا تحتها ما قدرنا عليه وعقدنا
أطراف الشفاشخ فوق ذلك وأقبلنا نمشي مشي الحبالى فلما رأنا ضحك فقال
له الجلسة فنحن ما ذبنا قال قوموا أنتم أيضا وقال المغنون مثل ذلك فأذن
لهم وجاء فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ما معهم ويضحك فنظر يزيد
المهلبى إلى سطل من ذهب مملوء مسكا فأخذه وخرج فقال إلى أين قال إلى
الحمام فضحك وأمر الأطباء والخدم والفراشين فانتبهوا الباقي فوجهت إليه
أمه تقول سر الله أمير المؤمنين في جميع أفعاله كنت أحب أن تراها قبل أن

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

تفرقها فقال يعاد مثلها فأعيد مثلها في مدة شهرين
إلى غير ذلك من حكايات أموالهم التي لا يأخذها حصر ولا تدخل تحت حد

ولله خزائن السموات والأرض
قال الثعالبي وكان يقال لبني العباس في المال فاتحة وواسطة وخاتمة
فالفاتحة المنصور والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد المعتضد يقال إن ما
جمعه إلى الرشيد فرقه الأمين
اعتبار وعظة في موت عظماء الخلفاء الذين ملكوا الأرض ودوخوا البلاد
وأحاطوا بالأقاليم والأقطار وحمل إليهم أموالها
قال أحمد بن أبي داود لقد شددت لحيي المأمون والمعتصم والوائق بيدي فما
تهيأ لي في القيام على واحد منهم عند تلك الحالة وجود خرقة أشد بها لحييه
وإنما كان معولي على الدراريح التي تكون معي أخرق منها
ولما مات المكتفي شغل الناس عن مواراته بأمر المقتدر المستخلف بعده
فاجتاز به صاحب خزنة الكسوة فوجد على وجهه رداء قصب فأخذه وقال هذا
أطالب به فاجتاز به بعض خدمه فبكى لما رآه مكشوفاً فأخذ مندبلاً كان على
رأسه فنشره على وجهه ولما نقل إلى دار
الغسل والتكفين لم توجد مجمرة يبخر فيها فأخذت غضارة من غضائر الخزف
الأحمر فبخر فيها الموضع وكان مما خلفه ألوف من مجامر الذهب والفضة وقد
مر ذكر ما خلفه في الكلام عن سعة أموال الخلفاء قبل هذا
ولله أبو نواس حيث يقول
إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق
عبرة قال الصولي حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال لما ولي المعتز لم
يمض إلا مدة حتى أحضر الناس وأخرج المؤبد فقبل اشهدوا أنه دعي فأجاب
وليس به أثر ثم مضت أشهر فأحضر الناس وأخرج المستعين فقال إن منيته
أنت عليه وها هو لا أثر فيه فاشهدوا ثم مضت مديدة واستخلف المهدي فأخرج
المعتز ميتاً وقيل اشهدوا أنه قد مات حتف أنفه ولا أثر به ثم لم تكمل السنة
حتى استخلف المعتمد فأخرج المهدي ميتاً وقيل اشهدوا أنه قد مات حتف
أنفه من جراحته فتعجب الناس من تلاحقهم في مدة يسيرة

مثلها لما اشتدت علة الواثق دخل أيتاخ لينظر إليه هل مات أم لا فلما دنا منه
نظر إليه الواثق بمؤخر عينيه ففزع أيتاخ وجزع وخرج القهقري فسقط على
وجهه هيبة منه فاندقت يده وانكسر سيفه فلم يمض إلا ساعة حتى مات الواثق
فعدل به إلى بيت ليغسل فيه فجاءت فأرة فأكلت عينا فزع من لحظها أيتاخ
حتى تراجع وسقط على سيفه فانكسر وذلك في بعض يوم
نظيرها لما جرى برأس مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى عبد الله بن
علي أمر بعزله فجاءت هرة فقطعت لسانه وجعلت تمضغه فقال عبد الله بن
علي أو غيره لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هذه لكفانا
وكان مروان قبل ذلك قد عرض في ظهر الحيرة سبعين ألف عربي على

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية

سبعين ألف فرس ثم قال إذا انقضت المدة لم تنفع العدة
تعقيب قد تقدم في الكلام على تراجم خلفاء بني
العباس بالديار المصرية أنه مذ نقلت الخلافة إلى الديار المصرية رادف
خلفاؤها الخلفاء الماضين في القاب الخلافة فتلقب أحمد بن الظاهر أول من
بويع بها بالمستنصر وتلقب أحمد بن الحسين بعده بالحاكم وتلقب ابنه بعده
بالمستكفي ثم تلقب بنو المستكفي بالحاكم والوائق والمعتضد على ما تقدم
بيانه في تراجمهم وهذا إنما كان ينبغي إذا لم يتأت الإتيان بألقاب جديدة
متقضية وذلك أمر غير ممتنع فكان من حقهم أن يقتضبوا لكل واحد لقباً غير ما
تقدم

وقد ذكر في نقط العروس ألقاباً تصلح للخلافة لم يتلقب بها أحد فعد منها
المعول على الله والمؤمل لله الراغب إلى الله الساعي لله المحي لدين الله
المستجيش بالله المؤثر للحق في الله المرتقب في الله المراقب لله المتعزز
بالله المستعد بالله المسدد بالله السديد بالله الشديد بالله المستهدي بالله
المستعصم بالله العاضد لحق الله المعان بالله الكافي في الله المظهر لدين
الله الحامي في الله المحتمي في الله

الراجي لله المرتجي لله المكتفي بالله المرضي لأمر الله المسلم لله
المستسلم لله المحامي في الله المرشد إلى الله المحافظ في الله المحفوظ
بالله العائذ بالله اللائذ بالله الصادع عن الله المستند إلى الله الذاب عن دين
الله وهذه لم يتسم بها أحد من الخلفاء إلى الآن وعد منها المستكفي بالله
الحافظ لدين الله والمستعلي بالله وهذه قد تلقب بها بعد زمانه فالمستكفي
تلقب بها بعض خلفاء بني العباس والحافظ لدين الله والمستعلي بالله تلقب
بهما بعض الخلفاء الفاطميين بمصر على أن المتتبع لو تتبع ذلك لأتى منه
بالقدر الكبير والله أعلم

الخاتمة فيما يختص بالإمام الأعظم المعتضد بالله خليفة العصر

الموضوع له هذا الكتاب

وفيه فصلان

الفصل الأول في نسبه

هو الإمام الأعظم المعتضد بالله أبو الفتح داود بن الإمام المتوكل على الله أبي
عبد الله محمد بن المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر ابن المستكفي بالله أبي
الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الأمير الحسين بن
الأمير أبي بكر بن الأمير علي المعروف بالقبلي بن الأمير حسن بن الراشد بالله
أبي جعفر المنصور بن المسترشد بالله أبي منصور الفضل بن المستظهر بالله
أبي العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبي محمد عبد الله بن ذخيرة الدين
ولي عهد المسلمين محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر
بالله أبي العباس أحمد بن الأمير

إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد
بن الأمير الموفق طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم

بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد أبي محمد هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر بن محمد الكامل بن علي السجاد بن عبد الله حبر الأمة بن العباس عم النبي {صلى الله عليه وسلم} ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام بن تارح وهو أزر بن ناحور بن شاروح بن راغو بن فالغ بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلح بن خنوخ وهو ادريس عليه السلام بن برد بن مهليل بن قين بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام

هذا ما ذكره ابن إسحاق في سيرته وفي كثير من التواريخ ما يخالف في بعض هذه الأسماء فيقال في نابت نبت وفي لامك لمك وفي خنوخ أخنوخ بألف في أوله وفي مهليل مهلايل وفي قين قينان وفي يانش أنوش والمتفق عليه إلى عدنان وفيما وراء ذلك إلى آدم اختلاف كثير قلت وعلى هذا النسب يكون من أمير المؤمنين إلى آدم عليه السلام خمسة وسبعون أبا

منه إلى العباس عم النبي {صلى الله عليه وسلم} تسعة وعشرون أبا ومن العباس إلى آدم عليه السلام ستة وأربعون أبا ويكون نسبه الشريف قد اشتمل على ثمانية عشر خليفة منهم أربعة خلفاء بمصر وهم المتوكل والمعتضد والمستكفي والحاكم وثلاثة عشر خليفة بالعراق وهو الراشد والمستترشد والمستظهر والمقتدي والقائم والقادر والمقتدر والمعتضد والمتوكل والمعتصم والرشيد والمهدي والمنصور وصحبايان وهما العباس عم النبي {صلى الله عليه وسلم} وابنه حبر الأمة عبد الله وستة أنبياء وهم اسماعيل و ابراهيم ونوح وادريس وشيث و آدم عليهم السلام ويلتقي مع النبي {صلى الله عليه وسلم} في هاشم وكذلك مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ويلتقي مع أبي بكر الصديق في مرة بن كعب ومع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في كعب بن مرة ومع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان وسائر خلفاء بني أمية في عبد مناف ومع عبد الله بن الزبير في قصي بن كلاب وأكرم به من نسب طاب أصله وزكت فروعه

الفصل الثاني في ذكر طرف من مناقبه وأوصافه

هو أجل من نطقت بمفاخره الأعلام وحبر في وصفه الكلام وأجمل اللسان في محاسنه البث وأعمل البيان نجب الأعلام في رقم محامده الحث وأتى بشيمه التي كم عطف هزته وكم جواد فخار لزته وكم عز أسمعته وسامع أعزته ومهارق عادت بتسطير مناقبه حبرا وجم فضائل كانت لذلك مبتدأ وخبرا فهي الشيم التي لو تجسدت لكانت لوجه الدهر عينا وحاجبا

من بخلافته فخر العصر ومن لا تدرك معاليه بإحصاء ولا حصر ومن أنت صفاته من كل فضل بالجمع إذا أتى غيرها بالقصر ومن غدا بابہ الشريف محط رحال الآمال وملقى عصا الترحال وسبيل غيث الجدا ومطلع نجم الهدى ومحل محل الحبا وموطن الجود والحبا لا تعن له فرصة خير إلا انتهزها ولا شاردة مثوبة إلا أحرزها ولا مساءة إلا حجبها ولا مبرة إلا أبرزها فلا لسان عن ذكر محاسنه عشا ولا ملك إلا ومن بابہ أو باب آباءه الخلفاء الراشدين انتشى فهو على الحقيقة إمام الدين وخليفة الإسلام والإمام الذي اتصل نسبه بالأئمة فهو الإمام بن الإمام بن الإمام ما تكلم إلا أتى بكل معجب معجز ولا تحدث فأوجز إلا ود المحدث أنه لم يوجز فلو كان الفصل راية لكان عرابتها أو وجوها لكان وسامتها كم حلّى من جيد وأعاد بمسرة الإحسان إلى الخلق من عيد وأجرى من صدقات ونحل أكار المعالي من صدقات وأضحى لأولي الرتب ببابه الشريف ازدحام ولتغر الرجاء برحابه ابتسام فالمال في وجوه المعروف يصرفه وفي المبرات يفنيه وفي القربات يتلفه

فصير الشطر إنعاما وموهبة

وصير الشطر أحباسا وأوقافا

فساحته التي يأوي إليها الطاعن ولا يظعن عنها المقيم وبره الذي غدا للسائل المنيل وفي دعته المنيم فمنهل بابہ العذب كثير الزحام ومسلكه العال للطلاب سهل الاقتحام وأفضاله متسقة الفرائد وبره يانع الروض للرائد فلجبهة الخلافة منه غرر ولأفقهها من طلعت الميمونة نجم يربى على القمر فكل رداء يرتديه جميل وكل أوصافه لها إلى حسن الثناء سبيل حاجات المضطرين توافيه فيقضيتها وساعات يومه في اصطناع المعروف يقضيها ورحابه الفسيحة مستجمع الرائح من الناس والغادي وملجأ الحاضر والبادي لمتمسي الحاجات جمع ببابه

فهذا له شأن وهذا له شأن

فللبائس النعمى وللمعدم الغنى

وللضاعن الماوى وللخائف الأمن

فلا راحة تخلو من راحة جوده ولا ساحة أمل تقفر من وفوده ولا منقطع إلا وله منه صلة وعائد ولا سائل إلا أجري من عطائه على أجمل العوائد قطوف الأجور لديه دانية ومعروفة المعروف يسري إلى كافة الآنام سرا وعلائية فلم يأت أحد يمثل إثارة ولم يستطع في الخير سلوك آثاره فالرواة تتحدث بأخباره والحدادة تترنم بأسماره والأمة تلقى عصا تسيارها لديه وتهرع من كل فج إليه فتجد مآثره لا تحصى عجائبها ولا تعد فرائدها وغرائبها وأنى تحصر مآثره وهل تحصر البحار بمقال أو يحصى وافر كرمه وهل تحصى الرمال

وقد وجدت مكان القول ذا سعة

وإن وجدت لسانا قائلا فقل

والمستؤل من الله تعالى أن يديم أيامه دواما لا ينقصه اختزال ويمد رواق

دولته مدا لا يعتريه زوال ويجعل مدحه الطاعن وشخصه المقيم ويمنحه في

هذه الدار النعمة وفي الدار الآخرة النعيم إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا

ونعم الوكيل

مكتبة

مآثر الإنافة في معالم الخلافة مشكاة الإسلامية
